

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« بقية الليلة الحادية والثلاثين في آخر الجزء الثاني »

ثمّ تراعى الحديث إلى أمر المُطْعَمِينَ وَالطَّاعِمِينَ^(١) ، والذين يهشُّون^(٢) عند (٥) للمائدة ، والذين يغبِسُون^(٣) ويمجمون ويُطْرِقُونَ ، والذين يَضْخَبُونَ^(٤) وَيَلْفَطُونَ ، وَيَضْجَرُونَ وَيَفْتَاظُونَ .

فقال : أحبُّ أن أسمعَ في هذا أكثرَ ما فيه ، ويمرُّ بي أعجبه ، فإنَّ في معرفة هذا الباب تهذيباً وإيقاظاً كثيراً .

فكان من الجواب : إنَّ الناسَ قديماً وحديثاً قد خاضوا في هذا الفنَّ خوضاً بعيداً ، وما وقفوا منه عند حدٍّ ، لأنَّ الحديثَ عن الأخلاقِ المختلفةِ بالأَمْزِجَةِ^(٥) المتباعدة ، والطبائعِ المتباينة لا يكاد ينتهي إلى غاية يكون فيها شغلا للمستمع المُستفيد [و] لا للراوية المُفيد .

قال : قبل كل شيء أعلمونا^(٦) يا أصحابنا : الحثُّ على الأكل أحسن ، أم الإمساك حتى يكون من الأكل ما يكون ؟
فكان [من] الجواب : أن هذه المسئلة بعينها جرَّت بالأمس بالرَّيِّ عند

(١) في (١) بالطاعمين ، والباء معرفة عن الواو كما هو ظاهر من السياق .

(٢) في (١) يمشون ، وهو تحريف .

(٣) في (١) « يغيشون » ؛ وهو تصحيف .

(٤) في (ب) « يضجون » .

(٥) في كلتا النسختين بالأزمنة ؛ وهو تحريف .

(٦) في (ب) « إعلموا » ؛ وهو تحريف .

ابن عبّاد فنُوهبَ الكلامُ فيها ، وأُفْضِيَ [إلى] أن الأولى الحثُّ والتأنيسُ
والبسْطُ والطلاقةُ ولينُ اللفظِ وقِلّةُ التحديقِ وإنجاءُ الطَّرفِ مع [اللطْفِ]
والدِّمائيّة ، من غير دلالةٍ على تكلفٍ في ذلك فاضح^(١) ولا إمساك^(٢) عنه قادح .
وحكى ابن عبّاد في هذا الموضع أن بعض السلف قال : الطعامُ أهْوَنُ مِنْ
أن يُحْتَّ على تناؤله .

وقال الحسن بن عليّ : الطعامُ أجلُّ من أن لا يُحْتَّ على تناؤله . ومذهبُ
الحسن أحسن .

قال : ولقد حضرتُ موائدِ ناسٍ لا أُظُنُّ بهم البخلَ فلم يُحْتَوِ ولم يَبْسُطُوا
قَبَضَفي ذلك ، وكانَ أقباضِي كانَ بِمَوْنَتِهِمْ ، وإن لم يكن يارادتهم .
قال الوزير : هذه فائدة من هذا الرجل الذي يُتهادى قوله ، ويُتَراوى
أخبارُهُ^(٣) .

ثم حكيتُ له أن أسماءَ بنَ حارِجَةَ قال : ما صنعتُ طعاماً قطّ فدَعَوْتُ
عليه نَفْراً إلّا كانوا أَمَنَ علىَّ مِنِّي عليهم . فقال : زدنا من هذا الضرب
ما كان ، قلتُ : لو أُذِن لي في جَمْعِهِ كانَ أَوْلَى ؛ قال : لك^(٤) ذلك فَمَا يَصْرُنَا^(٥)
أن تُطْرِبَ آذَانَنَا بِمَا هَوَى نُفُوسُنَا .

فكان من الجواب أن الجاحظ قد أتى على جمهرة هذا الباب إلّا ما شُدَّ عنه

-
- (١) في (١) ناصح ؛ وهو تحريف .
(٢) في (١) « الإمساك » ولا يستقيم به المعنى .
(٣) في (١) ويتراوى اختياره .
(٤) في (١) « إلى » ؛ وهو تحريف .
(٥) في (١) « ينصرنا » ؛ وهو تحريف .

مِمَّا لَمْ يَقَعْ إِلَيْهِ ، فَإِنَّ الْعَالِمَ - وَإِنْ كَانَ بَارِعًا - لَيْسَ يَجُوزُ أَنْ يُظَنَّ [به] أَنَّهُ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ بَابٍ ، أَوْ بِالْبَابِ الْوَاحِدِ إِلَى آخِرِهِ ؛ عَلَى أَنَّهُ حَدَّثَ مِنْ عَهْدِ الْجَاهِظِ إِلَى وَفْتِنَا هَذَا أُمُورٌ وَأُمُورٌ ، وَهَنَاتٌ وَهَنَاتٌ ، وَغَرَائِبُ وَعَجَائِبُ ، لِأَنَّ النَّاسَ يَكْتَسِبُونَ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ عَادَةً جَدِيدَةً ، وَخَلِيقَةً غَيْرَ مَعْهُودَةٍ ، وَبَدَأَ هَذِهِ الْمِثْنِ (١) هُوَ الْوَقْتُ الَّذِي فِيهِ تَتَمَقَّدُ شَرِيعَةٌ ، وَتُظْهِرُ نَبْوَةً ، وَتَنْفُشُ أَحْكَامًا ، وَتَسْتَقَرُّ سُنَنٌ ، وَتُؤَلَّفُ أَحْوَالٌ (٢) بِمَدِّ فِطَامٍ شَدِيدٍ ، وَتَلَكُّوْ رِ واقِعٌ ؛ ثُمَّ عَلَى أُسْتِنَانِ ذَلِكَ يَكُونُ مَا يَكُونُ .

وَقَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ : مَنْ ضَافَ الْبَخِيلَ صَامَتٌ دَابَّتُهُ ، وَأُسْتَفْنَى عَنِ الْكَنِيفِ ، وَأَمِنَ التُّخْمَةَ .

وَقَالَ حَامِدُ (٣) اللَّفَّافِ الْمَرْهَدُ (٤) : الْمَرَأَى إِذَا ضَافَ إِنْسَانًا حَدَّثَهُ بِسَخَاوَةِ إِبْرَاهِيمَ ، وَإِذَا ضَافَهُ إِنْسَانٌ حَدَّثَهُ بِزُهْدِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ .

وَقَالَ مَالِكُ (٥) : بَنُ دِينَارٍ : دَخَلْنَا عَلَى ابْنِ سِيرِينَ فَقَالَ : مَا أَذْرِي مَا أَطْعِمُكُمْ ؟ نَمَّ قَدَمٌ (٦) إِلَيْنَا شُهُدَةٌ .

وَقَالَ الْأَعْمَشُ : كَانَ خَيْثَمَةُ يَصْنَعُ الْخَبِيصَ ثُمَّ يَقُولُ : كُلُوا فَوَاللَّهِ مَا صُنِعَ إِلَّا مِنْ أَجْلِكُمْ .

وَقَالَ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُزَنِيُّ (٧) : أَحَقُّ النَّاسِ بِلَطَافَةٍ مَنْ إِذَا دُعِيَ إِلَى طَعَامٍ

(١) فِي (١) « وَبَدَّهَرَهُ الْمِثْنِ » . وَفِي (ب) « وَبَدَّ هَذِهِ الْمِثْنِ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا النُّسخَيْنِ وَمَا أَثْبَتْنَاهُ هُوَ مَا يَقْتَضِيهِ سِيَاقُ الْكَلَامِ . (٢) فِي (ب) « أَحْكَامٌ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) كَذَا فِي كِلَا الْأَصْلَيْنِ ؛ وَقَدْ وَرَدَتْ هَذِهِ السَّكَلَةُ فِي الْجُزْءِ الثَّانِي مِنْ هَذَا الْكِتَابِ ص ٦٩ مَنْسُوبَةً إِلَى حَاتِمٍ ، أَيْ حَاتِمِ الْأَصَمِّ .

(٤) فِي (ب) « الزَّاهِدُ » . (٥) فِي (١) « خَالِدٌ » ؛ وَهُوَ تَبْدِيلٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٦) فِي (ب) « أَخْرَجَ » ؛ وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ أَيْضًا .

(٧) فِي (١) « الْمَرءُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

ذَهَبَ بآخر معه ، وأحقهم بِلَطْمَتَيْنِ مَنْ إذا قيل له : اجلس ها هنا قال : بل ها هنا ؛ وأحق الناس بثلاثِ لَطَمَاتٍ مَنْ إذا قيل له : كُلْ ، قال : ما بالُ صاحبِ البَيْتِ لا يأكلُ مَعَنَا .

وقال إبراهيم بن الجُنَيْد^(١) : كَانَ يَقَالُ : أَرَبَعٌ لَا يَنْبَغِي لِشَرِيفٍ أَنْ يَأْتِيَ مِنْهُنَّ وَإِنْ كَانَ أَمِيرًا : قِيَامُهُ مِنْ مَجْلِسِهِ لِأَبِيهِ ، وَخِدْمَتُهُ لِلْعَالِمِ يَقَعْلُمُ مِنْهُ ، وَالسُّؤَالُ عَمَّا لَا يَعْلَمُ مِنْهُ هُوَ أَغْلَمُ مِنْهُ ، وَخِدْمَةُ الضَّيْفِ بِنَفْسِهِ إِكْرَامًا لَهُ .

وقال حاتم الأصم : كَانَ يَقَالُ الْمَجَلَّةُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا فِي خَمْسٍ ، فَإِنَّهَا مِنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِطْعَامِ الضَّيْفِ إِذَا حَلَّ ، وَتَجْهِيْزِ الْمَيْتِ إِذَا مَاتَ ، وَتَرْوِيْحِ الْبَكْرِ إِذَا أُدْرِكَتْ ، وَقَضَاءِ الدَّيْنِ إِذَا حَلَّ وَوَجَبَ ، وَالتَّوْبَةِ مِنَ الذَّنْبِ إِذَا وَقَعَ .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لَيْلَةُ الضَّيْفِ حَقٌّ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ ، فَمَنْ أَصْبَحَ بِفَنَائِهِ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ إِنْ شَاءَ أَخَذَ ، وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ » .

وجاءت امرأة إلى الليث بن سعد وفي يدها قَدَحٌ ، فَسَأَلَتْ عَسَلًا وَقَالَتْ : زَوْجِي مَرِيضٌ ؛ فَأَمَرَ لَهَا بِرَاوِيَةِ عَسَلٍ^(٢) ؛ فَقَالُوا : يَا أَبَا الْحَرثِ : إِنَّمَا تَسْأَلُ قَدَحًا . قَالَ : سَأَلْتُ عَلَى قَدَرِهَا وَنُمُطِهَا عَلَى قَدَرِنَا .

خَرَجَ ابْنُ الْمُبَارَكِ يَوْمًا إِلَى أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ لَهُمْ : نَزَلَ بِنَا ضَيْفٌ الْيَوْمَ فَقَالَ : اتَّخَذُوا لِي فَالْوَدَجَا ؛ فَمَرَرْنَا ذَلِكَ مِنْهُ .

(١) في (١) « ابن الحنبل » ، وهو تصحيف . وقد سبق كلامه هذا في الجزء الثاني من هذا الكتاب صفحة ٦٨ سطر ١١ .

(٢) هذه الكلمة في (١) لم يظهر منها إلا بعض حروفها وفي (ب) مطبوسة كلها .

وقال الحسنُ في الرَّجُلِ يَدْخُلُ بَيْتَ أَخِيهِ فَيَرَى السَّلَّةَ فِيهَا الْفَاكَةَ :
لَا بَأْسَ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْتَأْذِنَهُ .

وقال ابنُ عمر : أُهْدِيَتْ لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ -
شاةٌ فَقَالَ : أَخِي فَلَانٌ أَخْوَجُ إِلَيْهَا ، وَبَعَثَ بِهَا إِلَيْهِ ، فَلَمْ يَزَلْ ^(١) يَبْعَثُ بِهَا
وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ حَتَّى تَدَاوَلَهَا تِسْعَةُ أَيْيَاتٍ ، وَرَجَعَتْ إِلَى الْأَوَّلِ ، فَنَزَلَتْ
الآيَةُ : (وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) .

قال أبو سعيد الخدري : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ كَانَ لَهُ
ظَهْرٌ فَلْيُعْمِدْ عَلَى مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ ؛ وَمَنْ كَانَ لَهُ زَادٌ فَلْيُعِدْ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ ،
حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي الْفَضْلِ ^(٢) » .

وسئِلَ ابنُ عُمرَ : مَا حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ ؟ قَالَ : أَلَّا يَشْبَعَ وَيَجُوعَ ،
وَأَلَّا يَلْبَسَ وَيَعْرَى ، وَأَنْ يُوَسِّتَهُ بَبَيْضَاتِهِ وَصَفَرَاتِهِ .

وكان ابنُ أبي بَكْرَةَ يُنْفِقُ عَلَى جِيرَانِهِ أَرْبَعِينَ دَارًا سِوَى سَائِرِ نَفَقَاتِهِ ،
وكان يَبْعَثُ إِلَيْهِمُ بِالْأَضَاحِيِّ وَالْكُسُوفَةِ فِي الْأَعْيَادِ ، وَكان يَمْتَقِ فِي كُلِّ يَوْمٍ
عَمِيدَ مَائَةِ مَمْلُوكٍ .

وكان حمادُ بنُ أبي سُلَيْمَانَ يُفْطِرُ كُلَّ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ خَمْسِينَ إِنْسَانًا ،
وَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْفِطْرِ كَسَاهُمْ ثَوْبًا ثَوْبًا وَأَعْطَاهُمْ مَائَةَ مَائَةٍ .

وقال الشاعر :

أَرَاكَ تَوَمَّلَ حُسْنَ الثَّمَاءِ وَلَمْ يَرْزُقِ اللَّهُ ذَاكَ الْبَخِيلَا

(١) سياق السلام يفيد أن الثاني قال مثل ما قال الأول وبعث بالشاة إلى أخ ثالث ،
وحذف ذلك العلم به .

(٢) يريد بالفضل هنا : ما فضل من المال وزاد .

وكيف يسود أخو بطنه ^(١) يَمُنُّ كثيراً ويُعطى قليلاً

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « تجافوا عن ذنب السَخِيّ ، فإن الله يأخذُ بيده كلما عَثَرَ » .

وقال عليه السلام : « من أَدَّى الزَّكَاةَ ، وقرَى الضَّيْفَ ، وآوَى ^(٢) في النّائبة ، فقد وُقِيَ شُحُّ نفسه » .

وقالت أُمُّ الْبَنِينَ أُخْتُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ : أَفَنِي لِلْبُخْلِ ، لو كان طريقاً ما سَلَكَتُهُ ، ولو كان ثوباً ما لبِستُهُ ، ولو كان مِراجاً ما أَسْتَضأتُ به .

وقال الأصمعيّ : قال بعضُ الْعَرَبِ : ليست الْفَتْوَةُ الْفِسْقَ وَلَا الْفُجُورَ ، وَلَا شُرْبَ الْخُمُورِ ، وَإِنَّمَا الْفَتْوَةُ طَمَاحٌ مَوْضُوعٌ ، وَصَنِيعٌ مَصْنُوعٌ ، وَمَكَانٌ مَرْفُوعٌ ، وَلِسَانٌ مَغْسُولٌ ، وَنَائِلٌ مَبْذُولٌ ، وَعَنَافٌ مَعْرُوفٌ ، وَأَذَى مَكْفُوفٌ .

وقال أبو حازم الدنّي : أَسْعَدُ النَّاسِ بِالْخُلُقِ الْحَسَنُ صَاحِبُهُ ، نَفْسُهُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ ، ثُمَّ زَوْجَتُهُ ، ثُمَّ وَلَدُهُ ، حَتَّى إِنْ فَرَسَهُ لِيَضْهَلَ إِذَا سَمِعَ صَوْتَهُ ، وَكَلْبُهُ يُشْرِشِرُ بِذَنْبِهِ إِذَا رَأَاهُ ، وَقِطْعُهُ يَدْخُلُ [تَحْتَ] مَائِدَتِهِ ، وَإِنَّ السَّيِّئَ الْخُلُقِ لَأَشْقَى النَّاسِ ، نَفْسُهُ مِنْهُ فِي بَلَاءٍ ، ثُمَّ زَوْجَتُهُ ، ثُمَّ وَلَدُهُ ، ثُمَّ خَدَمُهُ ، وَإِنَّهُ لَيَدْخُلُ وَهُمْ فِي سُرُورٍ فَيَتَفَرَّقُونَ فَرَقاً مِنْهُ ، وَإِنَّ دَابَّتَهُ لَيُحِيدُ عَنْهُ إِذَا رَأَاهُ ، مِمَّا تَرَى مِنْهُ ، وَكَلْبُهُ يَنْزُو عَلَى الْجِدَارِ ، وَقِطْعُهُ يَفِرُّ مِنْهُ .

وكان على باب ابن كيسان مَكْنُوبٌ : ادْخُلْ وَكُلْ .

(١) هذه الكلمة مضموسة في (أ) ولم يظهر منها في (ب) غير النون ؛ وما أُنْبِتَاهُ هو المناسب للسياق .

(٢) في (أ) وأدى ؛ وهو تحريف .

وكانت عائشة رضى الله عنها تقول فى بكائها [على النبى صلى الله عليه وسلم] :
بَأبَى مَنْ لَمْ يَنْمَ عَلَى الْوَتِيرِ ، وَلَمْ يَشْبَعْ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ وِعَاءَ مَلِيٍّ شَرًّا مِنْ
بَطْنٍ ، فَإِنْ كَانَ لَا بَدَّ فَأَجْمَلُوا ثُلُثًا لِلطَّعَامِ ، وَثُلُثًا لِلشَّرَابِ ، وَثُلُثًا لِلرَّيْحِ » .

قال الشاعر :

لِيسُوا يُبَاكُونَ إِذَا أَضْبَحُوا شَبَعَى بَطَانًا حَقَّ مَنْ ضَيَّعُوا^(١)
وَلَا يُبَاكُونَ بِمَوْلَاهُمْ وَالْكَلْبُ فِي أُمُومِهِمْ يَرْتَعُ
وَحَكَى لَنَا أَبُو بَكْرٍ أَمْعَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بِحُرْجَانَ [إِمَامُ الدُّنْيَا] قَالَ : رَأَيْتُ
أَبَا خَلِيفَةَ الْمَفْضَلِ^(٢) بْنَ الْحُبَابِ ، وَقَدْ دُعِيَ إِلَى وَلِيَّةٍ فَرَأَى الصَّحَافَ تَوْضَعُ
وَتُرْفَعُ ، فَقَالَ : أَلِلْحُسْنِ وَالْمَنْظَرِ دُعِينَا ، أَمْ لِلْأَكْلِ وَالْمَخْبَرِ ؟ فَقِيلَ : بَلِ
لِلْأَكْلِ وَالْمَخْبَرِ ، قَالَ : فَاتْرَكُوا الصَّخْفَةَ يُبْلَغُ قَعْرُهَا .

وكان سليمان بْنُ ثَوَابَةَ ضَخَمَ الْخِلْوَانَ ، كَثِيرَ الطَّعَامِ ، وَافِرَ الرِّغْفِ ،
وكان مُعْجَبًا بِإِجَادَةِ الْأَلْوَانِ ، وَأَتَّخَذَ الْبِدَائِعَ وَالطَّرَائِفَ وَالْغَرَائِبَ عَلَى مَائِدَتِهِ ؛
وكانت لَهُ ضُرُوبٌ مِنَ الْخَلْوَى لَا تُعْرَفُ إِلَّا بِهِ ، وَكان خُبْزُهُ الَّذِى يُوضَعُ عَلَى
المَائِدَةِ الرِّغْفِ مِنْ مَكُوكٍ^(٣) دَقِيقٍ ، وَلِذَلِكَ قَالَ أَبُو فَرَعُونَ الْعَدَوَى :

مَا النَّاسُ إِلَّا نَبْطٌ وَخُوزَانٌ^(٤) كَكَهْمَسِي أَوْ عَمَرَ بْنِ عِمْرَانَ

(١) فى (١) « صنعوا » ؟ وهو تصحيف .

(٢) فى (١) المفضل بن الحبان ؟ وهو تحريف .

(٣) المكوك : من مكابيل العراق ، وهو صاع ونصف أو هو ثلاث كيلجات والكيلجة
منا وسبعة أمان منا ، والمنا رطلان .

(٤) لعله يريد بالخوزان : أهل خوزستان ، وهم — فيما يقال — ألام الناس وأسططهم
نفوساً .

صَاقُ^(١) جِرَابِي عَنْ رَغِيفِ سَلْمَانَ^(٢) أَيْزُ حَمَارٍ فِي حِرٍّ أُمَّ قَحْطَانُ
وَأَيْزُ بَقْلٍ فِي أَسْتٍ أُمَّ عَدْنَانَ^(٣)
.....

وَعَشِيقَ رَجُلٍ جَارِيَةٍ رُومِيَّةٍ كَانَتْ لِقَوْمٍ ذَوِي يَسَارٍ ، فَكَتَبَ إِلَيْهَا
يَوْمًا : جُمِلْتُ فِدَاكَ ، عِنْدِي الْيَوْمَ أَصْحَابِي ، وَقَدْ أَشْتَهَيْتُ سَكْبَاجَةً^(٤) بَقَرِيَّةً
فَأَحْبُّ أَنْ تَوْجَّهِيَ إِلَيْنَا بِمَا يَعْصِمُنَا وَيَكْفِينَا مِنْهَا ، وَدَسْتَجَةً^(٥) مِنْ نَبِيذٍ لِنَتَغَذَّى
وَنَشْرَبَ عَلَى ذِكْرِكَ ، فَلَمَّا وَصَلَتِ الرُّقْعَةُ وَجَّهْتِ إِلَيْهِ بِمَا طَلَّبَ ؛ ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْهَا
يَوْمًا آخَرَ : فَذَلِكَ نَفْسِي ، إِخْوَانِي مَجْتَمِعُونَ عِنْدِي ، وَقَدْ أَشْتَهَيْتُ قَلِيلَةً جَزُورِيَّةً
فَوَجَّهْتِ بِهَا إِلَيَّ وَمَا يَكْفِينَا مِنَ النَّبِيذِ وَالنَّقْلِ ، لِيَعْرِفُوا مَنَزَلَتِي عِنْدَكَ ، فَوَجَّهْتِ
إِلَيْهِ بِكُلِّ مَا سَأَلَ ؛ ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْهَا يَوْمًا آخَرَ : جُمِلْتُ فِدَاكَ ، قَدْ أَشْتَهَيْتُ أَنَا
وَأَصْحَابِي رَهُوسًا سَمَانًا ، فَأَحْبُّ أَنْ تَوْجَّهِيَ إِلَيْنَا بِمَا يَكْفِينَا ، وَمِنَ النَّبِيذِ
بِمَا يُرْوِينَا ؛ فَكَتَبْتَ الْجَارِيَةَ عِنْدَ ذَلِكَ : إِنِّي رَأَيْتُ الْحُبَّ يَكُونُ فِي الْقَلْبِ ،
وَحُبُّكَ هَذَا مَا تَجَاوَزَ الْمَعْدَةَ . وَكَتَبْتَ اسْفَلَ الرُّقْعَةَ :

عَذِيرِي مِنْ حَيِّبٍ^(٦) جَا نَا فِي زَمَنِ الشَّدَّةِ

(١) في (١) صار ؛ وهو تحريف .

(٢) سلمان ، أى سليمان ؛ وهى لفة فيه .

(٣) ورد موضع هذه النقطة في (١) وحدها كلام هذا نصه : أنزل بقوم قفرة صمام
ولم يأتوه به ولكن دلوه على موضعه ، وقالوا له : اذهب ما منه وكأنه يذم أم مبوء :
إذا دعيت بما فى البيت قالت نحن من الجدال وما حبيت

ولا يغنى ما فى هذا كله من التحريف الكثير وقد بحثنا عنه فى مختلف المصادر التى بين أيدينا
فلم نجده . (٤) السكباجة : مرق يصنع من اللحم والخل .

(٥) وردت هذه الكلمة فى (١) مهملة الحروف من النقطة ، وفى (ب) « دسجة » ؛
والصواب ما أثبتنا . والدستجة : إناء كبير من زجاج فارسيتها دسسته .

(٦) فى (١) « حيث » ؛ وهو تصحيف .

وكان الحُبُّ في القلبِ فصَارَ الحُبُّ في المِفْذَةِ
وقال جرير: ^(١)

ولا يَذْبَحُونَ الشاةَ إِلَّا بِمَيْسِرٍ ^(٢) كَثِيرٍ تَفَاجِيها لِثَامٌ قُدُورُها

وقالت عادية ^(٣) بنتُ فَرْعَةَ الزَّيْديَّةِ في ابنها دَوْسُ :

تَشْبُهُ ^(٤) دَوْسُ نَفْرًا كَرَامَا

كَانُوا الذَّرَى وَالْأَنْفَ وَالسَّنَامَا

كَانُوا لِمَنْ خَالَطَهُمْ إِذَا مَا

كَاسْتَمَنَ لَمَّا سَفَّيَلَ الطَّعَامَا

يقال سَفَّيَلَ رَأْسَهُ [بِالذَّهْنِ] وَسَفَّيَنَهُ ^(٥) وَرَوَاهُ وَأَمْرُهُ ^(٦) .

قال الواقدي : قيل لَأُمِّ أَيُّوبَ : أَيُّ الطَّعَامِ كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَقَدْ عَرَفْتُمْ ذَلِكَ بِمَقَامِهِ عِنْدَكُمْ ؟ فَقَالَتْ : مَا رَأَيْتُهُ أَمَرَ بِطَعَامٍ

(١) البيت لفسان بن ذهل يهجو جريرا وقبله :

لعمري لئن كانت بجيلة زانها جرير لقد أخزى كليبيا جريرها
إذا نزعَت يوما كليب وسومت تفاعس في طهر الأنات مفيرها
رأيت كليبيا يعرف اللؤم ريحها إذا اسود بين الأملحين جعورها
ولا يذبحون الشاة الخ ...

انظر الجزء الأول من ديوان جرير ص ١٣٤ طبع المطبعة العلمية .

(٢) في (١) « بمئزر » ؛ وفي (ب) « بمئسر » بالنون وهو تحريف في كلتا النسختين

والتصويب عن ديوان جرير ج ١ ص ١٣٤ طبع المطبعة العلمية . يريد أن ذبح الشاة عندهم أمر ذو بال لا يفعلونه إلا بواسطة قدام الميسر التي يشترك فيها الجميع وتفرق بينهم كل بنصيبه كما يذبح الجزور في زمن الجذب والقهط .

(٣) كذا ورد هذا الاسم في كلتا النسختين .

(٤) في (١) « أسنه » ؛ وهو تصحيف .

(٥) في (ب) « وسمسعه » بمهملتين ؛ والمعنى واحد .

(٦) كذا في (ب) وكتب اللغة والذي في (١) « وأمرغه » بالنين المعجمة .

يُصَنِّعُ لَهُ بِعَيْنِهِ ، وَلَا رَأْيَناهُ أَنِّي بِطِعامِ فِعالِهِ قَطَّ . وقد أَخْبَرَنِي أَبُو أَيُّوبَ أَنَّهُ تَعَشَّى عِنْدَهُ لَيْلَةً مِنْ قِصَّةِ أَرْسَلَ بِهَا سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ [فِيهَا] طَفَيْشَلُ ^(١) فَرَأَيْتُهُ يَنْهَكَ تِلْكَ الْقِصَّةَ ^(٢) مَا لَمْ يَنْهَكَ غَيْرُهَا ، فَرَجَعَ إِلَيَّ فَأَخْبَرَنِي ، فَكُنَّا نَعْمَلُهَا لَهُ . وَكُنَّا نَعْمَلُ لَهُ الْهَرِيسَةَ ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ ، وَكَانَ يَحْضُرُ عِشَاءَهُ ^(٣) مِنْ خَمْسَةِ إِلَى سِتَّةٍ إِلَى عَشْرَةٍ كَمَا يَكُونُ الطِّعامُ فِي الْقِلَّةِ وَالْكَثْرَةِ .

وَكَانَ أَسَدُ بْنُ زُرَّارَةَ يَفْعَلُ لَهُ هَرِيسَةً لَيْلَةً وَلَيْلَةً لَا ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُ عَنْهَا ؛ أَجَاءَتْ قِصَّةُ أَسَدٍ أَمْ لَا ؟ فَيَقَالُ نَعَمْ ، فَيَقُولُ : هَلُمُّوْهَا ؛ فَنَعْرِفُ بِذَلِكَ أَنَّهَا تُعْجِبُهُ

قَدِمَ صُهَيْبٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقُبَاءٍ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، بَيْنَ أَيْدِيهِمْ رُطْبٌ قَدْ جَاءَهُمْ بِهِ كُنْثُومُ بْنُ الْهَذَمِ ^(٤) أُمَّهَاتُ جَرَّادِينَ ^(٥) وَصُهَيْبٌ قَدْ رَمِدَ فِي الطَّرِيقِ ، وَأَصَابَتْهُ مَجَاعَةٌ شَدِيدَةٌ ، فَوَقَعَ فِي الرُّطْبِ ؛ قَالَ صُهَيْبٌ : فَجَعَلْتُ أَكُلُ ، فَقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلَا تَرَى إِلَى صُهَيْبٍ يَا كَلُّ الرُّطْبِ وَهُوَ رَمِدٌ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَتَأْكُلُ الرُّطْبَ وَأَنْتَ رَمِدٌ ؟ » فَقَالَ صُهَيْبٌ : أَنَا أَكُلُ بِشَقِّ عَيْنِي الصَّحِيحَةَ ، فَتَبَسَّمَ [رَسُولُ اللَّهِ] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(١) الطَفَيْشَلُ : نَوْعٌ مِنَ الرِّقِّ .

(٢) فِي (١) الْقَدَرُ ؛ وَهُوَ تَبْدِيلٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٣) فِي (ب) « عِنْدَهُ » .

(٤) فِي (١) « ابْنُ مَبْرُومٍ » ؛ وَفِي (ب) ابْنُ الْهَرَمِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كَلَامِنَا النَّسَخَتَيْنِ وَالتَّصْوِيبِ عَنْ كُتُبِ اللُّغَةِ وَمِجَازِ الْأَعْلَامِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا .

(٥) فِي (١) حَرَّادِينَ ؛ وَفِي (ب) حَرَّادِينَ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كَلَامِنَا النَّسَخَتَيْنِ وَالتَّصْوِيبِ عَنْ كُتُبِ اللُّغَةِ وَكُتُبِ الْحَدِيثِ ، وَأَمَّ جَرَّازَانَ : نَوْعٌ مِنَ الرُّطْبِ كَبِيرٌ ، وَاسْمُهُ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ تَخْلَعُ يَجْتَمِعُ تَحْتَهُ الْجَرَّازَانِ لِلْحَلَاوَةِ ثَمَرُهُ . وَأَمَّ جَرَّازَانَ آخَرَ تَخْلَعُ بِالْحِجَازِ إِدْرَاكًا ، وَهِيَ أُمُّ جَرَّازَانَ رُطْبًا ، فَإِذَا جَفَتْ فَهِيَ الْكَيْسُ .

وقال الأغشى :

لو أَطْعَمُوا الْمَنَّ وَالسَّلَوَى مَكَانَهُمْ مَا أَبْصَرَ النَّاسُ طِفْعًا فِيهِمْ نَجْمًا

وقال الكُمَيْت :

وما اسْتَنْزَلَتْ فِي غَيْرِنَا قِدْرٌ جَارِنَا وَلَا تُفَيِّتُ إِلَّا بِنَا حِينَ تُنْصَبُ
يقول إذا جاورنا جارًا لم نُكَلِّفْهُ أَنْ يَطْبُخَ مِنْ عِنْدِهِ ، ويكون ما يَطْبُخُهُ
مِنْ عِنْدِنَا بما نُعْطِيهِ مِنَ اللَّحْمِ لِيَنْصَبَ^(١) قِدْرَهُ . ويقال لِلْحَيْسِ^(٢) سَوِيطَةٌ^(٣) .
وقال : الرِّغِيفَةُ^(٤) لَبَنٌ يَطْبُخُ . وقال : هي العصيدة ، ثم الْحَرِيرَةُ^(٥) ثم
النَّجِيرَةُ^(٦) ، ثم الْحَسَوُ^(٧) . وَاللُّوْقَةُ : الرُّطْبُ بِالسَّمَنِ^(٨) ، وَالسَّلِيقَةُ : الذَّرَّةُ
تُدْقُّ وَتُصَلَّحُ بِاللَّبَنِ ، وَالرَّصِيعَةُ^(٩) : الْبُرْتُ يَدْقُ بِالْفِهْرِ وَيَبْلُ وَيَطْبُخُ بَشْيءٌ مِنْ
السَّمَنِ ، وَالْوَجِيئَةُ : التَّمَرُ يُوجَأُ ثُمَّ يُؤْكَلُ بِاللَّبَنِ .

وقال أعرابي : ليس من الألبان أخلَى من لبن الخَلِيفَةِ^(١٠) .

(١) في (ب) « ينضب » ؛ وهو تحريف .

(٢) الحيس تمر يخلط بسمن وأقط فيجفن شديداً ثم يخرج منه نواه .

(٣) السويطه : من السوط وهو الحفظ ؛ وفي (أ) « الصريطه » ؛ وهو تحريف .

(٤) في اللسان أن « الرغيفة » : حسو من الربد ؛ وقيل : لبن يغلى ويذر عليه دقيق .

(٥) في اللسان أن « الحريرة » دقيق يطبخ بلبن أو دسم

(٦) في اللسان : أن النجيرة لبن وطحين يخلطان ؛ وقيل : هي لبن حليب عليه سمن .

وقيل : هي ماء وطحين يطبخ . والنجيرة : بين الحسو وبين العصيدة . والذي في كلتا النسختين « النجيرة » ؛ وهو تصعيف .

(٧) الحسو : طعام يعمل من الدقيق والماء .

(٨) وقيل : إن اللوقة الزبدة .

(٩) وردت هذه الكلمة في كلتا النسختين مضطربة الحروف في رسمها . وقد قلناها

على عدة وجوه ، وهذا الذي أنبتناه هو ما وجدناه في كتب اللغة بالمعنى الذي ذكره المؤلف هنا .

(١٠) الخلقة : الخاض من النياق .

وَالنَّخْبِيسَةَ وَالْقَطِيبَةَ يُخْلَطُ لِبْنِ إِبِلٍ بِلَبْنِ غَنَمٍ^(١) .

وقال أعرابي : الحمد لله الذي أغفانا باللبن عمّا سواه . ويقال أكل خبزاً قفّاراً وغفّاراً وغفيراً : لا شيء معه^(٢) وعليه الغفّار والدّمّار وسوءه الدار^(٣) ؛ وأكل خبزاً جببياً^(٤) أى فطيراً^(٥) يابساً . وجاء بتمر فضّ^(٦) وفضاً وفذّر وحثّ^(٧) : لا يَلْزَقُ بَعْضُهُ بَعْضٌ .

قال أبو الحسن "طوسي" : أخبرني هشام قال : دَخَلَ عَلَى فَرَجِ الرُّخَّحِيِّ وَقَدْ تَعَدَّيْتُ وَاتَّكَأْتُ ، قَالَ : يَا أبا عبد الله : إِنَّمَا تُحْسِنُ الْأَكْلَ وَالِاتِّكَاءَ . [قال] : فَتَرَكْتُ [الْأَكْلَ] عِنْدَهُ أَيَّامًا ، وَبَلَغَهُ ذَلِكَ ، فَبَعَثَ إِلَيَّ : إِنْ كُنْتُ لَا تَأْكُلُ طَعَامَنَا فَلَيْسَ لَنَا فِيكَ حَاجَةٌ . قَالَ : « فَأَكَلْتُ »^(٨) شَيْئًا ثُمَّ أَتَيْتُهُ « فَلَمْ يَتَعَدَّرْ مَعًا كَانَ .

(١) في كتب اللغة أن « النخبسة » و « القطيبة » لبّن الماعز يخلط بلبن الضأن ، لا لبّن إبل كما هنا .

(٢) عبارة اللغويين « لا آدم معه » .

(٣) في (١) « وشواء النار » .

(٤) وردت هذه الكلمة في كلتا النسختين مصحفة الحروف يحتاج لإصلاحها إلى بحث

في كتب اللغة . وهذا الذي أثبتناه هو ما وجدناه في تلك الكتب بالمعنى المذكور هنا ، وهو الحبز اليابس .

(٥) « الفطير » هو الذي أعجل قبل أن يختمر .

(٦) كذا في كتب اللغة ، وقد وردت هاتان الكلمتان في كلتا النسختين مصحفتي

الحروف يحتاج إزاحهما إلى نقليهما على عدة وجوه .

(٧) في كلتا النسختين ، « وقد وحاء حب » ؛ وهو تصحيف في كلتا الكلمتين ،

وما أثبتناه عن كتب اللغة .

(٨) وردت هذه العبارة التي بين هاتين العلامتين في كلتا النسختين مضطربة الحروف ،

تتمذر قراءتها ، والسياق يقتضى إثباتها على هذا الوجه .

قال أبو الحسن : أخبرني القراء قال : العرب تسمى السَّكْبَاجَةَ^(١) الصَّعْفَصَةَ . وأنشد :

أبو مالكٍ يَمْتَادُنَا فِي الظَّهَائِرِ يَجُوءُ فَيُلْقِي رَحْلَهُ عِنْدَ عَامِرٍ^(٢)
أبو مالك : الجوع ، هكذا تقول العرب وَيَجِيءُ^(٣) وَيَجُوءُ لغتان .
وقال الآخر :

رَأَيْتُ الْغَوَانِي إِذْ نَزَلَتْ جَفَوْنِي أبا مالكٍ إِنِّي أَظُنُّكَ دَائِبًا^(٤)
أبو مالك هاهنا الشَّيْب .

قال أبو الحسن : أخبرني الثَّوْرِيُّ^(٥) عن أبي عُبَيْدَةَ في الحديث الذي يُرْوَى عن عمر بن الخطاب أنه رأى في رَوْثٍ فَرَسِهِ حَبَّةَ شَعِيرٍ ، فقال : لأَجْمَلَنَّ^(٦) لك في غَرَزٍ^(٧) النَّقِيعَ ما يَشْفُوكُ عن شَعِيرِ الْمُسْلِمِينَ . قال : والنَّيِّعَ : موضع بالمدينة أمَّههُ عمر [بن الخطاب] لخليل المسلمين ، خِلافَ النَّيِّعِ بالباء .

قال الطَّوْسِيُّ : العرب تقول : « أَيْدِي الرِّجَالِ أَعْنَافُهُا » أى مَنْ كان أطولَ يداً على المائدةِ تَنَاولَ فأكل ، الهاءُ تَرْجِعُ على الإِبل ، أى أَيْدِي الرِّجَالِ أَعْنَانُ الإِبل ، أى مَنْ طَالَ نال .

قال الأصمِيُّ : سألت بعضَ الأَكَلَةِ فِيمَنْ كان يُقَدِّمُ على مُيسَّرِي

(١) السكباجة : مرق يعمل من اللحم والخل .

(٢) عامر : من أسماء الحُزْبِ ، ويسمى أيضاً جابراً وعاصماً . والذي في الأصل : بجوَّ مكان « يجوء » ويجيئ ويجوؤ في التفسير بعد ؟ وهو تحريف ، والتصويب عن اللسان . وفي كتاب ما يعول عليه « يلم فيلق » . وجابر مكان « عامر » .

(٣) في كلتا النسختين « دانيا » ؛ وهو تصحيف . والتصويب عن اللسان وما يعول عليه وروايته في كلا الكتاتين : أبا مالك إن الغواني هجرني أبا مالك الخ

(٤) في (ب) التوزي ؛ والثوري ؛ والتوزي ، كلاهما معروف .

(٥) في (١) لأجملنك . (٦) الفرز بالتحريك : نبات يشبه الثمام ينبت على شواطئ الأنهار ، وفي كلتا النسختين عزيز ؛ وهو تصحيف .

الناس كيف تصنع إذا جهدتك السكطة — والعرب تقول : « إذا كنت بطناً فعدك زمناً » — قال : أخذ يوماً حاراً وأعصره وأشرب ماءه ، فأختلف^(١) عنه سراراً ، فلا ألبث أن يلحق بطنى [بظهري] فأشتهي الطعام .
قال ابن الأعرابي : قال النكلابي : هو يندف الطعام إذا أكله بيده ، ويلقم الحسو ، واللحم بالشفة ، والندف : الأكل باليد . وقال الزبيرى : يندف^(٢) .

وأشده ابن الأعرابي :

وَيَطْلُ ضَيْفُ بَنِي شُبَادَةَ فِيهِمْ مُتَضَمِّرًا وَبَطْوُهُمْ كُتْمٌ
أى مُتَمَلِّئَةٌ . والتضمر : الهزال والنحافة ، كالنخل المضمّر ، أى الذى قد ذوت^(٣) جذوعه . قال الشنوبوذى فى قول الله تعالى^(٤) : (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا [الَّذِينَ ضَلَّ مَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا]) . قال : الذين يتردّون ويأكل كل غيرهم . قال أبو الحسن : كانت لى أبنه تجلس معى على المائدة فتبرز كفاً كأنها طلمة^(٥) ، فى ذراع كأنها ججارة ، فلا تقع عينها على أكلة نفيسة إلا خصصتني بها ، فزوّجتها ، وصار يجلس معى على المائدة ابن لى ، فيبرز لى كفاً كأنها كرفانة^(٦) ، فى ذراع كأنها كربة^(٧) ، فوالله إن^(٧) تسبق

(١) يقال : اختلف إلى الخلاه ، إذا أصابه إسهال فتردد إليه .

(٢) يظهر أن فى هذه العبارة قصصاً وقع من الناسخ .

(٣) فى (١) « وقت » بالواو ؛ وهو تحريف ، ولعل صوابه « رقت » بالراء مع تشديد القاف . وفى (ب) « درت » بالذال المهملة والراء ؛ وهو تحريف . أيضاً ، ولعل صوابه ما أثبتناه ،

كما يقتضيه سياق الكلام . (٤) فى (ب) فى قوله عز وجل .

(٥) الكرفانة : أصول الكرب التى تبقى فى جذع النخلة بعد قطع السعف .

(٦) الكربة بالتحريك : أصول السعف الملاط الأعراض التى تقطع منها .

(٧) إن تسبق ، أى ما تسبق ؛ فإن هنا نافية .

عني إلى لُقْمَةٍ طَيِّبَةٍ إِلَّا سَبَقَتْ يَدُهُ إِلَيْهَا .

وقال أعرابيٌّ للنبي صلى الله عليه وسلم : إني نَذَرْتُ إِذَا بَلَغْتَنِي نَأَقَتِي أَنْ أَنْحَرَهَا وَأَأْكُلَ مِنْ كَبِدِهَا . قال : « بئسما جَارِيَتُهَا » .

أَضَلَّ أعرابيٌّ بَعِيرًا لَهُ ، فَطَلَبَهُ ، فَرَأَى عَلَى بَابِ الْأَمِيرِ بُحْتِيًّا ، فَأَخَذَهُ وَقَالَ : هَذَا بَعِيرِي ، فَقَالَ : إِنَّكَ أَضَلَلْتَ بَعِيرًا وَهَذَا بُحْتِي . فَقَالَ : لِمَا أَكَلَ عِلْفَ الْأَمِيرِ تَبَخَّتَ . فَضَحِكَ مِنْهُ وَتَرَكَه [يَمِيدُ قَوْلَهُ وَيُعْجِبُهُ] .

الْكِدْنَةُ : غِلَظُ اللَّحْمِ وَتَرَاكُمُهُ ، وَمِنْهُ قَوْلُ هِشَامٍ لِسَالِمٍ — وَقَدْ رَأَى فَأَعْجَبَهُ جِسْمُهُ — : مَا رَأَيْتُ ذَا كِدْنَةٍ أَحْسَنَ مِنْكَ ، فَمَا طَعَامُكَ ؟ قَالَ : الْخُبْزُ وَالزَّيْتُ . قَالَ : أَمَا تَأْجِهُ ^(١) ؟ قَالَ : إِذَا أَجْمْتُهُ تَرَكَتُهُ حَتَّى أَشْتَهِيَهُ ، ثُمَّ خَرَجَ وَقَدْ أَصَابَ فِي جِسْمِهِ بَرَصًا . فَقَالَ لِقَعْنَى ^(٢) الْأَحْوَلُ بَعِينَهُ ، فَمَا خَرَجَ هِشَامٌ مِنَ الْمَدِينَةِ حَتَّى صَلَّى عَلَيْهِ .

وقال عبد الأعلى القاص ^(٣) : الْفَقِيرَ مَرَّقَتُهُ سِلْقَةٌ ، وَغِذَاؤُهُ ^(٤) عُلْقَةٌ ^(٥) ، وَخُبْزَتُهُ فِلْقَةٌ ^(٥) ، وَتَمَكَّتُهُ شِلْقَةٌ ، أَيْ كَثِيرَةُ الشَّوْكِ ^(٦) .

قال رجاء بن سَلَمَةَ : الْأَكْلُ فِي السُّوقِ حَافَةٌ .

قيل لثُوَيْبِ بْنِ عَمْرٍو : إِنَّكَ مُفْلِسٌ لَا تَقْدِرُ عَلَى قُرْصٍ وَلَا جُجْمٍ ^(٧)

(١) أَجْمَ الطَّعَامُ : مَلَهُ .

(٢) لُقْمُهُ بَعِينُهُ ، أَيْ أَصَابَهُ بِهَا .

(٣) فِي ب « الْقَاضِي » بِالضَّادِ الْمَجْمُوعَةُ ؛ وَفِي (ا) الْعَاسُ بِالْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ .

(٤) فِي (ا) « وَرَدَاؤُهُ » ، وَفِي ب « وَعِدَاؤُهُ » وَهُوَ تَصْغِيرُ .

(٥) الْعُلْقَةُ : مَا يَتَبَلَّغُ بِهِ مِنَ الطَّعَامِ . وَالْفِلْقَةُ : الْقِطْعَةُ ، كَالْفَلْدَةِ .

(٦) فِي كَتَبِ اللَّفَّةِ أَنَّ الشَّلْقَةَ شَيْءٌ عَلَى خَلْقَةِ السَّيِّئِ صَغِيرٌ لَهُ رُجُلَانِ عِنْدَ ذَنْبِهِ كَهَيْئَةِ

الضَّفْدَعِ ، وَيَكُونُ فِي أَنْهَارِ الْبَصْرَةِ ، وَلَمْلَهُ الْمَعْرُوفُ عِنْدَنَا بِأَبِي جَلْبُو .

(٧) الْجُجْمُ بَضْمُ الْجِيمِ وَسُكُونُ الْمِيمِ : مَا يَمْلَأُ جَمْعَ الْكَفِّ ، أَيْ قَبْضَتَهُ مِنَ الطَّعَامِ وَنَحْوِهِ .

ولا حَفَّالَةً^(١) ، وَبَيْتِكَ عَامِرٌ^(٢) بِالْفَارِ .

قال علي بن عيسى : الطلاق الثلاث البتة إن كان بمنهم^(٣) مِنَ التَّحْوِيلِ عنه إلا أنهم يسرقون أطعمة الناس يأكلونها في بيته لِأَمْنِهِمْ فيه ، لأنه لا هَرَّةَ هناك ولا أحدَ يأخذ شيئاً ولا يُؤذون ، وإن لم أَمْسَقْهُ مملوءة ماء كلما جَفَّتْ سَكِبَ لَمْ فيها ماء .

جَعَلَ الْخَبَرَ عَنِ الْفَارِ عَلَى الْيَلْحِ ، كَانْلِبِرِ عَنْ قَوْمٍ عُقْلَاءَ .
وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أَكْرِمُوا الْخُبَرَ فَإِنَّ اللَّهَ أَكْرَمَهُ وَسَخَّرَ لَهُ بَرَكَاتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ » .
وقال آخر :

كَأَنَّ صَوْتَ سَحْبِيَا^(٤) الْمُتَمَتَّاحِ سَعَالُ شَيْخٍ مِنْ بَنَى الْجَلَّاحِ

يقول من بعد السَّعَالِ أَح

قال الأصمعي : الرَّجِيعُ : الشَّوَاءُ يُسَخَّنُ ثَانِيَةً . وَالنَّقِيعَةُ مَا يُحْرَزُهُ رَبِيسُ الْقَوْمِ مِنَ الْغَنِيمَةِ قَبْلَ أَنْ تُقَسَمَ وَالْجَمْعُ نَقَائِعُ . وقال : أنشدني عيسى بن عمر لمعاوية بن صعصعة :

مِثْلُ الذَّرَمَى لُحِبْتُ عَرَائِكُهَا^(٥) لَحَبَّ الشُّفَارِ^(٦) نَقَائِعَ النَّهْبِ

(١) الحفالة : الخثالة ، أو عكر الدهن ؛ أو مارق من رغبة اللين ؛ كل من هذه المعاني الثلاثة تصح إرادته هنا . وفي (١) « ولا صقالة » ؛ وهو تحريف .
(٢) سيأتي ما يفيد تعليل كون بيته عامراً بالفار مع خلوه من الطعام .
(٣) « ينهم » ، الضمير يعود على الفترة .

(٤) سحبيها ، أي سحب البكرة التي يستقي بها من البئر . وفي (ب) « شعبها » ، وهو تصحيف . « والمتتاح » من امتاح الماء إذا أخرجه من البئر .
(٥) لحبت مرأثكها ، أي أهزلت أسنمتها ، جمع عريكة .

(٦) لحب الشفار الخ : اللحب في هذا الشطر بمعنى القطع ، أي كما تقطع الشفار ، أي « السكاكين » — لحم النياق العظيمة ، أو لعله الشفار بالسين الهملة مكان الشين ، أي كما يهزل السفر تلك النياق بمشقة فيذهب بما فيها من لحم وشحم .

وقال مُهْلِيل :

إِنَّا لَنَضْرِبُ بِالسَّيْفِ رُءُوسَهُمْ ضَرَبَ الْقُدَّارِ نَقِيعَةَ الْقُدَّامِ
الْقُدَّارِ : الْجَزَارِ . وَالْقُدَّارُ : الْمَلِكُ أَيْضًا . وَالْقُدَّامُ : رُؤُوسُ الْجِيُوشِ ، وَالوَاحِدُ قَادِمٌ .

وقال مَعْنٍ ^(١) بن أَوْسٍ يَصِفُ هَدِيرَ قَدْرِ :

إِذَا التَّمَطَّتْ ^(٢) أَمْوَاجُهَا فَكَانَهَا عَوَانِدُ دُحْمٍ فِي الْمَحَلَّةِ قُبُلُ
إِذَا مَا أَتَتْهَا الرُّمُلُونَ ^(٣) رَأَيْتَهَا لَوْ شَكَ قِرَاها وَهِيَ بِالْجَزْلِ تُشْعَلُ
سَمِعَتْ لَهَا لَفْظًا ^(٤) إِذَا مَا تَنَطَّطَتْ كَهْدَرِ الْجَمَالِ رُزْمًا حِينَ تَجْفُلُ

وقال آخَرُ :

إِذَا كَانَ فَصْدُ الْعِرْقِ وَالْعِرْقُ نَاضِبٌ وَكَشَطُ سَنَامِ الْحَيِّ عَيْشًا ^(٥) وَمَعْنَا

(١) كَذَا فِي (ب) ، وَالْقِي فِي (أ) « بَكَر » . وَقَدْ وَرَدَ هَذَا الشَّعْرُ فِي دِيْوَانِ مَعْنٍ بِنِ
أَوْسِ الْمَطْبُوعِ فِي لَيْبِزْجِ سَنَةِ ١٩٠٣ مِنْ قَصِيدَةٍ يَمْدَحُ بِهَا سَعِيدَ بَنِ الْعَاصِ ؟ وَأَوَّلُهَا :

إِلَيْكَ سَعِيدُ الْخَيْرِ جَابَتْ مَطِيقُ فُرُوجِ الْقِيَايِ وَهِيَ عَوْجَاءُ صَبِلُ

(٢) يَرِيدُ بِالتَّمَطُّمِ الْأَمْوَاجَ هُنَا اضْطِرَابَ مَا فِي الْقَدْرِ عِنْدَ غَلِيَانِهَا . وَيَرِيدُ بِقَوْلِهِ « عَوَانِدُ
دُحْمٍ » خِيَلًا سَوْدَاً حَدِيثَاتِ النَّتَاجِ . شَبَّ الْقَدُورُ بِتِلْكَ الْخِيَلِ الَّتِي مَعَهَا أَوْلَادُهَا . وَقِيلَ : مِنْ
الْقَائِلَةِ . وَيُرْوَى « عَوَاتِبَ » مَكَانَ قَوْلِهِ : « عَوَانِدُ » ، وَهِيَ الَّتِي تَمُتُّ عَلَى ثَلَاثِ قَوَائِمٍ وَعَقَرَتْ
رَابِعَتَهَا . شَبَّ الْقَدْرُ بِهَا ، لِأَنَّهَا تَوْضَعُ عَلَى أُنَافٍ ثَلَاثَ .

(٣) الْمَرْمُلُونَ : الْقَدْرُ قَدَّتْ أَزْوَادَهُمْ . وَالْجَزْلُ : الْحَطْبُ الْفَلِيطُ . وَالْقِي فِي كَلَّتَا
النَّسَخَتَيْنِ : « إِذَا مَا امْتَطَاها الْمَوْقِدُونَ » ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) الْفَطْ (يَفْتَحُ أَوَّلُهُ وَتَسْكِينُ ثَانِيهِ) : الْفَطْ يَفْتَحُهُمَا مَعًا ، وَهُوَ نَشِيشُ الْقَدْرِ .
وَفِي كَلَّتَا النَّسَخَتَيْنِ : « لَفْظًا » ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَالتَّصَوُّبُ وَالتَّفْسِيرُ عَنْ دِيْوَانِ مَعْنٍ بِنِ أَوْسِ
الْمَطْبُوعِ فِي لَيْبِزْجِ . وَتَنَطَّطَتْ ، أَيْ صَوَّتَتْ فِي غَلِيَانِهَا . وَالرُّزْمُ مِنَ الْإِبِلِ : الَّتِي تَخْرُجُ
أَصْوَاتُهَا مِنْ حَلَوَقِهَا لَا تَفْتَحُ بِهَا أَفْرَاجَهَا ، كَمَا وَرَدَ ذَلِكَ فِي التَّفْسِيرِ الْمَكْتُوبِ عَلَى هَذَا الْبَيْتِ
فِي شَعْرِ مَعْنٍ بِنِ أَوْسٍ . وَفِي كَلَّتَا النَّسَخَتَيْنِ : « تَحْفَلُ » بِالْحَاءِ الِهْمْلَةُ مَكَانَ « تَجْفُلُ » بِالْجِيمِ ؟
وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٥) فِي رَوِيَّةٍ : « زَادَا وَمَطَّهَا » . وَكَانَتْ الْعَرَبُ فِي الْجَدْبِ تَشُقُّ أَسْنَمَةَ الْإِبِلِ وَهِيَ
حَيَّةٌ وَتَأْخُذُ مَا فِيهَا مِنَ الشَّحْمِ وَتَأْكُلُهُ .

وكان عَتِيقُ^(١) القِدِّ خَيْرَ شِوَاهِمَ وصَارَ غُبُوقُ الْخُودِ ماءً مُحَمَّماً
عَفَرْتُ لَمْ دُهِمًا مَقَاحِيدَ^(٢) جِلَّةً وعادت بِقَايَا الْبَرَكِ نَهَبًا مُقَسَّمَا
قال^(٣) : وإذا كان القَحْطُ فصدوا الإبل وعالجوا ذلك الدَّم بِشَىءٍ من
العلاج لها كما يصنع الترك ، فإنها تجعله في المَضْرَان ، ثم تشويه أو تطبخه ،
فيؤكل كل كما تؤكل التفانق^(٤) وما أشبه ذلك .

وأما قوله : « والعِرْقُ نَاضِبٌ » فإنما يعنى قَلَّةُ الدَّم لِهزال البعير ، وكذلك
جميع الحيوان ، وأكثر ما يكون دماً إذا كان بين المَهْزُول والسَّمين .
وقالت أم هِشَام السَّلُولِيَّة : ما ذَكَرَ النَّاسُ مَذْكُوراً خيراً من الإبل
وأجْدَى^(٥) على أَحَدٍ بخير ؛ هكذا روى .

وقال الأندلسي : إِنْ حَمَلَتْ أَثْقَلَتْ ، وَإِنْ مَشَتْ أَبْعَدَتْ ، وَإِنْ حَلَبَتْ
أَزَوَتْ ، وَإِنْ نُحِرَتْ أَشْبَعَتْ .

قال أبو الحسن الهيثم ، عن عبد العزيز بن يسار قال : قدمتُ بِأُجْهَيْرَى^(٦)
بِخَمْسِ سَفَائِفَ^(٧) دَقِيقٍ ، وذلك في زمن مصعب وهو مُسَكِّرٌ بها فَلَقِيتَنِي

(١) عتيق القد ، أى القديم من الجلد ، وكانت العرب تشويه وتأكله إذا أجذبت .
ويغير بالشطر الثاني إلى قلة اللبن حتى إن الخود (وهن الشوابه الحسان الناحات) لا يجدن
اللبن يقتبغن به أى يشربنه في المساء ، فهن يشربن الماء الحارَّ المسخن . يقال : حَمَمَ الماء إذا
سفخنه . وفي الأصل « الجود » بالجيم مكان « الخود » بالخاء ؛ وهو تصحيف .

(٢) المفاحيد من النياق: المغليسة الأسنمة . والجلَّة : العظيمة منها . والإبل الباركة .
(٣) قال ، أى من روى عنه المؤلف ؛ ولعله الأسمى ؛ إذ هو أقرب مذكور .
(٤) لم نجد هذا النوع من الطعام فيما راجعناه من الكتب . (٥) في (١) التي ورد
فيها هذا الكلام وحدها دون (ب) : واجاهه ؛ وهو تحريف ؛ ولعلَّ صوابه ما أثبتنا .

(٦) بأُجْمَيرَى : موضع دون تكريت من أرض الموصل كان يمسك فيه مصعب
ابن الزبير . والذي في (١) الوارد فيها هذه القصة وحدها دون (ب) بأحز وهو تحريف
صوابه ما أثبتنا نقلاً عن كتب التاريخ ومعجم البلدان إياقوت . (٧) السفائف : جمع
سفيفة ؛ وهى السليجة من الخوص نحو الزنبيل . وفي الأصل « سفائف » ؛ وهو تصحيف .

عِكْرَمَةُ بْنُ رَبِيعٍ الشَّيْبَانِيُّ فَقَالَ : بَكِمَ أَخَذْتَهَا ؟ قُلْتُ بِتَسْمِينِ أَلْفَا . قَالَ : فَإِنِّي أُعْطِيكَ مِائَةً وَخَمْسِينَ أَلْفَا عَلَى أَنْ تُؤَخِّرَنِي . فَدَفَعْتُهِنَّ إِلَيْهِ ، وَمَا فِي الْمُسْكِرِ يَوْمَئِذٍ دَقِيقٌ . قَالَ : فَجَاءَ بَنُو تَيْمٍ اللَّهُ فَأَخَذُوا ذَلِكَ الدَّقِيقَ ، فَجَمَلُ كُلِّ قَوْمٍ يَمْعَجِنُونَ عَلَى حِيَالِهِمْ ، ثُمَّ جَاءُوا إِلَى رَهْوَةٍ ^(١) مِنَ الْأَرْضِ فَخَفَرُوهَا ، ثُمَّ جَعَلُوا فِيهَا الْحَشِيشَ ، ثُمَّ طَرَحُوا ذَلِكَ الْمَجِينِ فِيهَا ، ثُمَّ أَقْبَلُوا فَأَخَذُوا فَرَسًا وَدَبِقًا ^(٢) . . . ^(٣) فَخَلَوْا عَنْهُ ، ثُمَّ أَقْبَلُوا وَهُوَ ^(٤) يَنْتَبِهُهُمْ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى الْحَفِيرَةِ ، فَدَفَعُوا الْفَرَسَ الْوَدِيقَ فِيهَا ، وَتَبِعَهَا الْفَرَسَ ، وَتَنَادَى الْفَرِيقَانِ : إِنْ فَرَسَ حَوْشِبَ وَقَعَ فِي حَفِيرَةِ عِكْرَمَةَ فَمَا أَخْرَجُوهُ إِلَّا بِالْعَمَدِ . قَالَ : فَغَلَبَهُ عِكْرَمَةُ .

قال شاعر :

لَا أَشْتُمُ الضَّئِيفَ إِلَّا أَنْ أَقُولَ لَهُ : أَبَانَكَ ^(٥) اللَّهُ فِي آيَاتِ عَمَارِ
أَبَانَكَ ^(٥) اللَّهُ فِي آيَاتِ مُعْتَزِزٍ ^(٦) عَنْ الْمَكَارِمِ لَا عَفٍّ وَلَا قَارِي
جَلَدِ النَّدَى زَاهِدٍ فِي كُلِّ مَكْرُمَةٍ ^(٧) كَأَنَّمَا ^(٧) ضَئِيفُهُ فِي مَلَّةِ النَّارِ

(١) الرهوة : المكان المنخفض من الأرض .

(٢) الوديق : من الوداق بكسر الواو ، وهو شهوة الفعل .

(٣) يظهر لنا أن موضع هذه النقط كلام ساقط من الأصل يفيد أنهم أقبلوا إلى فرس آخر ذكر لرجل منهم يسمى حوشبا ، فخلوا عنه الخ ما هنا ، وذلك أخذنا من قوله فيما يأتي بعد : فدفعوا الفرس الوديق فيها وتبعها الفرس الخ القصة .

(٤) وهو ، أى فرس آخر ذكر ، ولم يذكر في الكلام ؛ فالله فيه نقصا كما نبهنا على ذلك في الحاشية التي قبل هذه .

(٥) في (١) التي ورد فيها هذا الشعر وحدها دون (ب) : « أبانك » في كلا الموضعين وسياق الشعر يقتضى ما أثبتنا نقلا عن كتب اللغة .

(٦) في (١) التي ورد فيها هذا الشعر وحدها : « متمر » ، ولم نثبت له معنى يناسب السياق . والصواب ما أثبتنا . والمعتز : المنحصى بعيداً .

(٧) في (١) التي ورد فيها هذا الشعر وحدها : « كأنهم ضيقه » ؛ وهو تحريف . وسياق الشعر يقتضى ما أثبتنا . وملة النار : موضعها .

وقال آخر :

وهو إذا قيل له : **وَيْهًا كُلُّ** فَإِنَّهُ **مُوَاشِكٌ مُسْتَعِجِلٌ**
وهو إذا قيل له : **وَيْهًا^(١) قُلْ** فَإِنَّهُ **أَخْسَجٌ بِهِ أَنْ يَنْكُلْ**

[قيل لصوفي : ما حدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : لا حدَّ له ، ولو أراد الله أن يؤكل
بحدٍّ لَبَيَّنَّ كما بَيَّنَّ جميعَ الحدود . وكيف يكون للأكل حدٌ ، والأكلُ
يُخْتَلِفُ الطَّبَاقَ والمزاجَ والعارضَ والمادة ، وحكمة الله ظاهرة في إخفاء حدِّ الشَّبَعِ
حتى يأكل مَنْ شاء على ما شاء كما شاء] .

وقيل لصوفي : ما حدُّ الشَّبَعِ ؟ فقال : ما نَشَطَ على أداء الفرائض ، وَتَبَطَّ
عن إقامة النوافل .

وقيل لمتكلم : ما حدُّ الشَّبَعِ ؟ فقال : حدُّه أن يجلبَ النوم ، ويضجرَ
القوَمُ ، ويبعثَ على اللُّومِ .

وقيل لطفيلى : ما حدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : أن يُؤْكَلَ على أنه آخرُ الزَّادِ ،
وَيُؤْتَى عَلَى الْجِلِّ وَالْدَّقِ* .

وقيل لأعرابى : ما حدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : أمّا عندكم يا حاضرة فلا أدرى ؛ وأما
عندنا في البادية فما وَجَدَتِ العَيْنُ ، وامتدَّتْ إليه اليَدُ ، ودارَ عليه الضَّرْسُ
وَأَسَاغُهُ الحَلْقُ ، وانتَفَخَ به البطنُ ، واستدارت عليه الحَوَايا ، واستغاثت منه
المَعِدَةُ ، وتقوَّست منه الأضلاعُ ، وألْتَوَتْ عليه المصارين ، وخيف منه الموت .
وقيل لسيب : ما حدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : ما عدَّلَ الطبيعة ، وحَفِظَ المزاجَ
وَأَبْقَى شَهْرَةً لِمَا بَدَدَ .

(١) « وها فل » بالقاه . أى إذا نودى باسمه لمظام الأمور ف قيل : يا فلان ، نكل
عن النداء وتكتب . وفي الأصل : « قل » بالقاف ... وبشكل . وهو تسخيف في كلتا
الكلمتين . والتصويب عن اللسان . وويها : كلمة حض واستجنت .

وقيل لقصار : ما حدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : أَنْ تَثْبِتَ إِلَى الْجَفْنَةِ كَأَنَّكَ سِرْحَانٌ
وتأكل كل وأنت غَضْبَانٌ ، وَتَمَضْغَ كَأَنَّكَ شَيْطَانٌ ، وَتَبْلَعَ كَأَنَّكَ هَيْمَانٌ ، وَتَدَعِ
وأنت سَكْرَانٌ ، وَتَسْتَلْقَى كَأَنَّكَ أَوَانٌ^(١) .

وقيل لحَمَال : ما حدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : أَنْ تَأْكُلَ مَا رَأَيْتَ بَعْشِرِ يَدَيْكَ
غَيْرَ عَائِفٍ وَلَا مُقَرَّزٍ ، وَلَا كَارِهِ وَلَا مُعَرَّزٍ .

وقيل لَمَلَّاح : ما حدُّ الشَّبَعِ^(٢) ؟ قال : حدُّ الشُّكْرِ . قيل^(٣) : فَا حَدُّ
الشُّكْرِ ؟ قال : أَلَّا تَعْرِفَ السَّمَاءَ مِنَ الْأَرْضِ ، وَلَا الطُّولَ مِنَ الْقَرَضِ ،
وَلَا النَّافِلَةَ مِنَ الْقَرَضِ ، مِنْ شِدَّةِ النَّهْسِ وَالْكَسْرِ وَالْقَطْعِ وَالْقَرَضِ . قيل له
فَإِنَّ السُّكْرَ مُحَرَّمٌ ، فَلِمَ جَعَلْتَ الشَّبَعِ مِثْلَهُ ؟ قال : صَدَقْتُ ، هَا سُكْرَانٌ : أَحَدُ
الشُّكْرَيْنِ مَوْصُوفٌ بِالْعَيْبِ وَالْخَسَارِ ، وَالْآخَرُ مَعْرُوفٌ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ .
قيل [له] : أَمَا تَخَافُ الْهَيْضَةَ ؟ قال : إِنَّمَا تُصِيبُ الْهَيْضَةُ مَنْ لَا يَسْمَى اللَّهَ عِنْدَ
أَكْلِهِ ، وَلَا يَشْكُرُهُ عَلَى النِّعْمَةِ فِيهِ . فَأَمَّا مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ وَشَكَرَهُ فَإِنَّهُ يَهْضِمُ
وَيَسْتَمِرُّ وَيَقْرُمُ إِلَى الزِّيَادَةِ .

وقيل لبغيل : ما حدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : الشَّبَعُ حَرَامٌ كُلُّهُ ، وَإِنَّمَا أَحَلَّ اللَّهُ
مِنَ الْأَكْلِ مَا نَفَى الْخَلْوَى ، وَسَكَنَ الصَّدَاعِ ، وَأَمْسَكَ الرَّمَقَ ، وَحَالَ بَيْنَ
الْإِنْسَانِ وَبَيْنَ الْمَرْحِ ، وَمَلَكَ النَّاسُ فِي الدِّينِ وَالْدُنْيَا إِلَّا بِالشَّبَعِ وَالْقَضَاعِ
وَالْبُطْنَةِ وَالْأَحْتِشَاءِ ، وَاللَّهُ لَوْ كَانَ لِلنَّاسِ إِمَامٌ لَوَكَّلَ بِكُلِّ عَشْرَةٍ مِنْهُمْ مَنْ
يَحْفَظُ عَلَيْهِمْ عَادَةَ الصَّحَةِ ، وَحَالَةَ الْعَدَالَةِ ، حَتَّى يَزُولَ التَّمَعُّدِيُّ ، وَيَفْشُو الْخَلِيرُ .

(١) الأوان : العنبل (بكسر الهمزة) ، كالأون (يسكون الواو) .

(٢) في (ب) : « الأكل » مكان « الشبع » ، والمضى يستقيم عليه أيضا .

(٣) كذا في (ب) وهو أنسب . والذي في (أ) : « قال » .

وقيل لجُنْدِيٍّ : ما حَدُّ الشَّبْعِ ؟ قال : ما شَدَّ العَضْدَ ، وَأَحْمَى الظَّهْرَ ، وَأَدَّرَ
الْوَرِيدَ ، وَزَادَ فِي الشَّجَاعَةِ .

وقيل لَزَاهِدٍ : ما حَدُّ الشَّبْعِ ؟ قال : ما لَمْ يَعْمَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ صَوْمِ النَّهَارِ
وَقِيَامِ اللَّيْلِ . وَإِذَا شَكَا إِلَيْكَ جَائِعٌ عَرَفْتَ صِدْقَهُ لِإِحْسَاسِكَ بِهِ .

وقيل لَمَدَنِيٍّ : ما حَدُّ الشَّبْعِ ؟ فقال : لَا عَهْدَ لِي بِهِ ، فَكَيْفَ أَصِفُ
مَا لَا أَعْرِفُ ؟

وقيل لَيَمَنِيٍّ : ما حَدُّ الشَّبْعِ ؟ قال : أَنْ يُعْشَى حَتَّى يُخْشَى .

وقيل لَتَرْكِيٍّ : ما حَدُّ الشَّبْعِ ؟ قال : أَنْ تَأْكُلَ حَتَّى تَذْنُوْا مِنَ الْمَوْتِ .

وقيل لِسَمَوِيٍّ^(١) الْقَاصِّ : مَنْ أَفْضَلُ الشَّهْدَاءِ ؟ قال : مَنْ مَاتَ بِالثُّخْمَةِ ،
وَدُفِنَ عَلَى الْهَيْضَةِ .

قيل لَسَمَرْقَنْدِيٍّ : ما حَدُّ الشَّبْعِ ؟ قال : إِذَا جَعَلْتَ عَيْنَكَ ، وَبَكِمَ
لِسَانُكَ ، وَثَقُلَتْ حَرَكَتُكَ ، وَأَرْجَعَنْ^٢ بَدَنَكَ ، وَزَالَ عَقْلُكَ ، فَأَنْتَ
فِي أَوَائِلِ الشَّبْعِ . قيل له : إِذَا كَانَ هَذَا أَوَّلُهُ ، فَمَا آخِرُهُ ؟ قال : أَنْ
تَنْشَقَّ نِصْفَيْنِ .

قيل لَهَنْدِيٍّ : ما حَدُّ الشَّبْعِ ؟ قال : الْمَسْئَلَةُ عَنْ هَذَا كَالْمُحَالِ ، لِأَنَّ الشَّبْعَ
مِنَ الْأَرْزِ النَّقَى الْأَبْيَضِ ، الْكَبَارِ الْحَبِّ ، الْمَطْبُوحِ بِاللَّبَنِ الْحَلِيبِ ، الْمَعْرُوفِ
عَلَى الْجَامِ الْيَلَوْرِ ، الْمَدُوفِ^(٢) بِالشَّكْرِ الْفَائِقِ ، مُخَالَفٌ لِلشَّبْعِ مِنَ السَّمَكِ
الْمَمْلُوحِ وَخَبْزِ الذَّرَّةِ ، وَعَلَى هَذَا يَخْتَلِفُ الْأَمْرُ فِي الشَّبْعِ . فَقِيلَ لَهُ : فَدَعْ

(١) كَذَا وَرَدَ هَذَا الْأَسْمُ فِي الْأَصُولِ ؟ وَلَمْ نَقِفْ عَلَيْهِ فِيمَا رَاجَعْنَاهُ مِنَ الْكُتُبِ .

(٢) الْمَدُوفُ : الْمَخْلُوطُ . وَفِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « الْمَدْفُون » ؟ وَهُوَ تَعْرِيفٌ .

هذا ، إلى متى يَنْبَغِي أن يأكلَ الإنسان ؟ قال : إلى أن يقع له أنه إن أراد لُقْمَةً زَهَقَتْ نَفْسُهُ إلى النَّارِ .

قيل لُمُكَارٍ : ما حَدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : والله ما أَدْرِي ، ولكن أُحِبُّ أَنْ آكلَ مَا مَثَى حِمَارِي مِنَ الْمَنْزِلِ إِلَى الْمَنْزِلِ .

قيل لَجُمَّالٍ : ما حَدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : أنا أَوَاصِلُ الْأَكْلِ فَمَا أَعْرِفُ الْحَدَّ ، ولو كنتُ أَتَمَّتْ لَوْصَفْتُ الْحَالِ فِيهِ ، أَعْنَى أَنِي سَاعَةٌ أَلْتُ^(١) الدَّقِيقَ ، [وسَاعَةٌ أَمَلْتُ التَّمَلَّةَ ، وسَاعَةٌ أَفْرُدُ ، وسَاعَةٌ آكُلُ] وسَاعَةٌ أَشْرَبُ لَبَنَ اللَّفَّاحِ ؛ فليس لي فَرَاغٌ فَأَدْرِي أَنِي بَلَغْتُ مِنَ الشَّبَعِ ، إِلَّا أَنِّي أَعْلَمُ فِي الْجُمْلَةِ أَنَّ الْجُلُوعَ هَذَابٌ وَأَنَّ الْأَكْلَ رَحْمَةٌ ، وَأَنَّ الرَّحْمَةَ كُلَّمَا كَانَتْ أَكْثَرَ ، كَانَ الْعَبْدُ إِلَى اللَّهِ أَقْرَبَ ، واللهُ عَنْهُ^(٢) أَرْضَى .

قال الوزير : لَمَّا بَلَغْتُ هَذَا الْمَوْضِعَ مِنَ الْجُزْءِ — وَكنتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ — : مَا أَحْسَنَ مَا اجْتَمَعَ مِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ ! هَلْ بَقِيَ مِنْهَا شَيْءٌ ؟ قلت : بَقِيَ مِنْهَا جُزْءٌ آخَرٌ^(٣) . قال : دَعُهُ لِلْيَسِيلَةِ أُخْرَى وَهَاتِ مُلْمَعَةَ الْوَدَاعِ . قلت : قيل لَصُوفِي فِي جَامِعِ الْمَدِينَةِ : مَا تَشْتَهِي ؟ قال : مَائِدَةً رَوْحَاءَ^(٤) عَلَيْهَا جَفَنَةٌ رَحَاءَ^(٥) ، فِيهَا قُرَيْدَةٌ صَفْرَاءَ ، وَقِدْرٌ حَرَاءَ بِيضَاءَ .

قال^(٥) : أَبَيْتُ^(٦) الْآنَ [أَلَا] تَوَدُّعَ [إِلَّا] بِمِثْلِ مَا تَقَدَّمَ ؟ وَانصرفتُ .

(١) فِي (ب) : « أَهْجَنَ » .

(٢) فِي (ب) : « عَنْ الْعَبْدِ » .

(٣) فِي (ب) : « وَاحِدٌ » مَكَانَ قَوْلِهِ : « آخَرٌ » .

(٤) يُقَالُ : جَفَنَةُ رَوْحَاءَ ، إِذَا كَانَتْ وَاسِعَةً مَرِيضَةً ؛ وَالرَّحَاءُ كَذَلِكَ .

(٥) قَالَ ، أَيُّ الْوَزِيرِ .

(٦) وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي كُلِّمَا النَّسَخَتَيْنِ مَهْمَلَةً الْحُرُوفِ تَتَمَذَّرُ قِرَاءَتَهَا ، وَالسِّيَاقُ

يَقْتَضِي لُتَابَتَهَا عَلَى هَذَا الْوَجْهِ .

الليلة الثانية والثلاثون

نم حضرتُ قهرأتُ ما بَقِيَ من هذا الفن .

قال رجلٌ من فزارة^(١) :

تَنْبِجُ أَحْيَانًا وَأَحْيَانًا تَهْرِجُ وَتَبْمَطِي^(٢) سَاعَةً وَتَقْدَحِرُ
تَعْدُو عَلَى الضَّيْفِ^(٣) بَعْدَ مُنْكَسِرِ يَسْقُطُ عَنْهَا نَوْبُهَا وَتَأْتِزُ
لَوْ نَحَرْتَ فِي بَيْتِهَا عَشْرُ جُزُرُ لِأَصْبَحَتْ مِنْ لَحْمٍ تَقْتَدِرُ
بِحَلِيفِ سَحٍّ^(٤) وَدَمْعٍ مُنْهَمِرٍ يَفِرُّ مَنْ قَاتَلَهَا^(٥) وَلَا تَفِرُ
الْمُقْدَحِرُ : التَّهْيُّ السَّبَاب .

وقال أبو دلامة الأسدي^(٦) :

(١) ورد بعض هذا الرجز في المحاسن والأضداد ومجموعة المعاني ولسان العرب . وبعض ما ورد في هذه الكتب لم يرد هنا ، كما أن بعض ما ورد هنا لم يرد هناك ، وهذا ما ورد في اللسان ، وهو ما لم يذكر هنا :

أم حوار ضنوها غير أمر صهلقي الصوت بعينها الصبر
سائلة أصداعها لا تختمر الخ .

(٢) في كلتا النسختين : « وتطر » ؛ وهو تحريف ، والسياق يقتضى ما أثبتنا .

(٣) في اللسان : « على الذئب » .

(٤) سج ، أى كثير متتابع ، كما في كتاب إصلاح المنطق لابن السكيت المحفوظة منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٤١ لغة . وفي مجموعة المعاني وكتاب المحاسن والأضداد : « سبيح » ، وهو يستقيم على الإضافة لا على الوصف . والقى في الأصل : « سبيح » ؛ وهو تحريف .

(٥) في الأصل : « تفر » ، بالياء ... « ولا تفر » ؛ وهو تصعيف في كلتا الكلمتين .

(٦) في (١) الوارد فيها هذا الكلام وحدها : « الأساى » ؛ ولم نجد هذه النسبة لأبى دلامة فيما راجعناه من الكتب . والقى وجدناه أن أبى دلامة كان مولى لبى أسد ، فعمل الصواب ما أثبتنا .

قَدْ يُشْبِعُ الضَّيْفَ الَّذِي لَا يُشْبِعُ مِنْ الْهَمِيدِ وَالْحِرَادُ تَسَعُ^(١)
ثم يقول أرضوا بهذا أو دعوا

وقال آخر :

حَتَّى إِذَا أَضْحَى تَدْرَى^(٢) وَاسْتَحَلَّ لَجَارَتَيْهِ ثُمَّ وَلَّى فَفَنَنَ
ذَرَقَ الْأُنُوقَيْنِ^(٣) الْقَرْنَيْنِ وَالْجَمَلِ

وقال آخر :

[إِذَا^(٤) أَتَوْهُ بِطَعَامٍ وَأَكَلَنَ] بَاتَ يُعَشَّى وَحَدَهُ أَلْفَى جُعَلَنَ

وقال أبو النجم :

[تُدْنِي مِنَ الْجَدُولِ^(٥) مِثْلَ الْجَدُولِ] أَجُوفَ فِي غَلَصَمَةٍ^(٦) كَالْمِرْجَلِ

(١) الهبيد : حب الخنظل . والحراد : ذكرور الضباب ، الواحد حردون بالذال المهملة أو القال المججمة . وتسع ، أى تنسع لأكله مهما كثر .

(٢) كذا ورد هذا الشعر في كتاب الحيوان للجاحظ ، وتدرى ، أى تمشط . والمدرى والمدرأة : المشط . والذي في (١) الوارد فيها هذا الشعر وحدها : « لجاذبته » مكان قوله : « لجارتيه » ؟ وهو تحريف . وثلل ، أى راث .

(٣) الأنوق : لفظ يطلق على كل ما يأكل العذرة من الرخم وغيرها ، قاله الجاحظ في كتاب الحيوان وذكر هذا الشعر شاهدا على ذلك . والقرني : دوية كالخنساء وأعظم منها يسير طويلة القوائم . وقد فسر اللغويون الأنوق أيضا بأنه الطير الذى يبيض فى الهواء ولا يستقيم معناه هنا .

(٤) هذا الشطر ساقط من الأصل ، وقد أثبتناه عن الحيوان للجاحظ لتمام المعنى به . ويشير بقوله : « بات يعشى » الخ إلى أنه كثير البراز ، فيقول . إنه إذا أكل تعشى مما يخرج منه ألفا جعل ، لأن الجمل تفتت بالبراز . قاله الجاحظ .

(٥) هذا الشطر ساقط من الأصل ؟ ولا يتم المعنى بدونه . ويشير إلى سعة فها ، فيشبهه بالجدول الذى يشرب منه .

(٦) الغلصمة : متصل الخلقوم بالخلق . وقيل هى اللحم الذى بين الرأس والعنق .

تَسْمَعُ لِمَاءِ كَسَوْتِ الْمِسْحَلِ^(١) بَيْنَ وَرِيدَيْهَا^(٢) وَبَيْنَ الْجَحْفَلِ
يُلْقِيهِ^(٣) مِنْ طَرَقِ أَتْنَاهَا مِنْ عِلٍ قَذَفُ لَهَا جَوْفٍ وَشِدْقٍ أَهْدَلِ^(٤)
كَانَ صَوْتُ جَرَعِهَا الْمُسْتَعْمِلِ جَنْدَلَةٌ دَهْدَهَتْهَا^(٥) فِي جَنْدَلِ
وقال آخر :

يقول للطامي المطرّى^(٦) فِي الْعَمَلِ ضَهَبُ^(٧) لَنَا إِنْ الشَّوَاءُ لَا يُمَلِّ
بِالشَّحْمِ إِنَّمَا قَدْ أَجْنَاهُ^(٨) بِخَلِّ عَجَلُ لَنَا مِنْ ذَا وَأَلْحَقَ بِالْبَدَلِ
وأنشد ابن الأعرابي :

أَعْدَدْتُ لِلضَّيْفِ وَالرَّفِيقِ وَالْجَارِ وَالصَّاحِبِ وَالصَّدِيقِ
وَاللَّيَالِ الدَّرْدَقِ^(٩) الْأَصُوقِ حَمَاءُ مِنْ مَعَزِ أَبِي مَرْزُوقِ
تَمْلَحُ خَدَّ الْحَابِيبِ الرَّفِيقِ بَلَيْنُ الْمَسِّ قَلِيلُ الرَّيْقِ

(١) الضمير في « تسمع » للمخاطب . والمسحل : البرد .

(٢) كذا في أرجوزة أبي النجم المنشورة في مجلة المجمع العلمي العربي . والقى في الأصل : « مديدها » ؛ وهو تحريف . ويريد بالجحفل : شفتها .

(٣) في الأصل : « يكفيه » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا نقلا عن أرجوزة أبي النجم المنشورة في مجلة المجمع العلمي العربي سنة ١٩٢٨ م . ويلقيه ، أى يلقى الماء ، وفاعله قوله بعد : « قذف » .

(٤) الأهدل : المسترخى .

(٥) دهدهتها ، أى دحرجتها .

(٦) المطرى : الطامي الذى يخلط الطعام بالأفاويه . وطرّى الطعام : إذا خلطه بالدوابل .

(٧) ضهب ، أى اشو شيئا غير كامل النضج ، يريد الاستمجال . والتضبيب أيضا : شئ اللحم على المجارة اللحمية .

(٨) أجناه ، أى مللناه .

(٩) الدردق : الصبيان الصغار . والذى في الأصل : « الزردق » ؛ وهو تحريف .

كَأَنَّ صَوْتَ شُخْطِهَا الْفَتِيْقِ فَحِيْحٌ^(١) ضَبٌّ حَرِبٍ حَنِيقِ
فِي جُحُرٍ ضَاقَ أَشَدُّ الضِّيقِ

وَأَنشَدَ أَيْضًا :

هَلْ لَكَ فِي مِقْرَاةٍ قَلِيلٍ نِي^(٢) وَشَكْوَةٌ بَارِدَةٍ النَّسِي^(٣)
تُخْرِجُ^(٤) لَحْمَ الرَّجُلِ الضَّوِيِّ حَتَّى تَرَاهُ نَاهِيْدَ الثُّدِيِّ

وَأَنشَدَ ابْنُ حَبِيبٍ :

نَيْمٌ لَقَوْحٌ^(٥) الصُّبْبِيَّةِ الْأَصَاغِرِ شَرُّوْبُهُمْ مِنْ حَلَبٍ وَحَازِرٍ^(٦)
حَتَّى يَرُوْحُوا سَقَطَ الْمَآزِرِ وَضَعَ الْفِقَاحِ^(٧) نُشْرَ الْخَوَاصِرِ

وَأَنشَدَ الْآمِدِيُّ :

كَأَنَّ فِي فِيْهِ حِرَابًا مُرْعَا زُرْفًا تَقْضُ^(٨) الْبَدْنَ الْمُدْرَعَا
لَوْعَضٍ رُكْنَا وَصَفَا تَصَدَّعَا

(١) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيْهَا هَذَا الشَّعْرُ وَحْدَهَا : « بِحَنْج » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ ، سَوَابُهُ مَا أَتَيْنَا نَقْلًا عَنْ كُتُبِ الْفَنَاءِ . وَالْفَحِيْحُ : صَوْتُ الضَّبِّ .
(٢) الْمِقْرَاةُ : الْإِنَاءُ الَّذِي يُقْرَى فِيهِ . وَالْقَلِيلُ : اللَّبَنُ الْقَدِي يَشْرَبُ نِصْفَ النَّهَارِ وَقَدْ قَالَتْهُ . وَقَدْ وَرَدَ هَذَا الشَّطْرُ فِي الْأَسْلَ هَكَذَا : « هَلْ لَكَ فِي الْمَرَى بِقِلٍ نِي » ؛ وَلَا يَنْحَقِي مَا فِيهِ مِنْ تَصْحِيفٍ .

(٣) الشَّكْوَةُ : وَعَاءٌ مِنْ أَدَمٍ يَتَخَذُ اللَّبْنَ وَالْمَاءَ . وَالنَّسِي : اللَّبَنُ الْحَلِيبُ يَصْبُ عَلَيْهِ الْمَاءُ .

(٤) « تُخْرِجُ لَحْمَ الرَّجُلِ الضَّوِيِّ » ، أَيْ تَسْمِنُ الْمَهْزُولَ الْأَصَاغِرَ .

(٥) الْقَوْحُ : النَّاقَةُ الْحَلُوبُ .

(٦) الْحَازِرُ : اللَّبَنُ الْحَامِضُ .

(٧) الْوَضْعُ : جَمْعُ أَوْضَعٍ وَهُوَ قَلِيلُ لَحْمِ الْوَرَكَيْنِ وَالْإِلَيْتَيْنِ ، وَالْأَوْضَعُ وَالْأَرْسَحُ وَاحِدٌ .

(٨) تَقْضُ : تَكْسِرُ .

وقال محمد بن بشر :

لَقَلَّ عَارًا^(١) إِذَا صَنِفْتُ تَضَيَّفَنِي مَا كَانَ عِنْدِي إِذَا أُعْطِيتُ مُجْهِودِي
فَضْلُ الْمَقِلِّ إِذَا أُعْطَاهُ مُصْطَبِرًا وَمُكْثَرٌ فِي الْغِنَى سَيَّانٌ فِي الْجُودِ
لَا يَعْدُمُ السَّائِلُونَ الْخَيْرَ أَفْهَلُهُ يَمَّا نَوَّالِي وَإِنَّمَا حُسْنُ مَرْدُودِي
قال الأعرابي : نِعَمَ الْفَدَاءِ السَّوِيقُ ، إِنَّا أَكَلْتَهُ عَلَى الْجُوعِ عَصَمَ ، وَإِنَّا
أَكَلْتَهُ عَلَى الشَّيْعِ هَضَمَ .

وقال العوامي^(٢) — وكان زوّارًا لإخوانه في منازلهم — : الْعُبُوسُ بُوسٌ ،
والبَشْرُ بَشْرَى ، وَالْحَاجَةُ تَفْتَقُ الْحِيلَةَ ، وَالْحِيلَةُ تَشْحَدُ الطَّبِيعَةَ .

ورأيت الحنبلي^(٣) يُنشد [ابن آدم — وكان مُوسِرًا بخيلا] — :
وَمَا لِأَمْرِي طَوْلُ الْخُلُودِ وَإِنَّمَا يُخَلِّدُهُ حُسْنُ الثَّنَاءِ فَيُخَلِّدُهُ
فَلَا تَذْخِرُ زَادًا فَتُضْبِحَ مُلْجَأً إِلَيْهِ وَكُلُّهُ الْيَوْمَ يُخْلِفُهُ الْقَدْرُ
وَحَكَى لَنَا ابن أسادة قال : كَانَ عِنْدَنَا — يَعْنِي بِأَصْفِهَان — رَجُلٌ
أَعْمَى يَطُوفُ وَيَسْأَلُ ، فَأَعْطَاهُ مَرْءَةٌ إِنْسَانٌ رَغِيْفًا ، فَدَعَا لَهُ وَقَالَ : أَحْسَنَ اللَّهُ
إِلَيْكَ ، وَبَارَكَ عَلَيْكَ ، وَجَزَاكَ خَيْرًا ، وَرَدَّ غُرْبَتَكَ . فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : وَلَمْ
ذَكَرْتَ الْغُرْبَةَ [فِي دُعَائِكَ ، وَمَا عَلِمْتُكَ بِالْغُرْبَةِ ؟] فَقَالَ : الْآنَ لِي هَاهُنَا
عَشْرُونَ سَنَةً مَا نَوَّالِي أَحَدٌ رَغِيْفًا صَحِيحًا .

(١) كَذَا فِي دِيْوَانِ الْحَاسَةِ . وَالَّذِي فِي (١) الْوَارِدِ فِيهَا هَذَا الشَّمْرُ وَحْدَهُمَا : هـ لَقَدْ
غَلَوَا هـ وَهُوَ تَحْرِيفٌ لَا يَسْتَقِيمُ بِهِ اللَّفْظُ وَلَا الْوِزْنُ .

(٢) فِي (١) الْعِرَاقِ ، وَلَمْ يَقِفْ عَلَى الْعِرَاقِ هَذَا الْمَوْصُوفُ بِمَا ذَكَرَ . وَالَّذِي أَتَيْنَاهُ عَنْ
(ب) ؟ وَإِنْ كُنَّا لَمْ نَجِدْ هَذِهِ النِّسْبَةَ فِيمَا رَاجَعْنَاهُ مِنْ كُتُبِ الْأَنْسَابِ وَمَعْجَمَاتِ الْأَعْلَامِ ، إِلَّا أَنَّهُ
وَرَدَ ذِكْرُهُ كَثِيرًا فِيمَا سَأَلْتُ .

(٣) كَذَا فِي (ب) . وَالَّذِي فِي (١) : هـ الْحِيلُوهُ هـ ؟ وَلَمْ نَجِدْ هَاتَيْنِ النِّسْبَتَيْنِ فِيمَا
رَاجَعْنَاهُ مِنْ كُتُبِ الْأَنْسَابِ وَمَعْجَمَاتِ الْأَعْلَامِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا .

وقال آخر :

يُرَى جَارُهُمْ فِيهِمْ نَحِيفًا وَضِيفُهُمْ يَجْمَعُ وَقَدْ بَاتُوا مِلَاءَ الْمَذَاخِرِ^(١)

وقال السكروسي :

وَلَا يَسْتَوِي الْأَتْنَانِ^(٢) لِلضَّعِيفِ : آئِسٌ كَرِيمٌ ، وَزَاوٍ بَيْنَ عَيْنَيْهِ قَاطِبٌ

وأنشد :

طَمَامُهُمْ فَوْضَى فَضَى فِي رِحَالِهِمْ وَلَا يُحْسِنُونَ السَّرَّ إِلَّا تَنَادِيًا^(٣)

وأنشد آخر :

يُمَانٌ وَلَا يَمُونُ وَكَانَ شَيْخًا شَدِيدَ اللَّقْمِ هَلَقَامًا بَطِينًا^(٤)

العرب تقول : إِذَا شَبِعَتِ الدَّقِيقَةُ^(٥) لَحَسَتِ الْجَلِيلَةُ .

قال ابن سلام : كَانَ يُخْبَرُ فِي مَطْبَخِ سُلَيْمَانَ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — فِي كُلِّ يَوْمٍ سِتْنَانَةَ كُرٍّ^(٦) حِنْطَةً ، وَيُذَبِّحُ لَهُ فِي كُلِّ غَدَاةٍ سِتَّةُ آلَافِ ثَوْرٍ وَعَشْرُونَ شَاةً ، وَكَانَ يُطْعَمُ النَّاسَ وَيُجْلِسُ عَلَى مَائِدَتِهِ بِجَانِبِهِ^(٧) الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَأَبْنَاءَ

(١) المذاخر : الأجواف .

(٢) في الأصل : « الإناة » مكان قوله : « الاتنان » ؛ وهو تحريف .

(٣) فوضى فضي ، أى أنهم مشتركون في طمامهم لا يختص به واحد دون رفاقه . ويريد بالشرط الثاني أنهم ليس لأحدهم سرٌّ دون أصحابه . وفي الأصل موص فضى مكان « فوضى فضي » ؛ وهو تحريف ؛ والنصوب عن اللسان .

(٤) الهلقام : عظيم اللقم . والبطن : عظيم البطن .

(٥) يريدون بالدقيقة : الغنم . وبالجليلة : الإبل . وهذا مثل يقال إذا قل المشب . وذلك لأن الشاة إذا قدرت على أكل المشب القصير القليل وشبعت منه فإن الناقة لا تقدر على أكله لقصره وقلته فتلحه . يضرب للفقر يخدم الغنى . وعبرة الأصل : « إذا شمت لحست الحليلة » ؛ وفيه نقص وتحريف ظاهران ؛ والنصوب عن البيان والتبيين وغيره .

(٦) السكروسي : ستون قفيزا ، وهو ستة أوقار حار ، وقبل : أربعون أردبا .

(٧) في الأصل « بجانته » ؛ وهو تحريف .

السَّيْل ، ويقول لِنَفْسِهِ : مِسْكِينٌ مِسْكِينٌ .

ولما وَرَدَ نِيْهَامَةٌ وَاثَى الْحَرَمَ وَذَبَحَ لِاتَّبِيتَ طَوْلَ مُقَامِهِ بِمَكَّةَ كُلَّ يَوْمٍ
خَمْسَةَ آلَافِ نَاقَةٍ وَخَمْسَةَ آلَافِ ثَوْرٍ وَعِشْرِينَ أُنْثَى شَاةً . وقال لمن حَضَرَ :
إِنَّ هَذَا الْمَكَانَ سَيَخْرُجُ مِنْهُ نَبِيٌّ صِدْقُهُ كَذَا وَكَذَا .

وقال أعرابي :

وَإِذَا خَشِيتَ مِنَ الْفَوَادِ لَجَاجَةً فَاضْرِبْ عَلَيْهِ بِجُرْعَةٍ مِنْ رَائِبٍ
وَرَوَى هَشِيمٌ أَنَّ النَّبِيَّ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — قَالَ : مَنْ كَرَّمَ الْمَرْءُ أَنْ
يَطِيبَ زَادَهُ فِي السَّفَرِ .

وقال ابن الأعرابي : يقال : جاء فلانٌ وَلَقَدْ لَفَطَ ^(١) رِبَاطَهُ مِنْ
الْجُوعِ وَالْعَطَشِ .

وَأَنشَد :

رَبَّ الْجُوعِ فِي أَوْتِنِهِ ^(٢) حَتَّى كَأَنَّهُ جَنِيبٌ بِهِ إِنَّ الْجَنِيبَ جَنِيبٌ
أَي جَاعَ حَتَّى كَأَنَّهُ يَمْشِي فِي جَانِبٍ مُتَعَقِّفًا ^(٣) .

وقال أيضاً : إِنَّ مِنْ شُؤْمِ الضَّيْفِ أَنْ يَغِيبَ عَنْ عِشَاءِ الْحَيِّ ، أَيْ
لَا يُذَرِّكُهُ ، فَيُرِيدُ إِذَا جَاءَهُمْ أَنْ يَتَكَلَّفُوا لَهُ عِشَاءً عَلَى حِدَةٍ .

(١) يريد أن يطنه قد ضمرت فاسترخى رباطه حتى صار له صوت ، فشبه ذلك الصوت باللفظ .

(٢) الأونان : الحامرتان . وقد ورد هذا البيت في الأصل هكذا :

وبال الجوع في أرنه حتى كأنه حبيب يدان إلى حبيب

وفيه تحريف ظاهر . والتصويب عن إصلاح المنطق لابن السكيت ولسان العرب .
(٣) متعقفا ، أى معوجا .

وأنشد :

حَيَّاكَ رَبُّكَ وَأُضْطَبَّحْتَ ثَرِيدَةً وَإِدَامُهَا رُزٌّ وَأَنْتَ تَدَبَّلُ
والأثمة والأثمة إذا جُمَعَتَا من الثريد والعصائد يقال لها دُبْلَةٌ ، ومنه سُمِّيَتْ
الدُّبَيْلَةُ ، وهى الورم الذى يخرج بالناس . وأنشد :

أقول لما ابتَرَكَوا جُنُوحًا بِقَضَمَةٍ قَدْ طَفَّحَتْ تَطْفِيحًا
دَبَّلُ أَبَا الْجَوَزَاءِ أَوْ تَطْفِيحًا^(١)

وقال الفرزدق :

فَدَبَّلْتُ أَمْثَالَ الْأَثَانِي كَأَنَّهَا رُؤُوسُ أَعَادٍ قُطِّعَتْ يَوْمَ تَجْمَعُ
وقال سعيد بن المسيب : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَطِيبُوا
الطَّعَامَ فَإِنَّهُ أَنْفَى لِلشُّخْطِ ، وَأَجْلَبُ لِلشُّكْرِ ، وَأَرْضَى لِلصَّاحِبِ » .
قال بشار .

يَفْصُ إِذَا نَالَ الطَّعَامَ بِذِكْرِكُمْ وَيَشْرِقُ مِنْ وَجْدِكُمْ حِينَ يَشْرَبُ
المُسْعُور : الجائع . قال هميان بن قحافة :

* لَأَقَى صَحَافًا بَطْنًا مَسْعُورًا *

وقال شاعر :

* يَمْشِي مِنَ الْبِطْنَةِ مَشْيَ الْأَبْزَحِ^(٢) *

(١) فى الأصل : « دبل أما الجوز أو بطيخا » ؛ وفيه تصحيف ظاهر . والتصحيح
عن المختص .

(٢) فى (١) التى ورد فيها هذا الكلام وحدها دون (ب) « الأبزح » ... « الأزح »
بالنون والهاء ؛ وهو تصحيف فى كلتا الكلمتين ؛ والصواب ما أثبتنا قلا عن كتب اللغة .

الْبَزْخُ : دخول البطن وخروج الثَّنة أسفل الشَّرة .

وقال آخر :

أَغْرُ كَصَبَاحِ الدُّجْنَةِ يَتَّقِي شَذَى ^(١) الزَّادِ حَتَّى تُسْقَفَادَ أَطَايِبُهُ
شَدَاه ^(١) : طيبه .

وقال أعرابي : بنو فلان لا يَبْزِرُونَ ^(٢) ولا يَقْدُرُونَ .

وقال الثوري : بَطْنُوا غَدَاءَكُمْ بِشَرْبَةٍ .

[وقال الشاعر ^(٣) :

لَا يَسْتَوِي الصَّوْتَانِ حِينَ تَجَاوَبَا صَوْتُ الْكَرِيبِ ^(٤) وَصَوْتُ ذِيْبٍ مُقْفِرِ
الْكَرِيبِ : الشَّوْبِقُ ^(٥) وهو الْحَوْرُ وَالْمِسْطَح .

وقال الشاعر :

إِذَا جَاءَ بَاغِي الْخَيْرِ قُلْنَا بِشَاشَةً لَهُ بِوَجْهِهِ كَالدَّانِيرِ : مَرْحَبًا
وَأَهْلًا فَلَا تَمْنُوعَ خَيْرَ تَرِيدِهِ وَلَا أَنْتَ تَخْشَى عِنْدَنَا أَنْ نُؤْوَبَا
قال الشعبي : اسْتَسْقَيْتُ عَلَى خِوَانٍ قُتَيْبَةً ، فقال : مَا أَسْقَيْكَ ؟ فقلت :
الْمَيْنُ الْوُجْدُ ، الْعَزِيزُ الْفَقْدُ ، فقال : يَا غَلَامَ ، اسْقِهِ الْمَاءَ .

(١) ورد هاتان الكلمتان الثتان تحت هذا الرقم في الأصل بالقاف وهو تحريف .

(٢) لا يَبْزِرُونَ ، من بَزَرَ القدر إذا رميت فيها البزير ، وهو التابل . ولا يقدرُونَ ، من القدر بفتح القاف ، وهو الطبخ في القدر .

(٣) لم ترد هذه العبارة في الأصل .

(٤) في الأصل : « السكربت » بالثاء ؛ وهو تصحيف . والتصحيح عن إصلاح المنطق . وفي الأصل : « مقفر » ؛ وهو تصحيف أيضا . والتصحيح عن إصلاح المنطق كذلك .

(٥) في الأصل : « السوبق » ؛ وهو تحريف . والتصويب عن إصلاح المنطق . والشوبق : هو الخشبة التي يسط عليها الحجاز الحيز .

مَرَّ مِسْكِينٌ بِأَبِي الْأَسْوَدِ لَيْلًا وَهُوَ يَفَادَى : أَنَا جَائِعٌ ! فَأَدْخَلَهُ وَأَطْعَمَهُ
 حَتَّى شَبِعَ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : انْصَرِفْ إِلَى أَهْلِكَ ، وَاتَّبِعْهُ غُلَامًا وَقَالَ لَهُ : إِنْ
 تَمَنَّيْتَهُ يَهْأَلُ فَارْزُدْهُ إِلَى . فَلَمَّا جَلُوزَهُ الْمِسْكِينُ سَأَلَ كَمَا دَتَهُ ، فَتَشَبَّثَ بِهِ الْغُلَامُ
 وَرَدَّهِ إِلَى أَبِي الْأَسْوَدِ . فَقَالَ : أَلَمْ تَشْبِعْ ؟ فَقَالَ : بَلَى . قَالَ : فَمَا سُؤْأَلُكَ ؟ ثُمَّ
 أَمَرَ بِهِ يُحْبَسُ فِي بَيْتٍ وَأُغْلِقَ عَلَيْهِ الْبَابُ ، وَقَالَ : لَا تُرَوِّعْ مَسْلَمًا سَائِرَ اللَّيْلَةِ
 وَلَا تَكْذِبْ . فَلَمَّا أَصْبَحَ خَلَّى سَبِيلَهُ ، وَقَالَ : لَوْ أَطَفْنَا السُّؤَالَ صِرْنَا مِثْلَهُمْ .
 وَسَمِعَ دَابَّةً لَهُ تَعْتَلِفُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ، فَقَالَ : إِنِّي لِأَرَاكَ تَنْهَرِينَ فِي مَالِي
 وَالنَّاسُ نِيَامٌ ، وَاللَّهُ لَا تُصْبِحِينَ عِنْدِي . وَبَاعَهَا .

وَأَبَى الْأَسْوَدُ يُعَدُّ فِي الشُّعْرَاءِ وَالتَّابِعِينَ وَالْمُحَدِّثِينَ وَالْبُخْلَاءِ وَالْمَفَالِيجِ
 وَالنَّحْوِيِّينَ وَالْقَضَاةَ وَالْمُرْجَ وَالْمُعَلِّمِينَ .

وقال الشاعر :

أَنْفَقَ أَبَا عَمْرٍو وَلَا تَعْدُرَا وَكُلَّ مِنَ الْمَالِ وَأَطْعِمَ مَنْ عَرَا
 لَا يَنْفَعُ الدَّرْهَمُ إِلَّا مُذْبِرَا

كَانَ مُسْلِمُ بْنُ قُتَيْبَةَ لَا يَجْلِسُ لِحَوَانِجِ النَّاسِ حَتَّى يَشْبَعَ مِنَ الطَّعَامِ الطَّيِّبِ ،
 وَيَرَوِّى مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ ، وَيَقُولُ : إِنَّ الْجَائِعَ ضَيِّقُ الصَّدْرِ ، فَقَبْرُ النَّفْسِ ،
 وَالشَّبْعَانِ وَاسِعُ الصَّدْرِ ، غَنَى النَّفْسِ .

وقال أعرابي :

هَلَكْتُ هَرِيشَةً^(١) وَهَلَكْتُ جُوعًا وَخَرَقَ مِنْدَتِي شَوْكُ الْقَتَادِ

(١) هريشة ، أى بردا . يقال قره (بكسر القاف) فيها هريشة ، أى يصبب الناس
 منها ضر وموت كثير . والهريشة : وقت اشتداد البرد ، كما فى اللسان .

وَحَبَّةٌ حَنْظَلٌ وَلُبَابُ قَطِينٍ وَتَنْقُومٌ يَنْظُمُ بَطْنٌ وَادِي^(١)
وقال الفرزدق :

وإن أبا الكَرِشَاءِ^(٢) ليس يسارقٍ ولكنه ما يسرق القومُ يا كل
ولديك الجن :

إذا لم يكن في البيتِ مِلْحٌ مُطَيَّبٌ وَخَلٌّ وَزَيْتٌ حَوْلَ حُبٍّ^(٣) دَقِيقٍ
فرأسُ ابنِ أُمِّ في حِرَامٍ [ابن] خالقي ورأسُ عدوِّي في حِرَامٍ صديقٍ
وقال آخر :

وما جيرةٌ إِلَّا كَلِيبُ بْنُ وَائِلٍ لِيَالِي تَعْمَى عِزَّةً مَنْبِتَ الْبَقْلِ
وقال مستقر بن مكدَّم لِزَوْجَةِ بَنِ مَصَلَةَ : أراك طُفْنِيلِيَا . قال : يا أبا محمد ،
كلُّ مَنْ نَرَى طُفْنِيلِيًّا إِلَّا أَنَّهُمْ يَتَكَاثَمُونَ .
وقال شاعر :

قَوْمٌ إِذَا آنَسُوا ضَيْفًا فَلَمْ يَجِدُوا إِلَّا دَمَ الرَّأْسِ صَبُّهُ عَلَى الْبَابِ
قال المفعج : الرأس الرئيس .

اشتدَّ بِأَبِي فِرْعَوْنَ الشَّائِي الْحَالُ فَكَتَبَ إِلَى بَعْضِ الْقَضَاةِ بِالْبَصْرَةِ :
يَا قَاضِيَ الْبَصْرَةِ ذَا الْوَجْهِ الْأَغْرَإِ إِلَيْكَ أَشْكُو مَا مَضَى وَمَا غَبَرَ
عَفَا زَمَانٌ وَشِئْنَا قَدْ حَضَرَ إِنَّ أَبَا عَمْرَةَ^(٤) فِي بَيْتِي أُنْجَحَزُ
يَضْرِبُ بِالْدَفِّ وَإِنْ شَاءَ زَمَرُ فَاطْرُدْهُ عَنِّي بِدَقِيقٍ يُنْتَظَرُ
فأجابه إلى ما سأل .

(١) التنوم : شجر له حب كحب الخروع . وينظم بطن وادي ، أي يملؤه ويصمه .
(٢) كذا في (١) وديوان الفرزدق . والذي في (ب) : « أما العرجاء » ؛ وهو خطأ
من الناسخ . (٣) الحُبُّ بضم الحاء : الجرة ؛ ولعلهم كانوا يضعون الدقيق في الجرار .
(٤) أبو عمرة : كنية الجوع .

ويقال : وقفَ أعرابيٌّ على حلقةِ الحسنِ البصريِّ رحمةَ الله عليه فقال :
رَحِمَ اللهُ مَنْ أَعْطَى مِنْ سَعَةٍ ، وَوَسَّى مِنْ كِفَافٍ ، وَآثَرَ مِنْ قِلَّةٍ . فقال
الحسن : مَا أَبْقَى أَحَدًا إِلَّا سَأَلَهُ .

وقال ابنُ حبيب : يقالُ أَحْمَقُ مِنَ الضَّبْعِ ، وذلك أنها وَجَدَتْ تَوْدِيَةَ^(١)
في غدير ، فجعلتْ تَشْرَبُ الماءَ وتقول : « يَا حَبْذَا طَعْمُ اللَّبَنِ » حتى انشَقَّ بطنُها
فانتُ . والتَّوْدِيَةُ : الْعُودُ يُشَدُّ عَلَى رَأْسِ الْخِلْفِ^(٢) لثَلَا يَرْضَعَ الْفَصِيلُ أُمَّهُ .
دعا رجل آخرَ فقال له : هذه^(٣) تُكْسِبُ الزَّيَارَةَ وإن لم تُسَيِّدْ ، ولعل
تقصيراً أنفعُ فيما أُحِبُّ بلوغه من برك^(٤) . فقال صاحبه : حرصك على كرامتي
يكفيك مؤونةَ التكلف لي .

قيل لأعرابي : لو كنتَ خليفةَ كيف كنتَ تَصْنَعُ ؟ قال : كنتُ
أستَكْنِي^(٥) شريفَ كلِّ قومٍ ناحيته ، ثم أخْلُو بالمطبخِ فَأَمُرُّ الطَّهَاءَ
فَيُعْطَمُونَ^(٦) الثَّيْرَةَ وَيُكْثِرُونَ الْعِرَاقَ^(٧) ، فَأَبْذَأُ فَا كُلُّ لُقْمًا ، ثم آذَنُ
لِلنَّاسِ ، فَأَيُّ ضِيَاعٍ^(٨) يكون بعدَ هذا ؟ !

(١) في الأصل : « بودقة » بالباء والقاف ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا قلا عن
كتب اللغة . وعبارة بجمع الأمثال : تزعم الأعراب أن أبا الضباع وجد تودية في غدير ...
الخ ما هنا .

(٢) الخلف : الضرع . وفي الأصل : « الخلف » بالمهمله ؛ وهو تصحيف .

(٣) هذه : إشارة إلى دعوته إياه . أي أن هذه الدعوة تكسبني زيارتك لي وإن لم
تسعد ، أي تُسَنِّئَ على قضاء الحق كله . وفي الأصل : « تكثر » مكان « تكسب » . وهو
تحريف . ولعل صوابه ما أثبتنا .

(٤) في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام : « ترك » ؛ وهو تحريف .

(٥) في (١) : « استلق » ؛ وهو تحريف .

(٦) في (١) : « فيطمون » ؛ وهو تحريف .

(٧) العراق (بالضم) : جمع مرق (بفتح فسكون) ، وهو العظم الذي أخذ أكثر
ما عليه من اللحم وبقي عليه شيء يدير .

(٨) في كلنا النسختين : « صناع » ؛ وهو تصحيف .

وقال أعرابي لأبن عم له : والله ما جفأناكم بعظام ، ولا أجسامكم^(١)
بوسام ، ولا بدت^(٢) لكم نار ، ولا طولبتنم بشار .

وقيل لأعرابي : لم قالت الحاضرة للعبد : باعك الله في الأعراب ؟ قال :
لأننا نمرى جلده ، ونطيل كده ، ونجيع كبده .

وقال طميلي : إذا حدثت على المائدة فلا ترذ في الجواب على نعم ، فإنك
تكون بها مؤانسا لصاحبك ، ومسيغا للقميتك ، ومقبلا على شأنك .

وقيل لأعرابي : أى شيء أحد ؟ قال : كبد جائمة ، تُلقي إلى أمعاء ضالعة^(٣)

وقيل لآخر : أى شيء أحد ؟ قال خرس جائع ، يُلقي [إلى] معى ضالع^(٤)
وقال آخر :

أحب أن أضطاد ضببا سحبالا^(٥) وورلا يرتاد رملأ أرملأ

فالت سلمي لا أحب الجوزلا ولا أحب السمكات ما كلا

الجوزل : فرخ الحمام . والورل : دابة^(٦) . أرمل : صفة للورل . وإذا كان
كذلك^(٧) كان أسمن له ، وهو^(٨) . يسفد فيهرل .

(١) في (١) : « ولا أجاسمكم » ؛ وهو تحريف .

(٢) كتذا في (ب) . والذي في (١) : « نبرت » ، والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٣) يريد بالضالعة هنا القوية على احتمال ما يلقي إليها ، وكذلك الضالع الآن بعد .
والذي وجدناه في كتب اللغة أنه الضليح ، من الضلعة ، وهي القوة . ولم نجد الضالع بهذا
المعنى . والذي في كتاب التنبيه على أغلاط أبي على القائل ص ٢٢ أن المحفوظ : خرس قاطع
يقذف في معى جائع ، وهذا هو الصحيح .

(٤) السحبل : العظم السنن من الضباب . والورل دابة تشبه الضب وأعظم منه يسير .
والأرمل : الذي لا زوج له . ويقال ذلك في الذكر على التشبيه . قاله في اللسان مستشهدا
بهذا البيت ، وروايته فيه : « رعى الربيع والشتاء أرملأ » مكان قوله : « وورلا يرتاد » .

(٥) في (١) : « بيت » ؛ وهو تحريف ، وقد سبق التعريف بهذه الدابة في الحاشية
التي قبل هذه . (٦) كذلك ، أي أنه أرمل لا زوج له .

(٧) في الأصل : « مري » ؛ وهو تحريف ، والسياق يقتضى ما أثبتنا .

ويقال : أَفْبَحُ هَزِيلَيْنِ : المرأةُ والفَرَسُ ، وأَطْيَبُ غَثٍ أَكِلَ غَثِ
الإِبِلِ ، وأَطْيَبُ الإِبِلِ لَحْمًا مَا أَكَلَ السَّعْدَانُ^(١) ، وأَطْيَبُ الْغَنَمِ لَبَنًا مَا أَكَلَ
الْحَرْبُثُ^(٢) .

ويقال : أَهْوَنُ مَظْلُومٍ سَقَاةٌ مُرَوِّبٌ ، وهو الذى يُسْقَى منه قَبْلَ أَنْ يُمَخَّضَ .
وَتُخْرِجُ زُبْدَتَهُ .

ويقال : سَقَانَا ظَلِيمَةً وَطَبِيهِ^(٣) ، وَقَدْ ظَلِمْتَ أَوْطَبُ^(٤) الْقَوْمِ .

وقال الشاعر :

وصاحب^(٥) صِدْقٍ لَمْ تَنْلُنِي شَكَائُهُ ظَلِمْتُ وَفِي ظَلَمِي لَهُ عَمِيدًا أَجْرُ
يعنى وَطَبَ لَبَن .

وكان^(٦) الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ إِذَا طَبَخَ اللَّحْمَ قَالَ : هُمُّوْا إِلَى طَعَامِ الْأَحْرَارِ .
قال سفيان الثَّوْرِيُّ : إِنِّي لَأَتْلُقِي الرَّجُلَ فَيَقُولُ لِي مَرْحَبًا فَيَلِينُ لَهُ قَلْبِي ،
فَكَيْفَ بِنِ أَطَأَ بَسَاطَهُ ، وَآكَلُ ثَرِيدَهُ ، وَأَزْدَرِدُ عَصِيدَهُ ؟ .

حكى أبو زيد : قد^(٧) هَجَأَ غَرْنِي^(٨) : إِذَا ذَهَبَ ، وَقَدْ أَهْجَأَ طَعَامُكُمْ
غَرْنِي : إِذَا قَطَعَهُ . قال الشاعر :

(١) السعدان : نبت تشبه شوكتة حلقة الندى ، وهو من أفضل مراعى الإبل ،
ويقال فى المثل : « مرعى ولا كالسعدان » .

(٢) الحربث : نبت منبسط له ورق رقيق طيب الرائحة يزبل بغر القم .

(٣) فى الأصل : « وطبى » ؛ وهو تحريف .

(٤) فى الأصل : « طبية » ؛ وهو تحريف .

(٥) ورد هذا البيت فى الحيوان ، ولم ينسبه كما هنا .

(٦) فى (١) : « وقال » ؛ وهو تبديل من النسخ .

(٧) فى (١) : « قال » ؛ وهو تحريف . (٨) الغرن : الجوع .

فَأَخْرَاجُهُمْ^(١) رَبِّي وَدَلَّ عَلَيْهِمْ وَأَطَعْتَهُمْ مِنْ مَطْعَمٍ غَيْرِ مُهْجِي^(٢)
 قال : ويقال بَأَزَتْ^(٣) بُؤْرَةٌ فَأَنَا أَبَارُهَا ، إِذَا حَفَرْتَ حَفِيرَةً يَطْبَخُ فِيهَا
 وَهِيَ الْإِرَّةُ . ويقال : أَرَتْ إِرَّةً فَأَنَا أَرُّهَا وَأَرَا .
 وقال حسان :

تَخَالَ قُدُورَ الصَّادِ^(٤) حَوْلَ بِيُوتِنَا قَنَابِلَ دُهُمًا فِي الْمَاءِ صُيِّمًا
 قال أبو عبيدة : كَانَ الْأَصْمَى بَخِيلًا ، وَكَانَ يَجْمَعُ أَحَادِيثَ الْبَخْلَاءِ وَيُوصِي
 بِهَا وَلَدَهُ وَيَتَعَدَّثُ بِهَا .

وَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ إِذَا ذُكِرَ الْأَصْمَى أَنْشَدَ :

عَظُمُ الطَّعَامِ بَعَيْنِيهِ فَكَأَنَّهُ هُوَ نَفْسُهُ لِلْأَكْلِينَ طَعَامُ
 ويقال : أَسْأَزْتُ ، إِذَا أَبْقَيْتَ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ أَوْ غَيْرِهَا ، وَالْأَسْمُ السُّؤْرُ
 وَجَمَاعَتُهُ الْأَسَارُ . ويقال : فَادَتْ^(٥) الْخُبْزَةَ فِي الْمَلَّةِ^(٦) أَفَادُهَا^(٥) إِذَا خَبَزَتْهَا
 فِيهَا . وَالْمِنَادُ^(٥) : الْحَدِيدَةُ الَّتِي يُحْبَزُ بِهَا وَيُسَوَّى . وَيَقَالُ : تَمَلَّأْتُ مِنَ الْأَكْلِ

(١) فِي الْأَصْلِ : « فَأَجْزَامُ » بِالْجِيمِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي الْأَصْلِ . « مُهْجِي » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « ثَارَتْ ثُورَةٌ فَأَنَا أَثَارُهَا » ؛ وَهُوَ تَصْغِيرٌ فِي السَّكَلَاتِ الثَّلَاثِ .

(٤) الصَّادُ : النُّحَاسُ ، وَقِيلَ نَوْعٌ مِنْهُ . وَفِي الْأَصْلِ : « الضَّانُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

وَالْقَنَابِلُ : طَوَائِفُ الْحَبْلِ ، الْوَاحِدُ قَنْبَلٌ وَزَانٌ جُمْفَرٌ وَقَنْبَلَةٌ . وَفِي الْأَصْلِ : « قَنَادِيلُ » ؛ وَهُوَ

تَحْرِيفٌ . وَفِي دِيَوَانِ حَسَّانَ : « فِي الْحَلَةِ » ، وَالْمَعْنَى عَلَيْهِ يَسْتَقِيمُ ؛ وَفِي الْأَصْلِ « فِي الْمَلَّةِ »

وَالظَّاهِرُ أَنَّ هَذَا اللَّفْظَ مَحْرُوفٌ عَمَّا أَثْبَتْنَا فَقَلًا عَنْ مُحَاضِرَاتِ الْأَدْبَاءِ . وَقَبْلَ هَذَا الْبَيْتِ :

إِذَا أَغْبَرَ آفَاقَ السَّمَاءِ وَأَعْلَلَتْ كُلَّ عَلَيْهَا ثُوبَ عَصَبٍ مَسْهَمًا

وَفِي دِيَوَانِ حَسَّانَ : « حَسِبْتُ قُدُورَ » مَكَانَ قَوْلِهِ : « تَخَالَ » .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « فَادَتْ ... وَأَفَادُهَا .. » وَالْمَقَادُ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي هَذِهِ

السَّكَلَاتِ الثَّلَاثِ .

(٦) الْمَلَّةُ : مَوْضِعُ النَّارِ .

والشراب تملؤا ، إذا شَبِغَتْ منهما وامتَلأتَ . ويقال : لَقَأَتْ ^(١) اللحمَ عن العظم لَقَاءً ^(٢) إذا جَلَفَتْ ^(٣) اللحمَ عن العظم . واللَّفِيشَةُ ^(٤) هي البَضْعَةُ التي لا عَظْمَ فيها نحو النَّحْضَةِ ^(٥) والهَبْزَةِ والوَذْرَةِ ^(٦) .

وَأُنْشَدَ يعقوب :

سَقَى ^(٧) اللَّهُ الْفَصَا وَحُبُوتَ قَوْمٍ مَنَى كَانَتْ تَكُونُ لَمْ دِيَارَا
أَنَاسٌ لَا يُنَادِي ^(٨) الضَّيْفُ فِيهِمْ وَلَا يَقْرُونَ آيَةَ صِفَارَا
قال الأصمعي : قال ابن هُبَيْرَةَ : تَعْجِيلُ الْغَدَاءِ يَزِيدُ فِي الْمُرُوءَةِ ، وَيَطْيِبُ
النَّفْسَ ، وَيُعِينُ عَلَى قَضَاءِ الْحَاجَةِ .

قال بعض الْعَرَبِ : أَطْيَبُ مَضْفَةٍ أَكَلَهَا النَّاسُ صَيِّحَانِيَّةً مُصْلَبَةً ^(٩) .
ويقال : آكَلُ الدَّوَابِّ ، يَزْدَوْنَةُ رَغُوثٌ وَهِيَ الَّتِي يَرْضَعُهَا وَلَدُهَا ^(١٠) .
قال أبو الحارث حميد : مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَشَبَّهُ بِالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ مِنْ قَدْرِ
سُقِّيَتِ اللَّبَنُ كَثِيرَةَ الشُّكْرِ .

(١) في الأصل : « لَقَأَتْ ... لقاء إذا جلت » ؛ وهو تحريف في هذه الكلمات الثلاث .

(٢) في الأصل : « واللقة ... البضة ... والودنة » ؛ وهو تحريف في هذه

الكلمات الثلاث .

(٣) في (١) التي ورد فيها وحدها هنا الشعر : سل الله ؛ وهو تحريف لا يستقيم به
المعنى ؛ ولعل صوابه ما أثبتنا . ولم نجد هذين البيتين فيما راجعناه من الكتب . والحبوت :

جمع خبت ، وهو المطنن من الأرض .

(٤) لا ينادى الخ ، أى أنهم لا يكلفون الضيف مؤونة السؤال .

(٥) الصيغاني : ضرب من تمر المدينة أسود صلب المضع . والصلب : الذى خلط
بالصلب ، وهو الودك ، وهو مثل يضرب للتلائمين المتوافقين . وفي الأصل : « مقلية »
بالقاف والياء ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا نقلا عن مجمع الأمثال .

(٦) يلاحظ أن تفسير البرذونة الرغوث بهذا المعنى المذكور هنا غير صحيح ، إذ البرذونة
لا ولد لها . والرغوث من البراذين هي التي لا تنكأ ترفع رأسها من اللف . أما التي يرضعها
ولدها فهي الرغوث من الشياه . فلعل في الكلام قصصا ، وتكملته : « والشاة الرغوث
هي التي ... الخ » .

وقال الشاعر :

وإني لأستحي رفيقاً أن يرى مكان يدي من جانب الزاد أقرعاً

ضم^(١) عثمان بن رَوَاح^(٢) السَّفَرُ ورفيقاً له ، فقال له الرفيق : امض إلى الشوق فأشتر لنا لحماً . قال : والله ما أقدر . قال : فضى الرفيق واشترى اللحم ثم قال لعثمان : قم الآن فاطبخ القدر . قال : والله ما أقدر . فطمخها الرفيق . ثم قال : قم الآن فأرُذ . قال : والله إني لأعجزُ عن ذلك . فتردَّ الرفيق . ثم قال : [قم] الآن فكل . فقال : والله لقد استحييتُ من كثرةِ خلافي عليك ، ولولا ذلك ما فعلت .

قال يونس : أتيتُ ابن سيرين فدَعَوْتُ الجارية ، فسمِعْتُهُ يقول : قولي إنه نائم . فقلت : مَعِيَ خَبِيس . فقال : مَكَانَكَ^(٣) حتى أخرج إليك .

قال أردشير : إِحْذَرُوا صَوْلَةَ الْكَرِيمِ إِذَا جَاعَ ، وَاللَّيْمَ إِذَا سَمِعَ .

قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رَوَاهُ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : هَلَاكُ الرَّجُلِ أَنْ يَحْتَقِرَ مَا فِي بَيْتِهِ أَنْ يَقْدِمَهُ إِلَى ضَيْفِهِ ، وَهَلَاكُ الضَّيْفِ أَنْ يَحْتَقِرَ مَا قُدِّمَ^(٤) إِلَيْهِ .

وقال الشاعر :

يا ذاهباً في داره جاثياً^(٥) بفَيْرٍ مَعْنَى وَبَلَاً فائِدةً
قد جُنَّ أَضْيَافُكَ مِنْ جُوعِهِمْ فَاقْرَأْ عَلَيْهِمْ سُورَةَ الْمَائِدَةِ

(١) في إحدى النسختين : « صم » ؛ وهو تصحيف .

(٢) في (ب) : « ابن دراج » وهو تصحيف . (٣) في (أ) : « فراكبك »

(٤) في الأصل : « وادم » مكان قوله : « ما قدم » ؛ وهو تحريف .

(٥) في الأصل : « خائباً » يعين ؛ وهو تصحيف في كلتا الكلمتين .

وقال ابن بذر:

ونحن نبذل عند القحط ما أكلوا من السديف إذا لم يؤسر القزع^(١)
وننحر الكوم^(٢) غبطاً^(٣) في أرومتنا للنازلين إذا ما أسئنازلوا شبعوا

وقال آخر:

أطعمني بيضاً وناولني من بعد ما ذقت فقهه قدحا

وقال، أي الأصوات تشمتني^(٤)؟ يزيد، إن أراك مقترحا

فقلت صوت المني وجر دقة^(٥) إن خاب ذا الاقتراح أو صلحا

فقطب الوجه وأثنى غضياً^(٦) وكان سكران طافحاً فصحا

فقلت: إني مزحت، قال: كذا رأيت حراً بمثل ذا مزحا؟

قال ابن حبيب: كان الرجل إذا اشتد عليه الشتاء تنجى ونزل وحده
لئلا ينزل به ضيف فيكون صقعاً مستحباً.

وهذا ضد قول زهير:

بسط البيوت لكي تكون مطية من حيث توضع جفنة استرشد

فإذا كان الشتاء انحاز الناس من الجذب والجهد، وإذا أخصبوا أغاروا

للشار لا لسؤال.

(١) السديف: لحم السنام. والقزع بالقاف: السحاب. وفي الأصل: «الفرع» بالفاء.

(٢) الكوم واحد كوماه بفتح الكاف؛ وهي الناقة العظيمة السنام.

(٣) في الأصل: «غيطا»؛ وهو تصحيف.

(٤) في الأصل: «فاسلق» يريد؛ وهو تحريف.

(٥) الجر دقة: الرغيف، فارسية. وفي الأصل: «خودة»؛ وهو تحريف.

(٦) في الأصل: «حصنا»؛ وهو تحريف.

وقال الشاعر في عُبَيْدِ اللَّهِ بن عَبَّاس :

ففي السنةِ الجَدْبَاءِ أَطْعَمْتَ حَامِضًا وَحُلُوا وَشَعَمًا تَامِكًا^(١) وَسَنَامًا
وقال مجاهدٌ في قولِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ : (وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا) ، أى طعامًا ،
يقال : اتَّكْنَا عند فلانٍ ، أى طَعِمْنَا .

ذكر الأصمعيُّ أن أعرابياً خَرَجَ في سَفَرٍ ومعه جماعة ، فأرْمَلَ^(٢) بعضهم
من الزاد ، وَحَضَرَ وقتُ الغَدَاءِ وجعل بعضهم ينتظر بَعْضًا بالغَداءِ ، فلما أَبْطَأَ
ذلك عليهم عَمَدَ بعضهم إلى زاده فالتقاء بين يَدَيِ القَوْمِ ، فأقْبَلُوا يَأْكُلُونَ ،
وجلس صاحبُ الزادِ بَعِيداً لِلتَّوْفِيرِ^(٣) عليهم ، فصاح به أعرابي : يَا سُوْدَدَاهُ !
وهل شَرَفْتُ أَفْضَلَ من إطعامِ الطعامِ والإيثارِ به في وَقتِ الحاجةِ إليه ؟ لقد
آثَرْتُ في مَحْمَصَةٍ ويومِ مَسْغَبَةٍ ، وتفرَّدْتُ بِمَكْرَمَةٍ قَعْدَ^(٤) عنها مَنْ أَرَى من
نُظْرَانِكَ ، فلا زالت نِعْمُ اللَّهِ عليك غَادِيَةً وراحمَةً .

وفي مثله يقولُ حاتمُ الطائي :

أَكْفُ يَدِي مِنْ أَنْ تَقَالَ أَكْفَهُمْ إِذَا مَا مَدَدْنَاها وَحَاجَاتُنَا مَعًا
وإِنِّي لَأَسْتَحْيِي رَفِيقِي أَنْ يَرَى مَكَانَ يَدِي مِنْ جَانِبِ الزَّادِ أَقْرَعًا
قال : المَحْمَصَةُ : المَجَاعَةُ . وَالنَّخْصُ : الجُوعُ .

قال شاعرٌ يَذُمُّ رجلاً :

يَرَى النِّخْصَ تَعْذِيبًا وَإِنْ يَلْقَى شَبْعَةً يَبِيتُ قَلْبُهُ مِنْ قِلَّةِ^(٥) الهمِّ مُبْهِمًا

(١) التامك : الكثير العظيم . (٢) أرمل من الزاد : فرغ ما عنده منه .

(٣) في الأصل : « يمدُّ القوفر » ؛ وهو تحريف في كلتا الكلمتين لامتثالهما ، ولعل

الصواب ما أثبتنا . (٤) في الأصل : « فقد » ؛ وهو تحريف .

(٥) في الأصل « من شدة » ؛ وهو خطأ من الناسخ . والبيت لحاتم الطائي .

وقال المرقش الأكبر :

إِنْ يُخْصِبُوا يَفْنَوْا بِخُضْبِهِمْ أَوْ يُجْدِبُوا فَجُدُوبِهِمْ أَلَمْ
[وَكَتَبَ بَعْضُهُمْ ^(١) إِلَى أَخِيهِ] : إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُرَوِّىَ ظَمَأَ أَخِيكَ
بِقُرْبِكَ ، وَتُبَرِّدَ غَلِيلَهُ بِطَلْعَتِكَ ، وَتَوْنِسَ وَخَشَتَهُ بِأَنْسِكَ ، وَتَجْلُوَ غِشَاءَ
نَاطِرِهِ بِوَجْهِكَ ، وَتُزَيِّنَ مَجْلِسَهُ بِجَمَالِ حُضُورِكَ ، وَتَجْمَلَ غَدَاكَ عِنْدَهُ فِي
مَنْزِلِكَ الَّذِي هُوَ فِيهِ سَاكِنٌ ، وَتَتَمَتَّ لَهَ السُّرُورَ بِكَ بَاقِيَ يَوْمِكَ ، مُؤَثِّرًا لَهُ
عَلَى شُغْلِكَ ، فَعَلْتَ — إِنْ شَاءَ اللَّهُ — .

وقال الشاعر :

وَكَأَنَّ هَذَرَ دِمَائِهِمْ فِي دُورِهِمْ لَفَطُ الْقَبِيلِ ^(٢) عَلَى خِوَانِ زِيَادٍ
قَالَ بَعْضُ الْخُطَبَاءِ ^(٣) : الْعَجَبُ مِنْ ذِي جِدَّةٍ مُنْعَمٍ عَلَيْهِ يَطْوِي جَارُهُ
جَوْعًا وَقَرًا ، وَأَفْرُخُهُ شُعْتُ جُرْدٍ مِنَ الرَّيشِ ، وَهُوَ مُبْطَلَانٌ مُحْتَشٍ مِنْ حُلُوهِ
وَحَامِضِهِ ، مُسَكَّتَنٌ فِي كِنِّهِ وَدِفْنُهُ ، مَزِينٌ لَهُ شَهْوَةٌ عَنْ أَدَاءِ الَّذِي عَلَيْهِ لَجَارُهُ
وَقَرِيْبُهُ وَذِي حُلَّةٍ بِطَرِ ^(٤) رَفِيٍّ كَيْفَ يَأْمَنُ سَلْبًا مَفَاجِئًا ؟ أَمَّا لَوْ وَجَّهَ بَعْضُ
فَضْلِهِ إِلَى ذِي حَاجَةٍ إِلَيْهِ كَانَ مُسْتَدِيمًا لِمَا أُولَى ، مُسْتَزِيدًا مِمَّا أُوتَى .

قال الشاعر ^(٥) :

وَإِذَا تَأَمَّلَ شَخْصَ ضَيْفٍ مُتَبَلٍ مُتَسَرِّبٍ لِمِ مِرْبَالٍ تَحْلٍ أَغْبَرٍ

(١) في (١) : « كَاتِب » ثم ذكر الكتاب .

(٢) في الأصل : « الْقَبِيل » ؛ وهو تصحيف .

(٣) في (ب) : « الْحَكَمَاء » .

(٤) في (ب) : « وَذِي خَلَّةٍ يَطُورُ بِهِ » ؛ وهو تحريف .

(٥) هو الملوي صاحب الزنج ، كما في مجموعة المعاني .

أَوْمًا إِلَى الْكَوْمَاءِ هَذَا طَارِقٌ نَحَرْتَنِي الْأَعْدَاءُ إِنْ لَمْ تُنَحَّرِي
[وفي هذه الأبيات مَا يُسْتَحْسَن ^(١) :

كَمْ قَدْ وَلَدْتُمْ مِنْ كَرِيمٍ مَاجِدٍ دَائِمِ الْأَطَايِرِ أَوْ غَمَامٍ مُمْطِرٍ
سَدَكْتُ ^(٢) أَنَامِلُهُ بَقَائِهِمْ مَرْهَفٍ وَبَنْشَرٍ عَائِدَةٍ بِذِرْوَةِ مَنَابِرٍ
يَلْقَى السِّیُوفَ بَوَجْهِهِ وَبَنْحَرِهِ وَيُقِيمُ هَامَتِهِ مَقَامَ الْمُفْقَرِ
وَيَقُولُ الطَّرْفُ : اضْطَبِرْ لَشَبَابِ الْقَنَا فَمَقَرَّتْ رُكْنُ الْمَجْدِ إِنْ لَمْ تُعْقَرِ
وقال آخر :

وقال وَقَدَّمَ ^(٣) كَشَكِيَّةً فَكَلَّ شَبَعًا إِنِّهَا فِي النَّهْيَةِ
تُطْفِئُ الْمَرَارَ وَتَنْفِي الْخُمَارَ وَمَا بَعْدَهَا فِي النَّهْيَاتِ غَايَةٌ
وَلَا تَتَوَقَّعْ أَخِيرًا بِجَعِكَ فَنِي أَوَّلِ الْمُسْتَطَابِ الْكِفَايَةِ
وقال آخر :

كَأَنَّمَا فُوهُ إِذَا تَمَدَّدَا لَلْقَمِ أَخْلَاقُ جِرَابٍ أَسْوَدَا
كَأَنَّهُ مُخْتَرِصٌ ^(٤) قَدْ جَوَّدَا جَانِي جَرَادٍ فِي وَعَاهِ مِقْلَدَا ^(٥)

(١) وردت هذه النكبة في (ب) مطبوسة الحروف تنعذر قراءتها ، مهمل من النقط ما ظهر منها ؛ وقد أثبتناها هكذا أخذاً من السياق . وبعضها عن مجموعة المائى .

(٢) سدكت أنامله إلخ ، أى أولعت بقائم السيف ، يقال : سدك بالشيء ، إذا أولع به وخفت يده في عمله .

(٣) في الأصل : « وقد قدم لاقوم » ؛ وهو تحريف ، كما أن قوله : « للقوم » زيادة من الناسخ لا يستقيم بها وزن البيت .

(٤) المختصر الذى يضع في خرسه (بكسر الخاء) أى جرابه ما يريد . وفي (أ) التى ورد فيها هذا الشعر وحدها دون (ب) مختصر ؛ وهو تصحيف . كما أن فيها : « هناء » مكان « كأنه » ولا معنى له أيضا .

(٥) أورد في اللسان هذا الشعر ، مادة « فله » شاهدا على أن المقلد (بكسر الميم) الرجل المجهى .

وصاحب صاحبتُ غيرَ أبعدَا تراه بين الحرّبتين مُسنَدًا^(١)
الحرّبة : الفرارة .

وقال جابرُ بنُ قبيصة : ما رأيتُ أحلمَ جليسا ، ولا أفضلَ^(٢) رفيقا ،
ولا أشبهَ سريرةً بعلانية ، من زياد .

وقال جابر أيضا : شهدتُ قوماً ورأيتهم بمئى ، فما رأيتُ أقرَّ لسكتابِ
الله ، ولا أفقهَ في دين الله ، من عُمر بن الخطاب رضى الله عنه . وما رأيتُ رجلاً
أعطى من صُلْبِ ماله في غير ولائه ، من طلحة بن عبيد الله . وما رأيتُ رجلاً
أسودَ من معاوية . وما رأيتُ رجلاً أنصع^(٣) ظرفاً ، ولا أخضرَ جواباً ،
ولا أكثرَ صواباً ، من عمرو بن العاص . وما رأيتُ رجلاً المعرفةَ عنده أنفعَ
منها عند غيره ، من المغيرة بن شعبة .

ويقال : ما كان الطعامُ مريثاً ولقد مرّاً ، وما كان الرجلُ مريثاً وقد مرؤ .
وقال لنا القطان أبو منصور رئيس أهل قزوين : الرجلُ من أرض أردبيل
إذا دخلَ بلدًا يسألُ فيقول : كيف الخبزُ والمبرزُ^(٤) ، ولا يسألُ عن غيرها .
ف قيل له : لِمَ ذلك ؟ فقال : يأخذ الخبزَ والمبرزَ ، يأكلُ ويسلحُ^(٥) إلى الصباح .
قال الشاعر :

وما تُنسينا الأيامُ لا نفسَ جوعنا بدارِ بَنى بذرٍ وطولِ التَّلدِّ

(١) أورد في اللسان هذين الشطرين مادة (حرب) . والذي في الأصل :

وصاحب صاحب عبدا يعبد تراه بين الحرّبتين ... الخ

ولا يخفى ما في ذلك من تحريف .

(٢) في الأصل : « أغضب » .

(٣) في (١) : « أصبح طرف » ؛ وأمل صوابه ما أثبتنا .

(٤) المبرز : المطلق للبطن .

(٥) في كلتا النسختين : « يسرج » بالسين ؛ وهو تحريف .

ظَلَّلْنَا كَانَا بَيْنَهُمْ أَهْلُ مَا تَمَّ عَلَى مَيِّتٍ مُسْتَوْدَعٍ بَطْنٍ مَلْعَدٍ
يُحَدِّثُ بَعْضُ بَعْضًا عَنْ مُصَابِهِ وَيَأْمُرُ بَعْضُ بَعْضًا بِالْتَّجَلُّدِ
وقال آخر :

دَعُونِي فَإِنِّي قَدْ تَقَدَّيْتُ آفِيَا فَإِنْ مَسَّ كُنِّي خُبَرَ كَمْ فَاقْطَعُوا يَدَيَّ
وقال آخر يَصِفُ دَارَ قَوْمٍ :

الْجَوْعُ دَاخِلُهَا وَاللَّوْحُ^(١) خَارِجُهَا وَلَيْسَ يَقْرُبُهَا خُبْرٌ وَلَا مَاءٌ
قال الهلالي : أتى رجل أبا هريرة فقال : إني كنت صائما فدخلت بيت
أبي فوجدت طعاما ، فنسيت فأكلت . قال : الله أطعمك . قال : ثم دخلت
بيتا آخر فوجدت أهله قد حلبوا لقمحتهم فسقوني ، فنسيت فشربت . فقال :
يا بُنَيَّ هَوْنٌ عَلَيْكَ فَإِنَّكَ قَلَّمَا اعْتَدْتَ الصَّيَامَ .

وقال الشاعر :

وَجَدْتُ وَغْدَكَ زُورًا فِي مَزْوَرَةٍ^(٢) ذَكَرْتَ مُبْتَدِئًا إِحْكَامَ طَاهِيهَا^(٣)
فَلَا شَفَى اللَّهُ مَنْ يَرْجُو الشِّفَاءَ بِهَا وَلَا عَلَتْ كَفٌّ مُلْقٍ كَفَّهُ فِيهَا
فَأَحْسِنَ رَسُولَكَ عَنِّي أَنْ يَجِيءَ بِهَا فَقَدْ حَبَسْتُ رَسُولِي عَنْ تَقَاضِيهَا
قال مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه : قدمنّا على رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، فقلنا : يا رسول الله ، أنت سيّدنا ، وأنت أطولنا علينا طولا ،

(١) اللوح : العطش . والذي في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الشعر « والنوح »
وما أثبتناه هو المناسب لقوله بعد : « ولا ماء » .

(٢) المزورة : صرقة تعمل بشعر لحم يصفونها للرضى .

(٣) في الأصل : « طاهيها » ؛ وهو تحريف .

وَأَنْتَ الْجَنَّةُ الْغَرَاءُ . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « قُولُوا بِقَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَفِزْ نَسْكَمُ الشَّيْطَانُ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ » .
وقال آخر :

وَأَحْمَرُ مُبْيَضُّ الزُّجَاجِ كَأَنَّهُ رِداءُ عَرُوسٍ مُشْرَبٌ بِخَلْقٍ
له في الْحَشَا بَرْدُ الْوِصَالِ وَطَعْمُهُ ^(١) وَإِنْ كَانَ يَلْقَاهُ بَلَوْنِ حَرِيقٍ
كَأَنَّ بَيَاضَ اللَّوْزِ ^(٢) فِي جَنَابَتِهِ كَوَاكِبُ دُرٍّ فِي سَمَاءِ عَقِيقٍ
قال يونس : أَشَدُّ طَعَامٍ ضُرًّا مَا كَانَ مِنْ عَامٍ إِلَى عَامٍ ، وَهُوَ اللَّبَأُ الَّذِي
لَا يَوْجَدُ إِلَّا فِي الْوِلَادَةِ كُلِّ عَامٍ وَإِنْ كَانَ مُزْبِداً .
حَكَى يونس : التَّنَافِيطُ ^(٣) ، أَنْ يُنْزَعَ شَعْرُ الْجِلْدِ ^(٤) نَمَّ يُلْقَى فِي النَّارِ
نَمَّ يُوْكَل ، وَذَلِكَ فِي الْجَذْبِ .

وقال الشاعر :

جَاوَرْتُ شَيْبَانَ فَأَحْلَوْنِي جِوَارَهُمْ إِنَّ الْكِرَامَ خِيَارُ النَّاسِ لِلْجَارِ
وَكَتَبَ ابْنُ دِينَارٍ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ : وَكَتَبْتَ تَفَضُّلاً مِنْكَ تَعْتَذِرُ مِنْ تَأْخِيرِكَ
عَنْ قَضَاءِ حَقِّ زِيَارَتِي بِقُصُورِ يَدَيْكَ عَنْ بَرٍّ يُشْبِهُنِي وَيُشْبِهُكَ ؛ فَأَمَّا مَا يُشْبِهُنِي
فِي هَذَا الْوَقْتِ فَرَغِيفٌ وَسُكَّرٌ جَعَلْتُ كَأَمْتَحِرٍ حَرِيفٍ يَنْقُبُ اللَّسَانَ بِحِرَافَتِهِ .
وَكَانَ ابْنُ أَبِي الْبَقَلِ إِذَا أُنْشِدَ : * أَرُونِي مَنْ يَقُومُ لَكُمْ مَقَامِي * يَقُولُ :

(١) فِي (ب) : « وَطِيه » .

(٢) فِي (١) : « اللَّوْنُ » بِاللَّوْنِ ؛ وَهُوَ تَصْخِيفٌ .

(٣) وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي الْأَصْلِ مَهْمَلَةً الْحُرُوفِ مِنَ النُّقْطِ تَعْتَذِرُ قِرَاءَتِهَا . وَقَدْ

أُبَيَّنَّا هَكَذَا نَقْلًا عَنْ كُتُبِ الْفَنَاءِ بِمَدِّ تَقْلِيلِهَا عَلَى عِدَّةِ وَجُوهِ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « الْخَلْدُ » ؛ وَهُوَ تَصْخِيفٌ .

لو شهدتُ قائله لقلت : كلبُ الحارس يقوم مقامك . هذه قصّة في حضور ما يشبهني ، فأما ما يشبهك فمتعذّر كما قيل :

• وَمَطْلَبُ مِثْلِي إِنْ أَرَدْتَ عَسِيرٌ ^(١) •

وقال رجل لعبيد الله بن زياد بن ظبيان : ما أعددتُ في كِنَانَتِي سَهْمًا غيرك . فقال : لا تُعِدِّني في كِنَانَتِكَ فوالله لو قتُ فيها لطلّتها ، ولو جلستُ فيها لخرقتها . ولئن أنتظرتَ بي ما يشبهك طال الانتظار ، والعامةُ تتمثل ^(٢) — على خساسةٍ لفظها — : « إذا أردتَ ألا تزوجَ ابنتك فغالبِ بَهْرَهَا » . وأملِ فيك على الأحوال بعيد ، وغلّني فيك جميل ، ولستُ أخشى فيما لي عندك القوتَ فأعجله ، • وهل يُلقم الكلبُ إلا الحجرَ • .

العربُ تقول : لئيمُ جَبَانٍ ^(٣) .

وقال أعرابي : لا يكنْ بطنُ أحدٍكم عليه مفرمًا ، ليكسِرَه بالتَّعْمِيرَةِ والكسيرةِ والبُقَيْلَةِ والمُلَيْسِكَةِ .

قال ابنُ الأعرابي : الفرَزْدَقُ ، الرّغيفُ الواسع .

قيلَ لأَبْنِ القِرْبَةِ ^(٤) : تكلم . فقال : « لا أَحِبُّ الخُبْزَ إِلَّا يابَسًا » . أراد لا أَحِبُّ أَنْ أَتَكَلَّمَ إِلَّا بَعْدَ الْأَرْتِثَاءِ .

وروى أبو عُبَيْدَةَ في تفسيرِ بَيْتِ الأعشى في ديوانه :

(١) في (١) : « عزيز » .

(٢) في (١) : تقول .

(٣) كذا وردت هذه العبارة في الأصل ، والظاهر أن لها بقية سقطت من الناسخ .

(٤) في الأصل : « ابن القرم » .

(١) [إذا ما هم جلسوا بالعشي] فأحلام عاد وأيدى هم قال : شبههم بأنسال عاد ، وهم ثمانية ذؤ وأحلام وسؤد : مالك — وهو سيّد الثمانية — وعمار وطفيل^(٢) ، وشمر ، وقرزعة^(٣) ، وحمة ، ونثض^(٤) ، ودُفيف ؛ وهم الذين بعث لقمان بن عاد جارية بمس من لبن ، فقال لها : إيتي الحى فأدفعيه إلى سيّدكم لا تسألى عنه . فأنت الجارية الحى ، فرأى أنهم مختلفين بين عامل ولاعب ، وثمانية على رؤوسهم الطير وفاراً ؛ ورأت جارية من الحى ، فأخبرتها بما قال لقمان ؛ قالت : هؤلاء سادة الحى ، وسأصيف لك كل واحد منهم ، فأدفعى العس إلى من شئت أما هذا فعمّار ، أخاذاً ودّار^(٥) ، لا تخمّد له نار ، المعشبات عّار (المعشبة : التى تسمن على شجر قديم) ، وأما هذا فحُمّة ، غداؤه كل يوم ناقة سنمة^(٦) ، وبقرة شحمة ، وشاة^(٧) كدّمة . وأما هذا فقرزعة^(٨) ، إذا لقي جائماً أشبعه ، وإذا لقي قرناً جمّعه^(٩) وقد خاب جيش لا يغزومه . وأما هذا فطفيل ، غضبه حين يغضب ويل ، ورضاه حين يرضى سئل ، ولم تحمّل مثله على ظهرها إبل ولا خيل ، وأما هذا فشمر ،

- (١) لم يرد هذا الشطر الذى بين مربعين فى الأصل ؛ وقد أبتناه عن شعر الأعشى المطبوع فى أوربا . وفى الأصل : « وأنشد » مكان قوله : « وأيدى » ؛ وهو تحريف . وهم بضمّين : جمع مضموم ، وهو الجواد التلاف .
 (٢) فى الأصل : « ونمّل » ؛ وهو تحريف .
 (٣) كذا ورد هذا الاسم فى كلا الموضعين اللذين تحت هذا الرقم فى (١) التى ورد فيها وحدها هذا الكلام ؛ ولم نجد من نصّ على تصحيحه بالعبرة .
 (٤) كذا ورد هذا الاسم فى (١) التى ورد فيها وحدها هذا الكلام هنا وفى صفحة ٥٠ سطر ٣ . ولم نجد من نصّ على تصحيحه فيما راجعناه من المظان .
 (٥) ودّره : أهلكه .
 (٦) فى الأصل : « شبة » ؛ وهو تحريف .
 (٧) فى الأصل : « وساه » ؛ وهو تحريف . والشاة الكدّمة : الغليظة السمينة .
 (٨) جمّعه : نحره .

ليس في أهله بالشحيح اتقّر، ولا المُسْرِف البَطِر، ولا يَخْدَع الحَيَّ إذا اؤْتُمِر^(١).
 وأما هذا فدَفِيف، قَارِي الضَّيْف، ومُعِمِدُ السَّيْف، ومُعِيل^(٢) الشَّتَاءِ والصَّيْفِ
 وأما هذا فنَفِيسٌ، أَسَنَتَ الحَيَّ فَرِض، فَعَدَلَ مَرَضُهُ عِنْدَهُمْ إِمْنَاتَهُمْ
 (أَي قَحْطَهُمْ)، فقاموا^(٣) عليه فأَوْسَعَهُمْ دَقِيقًا وَلَحْمًا غَرِيضًا، وَمِسْكَ
 رَمِيضًا^(٤)، وكَسَامُ ثِيَابًا بَيْضًا؛ وأما هذا فَمَالِك، حَامِيَتُنَا^(٥) إذا غَزَوْنَا،
 وَمُطِمْ وَلِدَانِنَا إذا شَتَوْنَا^(٦)، ودَافِعُ كُلِّ كَرِيهَةٍ إذا عَدَتْ عَلَيْنَا. فدَفَعَتِ
 العُسَّ إِلَى مَالِكٍ، فَكَانَ سَيِّدَهُمْ.

بَشَّرَتْ أَسْرَافَةً زَوْجَهَا بِأَنَّ أَبْنَاهَا مِنْهُ قَدْ ائْتَمَرُوا^(٧)، قَالَ: أَتُبَشِّرُنِي بَعْدُ
 الْخُبْرَ؛ أَذْهَبِي إِلَى أَهْلِكِ.

قال الشاعر:

مَنْ يَشْتَرِي مِنِّي أَبَا زَيْنٍ بَكْرَ بْنَ نَطَاحٍ بِفَلَسِينِ
 كَأَنَّمَا الْآكِلُ مِنْ خُبْرِهِ يَقْلَعُ مِنْهُ شَحْمَةَ الْعَيْنِ
 وَأَنْشَدَ غَلِيمٌ مِنْ بَنِي دُؤَيْبٍ^(٨) :
 يَا بَنَ الْكَرَامِ حَسْبًا وَنَاثِلًا حَقًّا أَقُولُ لَا أَقُولُ بَاطِلًا

(١) اؤْتُمِر : استشير .

(٢) يقال : أعال الرجل أهله ، إذا كفاهم وماهم ، كعالمهم .

(٣) قاموا عليه ، أي قاموا بخدمة وما يصلحه في مرضه .

(٤) الرميض : الحاد ، يريد هنا حدة الرائحة . والذي في الأصل : « رميضا » ؛
 ولعله محرف عما أثبتنا . أو لعله : « فضيضا » ، أي متفتتا متكسرا .

(٥) حاميَتُنَا الخ ، أي أنه يحمي بيوت الحمى من الغيبرين إذا خرج الرجال للغزو .

(٦) في الأصل : « سنونا » ؛ وهو تحريف .

(٧) اتفر التلام وائفر : نبت نفره .

(٨) في الأصل : « دينار » ؛ وهو تحريف .

إليك أشكو الدهر والزلازلا وكل عام نفع الحماثلا^(١)
 التفتيح : القشر ، أى قشروا حائل سيوفهم فباعوها لشدة زمانهم .
 وأنشد :

سَلَا أُمَّ عَبَادٍ إِذَا الرِّيحُ أَغْصَمَتْ وَجَلَّ أَطْرَافَ الرِّغَانِ قَتَامُهَا^(٢)
 وَجَفَّتْ بَقَايَا الطَّرْقِ إِلَّا نَضِيَّةً^(٣) يَصُدُّ الْأَشَافِي^(٤) وَالْمَوَاسِي سَنَامُهَا
 وَضَمَّ إِلَى اللَّيْلِ مَنْزِلَ رُقَّةٍ تَرَامَتْ بِهِمْ طَخِيَاءُ^(٥) دَاجٍ ظَلَامُهَا
 تَكَادُ الصَّبَا تَهْتَزُّهُمْ مِنْ ثِيَابِهِمْ شَدِيداً بِأَرْيَاطِ الرِّجَالِ أَعْتَصَامُهَا
 لَقَدْ عَلِمْتُ أَنِّي مُفِيدٌ وَمُتَلِفٌ وَمُطْعِمٌ أَيَّامٍ يُحِبُّ طَعَامُهَا
 وقال آخر :

إِنْ بَنَى غَاضِرَةَ الْكِرَامَا إِنْ يُقِمِ الضَّيْفُ بِهِمْ أَعْوَامَا
 يَكُنْ قِرَاءُ اللَّحْمِ وَالسَّنَامَا أَوْ يُصْبِحِ الدَّهْرُ لَهُمْ غُلَامَا
 يَكُنْ ظَرِيفًا وَجْهَهُ كَرَامَا

وقال سماعه بن أشول :

رَأْتُ إِبْلًا لِأَبْنَى عُبَيْدٍ تَمَنَعَتْ مِنْ الْحَقِّ لَمْ تُورِكَ بِحَقِّ إِيَالِهَا^(٦)

(١) فى الأصل : « الحلائلا » ؛ وهو تحريف .

(٢) فى الأصل : « قيامها » ؛ وهو تحريف . وأطراف الرغان ، يريد أطراف الجبال .

(٣) فى الأصل : « قصبة » بالفاء والصاد ، وهو تصحيف .

(٤) الأشافي : المثاقب ، واحده إشفى بكسر الهمزة وسكون الشين والفاء المفتوحة .
 وفى الأصل : « نصد السلافي » وهو تحريف . يقول : إن سنامها لم يبق فيه ما تخرجه
 الأشافي ولا الواسي : جمع موسى .

(٥) الطخياء : الظلمة الشديدة .

(٦) كذا ورد هذا الشطر فى (١) التى ورد فيها وحدها هذا الكلام ؛ ولم نجد فيه
 راجعناه من الكتب .

فَقَالَتْ أَلَا تَعْدُو لِقَاحُكَ هَكَذَا فَقُلْتُ أَبَتُ ضَيْفَانَهَا وَعِيَالَهَا
فَا حَلَبَتُ إِلَّا الثَّلَاثَةَ^(١) وَالثَنَى وَلَا قِيلَتْ إِلَّا قَرِيبًا مَقَالَهَا
وَأُنْشَدَ أَبُو الْجَرَّاحِ :

أَرَى الْخِلَانَ قَدْ صَرَمُوا وَصَالِي وَأَضْحَوْا لَا سَلَامَ وَلَا كَلَامَ
وَمَا أَذْنَبْتُ مِنْ ذَنْبٍ إِلَيْهِمْ سِوَى خَفٍ^(٢) الْمَنَاحِ وَالسَّوَامِ
وَقَالَ آخَرُ :

خِرْقٌ إِذَا وَقَعَ^(٣) الْمَطِيُّ مِنَ الْوَجَا لَمْ يَطْوِرْ دُونَ دَقِيقِهِ ذُو الْمِرْوَدِ
حَتَّى تَوُوبَ بِهِ قَلِيلًا^(٤) حَمْدَ الرَّفِيقِ نَدَاكَ أَوْ لَمْ يَحْمَدِ
وَقَالَ آخَرُ :

تَزَوَّدْتُ إِذْ أَقْبَلْتُ نَحْوَكَ^(٥) غَادِيَا إِلَيْكَ وَنَحْوِ^(٥) النَّاسِ لَا أَنْزَوْدُ
أَرَانِي إِذَا مَا جِئْتُ أَطْلُبُ نَائِلًا نَظَرْتُ إِلَى وَجْهِكَ كَأَنَّكَ أَرْمَدُ

(١) الثلاثة بضم التاء ، أى الثلاثة بفتحها ؛ يريد أنها لم تحلب إلا الثلاثة من الآنية أو الاتنين . وقبلت بضم القاف وتشديد الياء المكسورة : ذكره ثعلب هكذا ؛ ورواها بعضهم قبلت بفتح القاف من القيل بمعنى اللبن الذى يعرب وقت القائلة (اللسان) (مادة نلت) .
(٢) خف المناع ، أى خففتها ، مصدر خَفَّ ؛ يريد قلّة المناع ، جمع منبعة ، وهى الناقة المنوحة للارتفاع بوبرها وولدها ولبنها . وفى الأصل « جف » بالميم ؛ وهو تحريف .
(٣) فى الأصل : « رتع المطى من الرما » ؛ وهو تحريف فى كلتا الكلمتين . ويريد تَوَانِي المطايا وتخاذلها عن المعى من طول السفر وشدة ما أصاب حوافرها من المشى . يصف حمدوحه بالكرم فى هذه الحال ، وأنه خرق أى كرم متغرق فى المعروف وأن ذا مزوده (أى صاحب زاده القيم عليه) لم يُخَفِّفْ دقيقه ولم يخبثه ، بل يبذله للمرملين من الرفاق .
(٤) كذا ورد هذا الشطر فى الأصل ناقصا ؛ ولم تنف عليه فيما راجعناه من الكتب .
(٥) فى الأصول : « نحول » مكان « نحوك » و « حق » مكان « ونحو » ؛ وهو تحريف فى كلتا الكلمتين .

ويقال : أزواد^(١) الركب من قریش أبو أمية بن المغيرة ، والأسود^(٢) ابن المطلب بن أسد بن عبد المزی ، ومُساوِر بن أبي عمرو بن أمية عم عتبة كانوا إذا سافروا خرج معهم الناس فلم يتخذوا زاداً ، ولم يؤفدوا ناراً كانوا يكفونهم .

وقال الشاعر :

وبالتدوِ جود^(٣) لا يزال كأنه رُكَّامٌ بأطرافِ الإكامِ يَمُورُ
وقال آخر :

والناسُ إن شِيعَتْ بَطُونُهُمْ فغَيْرُهُمْ^(٤) من ذاك لا يشبعُ
وقال آخر :

دُورٌ تُحاكي الجِنانَ حُسنًا لكنَّ سُكَّانَهَا خِساسُ
متى أرى الجُنْدَ ساكِنيها وفي دَهايلِها يَدَّاسُ
وقال آخر :

لولا مخافُهُ ضَعْفِي عن ذَوِي رَحِي وحالُ مُتَّعِمٍ بِي من ذَوِي عَدَمٍ
وحاجةُ الأَخِ تَبْدُو لي فَأُنْجِحُهَا لم أَتْنِ في عَمَلٍ كَفَى على قَلِي
وقال آخر :

وأَوْرِضْ ضَيْفِي حِينَ لا يُوجَدُ القَرَى بَقِيَّةُ قِي أَحْبُوهُ وَأَرْدُدْ طَاوِيَا

(١) في الأصل : « اذارار الراكب » ؛ وهو تصحيف في كلتا الكلمتين .

(٢) في شرح القاموس « زمعة بن الأسود » .

(٣) في الأصل : « جوع » ؛ وهو تحريف ، إذ ليس من المعروف تشبيه الجوع بالسحاب المتراكم ، وإنما يشبه بذلك الجود .

(٤) في الأصل : « فغرتهم في » ، وهو تحريف .

(٥) في الأصل : « لاح » ، وهو تصحيف .

وما أَسْتَكْثَرْتَ نَفْسِي لِإِذْلٍ وَجْهِهِ نَوَالًا وَإِنْ كَانِ النَّوَالُ حَيَاتِيَا
 وقال المبرد : البَطْنُ : الذى لَا يَهْمُهُ إِلَّا بَطْنُهُ . والرَّغِيبُ : الشَّدِيدُ
 الأكل . والمَهْمُومُ : الذى تَمْتَلِي بَطْنُهُ وَلَا تَنْتَهَى نَفْسُهُ .
 وأنشد ابن الأعرابي :

وإنَّ قِرَى أَهْلِ النَّبَاجِ أَرَانِبٌ وإن جاءَ بَعْدَ الرِّيثِ فهو قَلِيلُ
 إذا صَدَّ مَنفُورٌ^(١) وَأَعْرَضَ مَمْرَضٌ فيومٌ على أَهْلِ النَّبَاجِ طَوِيلُ
 وقال آخر :

يَمِينُكَ^(٢) فِيهَا الْخِصْبُ وَالنَّاسُ جُوعٌ وقد سَمَلَتْهُمْ حَرْجَفٌ^(٣) وَدَبُورُ
 وقال آخر :

أَلَقْتُ قَوَائِمَهَا خَسًا^(٤) وَتَرَنَّتْ طَرَبًا كَمَا يَتَرَنُّ الشُّكْرَانُ
 يَعْنِي قِدْرًا . وقَوَائِمُهَا ، يَعْنِي الْأَثَانِي . وَخَسًا : فَرَدَ .
 وأنشد :

يُنْسِ غِذَاهُ الْعَرَبَ الْمَرْمُوعَ^(٥) حَوَابَةً تُنْقِضُ بِالضُّلُوعِ
 الرُّمَاعَ^(٦) : دَالًا . وَحَوَابَةً : دَلُولٌ كَبِيرَةٌ . وَالْحَوْبُ وَالْحَوْبُ : الْإِنْمُ .

(١) المنفور : الذى سقطت أسنانه لا يقدر على الأكل

(٢) فى الأصل : « عينك » ؛ وهو تحريف .

(٣) المرجف : الريح الشديدة ، وكنى بالمرجف والدبور عن الجذب ، وفى الأصل :
 « وقد شملهم جرجف ودبور » ؛ وهو تحريف .

(٤) فى الأصل : « قرائمها حسا » وهو تحريف فى كلنا الكلمتين ؛ والتصحيح عن
 كتب اللغة .

(٥) فى الأصل : « العرب المرفوع * خوانه » الخ البيت ؛ وهو تحريف كما ترى .

(٦) عبارة الأصل : الرفاع وخوانه داء كثيرة ؛ وهو تحريف فى جميع هذه الألفاظ
 وقد ذكر اللغويون أن الرماع داء فى البطن يصفر منه الوجه . وتُنْقِضُ الضُّلُوعُ ، أى تسمع
 للأضلاع نقضا ، أى صوتا من ثقل تلك الدلو .

والحَيْبَةُ : الحال . والحَوْبَاءُ : النَّفْسُ ^(١) .

العَرَبُ يَقُولُ : مَا لَا تَبْنُ ^(٢) مَعَهُ وَلَا غَيْرَهُ . خَبَزَ قَقَارَ : لَا أَدَمَ مَعَهُ .
وَسَوِيْقٌ جَافٌ هُوَ الَّذِي لَمْ يُلْتَ بِسَمْنٍ وَلَا زَيْتٍ . وَحَفْظَلٌ مُبَسَّلٌ ، وَهُوَ أَنْ
يُؤْكَلَ وَحْدَهُ .

قال الراجز :

بُسْ الطَّعَامُ الحَفْظَلُ المُبَسَّلُ يَاجِعُ مِنْهُ كَبْدِي وَأَكْسَلُ ^(٣)
وَيَنْجَعُ أَيْضًا .

وقال أبو الجراح : المُبَسَّلُ يُحْرِقُ الكَبِدَ . والمُبَكَّلُ ^(٤) : أَنْ يُؤْكَلَ
بَتَمْرٍ ^(٥) أَوْ غَيْرِهِ ، يَقَالُ بِكَّلُوهُ ^(٦) لَنَا ، أَيْ اخْلِطُوهُ . قَالَ : وَعِنْدَنَا طَعَامٌ يَقَالُ
لَهُ : الخَوْلَعُ وَهُوَ أَنْ يُؤْخَذَ الحَفْظَلُ فَيَنْقَعَ سَمَرَاتٍ حَتَّى تَخْرُجَ سَمَارَتُهُ ،
ثُمَّ يُخْلَطَ مَعَهُ تَمْرٌ وَدَقِيقٌ فَيَكُونُ طَعَامًا طَيِّبًا .

وقال : الخَلِيطَةُ وَالنَّخِيسَةُ وَالْمَطِيبَةُ : أَنْ يُحْلَبَ ابْنُ الضَّانِ عَلَى لَبَنِ
الْمَغْزَى ، وَالْمَغْزَى عَلَى لَبَنِ الضَّانِ ، أَوْ حَلَبَ الثَّوْقِ عَلَى لَبَنِ الْقَنْمِ .

قال :

• اسْقَى ^(٧) وَأَبْرَدَ غَلِيلِي •

(١) يلاحظ أن استطراد المؤلف هنا يذكر الحوب لا مناسبة له ، فإن الحوابة في البيت
لغما هي من مادة « حأب » ، والحوب الذي ذكره من مادة (حوب) .

(٢) يريد بالبن ما يعم أنواع اللفظ .

(٣) في الأصل : « وأبسل » ؛ وهو تحريف .

(٤) ورد هاتان الكلمتان اللتان تحت هذا الرقم في الأصل بالبدال مكان الباء ؛ وهو
تحريف صوابه ما أثبتنا تقلا عن كتب اللغة . يقال : بكله : إذا خلطه .

(٥) في الأصل : « ممرا وغيره » ؛ وهو تحريف .

(٦) لم ترد في الأصل بقية هذا البيت ؛ ولم نجد فيها راجعناه من الكتب .

مَلِيَ الرَّجُلُ : سَمِنَ بَعْدَ هُرَالٍ .

قِيلَ لَطْفَنِيلَ الْمَرَّاسِ : كَمْ أَتْنَيْنِ فِي أَتْنَيْنِ ؟ قَالَ : أَرْبَعَةُ أَرْغِفَةٍ .

وقيل له : حُكِيَ أَنَّ الْعَرَبَ يَقُولُ نَحْنُ الْعَرَبُ أَقْرَى النَّاسِ لِلضَّيْفِ ،
فَقَالَ : إِنَّ هَذَا النَّصْبَ عَلَى الْمَذْحِ .

وَقَالَ الْعُمَانِيُّ :

مِنْ كُلِّ جِلْفٍ ^(١) لَمْ يَكُنْ مُصَرَّمًا جَعْدٍ يُرَى مِنْهُ التَّصْنَعُ رَبَّنَا ^(٢)
لَمْ يَتَجَبَّشًا مِنْ طَعَامٍ بَشْمًا ^(٣)
وَلَمْ يَبْتَ مِنْ فَتْرَةٍ مُوصَمًا ^(٤) يَفْمِزُ صُدْغَيْهِ وَيَشْكُو الْأَعْظُمَا
إِذَا أَجَاعَ بَطْنُهُ تَعَزَّمًا ^(٥) لَمْ يَشْرَبِ الْمَاءَ وَلَمْ يَخْشَ الظَّمَا
يَكْفِيهِ مِنْ قَارِصَةٍ ^(٦) مَا يَمَمًا

(١) فِي الْأَصْلِ حَلَفَ بِالْمَاءِ الْمَهْمَلَةِ ؛ وَهُوَ تَصْغِيفٌ . وَقَوْلُهُ : لَمْ يَكُنْ مُصَرَّمًا ، لِأَنَّهُ يُفْسَرُ بِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُتَمَلِّيًا ، مَاخُذٌ مِنَ الصَّرْمِ بِكَسْرِ الصَّادِ وَهُوَ الْخَفُّ الَّذِي لَهُ نَعْلٌ . وَلِأَنَّهُ يُرَادُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ذَا مَالٍ مَاخُذٌ مِنَ الصَّرْمَةِ بِكَسْرِ الصَّادِ ، وَهِيَ الْقِطْعَةُ مِنَ الْإِبِلِ مِنَ الْأَرْبَعِينَ إِلَى الْخَمْسِينَ ؛ وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ فِي عِدَّةِهَا .

(٢) رَبَّنَا ، أَيْ يَصْنَعُ رَبَّنَا يَنَالُ بَنِيهِ . وَفِي الْأَصْلِ رَبَّنَا ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) وَرَدَّ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الَّذِي وَضَعْنَا فِيهِ هَذِهِ لِلنَّقْطِ شَطْرَ مِنْ هَذِهِ الْأَرْجُوزَةِ مَهْمَلٌ أَكْثَرُ حُرُوفِهِ مِنَ النَّقْطِ وَمَطْمُوسٌ بِضَمِّهَا ، وَلَمْ نَهْتِدْ إِلَى وَجْهِ الصَّوَابِ فِيهِ ، كَمَا أَنَّا لَمْ نَهْتِدْ عَلَى الْأَرْجُوزَةِ فِي الْمَوَاقِفِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا ؛ وَهِيَ هَذِهِ الشَّطْرُ كَمَا فِي الْأَصْلِ :

* وَلَمْ يَرْحُنَا غَرَامًا أَدَمًا *

(٤) يُقَالُ وَصَّيْتُ الْحَتَّى بِتَشْدِيدِ الصَّادِ إِذَا جَعَلْتَ فِي جَسَدِهِ فَتْرَةً . وَيُقَالُ وَصَّيْتُ التَّعَبَ إِذَا فَتَّرَ جَسَدَهُ وَأَكْسَلَهُ . وَفِي الْأَصْلِ : « فَتْرَةٌ » بِالْقَافِ ؛ وَهُوَ تَصْغِيفٌ .

(٥) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الشَّعْرُ : إِذَا أَجَاعَ قَبْطَةٌ تَغْدَمًا . وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي جَمِيعِ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ . وَسِيَاقُ الشَّعْرِ يَقْتَضِي مَا أَثْبَتْنَا .

(٦) الْقَارِصَةُ : الطَّائِفَةُ مِنَ اللَّبَنِ الْحَامِضِ الَّذِي يَحْدَى اللِّسَانُ بِحَرَاثَتِهِ .

وَحَلَّةٌ^(١) مِنْهُ إِذَا مَا أُعِيَمَا
لَا يَفْقِرُ الشَّارِفَ إِلَّا مُحَرِّمًا^(٢)
يَوْمًا وَلَمْ يَفْقَرْ لِبَطِّيخٍ فَمَا
أَسْوَدَ كَالْحَرَاثِ^(٣) يَدْعَى شَجْعَمًا^(٤)
لَمْ يَيْلِ^(٥) يَوْمًا سَوْرَةً مِنَ الْعَمَى
وَلَمْ يَزُزْ حَطِيمَهُ وَزَمَزَمَا
لَوْلَمْ يُرَبِّ^(٦) مُسْلِمًا مَا أَسْلَمَا
عَاتٍ يَرَى ضَرْبَ الرَّجَالِ مَفْنَمًا
وَهَزَّ فِي الْكَفِّ وَأَبْدَى الْمِعْصَا
يَتْرُكُ^(٧) مَا رَامَ رُقَاتًا رِمَا
لَمْ يُعْطِهِ شَيْئًا وَإِنْ تَرَعَا
هَانَ عَلَيْهِ شَقٌّ مَا قَدْ رَقَمَا
أَصَابَ مِنْهُ مَشْرَبًا وَمَطْعَمًا
وَلَا يَمَافُ^(٨) بَصَلًا وَسَلْجَمًا
فَهُوَ صَاحِبٌ لَا يَخَافُ سَقَمًا
صَمَخَمٌ^(٩) مِنْ طُولِ مَا تَأْتَمَّا
وَلَمْ يَحُجَّ السَّجْدَ الْمَكْرَمًا
وَلَا تَرَاهُ يَطْلُبُ النَّفْسَهُمَا
مَا عَبَدَ أَثْنَانِ جَمِيعًا صَنَمًا
إِذَا رَأَى مُصَدَّقًا تَجَهَّمَا
هَرَاوَتَيْنِ^(١٠) نَبَقَةً وَسَلَمًا
وَأِنْ رَأَى امْرَأَةً^(١١) تَزَعَمَا
وَأِنْ قَرَأَ عَهْدًا لَهُ مُنْمَنَمَا
وَأَنْ يَدُقَ طِيْنَهُ الْمُخْتَمَا

- (١) وحلة منه ، أى من اللبن ، واحدة الخل ، معروف ، أى الطائفة منه . والخل قد يكون من اللبن كما فى كتب اللغة .
- (٢) فى الأصل : لا يعرف الشادف المحترما ؛ وفيه تحريف كما ترى ، وسياق الشعر يقتضى ما أثبتنا . والشارف : السنّة من الإبل ، أى لا يعقر الناقة إلا فى الحج حين يجب عليه عقرها .
- (٣) فى الأصل : « ولا يأنف » ؛ وهو تحريف .
- (٤) المحراث : حديدة تحرك بها النار .
- (٥) الشجعم من الحيات : الشديداً الفليظ . وفى الأصل : سجعما بالسين المهملة ؛ وهو تصحيف .
- (٦) الصمخم : الشديد المجتمع الألواح .
- (٧) فى الأصل : « يبك » بالكاف ؛ وهو تحريف .
- (٨) فى الأصل : « يرث » بالثاء الثالثة ، وهو تصحيف .
- (٩) فى الأصل : « إهاؤه ببقة » وهو تصحيف فى كلتا الكلمتين .
- (١٠) فى الأصل : « ينزل » ؛ وهو تحريف .
- (١١) الإمرة : الضعيف الرأى الذى يوافق كلاً على ما يريد ولا رأى له

صَنَصَامُهُ ماضٍ إِذَا مَا صَمَمَا إِذَا أُعْتَرِثَهُ عِزَّةٌ ^(١) نَمِ أُنْتَمَى
فِي ثَرَوَةٍ الْحَيُّ إِذَا مَا يَمَمَا ظَلَّ يَرَى حُكْمًا عَلَيْهِ مُبَرَّمَا ^(٢)
أَنْ يَظْلِمَ النَّاسَ وَأَلَّا يُظْلَمَا

وقال آخر :

مَا كَانَ يُنْكَرُ فِي نَدَى مُجَاشِعٍ أَكَلُ الْخَزِيرِ وَلَا ارْتِضَاعُ الْفَيْشَلِ ^(٣)

وقال آخر :

بِلَادٌ كَأَنَّ الْجُوعَ يَطْلُبُ أَهْلَهَا
بَذَخِلَ ^(٤) إِذَا مَا الضَّيْفُ صَرَّتْ جَفَادُهُ ^(٥)

وقال آخر :

كَرِيْهِ لَا يُطْعِمُ الْكَرِيْيًا ^(٦) بِاللَّيْلِ إِلَّا جِرْجَرًا مَقْلِيًا
مُخْتَرَقًا نِصْفًا وَنِصْفًا نَيْيًا

وقال الأصمعي : قال الهيثم بن جرّاد — وَذَمَّ قَوْمًا — : وَاللَّهِ مَا أَنْتُمْ آلُ

(١) في الأصل : « غرة » ؛ وهو تحريف .

(٢) في الأصل : « منها » ؛ وهو تحريف .

(٣) في (١) الوارد فيها وحدها هذا الشمر « عزي » مكان « ندى » ، وحرير مكان خزير ؛ وهو تحريف كما نرى ، والتصحيح عن النقائص ؛ والبيت لجرير . والخزير : لحم يقطع صفرا ويلقى في الماء فإذا أميت طبخا ذر عليه الدقيق .

(٤) في الأصل : « بذخل » ؛ وهو تصعيف .

(٥) صرير الجندب مثل بضرب للأمر يشتد حتى يقلق صاحبه . والأصل فيه أن الجندب إذا رمض في شدة الحر لم يقر في الأرض ، وطار فتسمع لرجليه صريرا . والجندب طائر أصفر من الصدى يكون في البراري .

(٦) إذا أكربت لإنسانا بغيرك أو أكرأك بغيره فكل منكما كرى صاحبه ، قاله في اللسان وأنشد هذا الرجز . والجرجر : القول بلسان أهل العراق ؛ أو هو نبت . والذي في الأصل « كدنة » مكان قوله « كرى » وهو تحريف صوابه ما أثبتنا بعد نقله هذه الكلمة على عدة وجوه .

فَلَاةٍ فَتَمَصِّمُكُمْ ، وَلَا أَنْتُمْ آلُ رَيْفٍ فَيَأْكُلُونَ . فَقِيلَ : لَوْ زِدْتَ ؟ فَقَالَ : مَا بَعْدَ هَذَا شَيْءٌ .

قال : وما أشبه هذا الجواب بِقَوْلِ عَقِيلِ بْنِ عُلْفَةَ^(١) حِينَ قِيلَ لَهُ : لِمَ لَا تَطِيلُ الْمَجَاءَ ؟ قَالَ : يَكْفِيكَ مِنَ الْقِلَادَةِ مَا أَحَاطَ بِالْعُنُقِ .
وقيل لابن^(٢) عُمر : لَوْ دَعَوْتَ اللَّهَ بِدَعَوَاتٍ ؟ فَقَالَ : اللَّهُمَّ عَافِنَا وَارْحَمْنَا وَارْزُقْنَا . فَقِيلَ لَهُ : لَوْ زِدْتَنَا ؟ فَقَالَ : نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْإِسْهَابِ .

قال شاعر :

إِذَا أُغْلِقَ الْبَابَ الْكَرِيمُ مِنَ الْقِرَى فليس على باب الْفَرَزْدَقِ حَاجِبُ
فَتَى يَشْتَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ إِذَا أُغْبِرَ مِنْ بَرْدِ الشَّمَاءِ الْكَوَاكِبُ
قال : وكلَّ لَحْمٍ وَخُبْزٍ أَنْضِجَ دَفِينًا فَهُوَ مَلِيلٌ ، وما كان في تَنْوُرٍ فَهُوَ
شِوَاءٌ ؛ وما كان في قَدَرٍ فَهُوَ حَمِيلٌ^(٣) .

قال الأحنفُ لمُعمِرِ بْنِ الْخَطَّابِ : إِنْ إِيْخْوَانُنَا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَالشَّامِ
زَلُّوا فِي مُقَلَّةٍ^(٤) الْجَلِّ وَحَوْلَاءِ النَّاقَةِ مِنْ أَنْهَارٍ مَتَفَجِّرَةٍ ، وَثَمَارٍ مَتَدَلِّيةٍ ، وَزَلُّنَا

(١) كَذَا فِي (ب) وَالَّذِي فِي (١) : « ابْنُ عُلْفَةَ » .

(٢) فِي (ب) « لِأَبِي عَمْرٍو » .

(٣) كَذَا فِي الْأَصْلِ ؛ وَلَمْ نَجِدْ هَذَا اللفظَ بِهَذَا المعنى فِيما راجعناه مِنْ كُتُبِ اللغة ؛ وَالَّذِي وَجَدْنَاهُ بِالْمَعْنَى الْمَذْكُورِ « قَدِيرٌ » أَيْ مَطْبُوحٌ فِي الْقَدَرِ ؛ وَلَمَّا قَوْلُهُ حَمِيلٌ بِالْهَاءِ الْمَهْمَلَةِ مَصْحُفٌ عَنْ عَجَلٍ بِالْجِيمِ ؛ وَهُوَ الشَّحْمُ الْمَذَابُ ، فَيَكُونُ هُنَا كَلَامٌ سَقَطَ مِنَ النَّاسِخِ قَبْلَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ الْمَصْحُفَةِ الَّتِي نَحْنُ بِصَدِّدِهَا .

(٤) مُقَلَّةٌ الْجَلِّ وَحَوْلَاءُ النَّاقَةِ يَتِمَثَّلُ بِهِمَا فِي الْحَصْبِ وَالنِّعْمَةِ ، يُقَالُ : هُمُ فِي مِثْلِ حَدَقَةِ الْبَعِيرِ ، وَذَلِكَ أَنَّ حَدَقَةَ الْبَعِيرِ أَخْصَبُ مَا فِيهِ ، لِأَنَّ بِهَا يَعْرِفُونَ مَقْدَارَ سَمْنِهِ ، وَفِيهَا يَبْقَى آخِرُ النَّقِيِّ ، وَهُوَ مَخِ الْعَظْمِ . وَيُقَالُ صَارُوا فِي حَوْلَاءِ النَّاقَةِ إِذَا صَارُوا فِي خَصْبٍ ؛ وَإِذَا وَصِفَتِ الْأَرْضُ قَبْلَ كُنْهَائِهَا حَوْلَاءُ النَّاقَةِ ، لِأَنَّ مَاءَ الْحَوْلَاءِ أَشَدُّ مَاءَ خَضْرَاءِ . وَالْحَوْلَاءُ : الْمَاءُ الْقَدِي يُجْرَجُ عَلَى رَأْسِ الْوَلَدِ إِذَا وَفَدَ ، وَلَيْسَ فِي الْكَلَامِ فِعْلَاءُ بِالْكَسْرِ مَمْدُودًا إِلَّا حَوْلَاءُ =

بَسِخَةِ نَشَاشَةٍ^(١) يَأْتِنَا مَاؤُنَا فِي مِثْلِ حَلَقُومٍ^(٢) النَّعَامَةُ أَوْ مَرَىءِ الْحَمَلِ ، فَيَا
أَنْ تَشَقُّ لَنَا نَهْرًا ، وَإِنَّمَا أَنْ تَرْفَعْنَا إِلَيْكَ .

قال جابر : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُ الْأَغْنِيَاءَ بِاتِّخَاذِ النَّعَمِ ،
وَالْفُقَرَاءَ بِاتِّخَاذِ الدَّجَاجِ .

وَالْعَرَبُ تَقُولُ : أَكْرِمُوا الْإِبِلَ إِلَّا فِي بَيْتِ بُيْنَى ، أَوْ دَمٍ يُفْدَى ،
أَوْ عَزَبٍ يَتَزَوَّجُ ، أَوْ حَلٍّ حَمَالَةٍ .

وَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِأَعْرَابِيٍّ : مَا تَجَارَتُكَ ؟ قَالَ : أَيْبَعُ الْإِبِلِ ، قَالَ : أَمَا عَلِمْتَ
أَنْ أَفَوَاهُمَا حَرْبٌ^(٣) ، وَجُلُودَهَا جَرْبٌ ، وَبَعْرُهَا حَطَبٌ ، وَتَأْكُلُ الذَّهَبَ .

وَقَالَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ : الْإِبِلُ لِلْبُعْدِ ، وَالْبَعَالُ لِلثَّقَلِ ، وَالْبَرَاذِينُ لِلْجَمَالِ
وَالدَّعَّةُ ، وَالْحَمِيرُ لِلْحَوَاجِّ ، وَالْخَيْلُ لِلْكَرِّ وَالْفَرِّ .

وَقَالَ آخَرُ :

يَقْذِفَنَّ فِي الْأَعْنَاقِ وَالْفَلَاصِمِ^(٤) قَذْفَ الْجَلَامِيدِ بِكَفِّ الرَّاجِمِ-
يُرِيدُ بِالْأَعْنَاقِ الْحُلُوقَ .

== وَعِبَاءٌ وَسِرَاءٌ . وَقِيلَ : الْحَوْلَاءُ : غُلَافٌ أَخْضَرُ كَأَنَّهُ دَلْوٌ عَظِيمَةٌ مَمْلُوءَةٌ مَاءً وَتَتَفَقَّأُ حِينَ تَقَعُ
عَلَى الْأَرْضِ وَهُوَ قَائِدُ السَّلَى ، أَيْ يَخْرُجُ قَبْلَهُ ؛ وَيُقَالُ أَيْضًا هُمْ فِي مِثْلِ حَوْلَاءِ السَّلَى . انْظُرْ
مَا يَعُولُ عَلَيْهِ لِلْحَبِي وَلسَانُ الْعَرَبِ .

(١) نَشَاشَةٌ ، أَيْ نَزَازَةٌ بِالْمَاءِ لَا يَجِيفُ ثَرَاهَا ، وَلَا يَنْبِتُ مَرْعَاهَا .

(٢) حَلَقُومُ النَّعَامَةِ وَمَرَىءُ الْحَمَلِ : مِثْلَانِ فِي قِلَّةٍ مَا يَأْتِيهِمْ مِنَ الْمَاءِ وَضِيقٍ مَسَايِلِهِ لِيَلْبِغَ .

(٣) حَرْبٌ ، أَيْ ذَاتُ حَرْبٍ ، وَهُوَ وَالْكَلْبُ وَاحِدٌ وَزَنَا وَمَعْنَى ؛ وَجُلُودُهَا جَرْبٌ

أَيْ ذَاتُ جَرْبٍ .

(٤) الْفَلَاصِمُ : جَمْعُ غَلَصِمَةٍ ، وَهِيَ رَأْسُ الْحَقْلُومِ . يُرِيدُ أَنَّ هَذِهِ الْإِبِلَ تَقْذِفُ الطَّعَامَ

فِي حُلُوقِهَا وَأَعْنَاقِهَا قَذْفَ الْحَبَارَةِ . يَصِفُهَا بِقُوَّةِ الْقَذْفِ قَذْفَ الطَّعَامِ . وَالتَّى فِي الْأَصْلِ :

« يَقْدِمَنَّ » مَكَانَ « يَقْذِفَنَّ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

وقال آخر :

نَفَارُ إِذَا مَا الرَّوْعُ أَبْدَى عَنِ الْبُرَى وَنَقَرَى عَمِيطَ اللَّحْمِ وَالْمَاءِ جَامِسٌ^(١)

وقال آخر :

تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا نَاقَ^(٢) مُصْرَمَةٌ تَرعى الْفَلَاةَ وَلَا قَعْبٌ مِنَ اللَّبَنِ

وقال أبو الصلت :

تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا قَعْبَانِ^(٣) مِنْ لَبَنِ شَيْبًا بِمَاءٍ فَعَادَا بِمَدُّ أَبْوَالَا

وَوَصَفَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ التَّجَارِ فَقَالَ : لَا يَوْجِدُ الْأَدَبُ إِلَّا عِنْدَ الْخَاصَّةِ وَالسُّلْطَانِ وَمُدَبِّرِيهِ ، وَأَمَّا أَصْحَابُ الْأَسْوَاقِ فَإِنَّا لَا نَعْدَمُ مِنْ أَحَدِهِمْ خُلُقًا دَقِيقًا وَدِينًا رَاقِيًا ، وَحِرْصًا مُسْرِفًا ، وَأَدَبًا مُخْتَلِفًا ، وَدَنَاءَةً مَقْلُومَةً ، وَمُرُوءَةً مَعْدُومَةً وَإِلْغَاءَ الْأَنْفِيفِ^(٤) ، وَجُجَادَبَةً عَلَى الطَّفِيفِ ، يَنْبُلُغُ أَحَدُهُمْ غَايَ الْفُدْحِ وَالذَّمِّ فِي عِلْقٍ^(٥) وَاحِدٍ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ مَعَ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، إِذَا اشْتَرَاهُ مِنْهُ أَوْ بَاعَهُ إِيَّاهُ ، إِنْ بَايَعَكَ مُرَاجَعَةً^(٦) وَخَبَرَ بِالْأَثْمَانِ ، قَوَّيَ الْأَيْمَانَ عَلَى الْبُهْتَانِ ، وَإِنْ قَلَّدَتْهُ

(١) البيت لدى الرمة ، والبرى : الخلاخيل ، والماء الجامس : الجامد . يقول لهم يفارون على النساء إذا اشتد الفزع ، وكشف الرعب عن سيقانهم فأبدى من خلاخيلهن ، فهم إذ ذاك يحمونهن ويكفينهن ما يفزعهن ؛ ثم يقول في الشطر الثاني لأنهم كرام ، إذا اشتد البرد وجد الماء يفرون أضيافهم عبيط اللحم ؛ وفي رواية سديف ؛ وقد ورد هذا البيت في الأصل هكذا : يفار إذا ما الزرع أبدى عن الترى ويقرى الخ

وفيه تصحيف في بعض كلماته كما ترى ؛ والتصويب عن ديوان ذى الرمة وغيره .

(٢) الناق : جمع ناقة . وفي (١) التي ورد فيها وحدها هذا البيت : « لا ناب ، بالباء ؛ وهو تحريف ، إذ الناب الواحدة — وهي المسنة من الإبل — لا تكون مصرمة ، أى بالغة صرمة ؛ وهي عدة من الإبل تبلغ الأربعين .

(٣) القعب : القدح الضخم . (٤) اللقيف : الصديق .

(٥) العلق : النفيس من اللعاق .

(٦) يريد بالمراجة هنا أن يقول المشتري للبائع : أربحك في هذه السلعة كذا فوق

ما اشتريتها به من الثمن أو أن يقول البائع للمشتري ذلك . .

الْوَزْنَ أَغْنَتْ لِسَانَ الْمِيزَانِ ، لِیَأْخُذَ بِرُجْحَانٍ أَوْ يُعْطَى بِنُقْصَانٍ ؛ وَإِنْ كَانَ لَكَ قَبْلَهُ حَقٌّ لَوَاهُ مُحْتَجًّا فِي ذَلِكَ بِسُنَّةِ الشُّوْقِيِّينَ ، يَرْضَى لَكَ مَا لَا يَرْضَى لِنَفْسِهِ ، وَيَأْخُذُ مِنْكَ بِنَقْدٍ وَيُعْطِيكَ بِقِيَرِهِ ، وَلَا يَرَى أَنْ عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ فِي الْمُبَايَعَةِ مِثْلَ مَا لَهُ ؛ إِنْ اسْتَنْصَحْتَهُ غَشَّكَ ، وَإِنْ سَأَلْتَهُ كَذَبَكَ ، وَإِنْ صَدَّقْتَهُ حَرَبَكَ مُتَمَرِّدُهُمْ صَاعِقَةٌ عَلَى الْمَاعُمِلِينَ ، وَصَاحِبُ سِتْمَتِهِمْ نِقْمَةٌ عَلَى الْمُسْتَرْسِلِينَ ^(١) ؛ قَدْ تَعَاطَوْا الْمُنْكَرَ حَتَّى عُرِفَ ، وَتَنَا كَرُوا الْمَعْرُوفَ حَتَّى نُسِيَ ، يَتَمَسَّكُونَ مِنَ الْمَلَّةِ بِمَا أَضْلَحَ الْبِضَائِعَ ، وَيَنْهَوْنَ عَنْهَا كُلَّمَا عَادَتْ بِالْوَضَائِعِ ^(٢) ؛ يُسْرِئُ أَحَدُهُمْ بِحِيلَةٍ يُرْزَقُهَا ^(٣) لِسَلَمَةٍ يَنْفَقُهَا ، وَغِيْلَةٍ لِمُسْلِمٍ يَخْصِيهِ الْإِسْلَامَ ، فَإِذَا أَحْكَمَ حِيلَتَهُ وَغِيْلَتَهُ غَدًا قَادِرًا عَلَى حَرْدِهِ ، فَفَرَّ وَضُرَّ ، وَأَبَّ إِلَى مَنْزِلِهِ [بِحِطَامٍ قَدْ جَمَعَهُ مَغْتَبِطًا بِمَا أَبَاحَ مِنْ دِينِهِ] وَاتَّهَكَ مِنْ حُرْمَةِ أَخِيهِ ، يَعْدُو الَّذِي كَانَ مِنْهُ حَذَقًا بِالتَّكْسَبِ ، وَرِفْقًا بِالْمَطْلَبِ ، وَعِلْمًا بِالتَّجَارَةِ ، وَتَقَدُّمًا فِي الصَّنَاعَةِ .

(٣) فَلَمَّا بَلَغْتُ قِرَاءَتِي هَذَا الْمَوْضِعَ قَالَ الْوَزِيرُ : إِنْ كَانَ هَذَا الْوَاصِفُ عَنِّي الْعَامَّةَ بِهَذَا الْقَوْلِ فَقَدْ دَخَلَ فِي وَصْفِهِ الْخَاصَّةَ أَيْضًا ، فَوَاللَّهِ مَا أَسْمَعُ وَلَا أَرَى هَذِهِ الْأَخْلَاقَ إِلَّا شَائِعَةً فِي أَصْنَافِ النَّاسِ مِنَ الْجُنْدِ وَالْكَتَّابِ وَالتُّنَاءِ ^(٤) وَالصَّالِحِينَ وَأَهْلَ الْعِلْمِ ؛ لَقَدْ حَالَ الزَّمَانُ إِلَى أَمْرٍ لَا يَأْتِي عَلَيْهِ النَّعْتُ ، وَلَا تَسْتَوْعِبُهُ الْأَخْبَارُ ، وَمَا عَجَبِي إِلَّا مِنْ الزَّيَادَةِ عَلَى مَرَّةِ السَّاعَاتِ ، وَلَوْ وَقَفَ لَعَلَّهُ كَانَ يُرْجَى بَعْضُ مَا قَدْ وَقَعَ الْيَأْسُ مِنْهُ ؛ وَأَعْتَرَضَ الْقُنُوطُ دُونَهُ .

(١) السمت : هيئة أهل الخير وطريقتهم . والمسترسلون : من استرسل إليه إذا انبسط إليه واستأنس ثقة به واتسكالا على ما بينهما من ودٍّ وصلة . وفي الأصل : المترسلين ، وهو تحريف . (٢) الوضائع : الحسائر .

(٣) في (١) « يزورها » بتشديد الواو ؛ وهو وإن صح به المعنى إلا أنه لا يستقيم به السجع . (٤) التناء : الدهاقين ورؤساء القرى ، الواحد تاني .

فقال ابن زُرعة وكان حاضراً : هذا لأن الزمان من قبل كان ذا لبوس من الدين رائع ، وذا يد من السياسة بسيطة ، فأخاق اللبوس [وأي ، بل تمزق] وفنى ، وضعفت اليد بل شلت وقطعت ، ولا سبيل إلى سياسة دنيئة لأسباب لا تنفق إلا بطل فلكنية ، وأمور سماوية ، فحينئذ يكون انقياد الأمور الجانحة^(١) لها ، في مقابلة حيران الأمور الجانحة^(٢) عنها ، وذلك مُنتظر في وقته ، وتمنى ذلك قبل إبانهِ وسواس النفس ، وخور الطباع ، والناس أهداف لأغراض الزمان ومُقبلون بمحوادث الدهور^(٣) ، ولا فكاك لهم من الكاره ، ولا اعتقال لهم بالحجب [إلا] بالدواعي والصوارف التي لا سبيل لهم إلى تحويل هذه إلى هذه ، ولا إلى تبديل هذه بهذه ، واختيارهم للتوجه إلى محبوبهم أو الإعراض عن مكروهم ضعیفٌ طفيف ، ولولا ذلك لكانت الحمرات تزول في وقت ما يُراد^(٤) ، والغبطة تملك^(٥) بإدراك ما يتمنى ، وهذا شأؤٌ محكومٌ به بقوة النفس ، غيرُ مُستيقظٍ إليه^(٥) بقوة الحسن .

فقال الوزير : أحسنت يا أبا علي في هذا الوصف ، « وإن نفثك^(٦) ليدلّ على أكثر من ذلك » ، ولو كان البال ظافراً بنعمة ، والصدر فارغاً من كربة ، لكننا نبُلغ من هذا الحديث مبلغاً نُشفي به غليلنا [قائلين] ونُشفي به مُستمعين ،

(١) ورد هذان اللفظان في كلتا النسختين كل منهما مكان الآخر ، والسياق يقتضى ما أثبتنا كما ترى .

(٢) في (ب) « الأمور » .

(٣) كذا في (ب) والذي في (١) « في فوت الإبراد » ؛ وهو تحريف .

(٤) في (ب) « تدرك » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضاً .

(٥) في كلتا النسختين : « عليه » وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٦) كذا ورد هذا الكلام الذى بين هاتين العلامتين في (ب) والذي في (١) « وأن تقبله كيدك على أعز من ذلك » ؛ وفي هذا الكلام تحريف كما ترى لا يفهم له معنى .

ولكني قاعدٌ معكم وكأني غائب ، بل أنا غائبٌ مِنْ غيرِ كافِ التشبيه ، والله ما أملكُ تصرُّفي ولا فِكْري في أمْري ، أرى واحداً في فِتْلِ حَبْلِ (١) ، وآخر في حَفْرِ بئر ، وآخر في نَضْبِ فَنَحْ ، وآخر في دَسِّ حِيَلَةٍ ، وآخر في تَقْبِيحِ حَسَنِ ، وآخر في شَحْذِ حَدِيدٍ ، وآخر في تَمْزِيقِ عِرْضٍ ، وآخر في اخْتِلاقِ كَذِبٍ ، وآخر في صَدْعِ مُلْتَبِثٍ ، وآخر في حَلِّ عَقْدٍ ، وآخر في نَفْثِ سِحْرِ ، ونارى مع صاحبي رَمَادٍ ، ورِيحُه على عاصِفَةٍ ، ونَسِيمِي بَيْنِي وَبَيْنَهُ سَمُومٌ ، ونَصِيبِي مِنْهُمُومٌ [وَعُومٌ] ، وإني أحدثكم بشيء تَعْلَمُونَ [به] صِدْقِي في شَكْوَايَ ، وتَقِفُونَ منه على تَفْسُخِي (٢) تَحْتَ بِلَوَايَ ، ولولا أني أُلْقِي بالحديث لَهَبًا قد تَضَرَّمْ صَدْرِي بِهِ نَارًا ، وأَحْتَشَى فُؤَادِي مِنْهُ أَوَارًا ؛ لما تَعَدَّدْتُ بِهِ ، ولو اسْتَطَلْتُ طَيْهَ لَمَّا نَبَسْتُ بِمَجْرَفٍ مِنْهُ ، ولكن كِتْمَانِي للحديث أَنْقَبَ لِحِجَابِ الْقَلْبِ مِنْ أَلْعَلَّةِ لِسُورِ الْقَضْرِ .

دَخَلْتُ مِنْذُ أَيَّامِ فَوْصَلَتِ (٣) إِلَى الْمَجْلِسِ ، فَقَالَ لِي قَدْ أَعَدْتُ الْخِلْمَةَ فَالْبَسْهَا عَلَى الطَّائِرِ الْأَسْعَدِ ، فَقُلْتُ أَفْعَلْ ، وَفِي تَذَكُّرَتِي (٤) أَشْيَاءٌ لَا بَدَّ مِنْ ذِكْرِهَا وَعَرَضُهَا .

فَقَالَ : هَاتِ ، فَقُلْتُ : يُتَقَدَّمُ (٥) بِكَذَاوَكْذَا ، وَيُفْعَلُ كَذَاوَكَذَا . فَقَالَ : عِنْدِي جَمِيعُ ذَلِكَ ، أَمَضِ هَذَا كَلَّةً ، وَأَصْنَعْ فِيهِ مَا تَرَى ، وَمَا فَوْقَ يَدِكَ يَدٌ ، وَلَا عَلَيْكَ لِأَحَدٍ أَمْتَاذٌ ؛ فَانْقَلِبْتُ عَنِ الْمَجْلِسِ إِلَى زَاوِيَةِ فِي الْحُجْرَةِ ، وَفِيهَا تَحَدَّثَتْ دُمُوعِي ، وَعَلَا شَهيقٌ ، وَتَوَالَى نَشيجِي ، حَتَّى كَذَبْتُ أَنْفَسِي .

(١) وردت هذه العبارة في كلتا النسختين مهمل بعض حروفها من النقط تتمذر قراءتها .

(٢) في كلتا النسختين « تفسخي » ؛ وهو تحريف .

(٣) في (ب) « فدخلت » . (٤) في (أ) « وفي مكري » .

(٥) يتقدم بكذا ، أي يؤمر به .

فَدَنَا مَنَى بَعْضُ خَدَمِي مِنْ ثِقَاتِي ، قَالَ : مَا هَذَا ؟ النَّاسُ وَقُوفٌ يَنْتَظِرُونَ
بُرُوزَكَ بِالْخِلْعَةِ الْمُبَارَكَةِ وَالتَّشْرِيفِ الْمَيُّومِ ، وَأَنْتَ فِي نُوحٍ وَنَدَمٍ ؟ قُلْتُ :
تَنْحَ عَنِّي سَاعَةً حَتَّى أَطْفِئَ نَارَ صَدْرِي ، وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ الْعَارِضُ لِأَنِّي كُنْتُ
عَرَضْتُ عَلَى صَاحِبِي تَذْكَرَةً مُشْتَمَلَةً عَلَى أَشْيَاءَ مُخْتَلِفَةٍ ، فَأَمَضَاهَا كُلَّهَا ، وَلَمْ
يُنَظِرْنِي فِي شَيْءٍ مِنْهَا ، وَلَا زَادَنِي شَيْئًا فِيهَا ، وَلَا نَظَرَنِي عَلَيْهَا ، وَلَعَلِّي قَدْ بَلَوْتُهُ
بِهَا ، وَأَخْفَيْتُ مَغْزَايَ فِي ضَمْنِهَا ، فَخَيَّلَ إِلَيَّ بِهَذِهِ الْحَالِ أَنَّ غَيْرِي يَقِفُ
مَوْقِفِي ، فَيَقُولُ فِيَّ قَوْلًا مُزْخَرَفًا ، وَيَنْسِبُ إِلَيَّ أَسْرًا مُؤَلَّفًا ، فَيُمِضِي ذَلِكَ
أَيْضًا لَهُ كَمَا أَمَضَاهُ لِي ، فَوَجَدْتُنِي ^(١) بِهَذَا الْفِكْرِ الَّذِي قَدْ فَتَقَلَّ لِي ^(٢) هَذَا
النُّوعُ مِنَ الْأَمْرِ كِرَاقِمٍ عَلَى صَفْحَةِ مَاءٍ ، أَوْ كَقَابِضٍ فِي جَوْهِ عَلَى قِطْعَةٍ مِنْ هَوَاءٍ ؛
أَوْ كَنِّ يَنْفَخُ فِي غَيْرِ فَحْمٍ ، أَوْ يَلْبَسُ فِي قَيْدٍ ^(٣) ، وَلَقَدْ صَدَّقَ الْأَوَّلُ حَيْثُ قَالَ :
وَإِنْ أَسْرًا دُنْيَاهُ أَكْبَرُ هَمِّهِ لَمَسْتَمْسِكْتُ مِنْهَا بِجَبَلٍ غُرُورٍ
غَيْرَ أَنِّي أَذْكَرُ لَكُمْ مَا عَنَّا لِي ^(٤) مِنْ هَذَا الْأَمْرِ .

اعْلَمُوا أَنِّي ظَنَنْتُ أَنَّ مَا نَظَّمَهُ ^(٥) الْمَاضِي — رَحِمَهُ اللَّهُ — وَأَصْلَحَهُ ، وَبَنَاهُ
وَقَوَّمَهُ ، وَنَسَجَهُ وَنَوَقَهُ ^(٦) لَا يَسْتَحِيلُ فِي ثَلَاثِينَ سَنَةً وَلَا خَمْسِينَ سَنَةً ؛ وَأَنَّ

(١) فِي (ب) « فَوَجَدْتُهُ » ؛ وَسِيَاقُ الْكَلَامِ يَقْتَضِي مَا أَثْبَتْنَا كَمَا فِي (١) .

(٢) فِي (١) « فِي » .

(٣) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « فِي مَد » ؛ وَظَاهِرُ أَنَّ مَتَاهُ لَا يَنَاسِبُ مَا هُنَا ؛ وَلَعَلَّهُ عَرَفَ
عَمَّا أَثْبَتْنَا .

(٤) فِي (ب) : « مَا عَرَفَنِي » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٥) فِي (١) : « مَا يَظْهَرُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٦) فِي (١) : وَقُوفُهُ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَيَلَاظُحُ أَنَّ (١) وَحْدَهَا هِيَ الَّتِي وَرَدَتْ

فِيهَا هَذِهِ الْكَلِمَةُ وَالَّتِي قَبْلَهَا .

الحال تدوم على ذلك المنهاج ، وتستمر على ذلك السَّيَّاح ، ونكون قد أخذنا بطريق من السَّعادة ، وبلغنا لأنفسنا بعض ما كنَّا نسلط عليه التَّعَنِّي من الإرادة فنَجْمَعُ بين علو المرتبة ، وشرف الرِّئاسة ، ونيل اللذة ، وإدراك السرور ، وأصطناع العُرف ، وكسب الثَّناء ، ونشر الذِّكر ، وبعْد الصَّيت ، فعاد ذلك كله بالضد ، وحال إلى الخلاف ، ووقف على الفكر المُضني ، والخوف المُقلق ، واليأس الحَيّ ، والرجاء الميت ؛ وما أحسن ما قال القائل :

أظلمتني^(١) الدنيا فلما جئتها مُستسقيًا مطرت على مصائبها

فقال له ابن زُرعة : إن الأمور كلها بيد الله ، ولا يُستنجزُ الخيرُ إلَّا منه ، ولا يُستدفعُ الشرُّ إلَّا به ، فسله جميل الصنم [وحسن التية] وأنو الخير ، وبث الإحسان ، وكل أعداءك إلى ربك الذي إذا عرِفَ صدقك وتوكلَّك عليه قلَّ حدُّهم ، وعفَّ خدِّهم ، وسيح الفرات إلى جمرتهم حتى يُطفئها ، وسلط الأرضة على أبدانهم حتى تقرضها ، وشغلهم بأنفسهم ، وخالف بين كلمتهم ، وصدَّع شمل جميعهم ، وردَّهم إليك صاغرين ضارعين ، وعرضهم عليك خاضعين ، وما ذلك على الله بعزيز ، وإن الله مع المحسنين على المسئين .

قال : والله لقد وجدتُ رَوْحاً^(٢) كثيراً بما قلتُ لكم وما سمِعتُ منكم ، وأرجو أن الله يُعينُ المظلوم ، ويُهينُ الظالم . قد تَمَطَّى اللَّيْل ، ونفَورَتِ النُّجُوم ، وحنَّ البدنُ إلى التَّرفُّه ؛ فإذا شِئتم^(٣) . فأُصرفنا مُتَعَجِّبين .

(١) في (١) : « أظمتني » . وفي (ب) : أظمتني ؛ وهو تحريف في كلتا النسختين .
والبيت للمتنبي .

(٢) الروح يفتح الراء والراحة كلاماً بمعنى واحد .

(٣) هذه الجملة أريد بها الإيذان بالانصراف .

الليلة الثالثة والثلاثون

هُدُنَا إِلَى مَا كُنَّا فِيهِ مِنْ حَدِيثِ الْمَالِحَةِ — وَكَانَ قَدِ اسْتَزَادَنِي — فَكُتِبَتْ (١) لَهُ هَذِهِ الْوَرَقَاتُ وَقَرَأْتُهَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ كَلَامًا كَثِيرًا عِنْدَ كُلِّ مَا مَرَّ بِمَا يَكُونُ صِلَةً لِذَلِكَ الْحَدِيثِ ، خَزَلْتُهُ طَلَبًا لِلتَّخْفِيفِ .

قَالَ حَمَادُ الرَّائِي : عَنْ قَتَادَةَ قَالَ زِيَادُ لَغَيْلَانَ بْنِ خَرْشَةَ : أَحِبُّ أَنْ تَحْدِثَنِي عَنِ الْعَرَبِ وَجَهْدِهَا وَضَنْكِ عَيْشِهَا لِنَعْمَدَ اللَّهُ عَلَى النِّعْمَةِ الَّتِي أَصْبَحْنَا بِهَا . فَقَالَ غَيْلَانُ : حَدَّثَنِي عَنِّي قَالَ : تَوَالَّتْ عَلَى الْعَرَبِ سِنُونَ [سَبْعٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ] حَصَّتْ (١) كُلُّ شَيْءٍ ، فَخَرَجْتُ عَلَى بَكْرٍ لِي فِي الْعَرَبِ ، فَكُنْتُ سَبْعًا لَا أَذُوقُ فِيهِمْ شَيْئًا إِلَّا مَا يَنْأَلُ بَعِيرِي مِنْ حَشَرَاتِ [الْأَرْضِ] حَتَّى دَنَوْتُ (٢) إِلَى حِوَاءِ (٣) عَظِيمٍ ، فَإِذَا بَبْنَيْتِ جَجِيشٍ (٤) عَنِ الْحَيِّ ، فَلَيْتُ إِلَيْهِ ، فَخَرَجْتُ إِلَى امْرَأَةٍ طَوَالَةَ حَسَانَةَ (٥) ، فَقَالَتْ : مَنْ ؟ قُلْتُ : طَارِقُ لَيْلٍ يَلْتَمِسُ الْقِرَى . فَقَالَتْ : لَوْ كَانَ عِنْدَنَا شَيْءٌ آتَرْنَاكَ بِهِ ، وَالِدَالُ عَلَى الْخَيْرِ كِفَاعِلِهِ ، جُسْنَ هَذِهِ الْبُيُوتَ فَأَنْظُرْ إِلَى أَعْظَمِهَا ، فَإِنْ يَكُ فِي شَيْءٍ مِنْهَا خَيْرٌ فَقَبِله . فَقَعَلْتُ حَتَّى دَنَوْتُ (٦) إِلَيْهِ ، فَرَحَّبَ بِي صَاحِبُهُ وَقَالَ : مَنْ ؟ قُلْتُ : طَارِقُ لَيْلٍ يَلْتَمِسُ الْقِرَى . فَقَالَ : يَا فُلَانُ ، فَأَجَابَهُ ، فَقَالَ : هَلْ عِنْدَكَ (مِنْ) طَعَامٍ ؟ قَالَ :

(١) فِي (ب) : « أَهْلَكَ » ؛ وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ أَيْضًا . يُقَالُ : حَصَّ الشَّعْرُ وَنَحْوَهُ إِذَا اسْتَأْمَلَهُ .

(٢) فِي (ب) : « وَقَعْتُ » . (٣) الْحِوَاءُ : جَمَاعَةُ الْبُيُوتِ .

(٤) الْجَجِيشُ : مِنْ قَوْلِهِمْ : رَجُلٌ جَجِيشٌ الْحُلُ إِذَا نَزَلَ نَاحِيَةَ عَنِ النَّاسِ وَلَمْ يَخْتَلِطْ بِهِمْ . وَيُرِيدُ بَعْدَ ذَلِكَ الْمَنْزِلَ وَانْزَالَهُ عَنِ مَنَازِلِ ذَلِكَ الْحَيِّ .

(٥) طَوَالَةُ حَسَانَةَ ، أَيْ طَوِيلَةُ حَسَنَةٍ .

(٦) فِي (ب) : « دَفَعْتُ إِلَيْهِ » ؛ وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ أَيْضًا .

لا ، قال : فوالله ما وَقَرَ في أُذُنِي شَيْءٌ كَانَ أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْهُ . فقال : هل عندكَ مِنْ شَرَابٍ ؟ قال : لا ، نِمْ تَأَوَّهْ وقال : قد أَبْقَيْنَا فِي ضَرْعِ فِلَانَةٍ ^(١) شَيْئًا لِيَطَارِقَ إِنْ طَرَقَ ، قال : فأتَ به ، فَأَتَى العَطَنَ فَأُبْتَمَعَهَا ، فخذتُ عَمِّي أَنَّهُ شَهِدَ فَتَنَحَّ أَصْفَهَانِ وَتُسْتَرِ وَمِهْرَجَانِ ^(٢) فَذُقْ وَكُورَ الْأَهْوَازِ وَفَارِسَ ، وَجَاهَدَ عِنْدَ السُّلْطَانِ وَكَثُرَ مَالُهُ وَوَلَدَهُ ، قال : فَمَا سَمِعْتُ شَيْئًا قَطُّ كَانَ اللَّذَّ إِلَى مِنْ شَخْبِ تِلْكَ النَّاقَةِ فِي تِلْكَ العُلْبَةِ ، حتى إِذَا مَلَأَهَا فِقَاضَتْ مِنْ جَوَائِبِهَا وَأَرْتَفَعَتْ عَلَيْهَا رَغْوَةٌ كَجُمَّةٍ ^(٣) الشَّيْخُ أَقْبَلَ بِهَا نَحْوِي فَقَعَرَ بِعُودٍ أَوْ حَجَرٍ ، فَسَقَطَتِ العُلْبَةُ مِنْ يَدِهِ ، فخذتُ أَنَّهُ أَصِيبَ بِأَيِّهِ وَأُمُّهُ [وولده] وَأَهْلُ بَيْتِهِ ، فَمَا أَصِيبَ بِمُصِيبَةٍ أَعْظَمَ عَلَيْهِ مِنْ ذَهَابِ العُلْبَةِ ؟ فَلَمَّا رَأَيْتُ ^(٤) كَذَلِكَ رَبِّ البَيْتِ خَرَجَ شَاهِرًا سَيْفَهُ ، فَبَسَّتِ الْإِبِلَ نِمَ نَظَرَ إِلَى أَعْظَمِهَا سَنَامًا ، عَلَى ظَهْرِهَا مِثْلَ رَأْسِ الرَّجُلِ الصَّعِلِ ^(٥) ، فَكَشَفَ عَنْ فُوْهَتِهِ ^(٦) نِمَ أَوْ قَدْ نَارًا ، وَأُجْتَبَّ سَنَامُهَا ، وَدَفَعَ إِلَى مُدْبِيَةٍ وَقَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ ، إِضْطَلَّ وَاجْتَمَلَ ^(٧) فَجَعَلْتُ أَهْوَى بِالْبَضْعَةِ إِلَى النَّارِ ، فَإِذَا بَلَغَتْ إِنْأَاهَا أَكَلْتُهَا ، نِمَ مَسَحَتْ مَا فِي يَدَيَّ مِنْ إِهَالَتِهَا عَلَى جِلْدِي ، وَكَانَ قَدْ قَحَلَ ^(٨) عَلَى عَظْمِي حَتَّى كَانَتْ شَنْ ^(٩) ، نِمَ شَرِبْتُ مَاءً وَخَرَزْتُ مَغْشِيًّا عَلَى ، فَمَا أَتَقْتُ إِلَى السَّحَرِ .

(١) فِلَانَةٌ : كناية عن اسم بعض نياقه . وفي (١) : الغلابة ؟ وهو تحريف .

(٢) تستر : مدينة عظيمة بخوارستان . ومهرجان فذق : كورة ذات مدن وقرى قرب الصيعة ، من نواحي الجبال . وغير هذين من البلاد المذكورة هنا معروف فلا مقتضى للتعريف به .

(٣) الجُمَّة : مجتمع شعر الرأس ، وهي أكبر من الوفرة .

(٤) في (ب) : « فلما رأى ذلك » . (٥) الصعل : الدقيق الرأس .

(٦) فُوْهَةُ الشَّيْءِ : أعلاه ، يريد أعلى السنام . وفي الأصول ما يشبه في الرسم كلمة

عرقوبها ولا مقتضى لكشف عرقوب الناقة هنا . (٧) اجتمَلَ الشَّعْمُ : أذابه في النار .

(٨) قَحَلَ عَلَى عَظْمِي ، أى يبس من وهج الحر وبعد عهده بالماء .

(٩) الشَنْ : الزادة اليابسة الخلقة .

فَقَطَعَ زِيَادُ الْحَدِيثِ وَقَالَ : لَا عَلَيْكَ أَنْ تُخَيِّرَنَا بَأْ كَثَرٍ مِنْ هَذَا ، فَمَنْ
الْمَنْزُولُ بِهِ ^(١) . قُلْتُ : عَامِرُ ^(٢) بْنُ الطَّفَنِيلِ . قَالَ : أَبُو عَلِيٍّ ؟ قُلْتُ : أَبُو عَلِيٍّ .
وَاسْتَعَادَنِي الْوَزِيرُ [أَدَامُ اللَّهِ عُلُوّه] هَذَا الْحَدِيثَ مَرَّتَيْنِ وَأَكْثَرَ التَّعَجُّبِ ،
وَقَالَ : صَدَقَ الْقَائِلُ فِي الْعَرَبِ : مُنِعُوا الطَّعَامَ وَأَعْطُوا الْكَلَامَ .

تَمَدَّدَى أَبُو الْعَيْنَاءِ عِنْدَ ابْنِ مَكْرُمٍ ، فَقَدَّمَ إِلَيْهِ عُرَاقًا ^(٣) ، فَلَمَّا جَسَّهُ قَالَ :
قَدِرُكُمْ هَذِهِ قَدْ طُبِخَتْ بِشِطْرُنَجٍ ؟ ^(٤) .

وَقَدَّمَ إِلَيْهِ يَوْمًا قَدِيرًا فَوَجَدَهَا كَثِيرَةَ الْعِظَامِ ، فَقَالَ : هَذِهِ قَدِيرٌ أَمْ قَبْرٌ ؟
وَأَكَلَ عِنْدَهُ أَبُو الْعَيْنَاءِ يَوْمًا ، فَسُقِيَ ثَلَاثَ شَرَبَاتٍ بَارِدَةٍ ، ثُمَّ طَلَبَ
الرَّابِعَةَ فَسُقِيَ شَرِبَةً حَارَّةً ، فَقَالَ : [لَعْلًا] مَرَّمَلْتَكُمْ ^(٥) تَعْتَرِيهَا حُمَّى ^(٦) الرَّبْعِ .
قَالَ سَلَمَةٌ : بَقِيَ أَبُو الْقَعْقَامِ بِنَعْدَادَ وَكُنَّا نَأْتِيهِ وَنَسْمَعُ مِنْهُ ، فَجَاءَنَا بِجَفَنَةٍ
فِيهَا جُوزَابٌ ^(٧) فَجَعَلَ أَصْحَابُنَا يَأْكُلُونَ ، ثُمَّ أَتَاهُمْ بِسَقُودٍ فِيهِ يَرَابِيْعٌ فَسَلَتْهَا
فِي الْجَفَنَةِ ، فَعَلِمَ الْقَوْمُ أَنَّهُمْ قَدْ دُهِوا ، فَجَعَلُوا يَسْتَقْيِثُونَ مَا أَكَلُوا .

وَقَالَتْ عَائِشَةُ : [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا] : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لِي جَارَتَانِ بَأَيَّتَهُمَا أَبْدَأُ ؟
قَالَ : « بَأَدْنَاهُمَا بِأَبَا مِنْكَ ^(٨) » .

(١) فِي (أ) : « عَلَيْهِ » .

(٢) عَامِرُ بْنُ الطَّفَنِيلِ : هُوَ ابْنُ مَالِكِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ كِلَابِ الْعَامِرِيِّ . وَهُوَ ابْنُ عَمِّ لَيْدٍ .

(٣) الْعُرَاقُ : الْعِظَمُ الَّذِي أَخَذَ مَا عَلَيْهِ مِنَ اللَّحْمِ .

(٤) يُرِيدُ بِهِذِهِ الْمُبَارَةَ وَصَفَ مَا فِي الْقَدْرِ بِالْبَيْسِ وَالصَّلَابَةِ كِبَادِقِ الشَّطْرَنْجِ .

(٥) الْمَرْمَلَةُ : جَرَّةٌ أَوْ خَافِيَةٌ خَضِرَاءُ فِي وَسْطِهَا ثَقْبٌ فِيهِ قِصْبَةٌ مِنَ الْفَضَّةِ أَوْ الرِّصَاصِ

يَشْرَبُ مِنْهَا .

(٦) حُمَّى الرَّبْعِ هِيَ الَّتِي تَأْخُذُ يَوْمًا وَتَدَعِي يَوْمَيْنِ ، ثُمَّ تَجِيءُ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ .

(٧) الْجُوزَابُ : طَعَامٌ يَتَّخِذُ مِنْ سُكَّرٍ وَأَرْزٍ وَلَحْمٍ ، وَهُوَ فَارِسِيٌّ .

(٨) فِي (ب) : « إِلَيْكَ » .

وقال حَكِيم : يَنْبَغِي أَلَّا يُعْطَى الْبَخِيلُ أَكْثَرَ مِنْ قُوَّتِهِ ، لِيُحْكَمَ
عليه بِمَثَلٍ مَا حَكَمَ [به] على نفسه .
وقال الشاعر :

أَفْلَحَ مَنْ كَانَتْ لَهُ قَوْصَرَةٌ^(١) يَا كُلُّ مَنْهَا كُلُّ يَوْمٍ مَرَّةً
أَفْلَحَ مَنْ كَانَتْ لَهُ مِرْخَةٌ^(٢) يَزُخُّهَا ثُمَّ يَنَامُ الْفَخَّةُ
أَفْلَحَ مَنْ كَانَتْ لَهُ دَوْخَلَةٌ^(٣) يَا كُلُّ مَنْهَا كُلُّ يَوْمٍ مَلَّةً
أَفْلَحَ مَنْ كَانَتْ لَهُ هِرْشَفَةٌ^(٤) وَنَشَفَةٌ^(٥) يَمْلَأُ مِنْهَا كَفَّهُ
أَفْلَحَ مَنْ كَانَتْ لَهُ كِرْدِيدَةٌ^(٦) يَا كُلُّ مَنْهَا وَهُوَ ثَانٍ جِيدَةً

وقال أبو فرعون الشامي يخاطب الحجاج :

يَا خَيْرَ رَكْبٍ سَلَكَوا طَرِيقًا وَيَمْمُوا مَكَّةَ وَالْعَقِيقَا
وَأَطْعَمُوا ذَا الْكَمَلِكِ وَالسَّوِيقَا وَالْحَشَكَنَانَ^(٧) الْيَابِسَ الرَّقِيقَا

(١) القوصرة : وعاء من قصب يرفع فيه التمر من البواري ؛ وينسب هذا الشعر إلى علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه .

(٢) في رواية : « طوبى لمن كانت » الخ . والمِرْخَةُ : زوجة الرجل لأنه يزخها ، أى يجامعها ؛ والفَخَّةُ : نومة الغداة ، وقيل نومة التعب . وفي الأصل : الفخة بالقاف ؛ وهو تصحيف .

(٣) الدوخلة : سفينة من خوص يوضع فيها التمر والرطب ؛ وهى كالزنبيل . والمَلَّةُ : الرِّة .
(٤) في رواية : « طوبى لمن كانت » الخ ، والمِرْشَفَةُ : خرقه ينشف بها ماء المطر من الأرض ثم تعصر في الإناء ؛ وإنما يفعل ذلك إذا قل الماء . ذكره صاحب اللسان وأورد هذا البيت شاعداً عليه .

(٥) في الأصل : « ومنشر » ؛ وهو تحريف . والنشفة : خرقه تنشف بها اليد .

(٦) الكرديدة : القطعة العظيمة من التمر . وهو ثانٍ جيد ؛ أى وهو في راحة ودعة .

(٧) الحشكنان : الحبز اليابس ، وهو المعروف عندنا بالبسكويت . انظر المعجم الفارسي

الانجليزي لاستاينجاس .

وقال آخر :

رَأَيْتُ الْجُلُوعَ يَطْرُدُهُ رَغِيفٌ وَمِنْهُ الْكَفُّ مِنْ مَاءِ الْفُرَاتِ
وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « الطاعم ^(١) الشاكر بمنزلة الصائم الصابر » .
قَبْلَ مُزْبَدٍ ^(٢) جَارِيَةٌ بَحْرَاءَ ، فقال لها : أَطْلُكُ تَعَشَيْتِ بَكْرِشَ ، أَوْ احْتَشَيْتِ
صَحْنًا ^(٣) ؛ فقالت : مَا أَكَلْتُ إِلَّا خَرَدَلًا . قال : قَدْ ذَهَبَ النِّصْفُ الثَّانِي
وَبَقِيَ مَا قَبْلَهُ .

قال شاعر :

وَبَاتُوا يُعْمَشُونَ الْقُطَيْعَاءَ ضَيْفَهُمْ وَعِنْدَهُمُ الْبَرْنِيُّ فِي جُلَلٍ دُسْمٍ ^(٤)

وقال آخر :

وَمَا أَطْعَمُونَا الْأَوْتَسَكِيَّ ^(٥) مِنْ مَمَاحَةٍ وَلَا مَنَعُوا الْبَرْنِيَّ إِلَّا مِنَ الْبُخْلِ
سَمِعْتُ الْحَجَّاجِيَّ يَقُولُ : كُلِّ الْخُبْزِ أَوْ السَّمَكِ ، فَإِنْ أَكَلَ أَحَدَهُمَا كَانَ
مُطِيعًا ؛ فَإِذَا نَفَيْتَ فَقُلْتَ : لَا تَأْكُلِ الْخُبْزَ وَالسَّمَكِ ؛ فَإِنْ أَكَلَ أَحَدَهُمَا لَمْ
يَقْصِكَ ؛ وَإِذَا قُلْتَ : لَا تَأْكُلِ الْخُبْزَ أَوْ السَّمَكِ ، لَمْ يَكُنْ لَهُ أَنْ يَأْكُلَ أَحَدَهُمَا

(١) الطاعم ، أى ذو الطعام ، أو المَطْمُوم .

(٢) فى كلمتا النسختين « مزيد » بالياء المثناة ؛ وهو تصحيف . ومزبد بالموحدة هو صاحب النوادر المعروف .

(٣) الصحن والصحناء — ويمدان ويقصران — إدام يتخذ من السمك الصغار ؛ مشعر مصطلح للمعدة

(٤) القطيعاء : التمر السهريز ، والتمر السهريز : الصغير ، وهو أردأ التمر ؛ وقيل هو البسر قبل أن يدرك ؛ والبرني نوع جيد من التمر . والجللة : وعاء يتخذ من الخوص يوضع فيه التمر . والدسم : الفلاظ .

(٥) الأوتسكى ، هو التمر السهريز ؛ وهو والقطيعاء التى تقدم شرحها فى الحاشية السابقة واحد ؛ وفى المختصر « اللؤم » مكان « البخل » ؛ وفى الأصل : « الأربكى » مكان « الأوتسكى » ؛ وهو تحريف .

لأن التمدير في النفي لا تأكل أحدهما ، والتمدير في الإيجاب انت أيتها شئت ؛
فهذه خاصية أو . السويق : الجشيش^(١) ، لأنه رُضَّ وكُسِرَ . المجشة : رَحَى
صغيرة يُجَشُّ بها . رُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى الشُّبْرَمَ^(٢) عِنْدَ
أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ فَقَالَ : « حَارٌّ حَارٌّ » ، وَأَمَرَ بِالسَّنَا^(٣) .

وَيُقَالُ : أَكَلُ الْبَطِيخِ^(٤) تَجْفَرَةً ، أَيْ يَقْطَعُ مَاءَ الذَّنَاحِ .

وَيُقَالُ : فَلَانٌ عَظِيمُ الْمُجْرَأَشِ^(٥) أَيْ الْوَسَطِ ، فَرَسٌ مُجْرِشٌ^(٥) الْجَنْبَيْنِ
وَأَجْرَأَشَتْ^(٥) الْإِبِلُ ، إِذَا بَطِنَتْ ، وَإِبِلٌ مُجْرِشَةٌ^(٥) أَيْ بَطَانٌ ؛ وَيُقَالُ :
كُتَاةٌ^(٦) قَدِرِكُمْ ، وَهِيَ مَا أُرْتَفَعَ مِنْهَا عِنْدَ الْغَلَى .

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَاهُ أَبُو عُبَاسٍ قَالَ : سَمِعْتُهُ يَقُولُ : « لَيْسَ
بِمُؤْمِنٍ مَنْ بَاتَ شَبْعَانَ [رِيَّانَ] وَجَارُهُ جَانِعٌ طَاوِرٌ » .

قَالَ عُمَرُ : مُذْمِنُ اللَّحْمِ كَمُذْمِنِ الْخَمْرِ .

وَقَالَ لَقِيْطُ بْنُ زُرَّارَةَ يَذُمُّ أَصْعَابَهُ يَوْمَ جَبَلَةَ :

(١) في الأصل : « الحشيش » ؛ وهو تصحيف .

(٢) الشبرم : نبات له حب كالمدس ، وأوراقه تشبه الطرخون . وفي النهاية لابن الأثير
عن أم سلمة أنها شربت الشبرم الخ فقال له حارٌّ حارٌّ ، وفسر الشبرم بأنه حب كالحصن يطبخ
ويشرب ماؤه للتداوى ، وقيل إنه نوع من الشبج ، أخرجه الزمخشري عن أسماء بنت عميس .
(٣) السنا . نبات معروف في الأدوية ، له حمل إذا يبس وحركته الريح سمعت له زجلا
الواحدة سناة ، وعرفه بعضهم بأنه نبات يشبه الحناء ، زهره إلى الزرقعة وحبّه مفرطج إلى
الطول مريض الأوراق وأجوده الحجازي ، ويعرف بستامكة ؛ وقد يقال له السنا المسكي ؛ ونوع
آخر يفتت ببلاد الروم ويقال له السنا الرومي .

(٤) في الأصل : « البطيخ » بالحاء المهملة ؛ وهو تصحيف .

(٥) وردت هذه الألفاظ التي تحت هذا الرقم في الأصل بالحاء والسين المهملتين ؛ وهو
تصحيف ؛ والتصويب عن كتب القنة .

(٦) في الأصل : « كباة » بالباء الموحدة ، وهو تصحيف ، والتصويب عن كتب القنة .

إِنَّ الشَّوَاءَ وَالنَّشِيلَ وَالرُّغْفَ وَالْقَيْنَةَ الْحَسَنَاءَ وَالْكَأْسَ الْأَنْفَ
لِلضَّارِبِينَ الْهَامَ وَالْخَيْلُ قُطِفَ

قيل لدُبٍّ : لَمْ تَفْقِرْ رَجُلًا فِي لَيْلَةٍ مِنْ كَثْرَةِ مَا تَأْكُلُ [مِنْ] عِنَبِهِ ؟ قَالَ :
لَا تَلْعَنِي ، فَإِنَّ بَيْنَ يَدَيَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ أَنْجَحِرُ فِيهَا فَلَا أَتَلْعَظُ إِلَّا بِالْهُوَاءِ .

قال ابن الأعرابي : إِذَا أَفْدَحَ ^(١) الرَّجُلُ سَرَّةً بَعْدَ سَرَّةٍ فَأَطْعَمَ لَحْمَهُ
لِلْمَسَاكِينِ سُمِّيَ مَتِّمًا ، وَبِهِ سُمِّيَ ابْنُ نُؤَيْرَةَ ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ النَّابِغَةِ :

إِنِّي أَنْتَمُّ أَيْسَارِي وَأَمْنَحُهُمْ مَثْنَى الْأَيْدِي ^(٢) وَأَكْسُو الْجَفْنَةَ الْأُدْمَا
الْثُرْتُمُ ^(٣) مِنْ فُتَاتِ الطَّعَامِ ، وَيُقَالُ الثَّرْتُمُ أَيْضًا [مَا فَضَلَ مِنْ] ^(٤) الطَّعَامِ

فِي الْإِنَاءِ [، وَيُقَالُ : طَعَامٌ ذُو نُزُلٍ ^(٥) . وَالْمَلِيحُ وَالْمِلْحُ : السَّمْنُ ، يُقَالُ :
تَمَلَّحْتَ الْجَارِيَةَ وَتَحَلَّيْتُ إِذَا سَمِئْتَ .

وَقَالَ أَبُو الطَّحْطَحِ الْقَيْنِيُّ ^(٦) :

وَإِنِّي لَأَرْجُو مِلْحَهَا فِي بُطُونِكُمْ وَمَا كَسَطَتْ مِنْ جِلْدٍ أَشَعَتْ أَغْبَرَا
هَكَذَا سَمِئْتُ . وَيُقَالُ : سَمِنَ حَتَّى كَأَنَّهُ خَرَسٌ ^(٧) ، وَالْخَرَسُ ^(٧) : الدَّنُّ
بَعَيْنُهُ . وَفِي الْمَثَلِ : « إِنَّ آخِرَ الْخَرَسِ ^(٧) لَدُرْدِي » أَيْ آخِرُ الدَّنِّ دُرْدِي .

(١) أَفْدَحَ الرَّجُلُ ، أَيْ ضَرَبَ بِالْفِدَاحِ فِي الْمَيْسَرِ .

(٢) كَذَا وَرَدَ هَذَا الْبَيْتُ فِي الْلسَانِ ؛ وَالَّذِي فِي الْأَصْلِ : « مَثْنَى الْأُنَافِ » مَكَانَ قَوْلِهِ :
مَثْنَى الْأَيْدِي ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَالْأَدَمُ : بَضْمَتَيْنِ هُوَ الْأَدَمُ بِتَسْكِينِ الدَّالِ ، أَيْ مَا يُؤْتَدَمُ بِهِ .
يَقُولُ : لِأَنَّهُ يَفُوزُ بِهَذَا اللَّحْمِ فَيُطْعِمُهُ الْمَسَاكِينَ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : الثَّرِيمُ ؛ وَهُوَ تَصْغِيفٌ . وَالتَّصْوِيبُ عَنْ كِتَابِ اللَّفَةِ .

(٤) لَمْ تَرِدْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ فِي (١) الْمَقُولِ عَنْهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ ، غَيْرَ أَنَّهَا تَكْمَلَةُ يَتَضَمُّنُهَا
سِيَاقُ الْكَلَامِ أَخْذًا مِنْ كِتَابِ الْإِنَاءِ ؛ وَوَاضِحٌ أَنَّ الْكَلَامَ بِدُونِهَا يَكُونُ نَاقِصًا .

(٥) ذُو نُزُلٍ ، أَيْ ذُو بَرَكَةٍ .

(٦) فِي الْأَصْلِ : « الْعَنِي » ؛ وَهُوَ تَصْغِيفٌ .

(٧) فِي الْأَصْلِ : « الْحَرَشُ » ؛ وَهُوَ تَصْغِيفٌ فِي الْمَوَاضِعِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي تَحْتَ هَذَا الرَّقْمِ .

وَأُنشِدُ :

حَبْدًا صَئِيفُ حَبْدًا مِنْ أَوَانٍ وَزَمَانٍ يَفُوقُ كُلَّ زَمَانٍ
 زَمَنُ الْخَمْرِ وَالْمَسَاوِرِ وَالْجَشَنِ^(١) وَوَرْدِ^(٢) الْخِلَافِ وَالرَّيْحَانِ
 زَمَنُ كَانَتْ الْمَضَارِ^(٣) فِيهِ بُلُجُومُ الْجِدَاءِ وَالْحُمْلَانِ
 وَصُدُورُ الدَّجَاجِ بِالْخَلِّ وَالْمُرِّي وَنَثَرِ السَّدَابِ وَالْأَنْجَذَانِ^(٤)
 وَرِسْمَانٍ مِنَ الْفَرَارِيجِ تُفَلِّي بِمَصِيرِ الْأَغْنَابِ وَالرُّثْمَانِ
 وَشِوَا الْوَزَةِ اللَّذِيذَةِ وَالْقَا رِصَ بَيْنَ الْحَلِيبِ وَالْأَلْبَانِ
 وَتَقَى السَّوِيقِ بِالسَّكَّرِ الْمَذَى خُولٍ فِي التَّلَجِ فِي الزُّجَاجِ الْبَيَانِ
 وَقِلَالٌ تُعْطَى مِنْ بَكَرَاتٍ مَرْوِيَاتٍ غَلَائِلَ الْعَطْشَانِ
 وَأَعْرَضَ حَدِيثُ الْعِلْمِ ، فَأَنْشَدَ ابْنُ عُبَيْدٍ الْكَاتِبُ لِسَابِقِ الزُّبَيْرِيِّ قَوْلَهُ :
 الْعِلْمُ يَجْلُو الْعَمَى عَنْ قَلْبِ صَاحِبِهِ كَمَا يُجَلِّي سَوَادَ الظُّلْمَةِ الْقَمَرُ
 وَقَالَ أَيْضًا :

إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ لَكَ حُسْنُ فَهْمٍ أَسَأْتَ إِجَابَةً وَأَسَأْتَ فَهْمًا

(١) الجشن : لفظ فارسي معناه مجتمعات الناس في الأعياد والولائم ونحو ذلك ، كما في المعجم الفارسي الإنجليزى لاستاينجاس . ولم نجد للمساوير معنى يناسب السياق ، فلمه تحريف لم نهتد إلى وجه الصواب فيه . وفي الأصل : (ومن) مكان (زمن) ؛ وهو تحريف .

(٢) في الأصل « ورد » مكان (وورد) ؛ وهو تحريف .

(٣) في الأصل : « ومن كانت المضار » ؛ وفيه تحريف لا يخفى . والمضار : جمع مضيرة وهي لحم يطبخ باللبن المصير ، أى الحامض ، وقد يخلطون به الحليب . أما كيفية عملها فقد ذكرت في كتب الأطعمة فانظرها .

(٤) الأنجذان : نبات له أصل أغلظ من الإصبع ، وقرون كقرون اللوبيا ، فيها حب كالمدس ؛ وهو فارسي مرّاب .

آخر :

الْعِلْمُ يُنْعِشُ أَقْوَامًا فَيَنْقَعُهُمْ^(١) كَالْفَيْثِ يَذْرُكُ عِيدَانًا فَيُخَيِّبُهَا
فقال الوزير : عندى فى صحيفة حِفْظِ الصُّبَا : الْعِلْمُ سِرَاجٌ يُجَلِّى الظُّلْمَةَ ،
وَضِيَاءٌ يَكْشِفُ الْعَمَى .

البَذْلُ مَكْرُوهٌ إِلَّا فِى اسْتِفَادَتِهِ ، وَالْحِرْصُ مَذْمُومٌ إِلَّا فِى طَلَبِهِ ، وَالْحَسَدُ
مَنْهَى عَنْهُ إِلَّا عَلَيْهِ .

ثم عاد الحديث إلى المأخِذَةِ :

(٣)

حدثني مطهر بن أحمد الكاتب عن ابن قرارة العطار قال : اجتمع ذات
يوم عندى على المائدة أبو على بن مُقَلَّةَ وأبو عبد الله اليزيدى ، وكان ابن
مُقَلَّةَ يُفَضِّلُ الهَرِيسَةَ ، وكان اليزيدى يُفَضِّلُ الْجُوذَابَةَ ، وكان كل واحد منهما
يصفُ النوع الذى يقولُ به ويُؤَثِّرُهُ ، فقال اليزيدى : الهَرِيسَةُ طَعَامُ السُّوقِيِّينَ
وَالسُّقَلَةِ ، وليست الجوذابة بهذه الصفة ؛ فقال لى ابن مُقَلَّةَ : ما أَسْمُ الجوذابة
بالفارسية ؟ فقلتُ جَوَزَاب^(٢) ، فقال : ضَمَّ الكاف^(٣) . وفهمتُ ما أَرَادَ ،
فقلتُ : نَسَأَلُ اللهَ العَافِيَةَ ، واللهُ لَقَدْ عَافَيْتَهَا نَفْسِي ، وَسَكَّتَ اليزيدى .

قال يزيد بن ربيع : السكبابُ طَعَامُ الصَّعَالِيكِ ، والماءُ والمِلْحُ طَعَامُ
الْأَعْرَابِ ، والهرأسُ والرَّهْهَسُ طَعَامُ السَّلَاطِينِ ، والشَّوَاهُ طَعَامُ الدُّعَارِ ، وَالْخَلُّ
وَالزَّيْتُ طَعَامُ أَمَثَالِنَا .

(١) ينفعهم ، أى يروهم ، وفى الأصل « ينفعهم » بالفاء ؛ ولعل صوابه ما أثبتنا
أخذنا من التشبيه . (٢) ضبطنا هذا اللفظ بفتح الجيم وبالزاي بعدها لما تقتضيه النكته
الآتية . وهذا اللفظ بالفارسية ينطق بالذال أو الزاي كما فى معجم استاينجاس بمعنى الطعام الذى
يتخذ من اللحم والأرز والسكر والبندق .

(٣) أراد بالكاف هنا الكاف الفارسية ومى تنطق جيا مصرية ، ويشير إلى لفظ جوز
بالفارسية وهو الفساء ؛ فهو ينفره من هذا الطعام بهذه النكته .

وَحَدَّثَنِي أَبُو نُصَيْبٍ أَنَّهُ قَالَ : قَالَ لِي أَبُو عَمْرِو الشَّامِيُّ ^(١) صَاحِبُ
الْخَلِيفَةِ : انْهَضْ بِنَا حَتَّى نَبْقِدَ ، فَإِنَّ عِنْدِي مَصُوصًا ^(٢) وَهَلَامًا ^(٣) وَبَقِيَّةَ
مُطَجَّنَةٍ ، وَشَيْئًا مِنَ الْبَازَنْجَانِ الْبُورَانِيِّ الْبَائِتِ الْحَمَرِّ . قُلْتُ : هَذِهِ كُلُّهَا تَزَايِينُ
الْمَائِدَةِ ، فَأَيْنَ الْأَذْمُ ؟

كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ هَلِيٍّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ يُكْثِرُ أَكْلَ الْجُودَابِ
وَلَا يُؤْثِرُ عَلَيْهِ شَيْئًا ، وَكَانَ يَقُولُ : يَشُدُّ الْعَصْدَيْنِ ، وَيَقْوَى السَّاعِدَيْنِ ، وَيَجْلُو
النَّاطِرَيْنِ ، وَيَزِيدُ فِي سَمْعِ الْأَذْنَيْنِ ، وَيُحَمِّرُ الْوَجْنَتَيْنِ ، وَيَزِيدُ فِي الْمَنِيِّ ، وَهُوَ
طَعَامُ شَيْءٍ ، فَأَيُّ شَيْءٍ بَقِيَ ؟

وَبَلَغَ النَّصُورَ وَصَفُهُ هَذَا ، فَقَالَ : بِحَقِّ مَا وَصَفَهُ ، وَلَا تَقْبَلُ أَكْلَهُ .
وَقَالَ وَكَيْعُ بْنُ الْجِرَّاحِ : التَّمَتَيْنِ ^(٤) عَلَى الْمَائِدَةِ خَيْرٌ مِنْ زِيَادَةِ لَوْنَيْنِ ،
وَكُلُّ الْمَائِدَةِ كَثْرَةُ الْخُبْزِ ، وَالسِّمِذُ الْأَبْيَضُ أَحْلَى مِنَ الْأَصْفَرِ .

وَكَانَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ يَحِبُّ ^(٥) الْجُودَابَ ، فَبَلَغَهُ أَنَّ رَجُلًا مِّنْ [بِحَضْر] عَنْده
يَعِيبُ الْجُودَابَ ، فَقَالَ يَحْيَى : إِنْ ثَبَتَ عِنْدِي هَذَا تَوَقَّفْتُ عَنْ شَهَادَتِهِ ، وَحَكَمْتُ
عَلَيْهِ بِضَعْفِ الْحَسِّ وَقَلَّةِ التَّمْيِيزِ ، فَبَلَغَ الرَّجُلَ ذَلِكَ ، فَأَحْتَرَسَ ، فَقَالَ لَهُ يَحْيَى
يَوْمًا : مَا قَوْلُكَ فِي الْجُودَابِ ؟ فَقَالَ : أَشْرَفَ مَا كُلُّ وَأَطْيَبُهُ ، سَهْلُ الْمَذْخَلِ ،
لَذِيذُ الْمَطْعَمِ ، حَيِّدُ الْغِذَا ، قَلِيلُ الْأَذَى . قَالَ : أَصَبْتَ ، هَكَذَا أُرِيدُكَ .
أَبُو صَالِحٍ عَنْ أَبِي عُبَّاسٍ قَالَ : مَا مِنْ دَاخِلٍ إِلَّا وَلَهُ حَيْرَةٌ ، فَأَبْدَوْهُ

(١) كَذَا فِي (ب) : وَالدِّي فِي (١) : « ابْنُ أَبِي هَمْرَةَ الشَّامِيُّ » .

(٢) الْمِصُوصُ : طَعَامٌ مِنْ لَحْمٍ يَطْبَخُ وَيَنْقَعُ فِي الْحُلِّ ؛ وَيَكُونُ مِنْ لَحْمِ الطَّيْرِ خَاصَةً .

(٣) الْهَلَامُ كُفْرَابٌ : طَعَامٌ مِنْ لَحْمٍ مَجْلٍ بِجِلْدِهِ ؛ وَقِيلَ مَرَقُ السَّكْبَاجِ الْبَرْدُ الْمَصْفَى

مِنَ الدَّهْنِ . (٤) التَّمَتَيْنِ : تَقْوِيَةُ الطَّعَامِ بِالْأَفَاوِيهِ .

(٥) فِي (١) : « يُوْثِرُ » .

بالسلام ، وما من مدْعَوْ إِلَّا وله حِشْمَةٌ ، فابْدَهُوه باليمين ^(١) .

قال حُذَان : قلتُ لجاريةٍ آرَدْتُ ثِراءَهَا — وكانت ناعمةَ البدنِ رَطْبَةً شَطْبَةً ^(٢) غَضَّةَ بَضَّةٍ — : ما كان غِذاؤُكِ عند مولايكِ ؟ قالت : المَبْطَنُ . قلتُ : وما المَبْطَنُ ؟ قالت : الأُرْزُ الرِّبَّانُ مِنَ اللَّبَنِ ، بالفاءِ لَوْدَجِ الرِّبَّانِ مِنَ العَسَلِ ، والْحَبِيبَةِ الرِّبَّانَةِ مِنَ الدَّهْنِ والسكرِ والزَّعفرانِ . قلتُ : حقٌّ لَكَ .

وقال ابنُ الجِصَّاصِ الصُّوفِيّ : دَخَلْتُ على أَحْمَدَ بنِ رَوْحِ الأَهْوَازِيِّ فقال : ما تقولُ في صَحْفَةِ أرْزٍ مَطْبُوعٍ ، فيها نَهْرٌ مِنْ سَمْنٍ ، على حافَتَيْها كُتُبَانٌ مِنَ الشُّكْرِ المَنْخُولِ ، فدمَعَتْ عَيْنِي . فقال : مالَكَ ؟ قلتُ : أبْكَى شَوْقًا إِلَيْهِ ، جعلنا الله وإِيَّاكَ مِنَ الوارِدِينَ عليه بالقَوَاصِ والرَّدَّادَتَيْنِ . فقال لِي : ما القَوَاصِ [والرَّدَّادَتانِ] ^(٣) ؟ قلتُ : القَوَاصِ الإِبْهَامُ ، والرَّدَّادَتانِ : السَّبَابَةُ والوُسْطَى . فقال : أحسنتَ ، بَارَكَ اللهُ عَلَيْكَ .

شَكَرَ رجلٌ إلى عُمَرَ الجُوعَ فقال : أَكْذَكَ وَأَنْتَ تَنْثُ نَثٌ ^(٤) الحَمِيَّتِ ؟ أَى تَرَشِّحُ كَمَا يَرَشِّحُ الزَّقُّ .

وقال ابنُ سُكْرَةَ :

أَطْمَعَنِي فِي خَرُوفِكُمْ خَرَفِي فِجِثْتُ مُسْتَفْجِلًا وَلَمْ أَقِفْ
وَجِثْتُ أَرْجُو أَطْرَافَهُ فَعَدَّتْ فِي طَرَفِي وَالسَّمَاءُ ^(٥) فِي طَرَفِي

(١) في (١) : « بالتمييز » ؛ وهو تحريف .

(٢) الشطبة : الجارية الحسناء الغضة ؛ وقيل الطويلة .

(٣) لم ترد هذه الكلمة في الأصل ؛ والسياق يقتضيها أخذًا من الجواب .

(٤) في الأصل : « تمت مت » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا قلاءً للصادر التي بين أيدينا ، ونصه فيها ؛ وفي حديث سمر أنه جاءه رجل فقال له : هلكت . فقال له : أهلك وأنت تنث كما ينث الحميت ؟

(٥) في الأصل : « والسمال » ؛ وهو تحريف . والتصويب عن يتيمة الدهم .

وَحَذِّرُونِي مِنْ ذِكْرِ رُزَّتِهِ يَا حَرَّ صَدْرِي لَهَا وَيَا لَهَا فِي
عَايِنَتُهُ وَالَّذِي يُفَصِّلُهُ وَالْقَلْبُ مِثِّي عَلَى شَفَا جُرْفٍ
مَاحِلٍّ بِي مِنْكَ عِنْدَ مُنْصَرَفِي مَا كُنْتُ إِلَّا فَرِيَسَةً التَّلَفِ

ويقال : القانع غنى وإن جاع وعري ، والحريص فقير وإن ملك الدنيا .
قيل لإبراهيم الخليل — عليه السلام — : بأى شيء أتخذك الله خليلاً ؟
قال : بأنى ما خيَّرتُ بين أمرين إلا اخترتُ الذى لله ، وما أهتممتُ لما
تكفل لي به ، وما تفدَّيتُ وما تمشَّيتُ إلا مع ضيف .

وأعترض حديثٌ فقال : أنشدنى يبيتى ابن غسان البصرى فى حديث
بختيَّار ، يعنى عزَّ الدولة ، فأنشدته :

أقامَ على الأهوازِ ستينَ ليلةً يدبُّرُ أمرَ الملكِ حتى تدمراً
يدبُّرُ أمراً كان أولُه عَمَى وأوسطُه مُكَلَّلاً وآخرُه خِراً
فقال : ما أعجَبَ الأمورَ التى تأتى بها الدهور ! عُدْ إلى قِرَاءَتِكَ ،
فعدتُ وقرأتُ .

رُوى فى الحديث : لا تأكلوا ذرَّةَ التُّرْبِ ، فإنَّ البرَّ كَرَّةٌ فيها .
وقال أعرابى : اللَّبَنُ أَحَدُ اللَّحْمَيْنِ ، وَمَلَكُ الْعَجِينِ أَحَدُ الرَّيْمَيْنِ ،
والمَرْقَةُ أَحَدُ اللَّحْمَيْنِ ، والبلاغةُ أَحَدُ السَّبْفَيْنِ ^(١) والتَّمْيُّ أَحَدُ الشُّكْرَيْنِ ^(٢)
أراد مُزَبَّدَ أَضْحِيَّةٍ فلم يجدْها ، فأخذَ دِيكاً لِيُضْحِيَ بِهِ ، فوجَّهَ إليه جيرانُه
شاةً شاةً حتى اجتمعَ عنده سَبْعُ شِيَاهٍ ، فقال دِيكِي أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ إِسْحَاقَ
لأنه فدى بكَبْشٍ ، ودِيكِي بِسَبْعَةٍ .

(١) فى الأصل : الشَّيْثَيْنِ ؛ وهو تحريف ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا .

(٢) فى الأصل . « السلون » ؛ وهو تحريف لا معنى له .

الْكُتْلُ : اللَّحْمُ^(١) ، وَالْعَيْمَةُ^(٢) : شَهْوَةُ اللَّبَنِ ، وَالْقَرَمُ : شَهْوَةُ اللَّحْمِ .
وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَرِقَّ قَلْبُهُ فَلْيُكْثِرْ مِنْ أَكْلِ
الْبَلَسِ » . قيل : هُوَ التَّيْنُ .

وقال أعرابي :

يَمُنُّ عَلَى التَّزْوِيجِ شَيْخِي وَفِي التَّزْوِيجِ لِي هَمٌّ وَشُغْلُ
وَكُنْتُ مِنَ الْهُمُومِ رَخِيَّ بِالِ فَحَلَّ مِنَ الْهُمُومِ عَلَيَّ ثِقْلُ
فَقُلْتُ لَهُ : مَنْنْتَ بِغَيْرِ مَنْ وَمَالِكَ بِالَّذِي أَسَدَيْتَ فَضْلُ
أَعْزَابَ الْعَشِيرَةِ لَوْ عَلِمْتُمْ بِحَالِي حِينَ لِي بَيْتٌ وَأَهْلُ
عَلِمْتُمْ أَنْكُمْ فِي حَالٍ عَيْشٍ رَخِيَّ مَالَهُ يَا قَوْمُ عَدْلُ
قال إسحاق الموصلي : أُمِّلِي بَعْضُ الْفُقَهَاءِ بِالْكُوفَةِ أَنَّ عَمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَرِهَ السَّمَرَ إِلَّا فِي الْفَقْهِ ، يَرِيدُ كَثْرَةَ السَّمَرِ إِلَّا فِي الْفَقْهِ .
قيل لميسرة الرأس^(٣) : مَا أَكْثَرُ مَا أَكَلْتُ ؟ قَالَ : مِائَةُ رَغِيفٍ بَكْيَلَجَةٍ
مِنْحٍ ؛ فَقِيلَ هَذَا أَكَلْتُكَ فِي بَيْتِكَ ؟ قَالَ : آكُلُ فِي بَيْتِي رَغِيفَيْنِ ، وَأُحْتَشِي^(٤)
إِلَى اللَّيْلِ فِشْلَ الْخَيْلِ .

تَنَاوَلَ الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ تَفَاحَةً فَأَكَلَهَا ، فَقِيلَ : وَيَحْكُ ، تَاكُلُ
التَّحِيَّاتِ ؟ فَقَالَ : وَالصَّلَوَاتِ وَالطَّيِّبَاتِ .

يَقَالُ : الطَّعْمَةُ : الْكَسْبُ . وَيَقَالُ : جِئْتُ بِالطَّعْمَةِ . وَالطُّغْمُ : الطَّعَامُ :

(١) الكتل : اللحم ، أى القطع منه ، الواحدة كتلة ، وفي الأصل « الكبل » ، بالباء ؛
وهو تصحيف .

(٢) وردت هذه الكلمة في الأصل مضطربة الحروف تتمتع قراءتها ، وما أثبتناه

من كتب اللغة . (٣) في (ب) : « التراس » .

(٤) في كلتا النسختين : « وأجشأ » ؛ وهو تحريف .

والطَّعْمُ : الذَّوْقُ . وهذه الأرضُ طُعْمَةٌ لَكَ وطُعْمَةٌ .

قال إسحاق : كنت يوما عند أحمد بن يوسف الكاتب ، فدخل أحمد بن أبي خالد الكاتبُ ونحن في الغناء ، فقال : والله ما أجدُ شيئاً مما أنتم فيه . قال إسحاق : فهانَ عليَّ وخفَّ في عيني ، فقلت له كالمستهزئ به ، جُمِلْتَ فِذاك ، قَصَدْتَ إلى أرقِّ شيء خَلَقَهُ اللهُ وأَلْيَنِهِ على الأذنِ والقلبِ ، وأظْهَرِهِ بلُشُورِ والفرَحِ ، وأنفاهُ للهَمَّ والحُزْنَ ، وماليس للجوارح منه مَوْوَنَةٌ غليظة ، وإنما يَفْرَعُ السَّمْعَ وهو منه على مسافة ، فَتَطَرَّبُ له النفس ، فذَمَّتْهُ ! ؟ ولكنه كان يقال : لا يَجْتَمِعُ في رجل شهوةٌ كلُّ لذة ، وبعد ، فإن شهوة كلِّ رجلٍ على قدر تَرَكيه . ومزاجه . قال : أجل ، أما أنا فالطعامُ الرقيقُ أعجِبُ إلى من الغناء . فقلت : إى واللهِ ولحمُ البقر والجواميسِ والتموسِ الجبليَّةِ بالبازنجانِ المبرَّرِ أيضاً مُتَقَدِّمُهُ ؟ فقال : [الغناء ^(١)] يُخْتَلَفُ فيه ، وقد كَرِهَهُ قوم . قلتُ فالْمُخْتَلَفُ ^(٢) فيه أَطْلُقُهُ لنا حتى تُجِيبُوا على تحريري ، أعلمتَ — جُمِلْتَ فِذاك — أن الأوائِلَ كانت تقول : مَنْ سَمِعَ الغناء [على] حقيقته مات . فقال : اللهم لا تسمعناه على الحقيقة إذا فَنِموت . فاستظرفنَّته في هذه اللفظة ، وقَدِّمُوا إليه الطعام فشيغل عن ذمِّ الغناء .

قال سعيد بن أبي عروبة : نَزَلَ الْحَجَّاجُ في طريق مكة ، فقال الحاجب : انْظُرْ أعمرُ نِيا يَتَغَدَّى مَعِي ، وأسأله عن بعض الأمر ، فنظر الحاجب إلى أعرابيٍّ بَيْنَ شَمَلَيْنِ ، فقال : أَجِبِ الأَمِيرَ ، فأتاه ، فقال له الْحَجَّاجُ : إِذَنْ فَتَغَدَّى مَعِي . فقال : إنه دَعَانِي مَنْ هُوَ أَوْلَى مِنْكَ فَأَجَبْتُهُ . قال : وَمَنْ هُوَ ؟ قال : اللهُ عزَّ

(١) لم ترد هذه الكلمة في كلتا النسختين ؛ والسياق يقتضيها .

(٢) في كلتا النسختين : « بالاختلاف » ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أبنينا .

وَجَلَّ دَعَانِي إِلَى الصَّوْمِ فَصُمْتُ ، قَالَ : أَمَّا هَذَا الْيَوْمَ الْحَارُّ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، صُمْتُهِ
لِيَوْمٍ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ حَرًّا . قَالَ : فَأَفْطِرْ وَصُمْ غَدًا . قَالَ : إِنْ صُمْتُ لِي الْبَقَاءُ
إِلَى غَدٍ . قَالَ : لَيْسَ ذَلِكَ إِلَيَّ . قَالَ : فَكَيْفَ تَسْأَلُنِي عَاجِلًا بِأَجَلٍ لَا تَقْدُرُ
عَلَيْهِ ؟ قَالَ : إِنَّهُ طَعَامٌ طَيِّبٌ . قَالَ : إِنَّكَ لَمْ تُطَيِّبْهُ وَلَا الْخُبْزَ ؛ وَلَكِنَّ الْعَافِيَةَ
طَيِّبَتُهُ ، وَلَمْ يُفْطِرْ ، وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ .

قال أعرابي : هَذَا الطَّعَامُ مَطْيَبَةٌ لِلنَّفْسِ ، مَحْسَنَةٌ لِلْجِسْمِ .

قال أبو حاتم : حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : قَالَ أَبُو طَيْفَلَةَ الْحَرَمَازِيُّ ^(١) : قَالَ
أَعْرَابِيٌّ : ضِيفْتُ رَجُلًا فَأَنَا بَخْبَزٍ مِنْ بُرٍّ كَأَنَّهُ مَنَاقِيرُ النَّفْرَانِ ^(٢) ، وَأَنَا مَا
بَعَمْرٍ كَأَعْنَاقِ الْوَرْلَانِ ^(٣) ، يَوْحَلُ فِيهِ الضَّرْسُ .

وقال آخرُ : وَنَظَرُ إِلَى رَجُلٍ يَأْكُلُ بِالْقَيْنِ وَالْقَمِّ وَالْيَدِ وَالرَّأْسِ وَالرَّجْلِ :
لَوْ سَأَلْتَهُ عَنْ اسْمِهِ أَمَا ذَكَرَهُ ، وَلَوْ طَلَعَ وَلَدُهُ الْغَائِبُ عَلَيْهِ مَا عَرَفَهُ :

يَلْعَبُ بِالْخَمْسَةِ فِي قَصْمَةٍ لَعَبَ أَخِي الشُّطْرَنْجِ بِالشَّاهِ

قال ابن الأعرابي : كَانَ الْمُحَسِّنُ الضُّبِّيُّ ^(٤) شَرِيحًا عَلَى الطَّعَامِ ، وَكَانَ
دَمِيمًا ، فَقَالَ لَهُ زِيَادُ ذَاتِ يَوْمٍ : كَمْ عِيَالُكَ ؟ قَالَ : تِسْعُ بَنَاتٍ .. قَالَ : فَأَيْنَ هُنَّ
مِنْكَ . فَقَالَ : أَنَا أَحْسَنُ مِنْهُنَّ وَهِنَّ آكَلُ مِثِّي ؛ فَضَحِكَ . وَقَالَ : جَازَ ^(٥)
مَا سَأَلْتَ لَهُنَّ . وَأَمَرَ لَهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ [فَقَالَ] :

(١) فِي الْأَصْلِ : « الْجَرَمَارِيُّ » ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٢) النَّفْرَانُ : جَمْعُ نَفَرٍ بِضَمِّ فَتْحٍ ، وَهُوَ فَرَخُ الْمَصْفُورِ أَوْ طَائِرٌ يَجْبَهُ .

(٣) الْوَرْلَانُ : جَمْعُ وَرْلٍ بِالتَّحْرِيكِ ، وَهُوَ دَابَّةٌ شَبِيهَةٌ بِالضَّبِّ .

(٤) فِي (١) الْمُحْسَنُ مَكَانَ « الْمُحَسِّنِ » ، وَفِي (٢) « الْأَلْسِي » مَكَانَ الضُّبِيِّ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٥) جَازَ مَا سَأَلْتَ ، أَيْ تَقَدَّرَ أَمْرُنَا بِهِ . وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : السَّرُورُ تَوْقِيعُ جَائِزٍ ، أَيْ نَافِذٍ .

مَاضٍ ؛ وَفِي كَلْمَا النَّسْخَتَيْنِ : « جَاءَ » .

إذا كنت مُرْتَادَ الرِّجَالِ لِنَفْسِهِمْ فَنَادِ^(١) زِيَادًا أَوْ أَخَا لَزِيَادِ
يُحِبُّكَ أَسْرُؤُ يُعْطَى عَلَى الْحَمْدِ مَالَهُ إِذَا ضَنَّ بِالْمَعْرُوفِ كُلِّ جَوَادِ
وقال سِنَانُ بْنُ أَبِي حَارِثَةَ :

نُصَّةٌ أَطْلِمُ زَادِي غَيْرَ مُدْخِرٍ أَهْلَ اللَّحْلَةِ مِنْ جَارٍ وَمِنْ جَادِي^(٢)
قَدْ يَعْلَمُ الْقَوْمُ إِذْ طَالَ اغْتِرَابُهُمْ وَأَرْمَلُوا الزَّادَ أَنِّي مُنْفِدُ زَادِي
وقال السَّقَّاحُ بْنُ بَكْرٍ :

وَاللَّيْلِ الشَّيْزَى^(٣) لِأَضْيَافِهِ كَأَنَّهَا أَعْضَادُ حَوْضٍ بِقَاعٍ
لَا يَخْرُجُ الْأَضْيَافُ مِنْ بَيْتِهِ إِلَّا وَهُمْ مِنْهُ رِيَا شِبَاعٍ
أُورِدَ أَعْرَابِي إِيْلَهُ ، فَأَبَى أَهْلُ الْمَاءِ أَنْ يُجْبِزُوهُ ، وَقَالُوا : إِبْلُكَ كَثِيرَةٌ ، فَإِنْ
أُورِدْتَ فَشَرَطْنَا أَنْ تَقِفَ بَعِيدًا عَنِ الْمَاءِ وَتَسْقَى مَا جَاءَكَ مِنْهَا ، وَلَا تَحْتَاجِزِ^(٤)
بِهَا ؛ قَالَ : أَفْعَلُ ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

رُبَّ طَبِيعٍ مِرْجَلٍ مُلَهَّوَجٍ يَسْلُتُهُ الْقَوْمُ وَلَمَّا يَنْضَجِ
حُشٌّ بَشِيءٌ مِنْ ضِرَامِ الْعَرَفِجِ^(٥)
فَانْقَضَتْ الْإِبِلُ كُلُّهَا عَلَى الْمَاءِ فَشَرِبَتْ .

قال الشاعر :

شُرْبُ التَّبِيدِ عَلَى الطَّعَامِ قَلِيلُهُ^(٦) فِيهِ الشُّفْقَاءُ وَصِحَّةُ الْأَبْدَانِ

(١) في (١) : « فَنَادِ » . (٢) الجادى : طالب الجدوى .

(٣) الشَّيْزَى بكسر الشين وفتح الزاى خشب أسود تصنع منه القصاص . ويريد هنا نفس القصاص ؛ وأعضاء الحوض ما شد حوله من البناء . وفي الأصل : « السرى » مكان قوله : « الشيزى » ؛ وهو تصحيف . (٤) المحاجزة : المأتمنة .

(٥) حش النار : أوقدها ، والعرفج ضرب من النبات سهل سريع الانقاد وهو من شجر الصيف وهو لين أغبر إلى الخضرة له ثمرة خشناء كالحسك وزهره أصفر ولهبه شديد الحرارة (٦) في الأصل : « بلية » ؛ وهو تحريف .

وإذا شَرِبْتَ كَثِيرَهُ فَكَثِيرُهُ مُرْجٌ عَلَيْكَ رَكَابَ الشَّيْطَانِ
فَتَكُونُ بَيْنَ الضَّاحِكِينَ كَبُومَةٍ عَمِيَاءٍ بَيْنَ جَمَاعَةِ الْغُرَبَانِ
فَأَحْذَرْ بِمُحَمَّدِكَ أَنْ تُنْزَى كَجَنِيْبَةٍ بَعْدَ الْعِشَاءِ تُقَادُّ بِالْأَرْسَانِ
قال حمزة المصنّف في بعض كتبه : قال النبي صلى الله عليه وسلم لسلطان
الفرسي : أن اتَّخِذْ لَنَا سُورًا ، أَى طَعَامًا كَطَعَامِ الْوَلَمِيَةِ ، وَهِيَ فَارَسِيَّةٌ .
قال شيخنا أبو سعيد السّيرافي : أخطأ هذا المأوّل ، وإنما أراد النبي صلى الله
عليه وسلم : أن سلّمان اتَّخَذَ لَنَا خَنْدَقًا يَوْمَ الْأَحْزَابِ ، لِأَنَّهُ حَفَّ (١) عَلَى ذَلِكَ ،
وَلَيْسَ ذَا مِنْ ذَاكَ إِلَّا بِاللَّفْظِ .

وقال جُعْفِرَانُ الْمُؤَسَّسُ فِي وَصْفِ عَصِيدَةٍ :

وَمَاءٌ عَصِيدَةٌ حَمَاءٌ تَحْكِي إِذَا أَبْصَرْتَهَا مَاءَ الْخُلُقِ (٢)

تَزِلُّ عَنْ الْأَمَةِ تَمْرٌ سَهْلًا وَتَجْرِي فِي الْعِظَامِ فِي الْعُرُوقِ

قال الحسن بن سهل : أَشْيَاءٌ تَذْهَبُ هَبَاءً ، دِينَ بِلَا عَقْلٍ ، وَمَالٌ بِلَا بَذَلٍ
وَعِشْقٌ بِلَا وَضَلٍ . فقال حميد : بَقِيَ عَلَيْهِ مَائِدَةٌ بِلَا نَقْلِ (٣) ، وَلَحْصَةٌ بِلَا فَضْلٍ .
قيل لصوفي : مَا حَدُّ الشَّبْعِ ؟ قال : الْمَوْتُ .

وقيل لآخر : مَا حَدُّ الشَّبْعِ ؟ قال آكل حتى يقع على الثّبات فأنام على
وَجْهِهِ ، وَتَتَجافى أَطْرَافِي عَنِ الْأَرْضِ .

وقيل لآخر : مَا حَدُّ الشَّبْعِ ؟ قال : أَنْ أَدْخَلَ إصْبَعِي فِي حَلْقِي فَيَصِلَ
إِلَى الطَّعَامِ .

(١) في الأصل : « خمس » ؛ وهو تصحيف .

(٢) في الأصول « تجلي » مكان « تحكي » و « الخلق » مكان « الخلق » ؛ وهو

تحريف . والخلق : ضرب من الطيب قواه الزعفران .

(٣) النقل : ما ينتقل به على الطعام .

قال يعقوب : أصبحتُ خالقا : لا أشتهى الطعام . وخُلوف البطنِ تَغْيُرُهُ .
ويقال : مَفْسَنِي بَطْنِي ، وهو المَفْس ، ورجل مَمْفُوس .
ويقال : عَمَزَنِي ^(١) بَطْنِي وَمَا كَفَى .

والعامّة تقول : كلُّ ما في القَدْرِ تُخْرِجُهُ المِفْرَفَةُ ، ورجل مُقْرَضٍ ^(٢)
وَقُرَاضٍ ^(٣) وَقِرْضَابٍ ^(٤) إذا كان أ كولا ، وكذلك السَّيْفُ واللَّعْنُ ، قال الشاعر :
وليسَ يَرُدُّ النَّفْسَ عَنْ شَهَوَاتِهَا مِنْ الْقَوْمِ إِلَّا كُلُّ مَاضِي الْقَزَائِمِ
ومرَّ ابنُ عامرٍ على عامرِ بنِ عبدِ القيسِ وهو يأكلُ بَقْلًا بَيْلَحَ ، فقال :
لقد رَضِيتَ بِالْيَسِيرِ . فقال : أَرْضَى مِنِّي بِالْيَسِيرِ مَنْ رَضِيَ بِالدُّنْيَا عِوَضًا
عَنِ الْآخِرَةِ .

(٤) قال عبد الملك بن مروان : لا نَسْنَأُ كَنَّا إِلَّا عَرَضًا ، ولا نَأْكُلُ إِلَّا عَضًا
ولا تَشْرَبُ إِلَّا مَصًّا ، ولا تَرْكَبُ إِلَّا نَصًّا ^(٥) ، ولا تَعْقِدُنَّ إِلَّا وَصًّا .
ويقال : مالا قَرَّاح ؛ وخُبْزٌ قَفَّار : لا أَدَمَ مَعَهُ ، وَسَوِيقٌ جَافٌ ، وابنُ
صَرِيحٍ : لَمْ يَخْاطِلْهُ شَيْءٌ .

وقال سعيد بن سَلَمَةَ : شَيْثَانٌ لَا تَشْمَعُ مِنْهُمَا بَيْغَدَادَ : السَّمَكُ والرُّطَبُ .
قال أعرابيٌّ : أَكَلْتُ « فَرَسِكَةً » ^(٦) وَعَلَى خَوْخَةٍ ، فجاء غلامٌ حَزَوْرٌ ^(٧)
فَنَظَرَ حُرَّتِي ^(٨) .

(١) في الأصل : « عَمَزَنِي » بالعين والراء المهملتين ، وهو تصحيف .

(٢) في الأصل : قُرَضٍ وقُرَضٍ ؛ وما أثبتناه عن كتب اللغة .

(٣) النس : الارتفاع . (٤) في الأصل : « يَمْعِدُن » مكان « يَمْقِدُن » ؛ وهو تحريف . وما أثبتناه هو اللام للوس ، وهو الإحكام في العمل .

(٥) في الأصل : (الفرشلة) بالشين المعجمة واللام ؛ وهو تحريف لا معنى له ؛ والتصحيح والنبط عن المخصص . (٦) الحزور : الغلام الذي اشتد وقوى وخدم .

(٧) في الأصل : « حديقي » بالذال ؛ وهو تحريف .

الفِرْسِكَة : الخَوْخَة المَقْدَدَة . والخَوْخَة : القَمِيصُ الأخضرُ بَطْنُ بَقَرٍ .
والْحُرَّةُ^(١) : الأذن .

قِيلَ لِحَانِمِ الْأَصْمِّ : بِمِ رُزِقْتَ الْحِكْمَةَ ؟ قَالَ : بِخَلَاوَةِ الْبَطْنِ ، وَسَخَاوَةِ
النَّفْسِ ، وَمَكَابِدَةِ اللَّيْلِ .

وَقَالَ شَقِيقُ الْبَلَخِيِّ : الْعِبَادَةُ حِرْفَةٌ ، وَحَانُوتُهَا الْغُلَاوَةُ ، وَآلَتُهَا الْجُوعُ .
قَالَ لُثْمَانُ : إِذَا أُمْتَلَأَتِ الْمَعِدَةُ نَامَتِ الْفِكْرَةُ ، وَخَرَسَتِ الْحِكْمَةُ ،
وَقَعَدَتِ الْأَعْضَاءُ عَنِ الْعِبَادَةِ .

وَقَالَ عُمَرُ : لَوْلَا الْقِيَامَةُ لَشَارَكْنَاكُمْ فِي لَيْنِ عَيْشِكُمْ .

وَقَالَ بَعْضُ الْعَرَبِ : أَقْلِيلُ طَعَامِكَ تَحْمَدُ مَنَامَكَ .

قَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ : الشُّبْعُ يُكْنَى بِالْكُفْرِ .

وَقَالَ غَيْرُهُ : الْجُوعُ يُكْنَى بِالرَّحَةِ .

وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ :

تَحَيَّرْتُ مِنِّي خَيْفَةً أَنْ أَضِيفَهَا كَمَا انْحَازَتِ الْأَفْعَى مَخَافَةَ ضَارِبٍ
وَذَكَرَ الْمُهَلَّبُ اللَّحْمَ [فَقَالَ] إِذَا التَّقَى الْوَارِدُ وَالْفَايِرُ فَتَوَقَّعِ الْفَسَادَ .

الليلة الرابعة والثلاثون

وَقَالَ الْوَزِيرُ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي : قَدْ وَاللَّهِ ضَاقَ^(٢) صَدْرِي بِالْغَيْظِ لِمَا يَبْلُغُنِي

عَنِ الْعَامَّةِ مِنْ خَوْضِهَا فِي حَدِيثِنَا ، وَذِكْرِهَا أُمُورَنَا ، وَتَنْبِيْهِهَا لِأَسْرَارِنَا ، وَتَنْقِيْرِهَا
عَنْ مَسْكَوْنِنِ أَحْوَالِنَا^(٣) ، وَمَكْتُومِ شَأْنِنَا ، وَمَا أُدْرِى مَا أَصْنَعُ بِهَا ، وَإِنِّي لَأَلُئِمُّ فِي

(١) فِي الْأَصْلِ : « الْمَدِيَّة » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي (١) : « فَانْر » . (٣) فِي (ب) : « أَخْبَارُنَا » .

الوقت بعد الوقت بقطع السنة وأيدٍ وأزجلٍ وتنكيلٍ شديدٍ ، لعلَّ ذلك يطرَحُ
 الهيبةَ ويَحْسِمُ المادَّةَ ، وَيَقْطَعُ هذه المادَّةَ ، لحامُ الله ، ما لهم لا يُقْبَلُونَ على
 شؤونهم المهمة ، ومعايشهم النافعة ، وفرائضهم الواجبة ؟ ولم يَنْقَبُون عما ليس
 لهم ، وَيُرْجِفُونَ بما لا يُجْدِي عليهم ، وَهُوَ حَقَّقُوا ما يَقُولُونَ ما كان لهم فيه عائدةٌ
 ولا فائدةٌ ؛ وإني لأعجب من لهجهم^(١) وشغفهم بهذا الخلق حتى كأنه من
 الفرائض المحتومة ، والوظائف الملزومة ؛ وقد تكرر منا الزجر ، وشاع الوعيد ،
 وفشا الإنكارُ بين الصغار والكبار ، ولقد تعايى على هذا الأمرُ وأغلق دُوني
 بابه ، وتكاثف على حجابهِ ، والله المستعان .

قلتُ : أيُّها الوزير ، عندى فى هذا^(٢) جوابان : أحدهما ما سمعتُ من شيخنا
 أبى سليمان ، وهو مَنْ تَفَوَّقَ فى الفضلِ والحكمةِ والتجربةِ ومحبةِ هذه الدولة^(٣)
 والشفقةِ عليها من كل هبةٍ ودبةٍ ؛ والآخرُ مما سمعتهُ من شيخِ صوفيٍّ ، وفى
 الجوابين فائدتان عظيمتان ، ولكن الجملة خشنا ، وفيها بعضُ الغلظة ، والحقُّ
 مرٌّ ، ومن توخَّى الحقَّ أحتَمَلَ مرَّارته .

قال : فأذكر الجوابين وإن كانا غليظين ، فليس يُذِنَّع بالدَّواء إلاَّ
 بالصَّبْرِ على بشاعته ، وضُدُّود الطَّبْعِ عن كراهته .

قلتُ : أمَّا أبو سليمان ، فإنه قال فى هذه الأيام : ليس ينبغي لمن كان الله
 عزَّ وجلَّ جَعَلَهُ سائِسَ النَّاسِ : عامَّتِهِمْ وخاصَّتِهِمْ ، وعالمِهِمْ وجَاهِلِهِمْ . وضعيفِهِمْ
 وقويِّهِمْ ، وراجِحِهِمْ وشائِلِهِمْ ، أن يَضْجَرَ ما يَبْلُغُهُ عنهم أو عن واحدٍ منهم
 لأسباب كثيرة ، منها : أن عقله فوق عقولِهِمْ ، وحِلمُهُ أَفْضَلُ من حُلُومِهِمْ ،

(١) فى (ب) : « بجهنهم » . (٢) فى (ب) : « لهذا » .

(٣) فى (١) : « هذه المقالة » ؛ وهو خطأ من الناسخ .

وَصَبَرَهُ أَتَمُّ مِنْ صَبَرِهِمْ ؛ ومنها أنهم إنما جُعِلُوا تحت قدرته ، وَيَنْطَلُوا بِتَدْيِيرِهِ ،
 وَاخْتَبَرُوا بِتَضَرُّفِهِمْ عَلَى أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، لِتَقْوَمَ بِحَقِّ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِمْ ، وَيَصْبِرَ
 عَلَى جَهْلِ جَاهِلِهِمْ ، وَيَكُونَ عِمَادُ حَالِهِ مَعَهُمُ الرِّقَقُ بِهِمْ ، وَالْقِيَامُ بِمَصَالِحِهِمْ ،
 وَمِنْهَا أَنَّ الْعَلَاقَةَ الَّتِي بَيْنَ السُّلْطَانِ وَبَيْنَ الرَّعِيَّةِ قَوِيَّةٌ ، لِأَنَّهَا إِلَهِيَّةٌ ، وَهِيَ
 أَوْشَجُ مِنَ الرَّحِمِ الَّتِي تَكُونُ بَيْنَ الْوَالِدِ وَالْوَلَدِ ، وَالْمَلِكُ وَالِدٌ كَبِيرٌ ، كَمَا
 أَنَّ الْوَلَدَ مَلِكٌ صَغِيرٌ ، وَمَا يَجِبُ عَلَى الْوَالِدِ فِي سِيَاسَةِ وَلَدِهِ مِنَ الرِّقَقِ بِهِ ،
 وَالْحُنُوِّ عَلَيْهِ ، وَالرَّقَّةَ لَهُ ، وَاجْتِلَابَ الْمَنْفَعَةِ إِلَيْهِ ، أَكْثَرُ مَا يَجِبُ عَلَى الْوَلَدِ
 فِي طَاعَةِ وَالِدِهِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْوَلَدَ غِرٌّ ، وَقَرِيبُ التَّمَدُّدِ بِالْكُفْرِ ، وَجَاهِلٌ
 بِالْحَالِ ، وَغَارٍ مِنَ التَّجَرُّبَةِ ، كَذَلِكَ الرَّعِيَّةُ الشَّبِيهَةُ بِالْوَلَدِ ، وَكَذَلِكَ الْمَلِكُ
 الشَّبِيهُ بِالْوَالِدِ ؛ وَمَا يَزِيدُ هَذَا الْمَغْنَى كَشْفًا ، وَيُكْسِبُهُ لُطْفًا ، أَنَّ الْمَلِكَ
 لَا يَكُونُ مَلِكًا إِلَّا بِالرَّعِيَّةِ ، كَمَا أَنَّ الرَّعِيَّةَ لَا تَكُونُ رَعِيَّةً إِلَّا بِالْمَلِكِ ،
 وَهَذَا مِنَ الْأَحْوَالِ الْمُتَضَافَةِ ، وَالْأَسْمَاءِ الْمُتَنَاصِفَةِ ؛ وَبِسَبَبِ هَذِهِ الْعَلَاقَةِ الْمُحْكَمَةِ
 وَالْوُضْعَةِ الْوَشِيجَةِ ، مَا لَهَجَتِ الْعَامَّةُ بِتَعَرُّفِ حَالِ سَائِسِهَا ، وَالنَّظَرِ فِي أَمْرِهَا ،
 وَالْمَالِكِ لَزَامِهَا ، حَتَّى تَكُونَ عَلَى بَيَانٍ مِنْ رِفَاقَةِ عَيْشِهَا ، وَطِيبِ حَيَاتِهَا ، وَدُرُورِ
 مَوَارِدِهَا ، بِالْأَمْنِ ^(١) الْفَاشِي بَيْنَهَا ، وَالْعَدْلِ الْفَاضِلِ عَلَيْهَا ، وَالْخَيْرِ الْمَجْلُوبِ إِلَيْهَا ،
 وَهَذَا أَسْرَجَارٌ عَلَى نِظَامِ الطَّبِيعَةِ ، وَمُنْدُوبٌ إِلَيْهِ أَيْضًا فِي أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ .

قال : وَلَوْ قَالَتِ الرَّعِيَّةُ لِسُلْطَانِهَا : لَمْ لَا نَخُوضُ فِي حَدِيثِكَ ، وَلَا نَبْتَخِثُ عَنْ
 غَيْبِ أَمْرِكَ ، وَلَمْ لَا نَسْأَلُ عَنْ دِينِكَ وَنَحْلَتِكَ وَعَادَتِكَ وَسِيرَتِكَ ؟ وَلَمْ لَا نَقِفُ
 عَلَى حَقِيقَةِ حَالِكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ ، وَمَصَالِحِنَا مُتَعَلِّقَةٌ بِكَ ، وَخَيْرَاتُنَا مُتَوَقِّعَةٌ

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « بِالْأَمْنِ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

من جَهَّتِكَ ، وَمَسَرَّتْنَا مَلْحُوظَةً^(١) بِتَذْبِيرِكَ ، وَمَسَاءَتْنَا مَصْرُوفَةً بِاهْتِمَامِكَ ، وَتَظَلَّمْنَا مَرْفُوعٌ بِعِزِّكَ ، وَرَفَاهَيْتُنَا حَاصِلَةً بِحُسْنِ نَظَرِكَ وَجَمِيلِ اِسْتِقْدَادِكَ ، وَشَائِعَ رَحْمَتِكَ ، وَبَلِّغِ اجْتِهَادِكَ ، مَا كَانَ جَوَابُ سُلْطَانِهَا وَسَائِسِهَا ؟ أَمَا كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الرَّعِيَّةَ مُصِيبَةٌ فِي دَعْوَاهَا الَّتِي بِهَا اِسْتَعَالَتْ ، بَلَى وَاللَّهِ ، الْحَقُّ مُتَعَرِّفٌ بِهِ وَإِنْ مُغَبَّ الشَّاعِبِ ، وَأَعْنَتِ الْمُغْنَتِ .

قال : ولو قالت الرعية أيضاً : وَلِمَ لَا تَبْحَثُ عَنْ أَمْرِكَ ؟ وَلِمَ لَا تَسْمَعُ كُلَّ غَثٍ وَرَسَمٍ مِنَّا ! وقد مَلَكْتَ نَوَاصِبَنَا ، وَسَكَنْتَ دِيَارَنَا ، وَصَادَرْتَنَا عَلَى^(٢) أَمْوَالِنَا ، وَحُلْتَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ضِيَاعِنَا ، وَقَاسَمْتَنَا مَوَارِئَنَا ، وَأَنْسَيْتَنَا رَفَاقَةَ^(٣) الْعَيْشِ ، وَطَلَبَ الْحَيَاةِ ، وَطُمَأْنَيْنَةَ الْقَلْبِ ، فَطَرَقْنَا مَخُوفَةً ، وَمَسَاكِينًا مَنزُولَةً^(٤) ، وَضِيَاعُنَا مُقْطَعَةً ، وَنِعْمَنَا مَسْلُوبَةً ، وَخَرَيْمَنَا مُسْتَبَاحَ ، وَنَقْدَنَا زَائِفَ ، وَخَرَّاجُنَا مُضَاعَفَ ، وَمُعَامَلَتُنَا سَيِّئَةً ، وَجُنْدِيُنَا مُتَغَطِّرِسَ ، وَشُرَطِيُنَا مُنْعَرِفَ ، وَمَسَاجِدُنَا خَرِبَةً ، وَوُفُوقَهَا مُنْتَهَبَةً ، وَمَارِسَاتُنَا خَاوِبَةً ، وَأَعْدَاؤُنَا مُسْتَكْلِبَةً ، وَغُيُوثُنَا سَخِيئَةً ، وَصُدُورُنَا مَغِيظَةً ، [وَبَلِّغْتَنَا مُتَّصِلَةً] ، وَفَرَحُنَا مَقْدُومَ ؛ مَا كَانَ الْجَوَابُ أَيْضاً عَمَّا قَالَتْ وَعَمَّا لَمْ تَقُلْ ، هَيِّبَةً لَكَ ، وَخَوْفًا عَلَى أَنْفُسِهَا مِنْ سَطْوَتِكَ وَصَوْلَتِكَ ؟

وَحَكَى لَنَا فِي عَرَضِ هَذَا الْكَلَامِ أَنَّهُ رُفِعَ إِلَى الْخَلِيفَةِ الْمُفْتَضِلِّ أَنَّ طَائِفَةً مِنَ النَّاسِ يَجْتَمِعُونَ [بِيَابِ الطَّاقِ وَيَجْلِسُونَ] فِي دُكَّانِ شَيْخِ تَبَّانَ ، وَيَخُوضُونَ فِي الْفُضُولِ وَالْأَرَاخِيفِ وَفَنُونِ مِنَ الْأَحَادِيثِ ، وَفِيهِمْ قَوْمٌ سَرَاةٌ

(١) فِي (ب) : « مَلْحُظَةٌ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . (٢) فِي (١) : « عَنْ أَمْوَالِنَا » .

(٣) فِي (ب) : « رَفَاقَةُ » بِالْمِثْلِ الْمُهْمَلَةِ ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ ؛ وَرَفَاقَةُ الْعَيْشِ : خَفْضُهُ وَلِينُهُ .

(٤) فِي (ب) : « وَمَنَازِلُنَا مَسْكُونَةٌ » .

وَتُنَاءً^(١) وَأَهْلُ بُيُوتٍ سِوَى مَنْ يَسْتَرْقِ السَّمْعَ مِنْهُمْ مِنْ خَاصَّةِ النَّاسِ ، وَقَدْ تَفَاقَمَ فَسَادُهُمْ وَإِفْسَادُهُمْ ، فَلَمَّا عَرَفَ الْخَلِيفَةُ ذَلِكَ ضَاقَ ذَرْعًا ، وَحَرَجَ صَدْرًا ، وَأَمْتَلَأَ غَيْظًا ، وَدَعَا بِعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ ، وَرَمَى بِالرَّفِيعَةِ^(٢) إِلَيْهِ ، وَقَالَ : أَنْظِرْ فِيهَا وَتَفَهَّمْهَا . فَعَمِلَ ، وَشَاهَدَ مِنْ تَرْبُدٍ^(٣) وَجَهَ الْمُعْتَصِدِ مَا أَرَعَجَ سَاكِنَ صَدْرِهِ ، وَشَرَّدَ آلِفَ صَبْرِهِ ، وَقَالَ : قَدْ فَهَمْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : فَمَا الدَّوَاءُ ؟ قَالَ : تَتَقَدَّمُ بِأَخْذِهِمْ وَصَلْبِ بَعْضِهِمْ وَإِحْرَاقِ بَعْضِهِمْ وَتَغْرِيقِ بَعْضِهِمْ ، فَإِنَّ الْمُقُوبَةَ إِذَا اخْتَلَفَتْ ، كَانَ الْهَوَلُ أَشَدَّ ، وَالْهَيْبَةُ أَشْنَأَ ، وَالزُّجُرُ أَنْجَعُ ، وَالْعَامَّةُ أَخَوْفُ . فَقَالَ الْمُعْتَصِدُ — وَكَانَ أَعْقَلَ مِنَ الْوَزِيرِ — : وَاللَّهِ لَقَدْ بَرَزَتْ لَهَيْبَ غَضَبِي^(٤) بِقَوْرَتِكَ هَذِهِ ، وَنَقَلْتَنِي إِلَى الْإِلَيْنِ بَعْدَ الْغِلَظَةِ ، وَحَطَطْتَ عَلَى الرَّفْقِ ، مِنْ حَيْثُ أَشْرَنْتَ بِالْخُرْفِ ، وَمَا عَلِمْتُ أَنَّكَ تَسْتَجِيزُ هَذَا فِي دِينِكَ وَهَدْيِكَ وَمُرُوءَتِكَ ، وَلَوْ أَمَرْتُكَ بِبَعْضِ مَا رَأَيْتَ بِعَقْلِكَ وَحَزَمِكَ لَكَانَ مِنْ حُسْنِ الْمُوَازَنَةِ وَتَبَذُّولِ النَّصِيحَةِ وَالنَّظَرِ لِلرَّعِيَةِ الضَّعِيفَةِ الْجَاهِلَةِ أَنْ تَسْأَلَنِي^(٥) الْكَفَّ عَنِ الْجَهْلِ ، وَتَتَّبَعَنِي عَلَى الْحِلْمِ ، وَتُحَبِّبَ إِلَيَّ الصَّفْحَ وَتُرَغِّبَنِي فِي فَضْلِ الْإِغْضَاءِ عَلَى هَذِهِ الْأَشْيَاءِ . وَقَدْ سَاءَنِي جَهْلُكَ بِمُحْدُودِ الْعِقَابِ وَبِمَا تُقَابِلُ بِهِ هَذِهِ الْجُرَازِرَ ، وَبِمَا يَكُونُ كُفًّا لِلذَّنُوبِ ، وَلَقَدْ عَصَيْتَ اللَّهَ بِهَذَا الرَّأْيِ وَدَلَلْتَ عَلَى قَسْوَةِ الْقَلْبِ وَقِلَّةِ الرَّحْمَةِ وَبُيْسِ الطَّيْنَةِ وَرِقَّةِ الدِّيَانَةِ ، أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ الرَّعِيَةَ وَدِيعَةُ اللَّهِ عِنْدَ سُلْطَانِهَا ؟ وَأَنَّ اللَّهَ يُسْأَلُ عَنْهَا كَيْفَ سُسَّتْهَا ؟ وَلَعَلَّهُ

(١) التناء : الدهاقين والرؤساء .

(٢) الرفيعة : الرقعة المرفوعة .

(٣) في كلتا النسختين : « من يريد » ؛ وهو تصحيف .

(٤) في (ب) : « لهيب غيظي بقسوتك » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضاً .

(٥) في (١) : « على » ، ولم يظهر منها في (ب) إلا نون وياه ، وسائرهما مطموس .

لَا يَسْأَلُهَا عَنْهُ ، وَإِنْ سَأَلَهَا فَلْيُؤْكَدِ الْحُجَّةَ عَلَيْهِ مِنْهَا ؛ أَلَا تَذَرِي أَنَّ أَحَدًا مِنَ الرِّعَايَةِ لَا يَقُولُ مَا يَقُولُ إِلَّا لَظْمَ لِحَقِّهِ أَوْ لِحَقِّ جَارِهِ ^(١) ، وَدَاهِيَةَ نَالَتِهِ أَوْ نَالَتْ صَاحِبًا لَهُ ؟ وَكَيْفَ نَقُولُ لَمْ : كُونُوا صَالِحِينَ أَتَقِيَاءَ مُقْبِلِينَ عَلَى مَعَاشِكُمْ ، غَيْرَ خَائِضِينَ فِي حَدِيثِنَا ، وَلَا سَائِلِينَ عَنْ أَمْرِنَا ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ فِي كَلَامِهَا : غَنَبْنَا السُّلْطَانَ فَلَبِيسَ قَرَوَنَتْنَا ، وَأَكَلَ خُضْرَتْنَا ، وَحَنَقَ الْمَمْلُوكُ عَلَى الْمَالِكِ مَعْرُوفَ ، وَإِنَّمَا يُحْتَمَلُ السَّيِّدُ عَلَى صُرُوفِ تَكَالُفِهِ ، وَمَكَارِهِ تَصَارِيفِهِ ، إِذَا كَانَ الْعِيشَ فِي كَنْفِهِ رَافِقًا ، وَالْأَمَلُ فِيهِ قَوِيًّا ، وَالصَّدْرُ عَلَيْهِ بَارِدًا ، وَالْقَلْبُ مَعَهُ سَاكِنًا ، أَتُظَنُّ أَنَّ الْعَمَلَ بِالْجَهْلِ يَنْفَعُ ، وَالْمُذْرَبَ بِهِ يَسَّعُ ، لَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مَا رَأَيْتُ ، وَلَا الصُّوَابُ مَا ذَكَرْتُ ، وَجَّةَ صَاحِبِكَ وَلَيْسَكُنْ ذَاخِرَةً وَرَفِيقًا ، وَمَعْرُوفًا بِخَيْرٍ وَصِدْقٍ ، حَتَّى يَعْرِفَ حَالَ هَذِهِ الطَّائِفَةِ ، وَيَقِفَ عَلَى شَأْنِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا فِي مَعَاشِهِ ، وَقَدَّرِ مَا هُوَ مُتَقَلِّبٌ فِيهِ وَمُنْقَلِبٌ إِلَيْهِ ، فَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ يَصْلُحُ لِلْعَمَلِ فَعَلَّقَهُ بِهِ ، وَمَنْ كَانَ سَيِّئُ الْحَالِ فَصَلَّهُ مِنْ بَيْتِهِ الْمَالُ بِمَا يُعِيدُ نَضْرَةَ حَالِهِ ، وَيُفِيدُهُ طُمَأْنِينَةً بِالْهَ ; وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ هَذَا الرَّهْطِ ، وَهُوَ غَفِيٌّ مَكْفِيٌّ ، وَإِنَّمَا يُخْرِجُهُ إِلَى دُكَّانِ هَذَا التَّبَّانِ الْبَطْرُ وَالزَّهْوُ ، فَأَذْعُ بِهِ ، وَأُنْصَحْهُ ، وَلَا طِفْهَ ، وَقُلْ لَهُ : إِنَّ لَفَظَكَ مَسْمُوعٌ ، وَكَلَامُكَ مَرْفُوعٌ ؛ وَمَتَى وَقَفَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى كُنْهِ ذَلِكَ مِنْكَ لَمْ تَجِدْكَ إِلَّا فِي عَرَصَةِ الْقَابَرِ ، فَاسْتَأْنِفْ لِنَفْسِكَ سَبِيلَةً تَسْلُمُ بِهَا مِنْ ^(٢) سُلْطَانِكَ ، وَتُحَمَّدُ عَلَيْهَا عِنْدَ إِخْوَانِكَ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَجْعَلَ نَفْسَكَ عِظَةً لِغَيْرِكَ بَعْدَ مَا كَانَ غَيْرُكَ عِظَةً لَكَ ؛ وَلَوْلَا أَنَّ الْأَخْذَ بِالْجَرِيرَةِ الْأُولَى مَخَالِفٌ لِلْسَّيِّئَةِ لِلثَّلَا ، لَسَكَانَ هَذَا الَّذِي تَسْمَعُهُ مَا تَرَاهُ ، وَمَا تَرَاهُ تَوَدُّ أَنَّكَ لَوْ سَمِعْتَهُ قَبْلَ أَنْ

(١) فِي كَلَامِنَا النِّسْخَتَيْنِ : « دَارَةٌ » بِالذَّالِ ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي (١) : « عَلَى » مَكَانَ « مِنْ » ؛ وَهُوَ خَطَأٌ مِنَ النَّاسِخِ .

تراه . فَإِنَّكَ يَا عُبَيْدَ اللَّهِ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَقَدْ بَالَغْتَ فِي الْمُعُوبَةِ ، وَمَلَكَتَ طَرَفِي لِلْمُضْلَحَةِ ، وَقُمْتَ عَلَى سَوَاءِ السِّيَاسَةِ ، وَنَجَوْتَ مِنَ الْحَوْبِ وَالْمَأْثَمِ فِي الْعَاقِبَةِ . قال : وفارقَ الوزيرُ حَضْرَةَ [الخليفة] ، وعَمِلَ بِمَا أَسْرَبَ بِهِ عَلَى الْوَجْهِ اللَّطِيفِ ، فعادت الحالُ تَرِفُ بِالسَّلَامَةِ الْعَامَّةِ ، وَالْعَاقِبَةِ الْيَاقَةِ ؛ فَنَقَدَّمَ إِلَى الشَّيْخِ التَّبَّانُ بَرَفْعِ حَالٍ مِنْ يَقْعُدُ عِنْدَهُ حَتَّى يُوَاسِيَ إِنْ كَانَ مُحْتَاجًا ، وَيُصَرِّفَ إِنْ كَانَ مُتَعَطِّلًا ، وَيُنْصَحَ إِنْ كَانَ مُتَمَقِّلًا .

فقال الوزير : مَا سَمِعْتُ مِثْلَ هَذَا قَطُّ ، وَمَا ظَنَنْتُ أَنْ الْخَطْبُ فِي مِثْلِ هَذَا يَبْلُغُ هَذَا الْقَدْرَ ؛ فَهَاتِ الْجَوَابَ الْآخَرَ الَّذِي حَفِظْتَهُ عَنِ الصُّوفِيِّ . فقلتُ : إِنْ كَانَ هَذَا كَافِيًا فَإِنَّ ذَلِكَ فَضْلٌ .

فقال : هَكَذَا هُوَ ، وَإِنْ فِيمَا مَرَّ لَكِيفَايَةِ ، وَمَا يَزِيدُ عَلَى الْكِيفَايَةِ ، وَلَكِنْ الزِّيَادَةُ مِنَ الْعِلْمِ دَاعِيَةٌ إِلَى الزِّيَادَةِ مِنَ الْعَمَلِ ، وَالزِّيَادَةُ مِنَ الْعَمَلِ جَالِبَةٌ الْإِنْتِفَاعَ بِالْعِلْمِ ، وَالْإِنْتِفَاعُ بِالْعِلْمِ دَلِيلٌ عَلَى سَعَادَةِ الْإِنْسَانِ ، وَسَعَادَةُ الْإِنْسَانِ مَقْسُومَةٌ عَلَى أَقْتِبَاسِ الْعِلْمِ وَالتَّمَسُّكِ بِالْعَمَلِ ، حَتَّى يَكُونَ بِأَحَدِهِمَا زَارِعًا ، وَبِالْآخَرِ حَاصِدًا ، وَبِأَحَدِهِمَا تَاجِرًا ، وَبِالْآخَرِ رَاجِحًا .

فَوَصَلْتُ الْحَدِيثَ وَقُلْتُ : حَدَّثَنِي شَيْخٌ مِنْ الصُّوفِيَّةِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ قَالَ : كُنْتُ بِنَيْسَابُورَ سَنَةَ سَبْعِينَ وَثَلَاثِينَ ، وَقَدْ أَشْتَقَلْتُ خُرَاسَانَ بِالْفِتْنَةِ ، وَتَبَلَّغْتُ دَوْلَةَ آلِ سَامَانَ بِالْجُورِ وَطُولِ الْمُدَّةِ ، فَلَجَّأْتُ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ صَاحِبَ الْجَيْشِ إِلَى قَايِينَ ^(١) ، وَهِيَ حِصْنُهُ وَمَقْعِلُهُ ، وَوَرَدَ أَبُو الْعَبَّاسِ صَاحِبُ جَيْشِ [آلِ] سَامَانَ نَيْسَابُورَ بِعُدَّةٍ عَظِيمَةٍ ، وَعُدَّةٍ عَمِيمَةٍ ، وَزِينَةٍ فَاحِشَةٍ ، وَهَيْئَةٍ بَاهِرَةٍ ، وَغَلًّا السَّعْفَرُ ،

(١) قَايِينَ : بَلَدٌ قَرِيبٌ مِنْ طَبَسَ ، بَيْنَ نَيْسَابُورَ وَأَصْبَهَانَ ؛ وَهِيَ فِرْضَةُ خُرَاسَانَ .

وَأُخِيفَتِ السُّبُلُ ، وَكَثُرَ الْإِرْجَافُ ، وَسَاءَتِ الظُّنُونُ ، وَضَجَّتِ الْعَامَّةُ ، وَالتَّسَّ الرَّأْيُ ، وَأَنْقَطَعَ الْأَمَلُ ، وَنَبَحَ كَلْبُ كَلْبٍ مِنْ كُلِّ زَاوِيَةٍ ، وَزَارَ كُلُّ أَسَدٍ مِنْ كُلِّ أَجْمَةٍ ، وَضَبَحَ كُلُّ ثَغْلَبٍ مِنْ كُلِّ تَأَمَةٍ .

قال : وَكُنَّا جَمَاعَةً غُرَبَاءَ نَأْوِي إِلَى دُورَةٍ ^(١) الصُّوفِيَّةِ لَا نَبْرَحُهَا ، فَتَارَةً نَقْرَأُ ، وَتَارَةً نَصَلِّي ، وَتَارَةً نَنَامُ ، وَتَارَةً نَهْدِي ، وَالْجُوعُ يَفْعَلُ عَمَلَهُ ، وَنُحُوضُ فِي حَدِيثِ آلِ سَامَانَ ، وَالْوَارِدِ مِنْ جِهَتِهِمْ إِلَى هَذَا الْمَسْكَانِ ، وَلَا قُدْرَةَ لَنَا عَلَى السَّيَاحَةِ لِأَسَدَادِ الطَّرِيقِ ، وَتَخَطُّفِ النَّاسِ لِلنَّاسِ ، وَشُمُولِ الْخَوْفِ ، وَغَلَبَةِ الرَّغْبِ ، وَكَانَ الْبَلَدُ يَتَقَدُّ نَارًا بِالشُّؤَالِ وَالتَّعَرُّفِ وَالْإِرْجَافِ بِالصَّدَقِ وَالْكَذِبِ ، وَمَا يُقَالُ بِالْمَوَى وَالْعَصَبِيَّةِ ؛ فَضَاقَتْ صُدُورُنَا ، وَخَبِلَتْ سَرَائِرُنَا ^(٢) وَأَسْتَمْتَوَلَى عَلَيْنَا الْوَسْوَاسُ ، وَقَلْنَا لَيْلَةً : مَا تَرَوْنَ يَا صِحَابَنَا ^(٣) [مَا] دُفَعْنَا إِلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْأَحْوَالِ الْكَرِيهَةِ ، كَأَنَّا وَاقِفٌ أَصْحَابُ نَعْمٍ وَأَرْبَابُ ضِيَاعٍ نَخَافُ عَلَيْهَا الْفَارَةَ وَالنَّهْبَ ، وَمَا عَلَيْنَا مِنْ وِلَايَةِ زَيْدٍ ، وَغَزَلِ عَمْرٍو ، وَهَلَائِكَ بَكْرٍ ، وَنَجَاةِ بَشَرٍ ، نَحْنُ قَوْمٌ قَدْ رَضِينَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا الْعَسِيرَةِ ، وَهَذِهِ الْحَيَاةِ الْقَصِيرَةِ ، بِكَسْرَةٍ يَاسَسَةٍ ، وَخِرْقَةٍ بَالِيَةٍ ، وَزَاوِيَةٍ مِنَ الْمَسْجِدِ مَعَ الْعَاقِبَةِ مِنْ بَلَايَا طُلَّابِ الدُّنْيَا . فَا هَذَا [الَّذِي] يَفْتَرِينَا مِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي لَيْسَ لَنَا فِيهَا نَاقَةٌ وَلَا جَعَلٌ ، وَلَا حَظٌّ وَلَا أَمَلٌ ، قَوْمُوا بِنَا غَدًا حَتَّى نَزُورَ أَبَا زَكْرِيَاءَ الزَّاهِدَ ، وَنَظْلَ نَهَارِنَا عِنْدَهُ لَاهِنٍ عَمَّا نَحْنُ فِيهِ ، سَاكِنِينَ مَعَهُ ، مُقْتَدِينَ بِهِ ؛ فَاتَّفَقَ رَأْيُنَا عَلَى ذَلِكَ ، فَفَعَدُونَا ^(٤) وَصَرَرْنَا إِلَى أَبِي زَكْرِيَاءَ الزَّاهِدِ ، فَلَمَّا دَخَلْنَا رَحَّبَ

(١) فِي نَسْخَةِ « وَتَرَةٍ » مَكَانَ « دَوِيرَةٍ » . وَالتَّوَرَةُ : مَا وَتَرَ بِالْأَعْمَدَةِ مِنَ الْبُيُوتِ .

(٢) فِي (ب) : « أَفْسَنَا » . (٣) فِي كَلِمَتَا الْفَسْخَيْنِ : « بِأَصْحَابِنَا دَفَعْنَا » ؛ وَفِي

(ب) بَيْنَ قَوْلِهِ « بِأَصْحَابِنَا » وَقَوْلِهِ « دَفَعْنَا » فَرَاغٌ يَسَعُ كَلِمَةً ؛ وَلَعَلَّ صَوَابَ الْعِبَارَةِ مَا أَتَيْنَا

إِذْ هُوَ مُقْتَضَى السِّيَاقِ . (٤) فِي (ب) : « فَسَرَرْنَا » مَكَانَ قَوْلِهِ « فَفَعَدُونَا » .

بنا ، وفَرَحَ بِزِيَارَتِنَا ، وقال : ما أَشْوَقَنِي إِلَيْكُمْ ^(١) ، وما أَلْهَفَنِي ^(٢) عَلَيْكُمْ ! الحمد لله الذى جَمَعَنِي وَإِيَّاكُمْ فى مَقَامٍ واحد ، حَدَّثُونِي ما الذى سَمِعْتُمْ ، وماذَا بَلَغَكُمْ من حديث الناس ، وأمر هؤلاء السَّلاطين ؟ فَرَجُّوا عَنِّي ؛ وقولوا لى ما عِنْدَكُمْ ، فلا تَكْتُمُونِ شَيْئًا فإِلى اللَّهِ سَمْعِي فى هذه الأَيَّامِ إِلَّا ما أَتَصِلُ بِمَحْدِيهِمْ ، وَأَقْتَرَنَ بِغَيْرِهِمْ ، فلما ورد عَلَيْنَا من هذا الزَّاهِدِ العابد ما وَرَدَ ، دُهِشْنَا وَأَسْتَوْحَشْنَا ، وقلنا فى أَنْفُسِنَا انظروا من أى شىء هَرَبْنَا ^(٣) ، وبأى شىء عَلِقْنَا ، وبأى دَاهِيَةٍ دُهِينَا . قال : فَخَفَّفْنَا الحديثَ وَأَنْسَلْنَا ، فلما خَرَجْنَا قلنا : أَرَأَيْتُمْ ما بُلِينَا به ، وما وَقَعْنَا عليه ؟ (إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ) . ميلوا بنا إلى أبى عمرو الزَّاهِدِ فله فَضْلٌ وَعِبَادَةٌ وَعِلْمٌ وَتَفَرُّدٌ فى صَوْمَعَتِهِ حتى نُقِيمَ عِنْدَهُ إلى آخر النَّهار ، فقد بنا بنا المكانَ الأوَّلَ ، وبَطَلَ قَصْدُنَا فيما عَزَمْنَا عليه من العَمَلِ ، فشينَا إلى أبى عمرو الزَّاهِدِ وَأَسْتَأْذَنَّا ، فَأَذِنَ لَنَا ، وَوَصَّلَنَا إِلَيْهِ فَسُرَّ بِمَحْضُورِنَا ، وَهَشَى لِرُؤْيَيْنَا ، وَأَبْتَهَجَ بِقَصْدِنَا ، وَأَعْظَمَ زِيَارَتِنَا ، ثم قال : يا أَصْحَابَنَا ما عِنْدَكُمْ مِنْ حَدِيثِ النَّاسِ ؟ فَقَدْ وَاللَّهِ طَالَ عَطَشِي إلى شىء أَسْمَعُهُ ، ولم يَدْخُلْ على الْيَوْمِ أَحَدٌ فَأَسْتَخْبِرَهُ ، وَإِنْ أَذِنَ لَدَى الْبَابِ لِأَسْمَعَ قِرْعَةً أو أَعْرِفَ حَادِثَةً ، فَهَاتُوا ما مَعَكُمْ وما عِنْدَكُمْ ، وَقُضُّوا على الْقِصَّةِ بِقِصَّهَا وَنِصَّهَا ، ودَعُوا التَّوَرِيَّةَ وَالكِتَابِيَّةَ ، وَأَذْكُرُوا الْفَتْحَ وَالنِّمْنَ ، فَإِنَّ الْحَدِيثَ هَكَذَا يَطِيبُ ، ولولا الْعَظَمُ ما طَابَ اللَّحْمُ ، ولولا النَّوَى ما حَلَا التَّمْرُ ، ولولا الْقِشْرُ لَمْ يَوْجِدِ اللَّبُّ ، فَعَجَبْنَا مِنْ هَذَا الزَّاهِدِ الثَّانِي أَكْثَرَ مِنْ عَجَبِنَا مِنَ الزَّاهِدِ الأوَّلِ ، وَخَاطَفَنَاهُ الْحَدِيثَ ،

(١) فى (ب) : « إلى زيارتكم » . (٢) فى (ب) : « والهفى » .

(٣) ورد فى (١) من هذه الكلمة باء ونون بعدها ألف . وفى (ب) لم يظهر منها

إلا هاء ونون وألف ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا .

وَوَدَّعْنَاهُ ، وَخَرَجْنَا ، وَأَقْبَلَ بَفْضُنَا عَلَى بَعْضِ يَقُولِ : أَرَأَيْتُمْ أَظَرَفَ مِنْ أَمْرِنَا
وَأَغْرَبَ مِنْ شَأْنِنَا ؟ انْظُرُوا مِنْ أَيْ شَيْءٍ كَانَ تَعْرِيجُنَا (إِنَّ هَذَا أَيْ شَيْءٌ مُجَابٍ)
وَتَلَدَدُنَا وَتَبَلَدُنَا وَقَلْنَا يَا أَصْحَابِنَا : أَنْطَلِقُوا إِلَى أَيْ الْحَسَنِ الضَّرِيرِ ، وَإِنْ كَانَ
مَضْرِبُهُ ^(١) بَعِيدًا فَإِنَّا لَا نَجِدُ سَكُونَنَا إِلَّا مَعَهُ ، وَلَا نَنْظُرُ بَضَائِقَنَا إِلَّا عِنْدَهُ ،
لِزُهْدِهِ وَعِبَادَتِهِ وَتَوَحُّدِهِ وَشُغْلِهِ بِنَفْسِهِ مَعَ زَمَانَتِهِ فِي بَصَرِهِ ، وَوَرَعِهِ ، وَقَلَّةِ
فِكْرِهِ فِي الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا ؛ وَطَوِينَا الْأَرْضَ إِلَيْهِ ، وَدَخْلَنَا عَلَيْهِ ، وَجَدْنَا حَوَالِيَهُ
فِي مَسْجِدِهِ ، وَلَمَّا سَمِعْنَا أَقْبَلَ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِمَّا يَلْسُهُ بِيَدِهِ رِيْرَحْبٍ بِهِ ،
وَيَذْعُو لَهُ وَيَقْرُبُ ، فَلَمَّا أَتَيْنَاهُ أَقْبَلَ عَلَيْنَا [وَقَالَ] : أَمِنْ السَّمَاءِ نَزَلْتُمْ عَلَيَّ ؟ وَاللَّهِ
لَسَكَّائِي قَدْ وَجَدْتُ بِكُمْ مَأْمُولِي ، وَأَحْرَزْتُ غَايَةَ سُؤْلِي ، قَوْلُوا لِي غَيْرَ مُخْتَشِمِينَ :
مَا عِنْدَكُمْ مِنْ أَحَادِيثِ النَّاسِ ؟ وَمَا عَزَمَ [عَلَيْهِ] هَذَا الْوَارِدُ ؟ وَمَا يَقَالُ فِي أَمْرِ
ذَلِكَ الْهَارِبِ إِلَى قَائِينَ ، وَمَا الشَّائِعُ مِنَ الْأَخْبَارِ ؟ وَمَا الَّذِي يَتَهَامَسُ بِهِ نَاسٌ
دُونَ نَاسٍ ؟ وَمَا يَقَعُ فِي هَوَاجِسِكُمْ وَيَسْتَبِقُونَ إِلَى نَفْسِكُمْ ^(٢) ؟ فَإِنَّكُمْ بُرْدُ الْأَفَاقِ ،
وَجَوَالَةُ الْأَرْضِ ، وَلَقَاطَةُ الْكَلَامِ ، وَيَتَسَاقَطُ إِلَيْكُمْ مِنَ الْأَقْطَارِ مَا يَتَعَذَّرُ عَلَى
عِظَاءِ الْمُلُوكِ وَكِبَرَاءِ النَّاسِ : فَوَرَدَ عَلَيْنَا مِنْ هَذَا الْإِنْسَانِ مَا أَنْسَى الْأَوَّلَ
وَالثَّانِي ، وَمَا زَادَ فِي عَجَبِنَا أَنَا كُنَّا نَعُدُّهُ فِي طَبَقَةٍ فَوْقَ طَبَقَاتِ جَمِيعِ النَّاسِ
فَخَفَفْنَا الْحَدِيثَ مَعَهُ ، وَوَدَّعْنَاهُ ، وَخَنَسْنَا مِنْ عِنْدِهِ ، وَطَفِقْنَا نَتَلَاوُمُ عَلَى زِيَارَتِنَا
لَهُوَلَاءِ الْقَوْمِ لَمَّا رَأَيْنَا مِنْهُمْ ، وَظَهَرَ لَنَا مِنْ حَالِهِمْ ، وَازْدَرَيْنَاهُمْ ، وَأَقْلَبْنَا مَتَوَجِّهِينَ
إِلَى دُورَتِنَا إِنِّي غَدَوْنَا مِنْهَا مُسْتَطَرِّقِينَ كَاللَّيْلِ ، فَلَقِينَا فِي الطَّرِيقِ شَيْخًا مِنْ
الْحُكَمَاءِ يَقَالُ لَهُ أَبُو الْحَسَنِ الْعَاصِمِيُّ ، وَلَهُ كِتَابٌ فِي التَّصَوُّفِ قَدْ شَحَنَهُ بِعِلْمِنَا

(١) يريد بمضربه بيته ، مستعار من مضرب الحياض .

(٢) في (ب) : « إلى قلوبكم » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضاً .

وإشارتنا ، وكان من الجَوَالِين الَّذِينَ نَقَبُوا فِي الْبِلَادِ وَأَطْلَمُوا عَلَى أَسْرَارِ اللَّهِ فِي الْعِبَادِ ؛ فقال لنا : من أين دَرَجْتُمْ ؛ وَمَنْ قَصَدْتُمْ . فَأَجْلَسْنَاهُ فِي مَسْجِدٍ ، وَعَصَبْنَا حَوْلَهُ ، وقصصنا عليه قِصَّتَنَا مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا ، ولم نَحْذِفْ مِنْهَا حَرْفًا . فقال لنا : في طيِّ هذه الحال الطارئة غَيْبٌ لَا تَقْفُونَ عليه ، وسِرٌّ لَا تَهْتَدُونَ إليه ، وإنما غَرَّكُمْ كُظُنُّكُمْ بِالزَّهَادِ ، وقلتم لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْخَبِيرُ [عنهم كَالْخَبِيرِ] عن الْعَامَّةِ ، لأنهم الْخَاصَّةُ ، ومن الْخَاصَّةِ خَاصَّةُ الْخَاصَّةِ ، لأنَّهُمْ بِاللَّهِ يَلُودُونَ ، وَإِيَّاهُ يَعْبُدُونَ ، وعليه يَتَوَكَّلُونَ ، وإليه يَرْجِعُونَ ، ومن أَجْلِهَا يَتَهَالَكُونَ ، وبه يَتَمَالَكُونَ .

قلنا له : فَإِنْ رَأَيْتَ يَا مُعَلِّمُ الْخَبِيرِ أَنَّ تَكْشِيفَ عَنَّا هَذَا الْغِطَاءِ ، وَتَرْفَعَ هَذَا السُّتْرُ ، وتعرفنا منه ما وَهَبَ اللَّهُ لَكَ مِنْ هَذَا الْغَيْبِ ، لنكون شاكِرِينَ ، وتكون من الْمُشْكُورِينَ . فقال : نَعَمْ ، أمَّا الْعَامَّةُ فَإِنَّهَا تَلْهَجُ بِمَحْدِثِ كِبَرَائِهَا وَسَاسَتِهَا لِمَا تَرْتَجُو مِنْ رَخَاءِ الْعَيْشِ وَطَيْبِ الْحَيَاةِ وَسَعَةِ الْمَالِ وَدُرُورِ الْمَنَافِعِ وَاتِّصَالِ الْجَلَبِ وَنَفَاقِ السُّوقِ وَتَضَاعُفِ الرِّبْحِ ؛ فأما هَذِهِ الطَّائِفَةُ الْعَارِفَةُ بِاللَّهِ ، الْعَامِلَةُ لِلَّهِ ، فَإِنَّهَا مُوَلَّمةٌ أَيْضًا بِمَحْدِثِ الْأَمْرَاءِ ، وَالْجَبَّارَةِ الْعِظَاءِ ، لِيَتَّقِيَ عَلَى تَصَارِيفِ قُدْرَةِ اللَّهِ فِيهِمْ ، وَجَرِيَانِ أَحْكَامِهِ عَلَيْهِمْ ، وَنُفُوذِ مَشِيشَتِهِ فِي تَحَابُّهِمْ وَمَسْكَارِهِمْ فِي حَالِ النِّعْمَةِ ^(١) عَلَيْهِمْ ، وَالْأَنْتِقَامِ مِنْهُمْ ، الْأَتْرُونَةَ قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : (حَتَّى إِذَا فَرَّحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ) ، وبهذا الْأَعْتِبَارِ يَسْتَنْبِطُونَ خَوَافِي حِكْمَتِهِ ، وَيَطْلَعُونَ عَلَى تَتَابُعِ نِعْمَتِهِ وَغَرَائِبِ نِقْمَتِهِ ، وَهَاهُنَا يَعْلَمُونَ أَنَّ كُلَّ مُلْكٍ سِوَى مُلْكِ اللَّهِ زَائِلٌ ، وَكُلُّ نَعِيمٍ غَيْرِ نَعِيمِ الْجَنَّةِ حَائِلٌ ،

(١) في كلتا النسختين : « النعمة » ؛ وهو تحريف .

وَيَصِيرُ هَذَا كُلُّهُ سَبَبًا قَوِيًّا لَهُمْ فِي الضَّرْعِ إِلَى اللَّهِ ، وَاللَّيَازِ بِاللَّهِ ، وَالْخُشُوعِ
لِلَّهِ ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ ، وَيَتَّبِعُونَ بِهِ مِنْ حِرَانِ الْإِبَاءِ ، إِلَى أَنْقِيَادِ الْإِجَابَةِ ،
وَيَتَنَبَّهُونَ مِنْ رَقْدَةِ الْغَفْلَةِ ، وَيَكْتَحِلُونَ بِالْيَقَظَةِ مِنْ سِنَّةِ السَّهْوِ وَالْبَطَالَةِ ،
وَيَجِدُّونَ فِي أَخْذِ الْقِتَادِ ، وَاكْتِسَابِ الزَّادِ إِلَى الْمَادِ ، وَيَعْمَلُونَ فِي الْخُلَاصِ مِنْ
هَذَا الْمَكَانِ الْخَرِجِ بِالْمَكَارِهِ ، الْمَخْضُوفِ بِالرَّزَايَا ، الَّذِي لَمْ يُفْلِحْ فِيهِ أَحَدٌ
إِلَّا بَعْدَ أَنْ هَدَمَهُ وَتَلَمَّه ، وَهَرَبَ مِنْهُ ، وَرَحَلَ عَنْهُ إِلَى مَحَلٍّ لَا دَاءَ فِيهِ وَلَا غَائِلَةٌ ؛
سَاكِنُهُ خَالِدٌ ، وَمَقِيمُهُ مُطْمَئِنٌّ ، وَالْفَائِزُ بِهِ مَنْعَمٌ ، وَالوَاصِلُ إِلَيْهِ مَكْرَمٌ ، وَبَيْنَ
الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ فِي هَذِهِ الْحَالِ وَفِي غَيْرِهَا فَرْقٌ يَضْحَكُ لِمَنْ رَفَعَ اللَّهُ طَرَفَهُ إِلَيْهِ ،
وَفَتَحَ بَابَ السَّرِّ فِيهِ عَلَيْهِ ، وَقَدْ يَتَشَابَهُ الرَّجُلَانِ فِي فِعْلٍ ، وَأَحَدُهُمَا مَذْمُومٌ ،
وَالْآخَرُ مُعْزَى ، وَقَدْ رَأَيْنَا مُصَلِّيًّا إِلَى الْقِبْلَةِ وَقَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ ،
وَأَخْرَجَ إِلَى جَانِبِهِ أَيْضًا يَصَلِّي إِلَى الْقِبْلَةِ وَقَلْبُهُ فِي طَرَفٍ^(١) مَا فِي كُمِّ الْآخَرِ ، فَلَا تَنْظُرُوا
مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَى ظَاهِرِهِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَصَلُّوا بِنَظَرِكُمْ إِلَى بَاطِنِهِ ، فَإِنَّ الْبَاطِنَ
إِذَا وَاطَأَ الظَّاهِرَ كَانَ تَوَحُّدًا ، وَإِذَا خَالَفَهُ إِلَى الْحَقِّ كَانَ وَحْدَةً ، وَإِذَا خَالَفَهُ
إِلَى الْبَاطِلِ كَانَ ضَلَالَةً ، وَهَذِهِ الْمَقَامَاتُ مُرْتَبَةٌ لِأَصْحَابِهَا ، وَمَوْقُوفَةٌ عَلَى أَرْبَابِهَا ؛
لَيْسَ لَغَيْرِ أَهْلِهَا فِيهَا نَفْسٌ ، وَلَا لَغَيْرِ مُسْتَحِقِّهَا مِنْهَا قَبَسٌ .

قال الشيخ الصوفي : فوالله ما زال ذلك الحكيم يَحْشُو آذَانَنَا بِهِذِهِ
وَمَا أَشْبَهَهَا ، وَيَمَلَأُ صُدُورَنَا بِمَا عِنْدَهُ حَتَّى سُرِرْنَا^(٢) وَأَنْصَرَفْنَا إِلَى مُتَعَشِّئَانَا وَقَدْ
اسْتَفْدْنَا عَلَى يَأْسٍ مَنَّا فَائِدَةً عَظِيمَةً لَوْ تَمَنَّيْنَاهَا بِالْغُرْمِ الثَّقِيلِ وَالسَّعْيِ الطَوِيلِ
لَكَانَ الرَّجْحُ مَعَنَا ، وَالزِّيَادَةُ فِي أَيْدِينَا .

(١) الطر : الاستلال .

(٢) فِي كَلْمَا النَّسْخَتَيْنِ : « سَدَدْنَا » .

فلما سمع الوزيرُ هذا عَجَبَ وقال : لا أدري : أكلامُ أبي سُلَيْمَانَ في ذلك الاحتجاجِ أبلغُ ، أم الحِكَايَةُ عن الْمُعْتَضِدِ أَشْفَى ، أم رواية الشيخ الصوفيِّ أَطْرَفُ ، وما عَلِمْتُ أَنَّ في البَحْثِ عن سِرِّ الإِرْجَافِ هذه اللَّطِيفَةَ الخَفِيَّةَ ، وهذه الحِجَّةَ الجَلِيَّةَ ، وَكُنْتُ أَرَى أَنَّ الصُّوفِيَّةَ لَا يَرْجُمُونَ إِلَى رُكْنٍ مِنَ الْعِلْمِ ، وَنَصِيبٍ مِنَ الْحِكْمَةِ ، وَأَنَّهُمْ إِنَّمَا يَهْذُونَ بِمَا لَا يَعْلَمُونَ ، وَأَنْ بِنَاءَ أَسْرَمٍ عَلَى اللَّعِبِ وَاللَّهْوِ وَالْمَجْهُولِ .

قُلْتُ : لَوْ جُمِعَ كَلَامُ أَتَمَّتْهُمْ وَأَعْلَامِهِمْ لَزَادَ عَلَى عَشْرَةِ آلَافٍ وَرَقَةٍ عَمَّنْ تَقَفُ^(١) عَلَيْهِ فِي هَذِهِ الْبِقَاعِ الْمُتَقَارِبَةِ ، سِوَى مَا عِنْدَ قَوْمِ آخَرِينَ لَا نَسْمَعُ بِهِمْ ، وَلَا يَبْلُغُنَا خَبَرُهُمْ . قَالَ : فَأَذْكُرُ لِي جَمَاعَةً مِنْهُمْ . قُلْتُ : الْجُنَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصُّوفِيُّ الْبَغْدَادِيُّ الْعَالِمُ ، وَالْحَارِثُ بْنُ أَسَدٍ الْمَحَاسِنِيِّ ، وَرُوَيْنَمُ ، وَأَبُو سَعِيدٍ الْخَرَّازُ ، وَعَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ الْمَكِّيُّ ، وَأَبُو يَزِيدَ الْبِسْطَامِيُّ ، وَالْفَتْحُ الْمَوْصِلِيُّ ، وَهُوَ الَّذِي سُمِعَ وَهُوَ يَقُولُ : إِلَى مَتَى تُرَدِّدُنِي فِي سِكَكِ الْمَوْصِلِ ، أَمَا أَنَّ لِاحْتِيبِ أَنْ يَلْتَقَى حَبِيبَهُ ؟ فَاتَ بَعْدَ جُمُعَةٍ .

فَقَالَ : هَذَا عَجَبٌ . وَلَقَدْ مَرَّ فِي هَذَا الْفَنِّ مَا كَانَ فَوْقَ حُسْبَانِي وَأَكْثَرُ مِمَّا كَانَ^(٢) فِي ظَنِّي ، وَكَمْ مِنْ شَيْءٍ خَفِيرٍ يُطْلَعُ مِنْهُ عَلَى أَمْرٍ كَبِيرٍ .

وَقَالَ : أَنَشِدْنِي شَيْئًا ؛ فَأَنشَدْتُهُ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

رَجَمْتُ عَلَى السَّفِيهِ بِفَضْلِ حُلِيِّ وَكَانَ تَحَلَّى عَنْهُ لِجَامَا
وُظِنَ بِي السَّافَاةَ فَلَمْ يَجِدْنِي أَسَافُهُ وَقَلَّتْ لَهُ : سَلَامَا

(١) عَنْ تَقَفَ ، أَيْ مَرُوءَةٍ عَنْ تَقَفَ ، وَفِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ عَلَى مَا تَقَفَ ، وَقَوْلُهُ عَلَى هَذَا

لَا مُقْتَضَى لَهُ .

(٢) فِي (ب) : « وَأَكْثَرُ مِمَّا دَارَ فِي خُلْدِي » ؛ وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ أَيْضًا .

فَقَامَ يَجْرُ رِجْلَيْهِ ذَلِيلًا وَقَدْ كَسَبَ الْمَذَلَّةَ وَالْمَلَامًا
وَفَضَّلَ الْحِلْمَ أَبْلَغُ فِي سَفِيهِ وَأُخْرَى أَنْ يَنَالَ بِهِ أُنْتِقَامًا

(٣) فقال : ما أعجب أمر العرب ، تأمر بالحلْم مرّةً ، والصبر والكظم مرّةً ، وتَحُثُّ بعد ذلك على الانتصاف وأخذ الثأر ، وتَذُمُّ السَّغَةَ وقَمَعَ العَدُوَّ ! وهكذا شأنها في جميع الأخلاق ؛ أعنى أنها رُبَّمَا حَضَّتْ عَلَى الْقَنَاعَةِ والصَّبْرِ والرضا بالتيسُّور ، ورُبَّمَا خَالَفَتْ هَذَا ، فَأَخَذَتْ تَذَكُّرُ أَنْ ذَلِكَ فَسَالَةٌ وَنُقْصَانٌ هِمَّةٍ وَلَيْنٌ عَرِيكَةٌ وَمَهَانَةٌ نَفْسٍ ؛ وكذلك أيضًا تَحُثُّ عَلَى الْبَسَاطَةِ^(١) وَالْإِقْدَامِ وَالْإِتِّصَارِ وَالْحَمِيَّةِ وَالْجَسَارَةِ ؛ ورُبَّمَا عَدَلَتْ^(٢) إِلَى أَضْدَادِ هَذِهِ الْأَخْلَاقِ وَالسَّجَايَا وَالضَّرَائِبِ وَالْأَحْوَالِ ؛ فِي أَوْقَاتٍ يَحْسُنُ فِيهَا بَعْضُهَا ، وَيَقْبَحُ بَعْضُهَا ، وَيُعْذَرُ صَاحِبُهَا فِي بَعْضِهَا ، وَيُلَامُ فِي بَعْضِهَا ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الطَّبَائِعَ مُخْتَلِفَةً ، وَالْفَرَائِزَ^(٣) مُتَعَادِيَةً ، فَهَذَا يَمْدَحُ الْبُخْلَ فِي عُرْضِ الْحَزْمِ ، وَهَذَا يَحْمَدُ^(٤) الْاِقْتِصَادَ فِي مُجَلَّةِ الْاِحْتِيَاظِ ، وَهَذَا يَذُمُّ الشَّجَاعَةَ فِي عُرْضِ طَلَبِ السَّلَامَةِ ؛ وَلَيْسَ فِي جَمِيعِ الْأَخْلَاقِ شَيْءٌ يَحْسُنُ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَفِي كُلِّ مَكَانٍ ، وَمَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ ، بَلْ لِكُلِّ ذَلِكَ وَقْتُ وَحِينٌ وَأَوَانٌ .

قال : وَلَقَدْ مَرَى أَنَّ الْقِيَامَ بِحَقَائِقِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَحُدُودِهَا صَعْبٌ ، لِأَنَّهَا لَا تَوْجِدُ إِلَّا مُتَلَابِسَةً وَمُتَدَاخِلَةً ، وَتَخْلِصُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا بِحَدِّهِ وَحَقِيقَتِهِ وَوُزْنِهِ مِمَّا يَفُوتُ ذَرْعَ الْإِنْسَانِ الضَّعِيفِ الْمُنَّةِ ، الْمُنْتَهِي الطَّيْنَةِ .

قال : وَمِنْهُ أَنَّ الْحَكِيمَ قَالَ لِلْإِسْكَندَرِ : « أَيُّهَا الْمَلِكُ أَرِدْ حَيَاتَكَ لِرِجَالِكَ ،

(١) فِي (١) : « الْفَسَالَةُ » ؛ وَفِي (ب) : الْفَسَالَةُ ؛ وَهُوَ تَهْرِيفٌ فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ .

(٢) فِي (ب) : « عَدَمَتْ » .

(٣) فِي (١) : « وَالْقَرَائِنِ » ؛ وَهُوَ تَهْرِيفٌ .

(٤) فِي (١) : « يَمْدَحُ » ؛ وَهُوَ تَكَرُّارٌ مَعَ مَا سَبَقَ .

وَلَا تُرِذِرْ جَالِكَ لِحَيَاتِكَ» ؛ وَلَوْ قَلَبَ عَلَيْهِ قَالِبٌ فَقَالَ : لَا ، «وَلَسَكِنْ أَرِذِرْ جَالِكَ لِحَيَاتِكَ ، وَلَا تُرِذِرْ حَيَاتَكَ لِرَجَالِكَ» ، لَسَكَانَ الْفَضْلُ وَاقِعًا ، وَالذَّغْوَى قَائِمَةٌ .
وَكَانَ يُحْكِي عَنْ أَعْرَابِيٍّ حَدِيثٌ مُضْحِكٌ : قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : أُرِيدُ أَنْ تُصْلَبَ فِي مَصْلَحَةِ الْأُمَّةِ ؟ فَقَالَ : لَا ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ^(١) أَنْ تُصْلَبَ الْأُمَّةُ فِي مَصْلَحَتِي .

قَالَ : وَلَيْسَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ النَّاسُ مُخْتَلِفِينَ فِي ظَاهِرِهِمْ بِالْصُّوَرِ وَالْخُلَى حَتَّى يُعْرِفَ بِهَا زَيْدٌ مِنْ عَمْرٍو ، وَبَكْرٌ مِنْ خَالِدٍ ، وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِي بَاطِنِهِمْ حَتَّى يَكُونَ هَذَا مَطْبُوعًا عَلَى الشَّحِّ وَإِنْ مَدَحَ الْجُودَ ، وَهَذَا مُجْبُولًا عَلَى الْجُبْنِ وَإِنْ تَشَمَّعَ لِلشَّجَاعَةِ ؛ وَلَيْسَ يَجُوزُ فِي الْحِكْمَةِ أَنْ يَكْتُمُوا وَلَا يَخْتَلِفُوا^(٢) ، وَلَيْسَ يَجُوزُ أَيْضًا أَنْ يُضَمَّ الْجِنْسُ وَالنَّوْعُ وَلَا يَاتَلَفُوا ؛ وَكُلُّ مَا أَسَاغَتْهُ الْحِكْمَةُ أُرَزَّتْهُ الْقُدْرَةُ ، وَكُلُّ مَا جَادَتْ بِهِ الْقُدْرَةُ شَهِدَتْ لَهُ الْحِكْمَةُ ؛ فَسَبْحَانَ مَنْ لَهُ هَذَا التَّدْيِيرُ اللَّطِيفُ ، وَهَذَا الْعِزُّ الْغَالِبُ ، وَهَذَا السَّرُّ الْخَافِي ، وَهَذِهِ الْعَلَانِيَةُ الْبَادِيَةُ ، وَهَذَا الْفِعْلُ الْمُخْصَمُ ، وَهَذَا النَّفْتُ الْمُسْتَعْظَمُ .

وَحَكَيْتُ أَيْضًا فِي شَيْءٍ جَرَى ، قَالَ حَكِيمُ فَارِسَ : قَدْ جَرَّبْنَا الْمُلُوكَ ، فَإِذَا مَلَكَنَا السَّمْحُ الْجَوَادُ جَادَتْ عَلَيْنَا السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ ، وَإِذَا مَلَكَنَا الْبَخِيلُ بَخَلَتْ عَلَيْنَا السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ .

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ : هَذَا إِذَا صَحَّ فَهُوَ شَاهِدُ الْفَيْضِ الْإِلَهِيِّ الْمَتَّصِلِ بِالْمَلِكِ السَّمْحِ ، وَنُضُوبِهِ عَنِ الْمَلِكِ الْبَخِيلِ ، لِأَنَّ الْمَلِكَ إِلَهٌ بَشَرِيٌّ .

وَقَالَ مَرَّةً : مَا التَّمَنَّى ؟ — وَقَدْ كَانَ جَرَى مَا أَقْتَضَى السُّؤَالُ عَنْهُ — . (٤)

(١) فِي (ب) : « أُرِيدُ » .

(٢) رَوَايَةُ (ب) : « وَلَا يَخْتَلِفُوا فِي بَاطِنِهِمْ حَتَّى يَكُونَ مَطْبُوعًا » ؛ وَفِيهَا تَكَرَّرَ ظَاهِرُ .

فقلتُ : أَخْفَظُ نَصًّا لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ : إِنَّ الْجَمْعَ فَضْلٌ حَرَكَةُ النَّفْسِ . فقال :
جَوَابُ رَشِيقٍ وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا إِلَى الْبَسْطِ .

فقال : هَاتِ مِنْ حَدِيثِ يُونَانَ شَيْئًا آخَرَ ، فقلتُ : قال أَرِسْطُوطَالِيْسُ :
لَوْ كُنَّا نَطْلُبُ الْعِلْمَ لِنَبْلُغَ غَايَتَهُ كُنَّا قَدْ بَدَأْنَا الْعِلْمَ بِنَقِيضِهِ ، وَلَكِنَّا نَطْلُبُهُ
لِنَنْقُصَ كُلَّ يَوْمٍ مِنَ الْجَهْلِ ، وَنَزْدَادَ كُلَّ يَوْمٍ مِنَ الْعِلْمِ .
قال : حَدَّثَنِي بِشَيْءٍ فِيهِ جَوَابٌ حَاضِرٌ ، وَلِلْبَدِيَّةِ فِيهِ تَوْقُّدٌ ظَاهِرٌ . (١)

فَحَدَّثْتُ أَنَّ رَجُلًا أَتَى الزُّهْرِيَّ فَسَأَلَهُ أَنْ يَحْدِّثَهُ وَيَرَوِيَّ لَهُ ؛ فَأَبَى عَلَيْهِ ،
فقال له الرجل : إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَأْخُذْ الْمِيثَاقَ عَلَى الْجُهَالِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا حَتَّى أَخَذَ
الْمِيثَاقَ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَنْ يُعَلِّمُوا ؛ فقال : صَدَقْتَ ، وَحَدَّثَهُ .

وَحَدَّثَنَا الْقَاضِي أَبُو حَامِدٍ الرَّوَّزُودِيُّ ؛ قال : وَقَفَ سَائِلٌ مِنْ هَؤُلَاءِ
الْأُنْكَادِ عَلَيْنَا فِي جَامِعِ الْبَصْرَةِ فِي الْمَجْلِسِ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَنْصُورِيُّ ، وَابْنُ
مَعْرُوفٍ ، وَأَبُو تَمَامٍ الزَّيْلَنِيُّ ، فَسَأَلَ وَالْحَ ؛ فقلتُ له من بين الجماعة — وقد
ضَجَرْتُ مِنْ إلْحَاحِهِ وَصَفَاقَةِ وَجْهِهِ — : يَا هَذَا : نَزَلَتْ بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ .
قال : صَدَقْتَ ، وَلَكِنْ يُنْجَبِي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ . فَضَحِكَ الْجَمَاعَةُ ،
وَوَهَبْنَا لَهُ دَرَاهِمَ .

وَمِنَ الْجَوَابِ الْحَاضِرِ الْمُسْكِتِ الَّذِي حَزَّ الْكَبِدَ وَتَقَبَّ الْفَوَادَ (١) مَا جَرَى
لَأَبِي الْحُسَيْنِ الْبَتِّيِّ (٢) مَعَ الشَّرِيفِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو ، فَإِنَّ ابْنَ عَمْرِو قَالَ لِلْبَتِّيِّ (٣) :
أَنْتَ وَاللَّهِ شَمَامَةٌ وَلَكِنَّا مَسْمُومَةٌ . فَقَالَ الْبَتِّيُّ (٢) عَلَى النَّفْسِ : لَكِنَّا أَهْلُهَا
الشَّرِيفِ شَمَامَةٌ مَسْمُومَةٌ ، عَطُرْتُ (٣) الْأَرْضُ بِهَا ، وَسَارَتْ الْبُرْدُ بِذِكْرِهَا .

(١) فِي (ب) : « الْقَلْبِ » . (٢) فِي (ب) . « الْبَتِّي » .

(٣) فِي نَسْخَةٍ « فَطُنْتُ » ؛ وَفِي نَسْخَةٍ أُخْرَى « وَطُنْتُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا
النَّسَخَتَيْنِ ؛ وَسَيَانِ الْكَلَامِ يَقْتَضِي مَا أَمْتَنَّا .

وقال نصر بن سيارٍ بحُرِّ اسنانٍ لأعرابيٍّ : هل أُتخِمتَ قطُّ . قال : أما مِن طَعَامِكَ وَطَعَامِ أَبِيكَ فلا . فيقال : إِنَّ نَصْرًا حُمِّ مِنْ هَذَا الْجَوَابِ أَيَّامًا ؛ وقال : لَيْتَنِي خَرِسْتُ وَلَمْ أَفْهَ بِسُؤَالِ هَذَا الشَّيْطَانِ .

(٧) وَجَرَى حَدِيثُ الذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ ، فَقَالَ الْوَزِيرُ ، قَدْ شَرَّفَ اللَّهُ الْإِنَاثَ بِتَقْدِيمِ ذِكْرِ هُنَّ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : (يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ) قُلْتُ : فِي هَذَا نَظَرٌ ؛ فَقَالَ : مَا هُوَ : قُلْتُ قَدْ مَدَّ الْإِنَاثَ — كَمَا قُلْتَ — وَلَكِنْ نَكَّرَ ، وَأَخَّرَ الذُّكُورَ وَلَكِنْ عَرَّفَ ، وَالتَّعْرِيفُ بِالتَّأْخِيرِ أَشْرَفُ مِنَ النِّكَرَةِ بِالتَّقْدِيمِ . ثُمَّ قَالَ : هَذَا حَسَنٌ . قُلْتُ : وَلَمْ يَتْرُكْ هَذَا أَيْضًا حَتَّى قَالَ : (أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا) فَجَمَعَ الْجِنْسَيْنِ بِالتَّنْكِيرِ مَعَ تَقْدِيمِ الذُّكْرَانِ ، فَقَالَ : هَذَا مُسْتَوْفَى .

(٨) وَقَالَ : مَا مَعْنَى كَأْسٍ أَنْفٍ ؟ فَكَانَ مِنَ الْجَوَابِ أَنْ يَعْقُوبَ قَالَ : يَقَالُ كَأْسٌ أَنْفٌ ، أَيْ لَمْ يُشْرَبْ مِنْهَا قَبْلَ ذَلِكَ ؛ وَكَذَلِكَ يَقَالُ : رَوْضَةٌ أَنْفٌ ، إِذَا لَمْ يَكُنْ رَعَاهَا أَحَدٌ .

وقال لقيط :

إِنَّ الشَّوَاءَ وَالنَّشِيلَ وَالرُّغْفَ وَالْقَيْنَةَ الْحَسَنَاءَ وَالْكَأْسَ الْأَنْفَ

لِلطَّاعِنِينَ الْخَيْلَ وَالْخَيْلُ قُطِفَ

قال : مَا النَّشِيلُ ؟ فَإِنَّ الشَّوَاءَ وَالرُّغْفَ مَعْرُوفَانِ . قُلْتُ : مَا ضَمَّنْتَهُ الْقِدْرُ مِنَ اللَّحْمِ وَغَيْرِهِ ، لِأَنَّهُ يُنْشَلُ وَيُعْرَفُ ؛ فَقَالَ : هَذَا بَابٌ إِنَّ الْحَحْنَ عَلَيْهِ جَوَّعٌ .

- (٩) قال : ما تحفظ في حديث الأكل ؟ قلت : الأكل والذم^(١) .
 ومن مليحه ما حصرني . قيل لجُمَيْر^(٢) : ما تشتهي ؟ قال : بسيس مقل^(٣)
 بين غليان قدور ، على رائحة شواء ، بمجنب خبيص . فضحك — أضحك^(١٠)
 الله سنه بالفرح والسرور . وانتظام الأحوال وأناسي الأمور — . وقال : هات
 حديثاً نخرج به مما كُنا فيه . فقلت : كذب سعد بن أبي وقاص إلى رؤسهم
 صاحب الأعاجم : إسلامكم أحب إلينا من غنائمكم ؛ وقنالكُم أحب إلينا من
 صلحكم . فبعث إليه رؤسهم : أنتم كاللهاب إذ نظرَ إلى العسل فقال : من
 يوصلني إليه يدركه من ، فإذا نشب فيه قال : من يخرجني منه بأربعة ، وأنت
 طامع ، والطمع سيؤدبك . فأجابه سعد : أنتم قوم تحادون الله وتعادون
 أنفسكم ، لأنكم قد علمتم أن الله يريد أن يحول الملك عنكم إلى غيركم ، وقد
 أخبركم بذلك حكماؤكم وعلماءكم ، وتقرر ذلك عندهم ، وأنتم دائماً تدفعون
 القضاء بنحوركم ، وتتلقون عقابه بضدوركم ، هذه جرأة منكم وجهل فيكم ،
 ولو نظرتم لآبصرتم ، ولو أبصرتم لسلتم ، فإن الله غالب على أمره ، ولما
 كان الله معكم كانت علينا ريحكم ، والآن كما صار الله معنا [صارت]
 ريحنا عليكم ، فأنجوا بأنفسكم ، واغتنموا أرواحكم ، وإلا فأصبروا لحر السلاح
 وألم الجراح ، [وخزي^(٣)] الأفضاح] ، والسلام .

كُتِبَ حُذِيفَةُ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ — إِنَّ الْعَرَبَ

(١) يشير بهذه العبارة إلى قولهم في المثل : «أكلوا ذماً» في الشيء يؤكل ويندم ؛ ذكره صاحب العقد ، ولم يرد في كتب الأمثال الأخرى .

(٢) في الأصل : « حير » بالحاء والراء ؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا قلا عن عيون الأخبار وغيره .

(٣) في (١) : « والصافي » مكان هذه الزيادة المنقولة عن (ب) .

قَدْ تَغَيَّرَتْ أَلْوَانُهَا وَلَحُومُهَا . فَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى سَعْدَ : اِرْتَدَّ لِلْعَرَبِ مَنَزِلًا
مَرَّاحًا . فَأَرْتَادَ لَهُمُ الْكُفُوفَةُ ، وَهِيَ بُقْمَةٌ حَضْبَاءُ ، وَرَمْلَةٌ حُمْرَاءُ ، قَالَ سَعْدُ :
اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاءِ وَمَا أَظْلَلَتْ ، وَالْأَرْضِ وَمَا أَفْلَتْ ، وَالرَّيْحِ وَمَا ذَرَّتْ ، بَارِكْ
لَنَا فِي هَذِهِ الْكُفُوفَةِ .

وَسَمِعَ عُمَرُ مُنْشِدًا يُنْشِدُ :

مَا سَأَسْنَا مِثْلَكَ يَا بَنَ الْخَطَّابِ أَبْرَ بِالْأَفْصَى وَبِالْأَصْحَابِ

بعد النبيِّ صاحبِ الْكِتَابِ

فَنَحَسَهُ عُمَرُ وَقَالَ : أَيْنَ أَبُو بَكْرٍ وَبَيْتُكَ .

قَالَ عُمَرُ وَهُوَ بِمَكَّةَ : لَقَدْ كُنْتُ أَرْغَى لِإِبْلِ الْخَطَّابِ بِهِذَا الْوَادِي
فِي مُدَرَّعَةٍ صُوفٍ ، وَكَانَ فَظًّا يُتَعَبَّنِي إِذَا عَمِلْتُ ، وَيَضْرِبُنِي إِذَا قَصُرْتُ ، وَقَدْ
أَمْسَيْتُ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ أَحَدٌ ، نِم تَمَثَّل :

لَا شَيْءَ مِمَّا تَرَى تَبْقَى بِشَاشَتِهِ يَبْقَى إِلَهُ وَيُودِي الْمَالُ وَالْوَلَدُ

لَمْ تُغْنِ عَنْ هُرْمِزٍ يَوْمًا خَزَائِنُهُ وَالْخُلْدُ قَدْ حَاوَلَتْ عَادُ فَمَا خَلَدُوا

وَلَا سُلَيْمَانَ إِذْ تَسْرِي الرِّيحُ بِهِ وَالْإِنْسُ وَالْجِنُّ فِيمَا كَلَّفُوا عُبْدُ

أَيْنَ الْمُلُوكُ الَّتِي كَانَتْ نَوَافِلُهَا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ إِلَيْهَا رَاكِبٌ يَفِدُ

حَوْضُ هُنَاكَ مَوْزُودٌ بِكَذِبٍ لَا بَدَّ مِنْ وَرْدِنَا يَوْمًا كَمَا وَرَدُوا

وَقَالَ عُمَرُ : خَيْرُ الدَّوَابِّ الْحَدِيدُ الْفَوَادِ ، الصَّحِيحُ الْأَوْتَادُ .

وَقَالَ عُمَرُ : كَانَتْ الْعَرَبُ أَسَدًا فِي جَزِيرَتِهَا يَا كُلَّ بَعْضُهَا بَعْضًا ، فَلَمَّا

جَمَعَهُمُ اللَّهُ بِمُحَمَّدٍ لَمْ يَقُمْ لَهُمْ شَيْءٌ .

رَأَى رُسْتَمَ فِي النَّوْمِ أَنَّ النَّبِيَّ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — أَخَذَ سِلَاحَ فَارِسَ
وَحَقَّمَ عَلَيْهِ وَدَفَعَهُ إِلَى عُمرَ ، فَارْتَاعَ رُسْتَمُ مِنْ ذَلِكَ وَأَيَقَنَ أَنَّهُ هَالِكٌ .

وَقَالَ : أَنَشِدْنِي شَيْئًا ، فَأَنشَدْتُهُ لِبَعْضِ آلِ أَبِي طَالِبٍ :

وَلَسْتُ بِمُذْعِنٍ يَوْمًا مُطِيعًا إِلَى مَنْ لَسْتُ آمِنُ أَنْ يَجُورَا
وَلَكِنِّي مَتَى مَا أَخْشَى مِنْهُ أَتَحَالِفُ صَارِمًا عَضْبًا ثَوُورَا
وَأُنْزِلُ كُلَّ رَابِيَةٍ بَرَّاحٍ أَكُونُ عَلَى الْأَمِيرِ بِهَا أَمِيرَا

وَأَنشَدَنِي لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْبِ ، وَلَقَدْ تُمَثَّلَ بِهِ :

إِنِّي لَمِنْ نَبْعَةٍ صُمِّمَ مَكَاسِرُهَا إِذَا تَقَادَحَتِ الْقَضَبَاءُ ^(١) وَالْعُشُرُ
وَلَا أَلِينُ لِنَفِيرٍ اَلْحَقَّ أَتْبَعُهُ حَقَّ يَلِينِ لَضَرْسِ الْمَاضِغِ الْحَجَرُ
وَحَدَّثَنِي أَنَّ الْمَأْمُونُ قَالَ : قَلِيلَ السَّفَةِ يَمْحُو كَثِيرَ الْحِلْمِ ، وَأَذْنَى الْإِنْتِصَارِ
يُخْرِجُ مِنْ فَضْلِ الْأَغْفَاءِ ، وَعَلَى طَالِبِ الْمَعْرُوفِ الْمَعْدِرَةُ ^(٢) عِنْدَ الْأَمْتِنَاعِ ،
وَالشُّكْرُ عِنْدَ الْأَصْطِنَاعِ ، وَعَلَى الْمَطْلُوبِ إِلَيْهِ تَعْجِيلُ الْمَوْعُودِ ، وَالْإِسْعَافُ
بِالْمَوْجُودِ .

(١) ورد هذا البيت في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الشعر دون (ب) هكذا :

إلى لمن سمع صم به كاسرها أو أينما ربح العضبنة والعشر
وهو كما ترى مملوء بالتصحيح والتعريف في جميع كلماته تقريباً ؛ وقد بحثنا عن هذا الشعر في
المصادر التي بين أيدينا فلم نجد غير البيت الثاني ؛ وهو منسوب في مجموعة المعاني إلى عبد الله
ابن الزبير الأسدي ولم نجده في ترجمته ؛ وقد قلنا جميع كلمات هذا البيت على جميع ما تحتمله
من الوجوه حتى استقام وزنه ومعناه على هذا الوجه الذي أثبتنا . والنبي : شجر تتخذ منه
أجود الرماح . وصم مكاسرها ، أي صلبة . ويقال : تقادح الشجر إذا كان رخوا ، ففي
حركته الريح حك بعضه بعضاً فأورى نارا فإذا أريد الانتفاع به في إيراد النار بعد لم يور .
والقضاء : جماعة القصب . والعسر : شجرة تتخذ منه الزناد .

(٢) في (١) : القدرة ؛ وهو تحريف .

فقال : مَنْ أَفْضَلُ هَؤُلَاءِ ؟ يَغْنَى بَنَى الْعَبَّاسِ . فَكَانَ الْجَوَابُ أَنَّ الْمَنْصُورَ أَتَقَدَّمُ^(١) ، وَالْمَأْمُونُ [أَتَجَدُّهُمْ] ، وَالْمَعْتَصِمُ أَتَجَدُّهُمْ ، وَالْمَعْتَصِدُ أَقْصَدُهُمْ .
فقال : كَذَلِكَ هُوَ . وقال : فَالْبَاقُونَ ؟ [قلت] ليس^(٢) فِيهِمْ بَعْدَ هَؤُلَاءِ مَنْ يُوحَدُّ بِالذِّكْرِ ، لِأَنَّهُ فِي نَقْصِهِ وَزِيَادَتِهِ مُشَاكِلٌ لغيره . فقال : لِلَّهِ دَرْكٌ .

الليلة الخامسة والثلاثون

- وقال ليلة : مَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْإِرَادَةِ وَالْأَخْتِيَارِ ؟ فَكَانَ مِنَ الْجَوَابِ أَنَّ كُلَّ^(١) مُرَادٍ مُخْتَارٍ ، وَابِسُ كُلِّ مُخْتَارٍ مُرَادًا ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يَخْتَارُ شُرْبَ الدَّوَاءِ الْكَرَّيَةِ وَضَرْبَ الْوَلَدِ النَّجِيبِ وَهُوَ لَا يَرِيدُ ، وَيَخْتَارُ طَرَحَ مَتَاعِهِ فِي الْبَحْرِ [إِذَا أُلْجِيَ]^(٢) وَهُوَ لَا يَرِيدُ ، وَهِيَ وَإِنْ كَانَا أَنْفَعَالَيْنِ فَأَحَدُهُمَا — وَهُوَ الْاِخْتِيَارُ — لَا يَحْدُثُ إِلَّا عَنْ جَوَلَانٍ وَتَنْقِيرٍ وَتَمْيِيزٍ ، وَالْآخَرُ — وَهُوَ الْإِرَادَةُ — يَفْجَأُ وَيَبْغَتْ^(٣) وَرَبَّمَا حَمَلَ عَلَى طَلَبِ الْمَرَادِ بِالْكَرْهِ الشَّدِيدِ ؛ وَفِي عُرْضِ الْاِخْتِيَارِ سَعَةٌ لِلتَّمَكُّنِ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ فِي عُرْضِ الْإِرَادَةِ . وَالْعَرَبُ تَسْتَعْمَلُ الْإِرَاغَةَ فِي مَوْضِعِ الْإِرَادَةِ ، وَالْأَوَّلُ مِنْ رَاغٍ يَرُوعُ ، وَالثَّانِي مِنْ رَادٍ يَرُودُ ، وَالْهَمْزَةُ مُجْتَلِبَةٌ لِلتَّعَدَّى .
قال : فَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْحُبَّةِ وَالشَّهْوَةِ ؟ فَكَانَ الْجَوَابُ أَنَّ الشَّهْوَةَ أَلْصَقُ^(٤) بِالطَّبِيعَةِ ، وَالْحُبَّةَ أَصْدَرُ عَنِ النَّفْسِ^(٥) الْفَاضِلَةِ ، وَهِيَ أَنْفَعَالَانِ ، إِلَّا أَنَّ أَحَدَ

(١) فِي (١) : « أَتَدْرِي » وَلَمْ يَظْهَرْ مِنْهَا فِي (ب) غَيْرُ الْمَاءِ وَالْمِمْ ؛ وَسَأَرَهَا

مَطْمُوسٌ ؛ وَلَمَّا لَمْ يَصُوبْ مَا أَثْبَتْنَا كَمَا يَقْتَضِيهِ السَّجْعُ .

(٢) الَّذِي فِي (١) : « أَشْرَفُهُمْ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَيَلَاظُ أَنَّ كَلِمَةَ « فِيهِمْ » غَيْرُ

مَوْجُودَةٌ فِي (ب) ، وَقَدْ أَثْبَتْنَاهَا أَخْذًا مِنْ قَوْلِهِ فِي (١) : « أَشْرَفُهُمْ » .

(٣) فِي الْأَصُولِ : « أَحَبُّ » . وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) فِي (١) : « وَيَبْغَتْ » ، وَفِي (ب) وَيَبِيتُ ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا النِّسْخَتَيْنِ .

(٥) فِي (١) : « الطَّبِيعَةُ » مَكَانَ « النَّفْسِ » .

الأنفَعَالَيْنِ أَشَدُّ نَاتِرًا ، وهو أنفعالُ الشَّهْوَةِ ، وأنه ^(١) يقال : شَهِىَ وَاشْتَهَى ^(٢) ،
ويقال في الآخر : حَبَّ وَأَحَبَّ ، ويتَدَاخَلَانِ كثيرًا بالاستعمال ، لأنَّ اللَّفْظَ جَارِيَةً
على التَّوَسُّعِ ، كما هي جَارِيَةٌ على التَّضْيِيقِ ، ومن ناحية التَّضْيِيقِ فُزِعَ إلى التَّحْدِيدِ
والتَّشْدِيدِ ، ومن ناحية التَّوَسُّعِ جُرِيَ على الِاقْتِدَارِ والِاخْتِيَارِ ^(٣) ، وفي عُرْضِ
هَذَيْنِ بِلَا آخَرٍ ، لأنَّهُ بَيْنَ الإِبْجَازِ والإِطْنَابِ ، وَبَيْنَ الكِنَايَةِ والتَّصْرِيحِ ،
وَبَيْنَ الإِنْجَازِ ^(٤) والإِبطَاءِ . فقال : هذا باب .

(٣) ثم ناولني رقعةً بخطه فيها مَطَالِبُ نَفْسَةٍ تَأْتِي عَلَى عِلْمٍ عَظِيمٍ ، وقال : باحث
عنها أبا سليمان وأبا الخير ومن تَعَلَّمَ أن في مُجَارَاتِهِ فَائِدَةٌ من عَالِمٍ كَبِيرٍ ، وَمُتَعَلِّمٌ
صَغِيرٍ ، فَقَدْ يُوْجَدُ عِنْدَ الْفَقِيرِ بَعْضُ مَا لَا يُوْجَدُ عِنْدَ الْغَنِيِّ ، وَلَا تَحْقِرْ أَحَدًا فَاهَ
بِكَلِمَةٍ من الْعِلْمِ ، أَوْ أَطَافَ بِجَانِبٍ من الْحِكْمَةِ ، أَوْ حَكَمَ بِحَالٍ من الْفَضْلِ ؛
فَالنَّفُوسُ مُعَادِنٌ ، وَحَصَلَ ذَلِكَ كُلُّهُ وَحَرَّرَهُ فِي شَيْءٍ وَجِئْتُ بِهِ ، وَكَانَ فِي الرُّقْعَةِ :

مَا النَّفْسُ ؟ وَمَا كَالُهَا ؟ وَمَا الَّذِي أَسْتَفَادَتْ فِي هَذَا الْمَكَانِ ؟ وَبِأَيِّ شَيْءٍ
يَايَلَتْ الرُّوحَ ؟ وَمَا الرُّوحُ ؟ وَمَا صِفَتُهُ ؟ وَمَا مَنَفَعَتُهُ ؟ وَمَا الْمَانِعُ مِنْ أَنْ تَكُونَ
النَّفْسُ جِسْمًا أَوْ عَرَضًا أَوْ هُمَا ؟ وَهَلْ تَنْبَقِي ؟ وَإِنْ كَانَتْ تَنْبَقِي فَهَلْ تَعْلَمُ مَا كَانَ
الْإِنْسَانُ فِيهِ هَا هُنَا ؟ وَمَا الْإِنْسَانُ ؟ وَمَا حَدُّهُ ؟ وَهَلِ الْحَدُّ هُوَ الْحَقِيقَةُ ، أَمْ بَيْنَهُمَا
يَوْنٌ ؟ وَمَا الطَّبِيعَةُ ؟ وَهَلَّا أَعْنَى الرُّوحَ عَنِ النَّفْسِ ، أَوْ هَلَّا أَعْنَتْ النَّفْسُ عَنِ

(١) في كلتا النسختين : « لأنه » والتعليل هنا لا مقتضى له ؟ ولمل صواب العبارة
ما أثبتنا . (٢) لم نجد في كتب اللغة التي بين أيدينا اشتهى بمعنى شهى ، أى اشتهى
كما يفيد كلامه . والذي وجدناه أشتها بمعنى أعطاه ما يشتهى ، لا بمعنى اشتهى .
(٣) في الأصول : « والاستحقاق » . وهو تحريف صوابه ما أثبتنا .
(٤) في (١) : الأبحار والإطناب ، وفي (ب) وردت هذه الكلمة مطبوسة الحروف
تتمتع قراءتها ، والسياق يقتضى ما أثبتنا أخذنا من الرسم الوارد في النسخ .

الرُّوح ؟ وهلَا كَفَتِ الطَّبِيعَةُ ؟ وما العقل ؟ وما أنحاؤه ؟ وما صَنِيعُهُ ؟ وهل يُثَقِّلُ الْعَقْلُ ؟ وهل تَتَنَفَّسُ النَّفْسُ ! وما مَرَّ تَبَتُّهُ (أَغْنَى الْعَقْلَ) عِنْدَ الْإِلَهِ ؟ وهل يَنْفَعِلُ ؟ وهل يَفْعَلُ ^(١) ؟ وإن كَانَ يَنْفَعِلُ وَيَفْعَلُ ^(١) فَيَقْسُطُ الْفِعْلُ فِيهِ أَكْثَرُ مِنْ قِسْطِ الْأَنْفَعَالِ ؟ وما الْمَعَادُ الْمَشَارُ إِلَيْهِ ؟ أهو لِلْإِنْسَانِ ؟ أم لِنَفْسِهِ ؟ أم لَهَا ؟ وما الْفَرْقُ بَيْنَ الْأَنْفُسِ ، أَغْنَى نَفْسَ عَمْرٍو وَزَيْدٍ وَبَكْرٍ وَخَالِدٍ ؟ ثم ما الْفَرْقُ بَيْنَ أَنْفُسِ أَصْنَافٍ ^(٢) الْحَيَوَانَ ؟ وهل الْمَلَكُ حَيَوَانٌ ؟ فقد عَلِمْتَ أَنَّهُ يُقَالُ لَهُ : حَيٌّ ، وهل فِيهِ حَيَاةٌ ؟ وعلى أَيْ وَجْهِ يُقَالُ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيٌّ وَالْمَلَكُ حَيٌّ وَالْإِنْسَانُ حَيٌّ وَالْفَرَسُ حَيٌّ ؟ وهل يُقَالُ : الطَّبِيعَةُ حَيَّةٌ ، وَالنَّفْسُ حَيَّةٌ ، وَالْعَقْلُ حَيٌّ ؟ فَإِنَّ هَذَا وَمَا أَشَبَّهُهُ شَاغِلٌ لِقَلْبِي ، وَجَانِمٌ فِي صَدْرِي ، وَمُعْتَرِضٌ بَيْنَ نَفْسِي وَفِكْرِي ؛ وَمَا أَحِبُّ أَنْ أَبُوحَ بِهِ لِكُلِّ أَحَدٍ ، وَقَدْ بَيَّنَّتُهُ ^(٣) فِي هَذِهِ الرُّقْعَةِ ، فَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تَعْرِضَهَا عَلَى أَبِي سُلَيْمَانَ فَأَفْعَلْ ، وَلَكِنْ لَا تَدْعَ خَطِيئَةَ عِنْدَهُ ، بَلْ انْصَحْهُ لَهُ ، وَحَصِّلْ مَا يُحِبُّكَ بِهِ ، وَيَصْنَعُ لَكَ بِحَقِيقَتِهِ ، وَلَخْصَهُ ، وَزَيْنَهُ بِلَفْظِكَ السَّهْلِ ، وَإِفْصَاحِكَ الْبَيِّنِ ، وَإِنْ وَجَبَ أَنْ تُبَاحِثَ غَيْرَهُ فَأَفْعَلْ ؛ فَعَذَا هَذَا ؛ وَإِنْ كَانَ الرَّجُوعُ فِيهِ إِلَى الْكُتُبِ الْمَوْضُوعَةِ مِنْ أَجْلِهِ كَافِيًا ، فَلَيْسَ ذَلِكَ مِثْلَ الْبَحْثِ عَنْهُ بِاللِّسَانِ ، وَأَخْذِ الْجَوَابِ عَنْهُ بِالْبَيَانِ ، وَالْكِتَابِ مَوَاتٍ ، وَنَصِيبُ النَّاضِرِ فِيهِ مَنَزُورٌ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ الْمَذَاكِرَةُ وَالْمُنَاطَرَةُ وَالْمُؤَانَاةُ ^(٤) ، فَإِنْ مَا يُنَالُ مِنْ هَذِهِ أَعْضُ وَأَطْرَأُ ، وَأَهْنَأُ وَأَمْرَأُ ،

(١) فِي (١) : « يَفْعَلُ » مَكَانَ « يَفْعَلُ » فِي كِلَا الْمَوْضِعَيْنِ اللَّذَيْنِ تَحْتَ هَذَا الرَّقْمِ ،

وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٢) فِي (ب) : « أَصْحَابِ » مَكَانَ قَوْلِهِ « أَصْنَافِ » ، وَهُوَ خَطَأٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٣) فِي (ب) : « نَزَرَتْ » ، وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ أَيْضًا .

(٤) فِي نَسْخَةِ « وَالْمُؤَانَاةِ » .

وأجمل هذه الخدمة مُقَدِّمة على كلِّ مِهْمَةٍ لك ، فأني ناظرُك ، طامعاً في الجَوَابِ
المُنقَمِ الشافي .

فعرَضْتُها كما رَمَمَ على أبي سُلَيْمَانَ وقرَأْتُها [عليه] ، وتمَهَّلْتُ في إيرادها
بمَحْضَرَّتِهِ ، فلما فهِمَها ووقَفَ عليها فحبب وقال : هذه مَسَائِلُ المتَحَكِّمين ^(١) ،
وطلَبَاتُ المُدَّيِّن ، وأقترَحاتُ المُقَدِّرين ، ومُنِيَّةُ الأولين والآخرين .

قلتُ : هو كما قلتُ أيُّها الشيخ ، ولا بدَّ من جوابٍ يُعَرِّضُ عليه يأتي
على بعض مآرب النفس ، وإن لم يأت على قاصية ما في المطلوب ، فقال كلاماً كثيراً
واسعاً أنا أخيكِ على وجهه من طريق المُنَى ، وإن انحرفتُ عن أعيان آفِظِهِ ،
وأَسْبَابِ نَظْمِهِ ، فإنَّ ذلك لم يكن إملاءً ولا نسخاً ، وأجتهِدُ أن أُلزِمَ مَتَنَ
المرَاد ، وتَمَّتِ المقصود — إن شاء الله — [عز وجل] .

(٤) قال : أمَّا قوله : ما النَّفْسُ ، فإنَّ التَّحْدِيدَ يُغَوِّزُ ، والرَّمَمَ لَا يَشْفِي ، والوصفَ
مَقْصَرٌّ عن الغاية ، لأنَّها ليس لها جِنْسٌ ولا فَضْلٌ فينشأُ الحَدُّ بهما [ومنهما] ؛
والأسمُ الشائع — أعنى النفس — أَخْلَصُ إلى المطلوب ، وأخْضَرُ للمَقْصُودِ من
التَّحْدِيدِ ، ولهذا ما اختلفَ الناسُ قَدِيماً وحَدِيثاً في حَدِّها ؛ فقال قائل : النَّفْسُ
مِزَاجُ الْأَرْكَانِ . وقال قائل : النَّفْسُ تَأْتِي الْأُسْطَقْسَاتِ ؛ وقال قائل : النَّفْسُ
عَرَضٌ ^(٢) مُحَرِّكٌ ^(٣) بذاته . وقال قائل : النفس هَوَائِيَّةٌ . وقال قائل : النفسُ
رُوحٌ حارَّةٌ . وقال قائل : النفس طَبِيعَةٌ دَائِمَةُ الْحَرَكَةِ . وقال قائل : النفسُ
تَمَامٌ لَجَنَسٍ طَبِيعِيٍّ ذِي حَيَاةٍ . وقال قائل : النفسُ جَوْهَرٌ لَيْسَ بِجَسَمٍ مُحَرِّكٌ

(١) في كلا الأصلين : « المتحلين » ؛ وهو تحريف .

(٢) في كلتا النسختين « عدد » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به الكلام .

(٣) في (ب) : « متحرك » .

لِلْبَدَن . وعلى هذا ؛ ولعلَّ آخَرِينَ يقولون في تَحْدِيدِهَا وَنَعْتِهَا أَقْوَالًا أُخَر ، لَأَنَّ الْمَلْحُوظَ ^(١) بسيط ، والمَذْرُوكُ بعيد ، والناظرين كثيرون ، والباحثين مختلِفون ، والكثرةُ فَاتِحَةُ الاختلاف ، والاختلافُ جَالِبٌ لِلْحَيْرَةِ ، والخيرةُ خَانِقَةٌ لِلإِنْسَانِ ، وَالإِنْسَانُ ضَعِيفُ الْأَسْرِ ^(٢) ، محدودُ الْجُنَّةِ ، مَحْصُورُ التَّفْصِيلِ ، مَقْصُورُ السَّعْيِ ، مَمْلُوكُ الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ ، غِشَاوُهُ كَثِيفٌ ، وَبَاعُهُ قَصِيرٌ ، وَفَاتَتُهُ ^(٣) أَكْثَرُ مِنْ مُدْرِكِهِ ، وَدَعَاوَاهُ أَحْضَرُ مِنْ بُرْهَانِهِ ، وَخَطَاؤُهُ أَكْثَرُ مِنْ صَوَابِهِ ، وَسُؤَالُهُ أَظْهَرُ مِنْ جَوَابِهِ ، فَعَلَى هَذَا كُلِّهِ الْأَعْتَرافُ بِهِ — أَعْنَى بِالنَّفْسِ وَبِوَجْدَانِهَا — أَسْهَلُ مِنَ الْفَحْصِ عَنْ كُنْهَيْهَا وَبُرْهَانِهَا .

قال : وَإِنَّمَا صَعِبَ هَذَا لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يُرِيدُ أَنْ يَعْرِفَ النَّفْسَ وَهُوَ لَا يَعْرِفُ النَّفْسَ إِلَّا بِالنَّفْسِ ، وَهُوَ مُحْجُوبٌ عَنْ نَفْسِهِ بِنَفْسِهِ ؛ وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا فَلَا مَرُءَ أَنْ كُلَّ مَنْ كَانَتْ نَفْسُهُ أَضْفَى ، وَنُورُهُ أَشْعَى ، وَنَظَرُهُ أَعْلَى ، وَفِكْرُهُ أَثَقَبَ ، وَلَحْظُهُ أَبْعَدَ ، كَانَ مِنَ الشُّكِّ أَنْجَى ، وَعَنِ الشُّبْهَةِ أَنْأَى ، وَإِلَى الْيَقِينِ أَقْرَبَ ؛ وَالْإِنْسَانُ ذُؤَابِئُ كَثِيرَةٍ ، مِنْ جُمْلَتِهَا نَفْسُهُ ، فَلِكثَرَةِ مَا هُوَ بِهِ كَثِيرٌ يَفْجَزُ عَنْ إدْرَاكِ مَا هُوَ بِهِ وَاحِدٌ ، أَى إِنْسَانٍ ، وَكَيْفَ لَا يَكُونُ هَذَا النَّعْتُ حَقًّا ، وَهَذَا الْمَقُولُ صِدْقًا ، وَهُوَ مُرَكَّبٌ فِي مَرَكَّبٍ ، وَالنَّفْسُ مَبْسُوطَةٌ ، وَإِنَّمَا فِيهِ جُزْءٌ لَا يَسِيرُ وَنَصِيبٌ قَلِيلٌ مِنْ ذَلِكَ الْبَسِيطِ ، فَكَيْفَ يُدْرِكُ بِجُزْءٍ مِنْهَا كُلَّهَا وَبِقَلِيلٍ مِنْهَا جَمِيعُهَا ^(٤) ؛ هَذَا مُعَذَّرٌ إِنْ لَمْ يَكُنْ مُحَالًا ، وَبَعِيدٌ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَعْدُومًا ؛

(١) فِي كَلَامِ الْأَصْلِينَ : « الْمَلْحُوظُ » . . . وَ « الْمَذْكُورُ » ؛ وَفِي كَلَامِ السَّامِعِينَ تَصْحِيفُ وَقَلْبُ ، صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا كَمَا يَقْتَضِيهِ السِّيَاقُ .

(٢) الْأَسْرُ : الْقُوَّةُ . وَفِي (ب) : « الْأَسْ » بِضَمِّ الِهْمْزَةِ وَتَشْدِيدِ السِّينِ ؛ وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ أَيْضًا . (٣) فِي كَلَامِ الْأَصْلِينَ « وَفَلْتَهُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) وَرَدَّتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي كَلَامِنَا النَّسَخَتَيْنِ مَهْمَلَةً الْحُرُوفِ مِنَ النُّقْطِ مَطْمُوسٍ بَعْضُ حُرُوفِهَا . وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِي مَا أَثْبَتْنَا .

وَيَكْفِي أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ النَّفْسَ قُوَّةٌ إِلَهِيَّةٌ وَاسْطَةُ بَيْنِ الطَّبِيعَةِ الْمُعْرِفَةِ لِلْأَسْطَقُوسَاتِ
وَالْعُنَاصِرِ الْمُتَهَيَّئَةِ ، وَبَيْنَ الْعَقْلِ النُّورِ لَهَا ، الطَّالِعِ عَلَيْهَا ، الشَّائِعِ فِيهَا ، الْحَاطِطِ
بِهَا ؛ وَكَأَنَّ الْإِنْسَانَ ذُو طَبِيعَةٍ لَا تَارَاهَا الظَّاهِرَةُ فِي بَدَنِهِ [كَذَلِكَ هُوَ ذُو نَفْسٍ ،
لَا تَارَاهَا الظَّاهِرَةُ فِي آرَائِهِ] وَأُبْحَانِهِ ، وَمَطَالِبِهِ وَمَآرِبِهِ ؛ وَكَذَلِكَ هُوَ ذُو عَقْلٍ
لِتَمْيِيزِهِ وَتَصَفِّحِهِ ، وَأَخْتِبَارِهِ وَفَحْصِهِ وَأَسْتِنْبَاطِهِ ، وَبِقِيَمَتِهِ وَشَكِّهِ ، وَعِلْمِهِ
وُظُنِّهِ ^(١) ، وَفَهْمِهِ وَرَوْبِيَّتِهِ وَبَدِيهَتِهِ وَذِكْرِهِ ، وَذِهْنِهِ وَحِفْظِهِ وَفِكْرِهِ ،
وَحِكْمَتِهِ وَتَقْتِهِ وَطُمَأْنِينَتِهِ ؛ وَكَذَلِكَ هُوَ ذُو اعْتِرَافٍ بِالْأَحَدِ ^(٢) الَّذِي لَا سَبِيلَ
إِلَى جَعْدِهِ ، وَالْبَرَاءِ مِنْ هُوِيَّتِهِ ، وَكَيْفَ يَجِدُ أَثَرَ الْجَعْدِ ، أَوْ يُحِسُّ بِمَسَّةٍ مِنْ
الشَّكِّ ؟ وَسِنْخُهُ يَنْبُوءُ عَنْ ذَلِكَ ، وَفِطْرَتُهُ تَأْبَاهُ ، وَلِهَذَا النُّبُوُّ وَالْإِبَاءُ ^(٣) يَفْزَعُ
إِلَيْهِ ، وَيَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ ، وَيَطْلُبُ الْفَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ ، وَيَلْتَمِسُ الْخَيْرَ مِنْ لَدُنْهِ ،
فَانْظُرْ إِلَى هَذِهِ السُّلْسِلَةِ الْوُثِيقَةِ الَّتِي لَا يَفْصِمُهَا شَيْءٌ لَا فِي زَمَانٍ وَلَا فِي مَكَانٍ ،
وَلَا فِي بَقْظَةٍ وَلَا فِي مَنْأَمٍ ؛ فَهَذَا هَذَا ؟ وَفِيهِ مَقْنَعٌ .

وَأَمَّا فِعْلُ النَّفْسِ ، فَقَدْ وَضَحَ أَنَّهُ إِثَارَةُ الْعِلْمِ مِنْ مَظَانِّهِ ؛ وَأَسْتِخْلَاصُهُ مِنْ
الْعَقْلِ بِشَهَادَتِهِ ، مَعَ إِفَاضَاتٍ لَهَا أُخَرُ ، وَإِنَالَاتٍ مِنْهَا جَلِيلَةٍ عِنْدَ الْإِنْسَانِ ، بِهَا
يَتَأَلَّ مَا يَكْمُلُ بِهِ ، وَبِكَمَالِهِ يَجِدُ السَّعَادَةَ ، وَبِسَعَادَتِهِ يَنْجُو مِنْ شِقْوَتِهِ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : مَا الَّذِي اسْتَفَادَتْ فِي هَذَا الْمَكَانِ ، فَإِنَّهَا أَفَادَتْ وَمَا اسْتَفَادَتْ ،
إِلَّا أَنْ تُجْعَلَ إِفَادَتُهَا لِلْقَابِلِ مِنْهَا اسْتِفَادَةً لَهَا ؛ وَفِي هَذَا تَجَوُّزُ ظَاهِرٍ ، وَلَا يَقَالُ
لِلشَّمْسِ إِذَا طَلَعَتْ عَلَى بَسِيطِ الْأَرْضِ وَالْعَالَمِ : مَا الَّذِي اسْتَفَادَتْ . وَلَكِنْ

(١) فِي (ب) : « وَفُطِنَتْ » .

(٢) فِي كَلَا الْأَصْلِينَ « بِالْجَعْدِ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ ؛ وَسَيَاتُ الْكَلَامِ الْآتِي يَقْتَضِي مَا أُمْنِتْنَا .

وَرِيدٌ بِالْأَحَدِ : اللَّهُ تَعَالَى .

(٣) فِي (أ) : « الْبُنُونُ وَالْآبَاءُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كَلَا اللَّفْظَيْنِ .

يقال : ما الذى أفادت : فَيَعْلَمَ حِينَئِذٍ بِالْعِيَانِ أَنَّهَا أَفَادَتْ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً ، صَوْرًا
مختلفة ، وَمَنَافِعَ جَمَّةً بِالْقَصْدِ الْأَوَّلِ ؛ وَأَمَّا الْقَصْدُ الثَّانِي فَأَضْدَادُ هَذِهِ ، وَهَذَا
الْقَصْدُ مَفْرُوضٌ بِاللَّفْظِ لِيَكُونَ مُعِينًا عَلَى تَبْلِيغِ الْحِكْمَةِ إِلَى أَهْلِهَا .

(٦) وَأَمَّا قَوْلُهُ : بِأَيِّ شَيْءٍ بَايَنْتَ النَّفْسُ الرُّوحَ فَهُوَ ظَاهِرٌ ، وَذَلِكَ أَنَّ الرُّوحَ
جِسْمٌ يَضَعُفُ وَيَقْوَى ، وَيَصْلُحُ وَيَفْسُدُ ، وَهُوَ وَاسِطَةٌ بَيْنَ الْبَدَنِ وَالنَّفْسِ ،
وَبِهِ تُفَيْضُ النَّفْسُ قُوَاهَا عَلَى الْبَدَنِ ، وَقَدْ يُحْسِئُ وَيَتَحَرَّكُ ، وَيَلْذُّ وَيَتَأَلَمُ ؛
وَالنَّفْسُ شَيْءٌ بَسِيطٌ عَلَى الرُّتْبَةِ ، بَعِيدٌ عَنِ الْفَسَادِ ، مُنَزَّهٌ عَنِ الْأَسْتِحَالَةِ .

وَأَمَّا الْمَانِعُ أَنْ تَكُونَ النَّفْسُ جِسْمًا [فَلِلْبَسَاطَةِ الَّتِي وَجَدْتُ لِلنَّفْسِ وَلَمْ تُوَجَدْ
لِلْجِسْمِ ، وَبَيَانُ هَذَا أَنَّ كُلَّ نَمَتْ أُطْلِقَ عَلَى الْجِسْمِ نَزَّهَتْ عَنْهُ النَّفْسُ ، وَكُلَّ
نَمَتْ أُطْلِقَ عَلَى النَّفْسِ نَبَا عَنْهُ الْجِسْمُ ؛ فَذَلِكَ كَانَ الْمَانِعُ مِنْ ذَلِكَ ، وَقَدْ أَتَتْ
مَذَاكِرُهُ فِي النَّفْسِ مِنْذُ لِيَالٍ بِشَرْحٍ مُغْنٍ ، وَبَيَانٍ تَامٍ ، إِلَّا أَنَّ هَذَا الْمَسْكَانَ
أَحْوَجُ إِلَى الْإِلْهَامِ ، وَلَمْ يَأْتِ عَلَى مَا فِي النَّفْسِ . وَإِذَا بَطَلَ أَنْ تَكُونَ النَّفْسُ
جِسْمًا] فَهِيَ بِالْأَلَّا تَكُونَ عَرَضًا أَمْنًا وَأَخْلَقَ ، لِأَنَّهُ لَا قِيَامَ لِلْعَرَضِ بِنَفْسِهِ .

(٧) وَأَمَّا قَوْلُهُ : وَهَلْ تَتَّبِقَى ؟ فَكَيْفَ لَا تَتَّبِقَى وَهِيَ مَبْسُوطَةٌ لَا يَدْخُلُ عَلَيْهَا
ضِدٌّ ، وَلَا يَدْبُ إِلَيْهَا فُسَادٌ ، وَلَا يَصِلُ إِلَى شَيْءٍ مِنْهَا بَلَى ، وَالْإِنْسَانُ إِنَّمَا يَنْبَلَى
وَيَفْسُدُ وَيَخْلَقُ وَيَبْطُلُ وَيَمُوتُ وَيَفْقَدُ ، لِأَنَّهُ يَفَارِقُ النَّفْسَ ، وَالنَّفْسُ تَفَارِقُ
مَاذَا حَتَّى تَكُونَ فِي حُكْمِ الْإِنْسَانِ بِشَكْلِهِ ؟ وَلَوْ كَانَتْ كَذَلِكَ كَانَتْ لَعَمْرِي
تَمُوتُ وَتَبْلَى ، فَأَمَّا وَالْإِنْسَانُ بِهَا كَانَ حَيًّا وَجَبَ أَلَّا يَكُونَ حُكْمُهَا
حُكْمَ الْإِنْسَانِ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : أَوْهَا ، فَقَدْ بَانَ أَنَّ النَّفْسَ مَتَى لَمْ تَكُنْ جِسْمًا ، وَلَا عَرَضًا عَلَى
حِدَةٍ أَنَّهُ لَا تَكُونُ أَيْضًا بِهَمَا نَفْسًا ، لِأَنَّ الْبَيِّنُوتَةَ الَّتِي مَنَعَتْ فِي الْأَوَّلِ هِيَ

الَّتِي تَمْنَعُ فِي الثَّانِي ، وَلَيْسَتْ النَفْسُ وَالْعَرَضُ كَالْخَلِّ وَالشُّكْرِ حَتَّى إِذَا جُمِعَ بَيْنَهُمَا كَانَ مِنْهُمَا شَيْءٌ آخَرٌ ، لِأَنَّ الْجِسْمَ وَالْجِسْمَ إِذَا اخْتَلَطَا كَانَ مِنْهُمَا شَيْءٌ آخَرٌ ، لَهُ قَوَامٌ مَا ، وَإِنَّ ذَلِكَ الْقَوَامَ مُسْتَلٌّ مِنْهُمَا ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ الْبَسِيطُ وَغَيْرُ الْبَسِيطِ ، فَهَذَا هَذَا .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : وَهَلْ تَنْفَى ^(١) ، فَقَدْ بَانَ أَنَّهَا تَبْقَى وَلَا تَنْفَى ، وَلَيْسَ يَطْرَأُ عَلَيْهَا مَا يُفْنِيهَا ، لِبَسَاطَتِهَا وَبُعْدِهَا مِنَ التَّرَكِيبِ الْعَجِيبِ [الْمَعْرُضِ] لِلتَّحَلُّلِ .
وَأَمَّا قَوْلُهُ : وَهَلْ تَعْلَمُ مَا كَانَ فِيهِ الْإِنْسَانُ هَاهُنَا ، فَإِنَّ هَذَا بَعِيدٌ مِنَ الْحَقِّ لِأَنَّهَا قَدْ وَصَلَتْ إِلَى مَعْدِنِ الْكَرَامَةِ وَجَنَّةِ الْخُلْدِ ، فَلَا حَاجَةَ بِهَا إِلَى عِلْمِ الْعَالَمِ الشَّفَلِيِّ الَّذِي لَا تُبَاكَتُ لَهُ وَلَا صُورَةٌ ، لَعَلَّةِ الْحَيُولَةِ عَلَيْهِ ، وَتَذَكُّرِ الْحَيُولَةِ حَيُولَةٍ ، وَذَلِكَ دَلِيلُ النِّقْصِ ، وَأَعْتَرَضُ الْأَلَمَ ، وَلَوْ أَنَّ إِنْسَانًا نُقِلَ ^(٢) مِنْ كَرْبٍ حَبْسٍ ضَيِّقٍ إِلَى رَوْضٍ بُسْتَانٍ نَاضِرٍ بِهَيْجٍ مُوْنِقٍ ، ثُمَّ تَذَكَّرَ مَا كَانَ فِيهِ فِي حَالٍ مَا هُوَ عَلَيْهِ لَكَانَ ذَلِكَ مُؤْذِيًا لِنَفْسِهِ ، وَكَارِبًا لِقَلْبِهِ ، وَقَادِحًا فِي رَوْحِهِ ، وَآخِذًا مِنْ حُبُورِهِ وَغَبِطَتِهِ ، وَمُذْخِلًا لِلتَّنْفِيسِ عَلَيْهِ فِي نَشْوَتِهِ .

(٨) وَأَمَّا قَوْلُهُ : وَمَا الْإِنْسَانُ ، فَالْإِنْسَانُ هُوَ الشَّيْءُ الْمَنْظُومُ بِتَدْيِيرِ الطَّبِيعَةِ لِلْمَادَّةِ الْخَصُوصَةِ بِالصُّورِ الْبَشَرِيَّةِ ، الْمُوَيَّدُ بِنُورِ الْعَقْلِ مِنْ قِبَلِ الْإِلَهِ ؛ وَهَذَا وَصْفٌ يَأْتِي عَلَى الْقَوْلِ الشَّائِعِ عَنِ الْأَوَّلِينَ إِنَّهُ حَتَّى نَاطِقٌ مَائِتٌ [أَيْ حَيٌّ] مِنْ قِبَلِ الْحِسِّ وَالْحَرَكَةِ ، نَاطِقٌ مِنْ قِبَلِ الْفِكْرِ وَالتَّمْيِيزِ ، مَائِتٌ مِنْ قِبَلِ السَّيْلَانِ وَالْأَسْتِحَالَةِ ، فَمِنْ حَيْثُ هُوَ حَيٌّ شَرِيكَ الْحَيَوَانِ الَّذِي هُوَ جَنْسُهُ ، وَمِنْ حَيْثُ هُوَ مَائِتٌ هُوَ شَرِيكَ مَا يَتَبَدَّلُ وَيَتَحَلَّلُ ، وَمِنْ حَيْثُ هُوَ نَاطِقٌ هُوَ

(١) فِي الْأَصُولِ : « وَهَلْ تَبْقَى » ، وَهُوَ تَصْحِيفٌ لِذَلِكَ سَبَقَ هَذَا السُّؤَالُ .

(٢) فِي (ب) : « نَجَا » .

إنسان عاقلٌ حَصِيفٌ ، ومن حيث يبلغ إلى مُشَاكَمَةِ الْمَلَكِ بِقُوَّةِ الْاِخْتِيَارِ الْبَشَرِيِّ ، والنور الإلهي ، — أعني يُنْفَعُ^(١) في حياته هذه التي وَهَبَتْ لَهُ بَدْءًا ، بصحة العقيدة وصلاح العمل وصدق القول — هو مَلَكٌ ، فإن لم يكن مَلَكًا فهو جامع لصفاته ، ومالكٌ لِجَلْبَتِيَّتِهِ ، ولكل ما كان جنسه مشتتًا على التفاوت الطويل العريض ، كان نوعه مشتتًا على التفاوت الطويل العريض ؛ ومن كان نوعه كذلك كانت آحاده كذلك ، وكما أن الجنس يرتقي إلى نوعٍ كامل ، كذلك النوع يرتقي إلى شخصٍ كامل .

وأما قوله : هل الحدّ هو الحقيقة ، أو بينهما بَوْنٌ ، فإن الحدّ راجعٌ إلى (٩) واضحه ومُتَقَضِّيه^(٢) بدلالة أنه بَضْعُهُ وَيُفَصِّلُهُ^(٣) ، وَيُخَلِّصُهُ وَيُسَوِّيهِ وَيُصْلِحُهُ . فأما الحقيقة فهي الشيء وبها هوَ ما هوَ ، حدّه صاحِبُهُ أم لم يحدّه ، رَسَمَهُ قاصِدُهُ أم لم يرَسُمَهُ ، فلهو حظ الحقيقة عَيْنُ الشيء [ووضع الحدّ ليس هو عَيْنَ الشيء] .

وأما قوله : وما الطبيعة فهي أيضًا قوّةٌ نفسيةٌ ، فإن قلتَ عَقْلِيَّةٌ لم تُبْعِدْ ، (١٠) وإن قلتَ إلهيةٌ لم تُبْعِدْ ، وهي التي تَسْرِي في أثناء هذا العالمِ مُحَرِّكَةٌ وَسُكِّنَةٌ ، وَجُدُّدَةٌ وَمُبْلِيَّةٌ ، وَمُنْشِئَةٌ وَمُبِيدَةٌ ، وَمُخَيِّبَةٌ وَمُيَمِّتَةٌ ، وتصاريها ظاهرةٌ للحسّاس ، وهي آخِرُ الْخُلَفَاءِ في هذا العالمِ ، وهي بالموادِّ أَعْلَى ، والموادِّ لها أَغْشَى ؛ وليس لها تَرَقَّى النَّفْسِ في الثَّانِي^(٤) إلى عالمِ الرُّوحِ ، لِأَنَّهُ لَا كَوْنٌ هُنَاكَ وَلَا فَسَادٌ ، فَلَوَرَقِيَتْ إلى هُنَالِكَ لَبَقِيَتْ عَاطِلَةٌ ، وليس كذلك النفس ،

(١) في (١) : « يقين » : وفي (ب) : « يقين » ؛ وهو تحريف في كلتا النسختين ولعل الصواب ما أثبتنا . (٢) في كلتا النسختين : « ومقتضيه » ؛ وهو تحريف لامعني له في هذا الموضع . (٣) في كلتا النسختين : « ويبطله » . وهو تحريف . (٤) في الثاني ، أي في العالم الثاني .

فإن لها في عالمها البهجة والغبطة ، والحبور والشُّرور ، والدوام والخلود
والخلافة الإلهية ، وهذا هناك في مُقابلة ما كان لها هاهنا من الفضائل التي لا يأتي
عليها إحصاء ، ولا يحصلها استقصاء .

(١١) وأما قوله : وهلا أغنى الروح عن النفس ، فهو يُغني عنها ، ولكن في
جنس الحيوان الذي لم يكمل فيكون إنساناً . فأما في الإنسان فلا ، لأن
الإنسان بالنفس هو إنسان لا بالروح ، وإنما هو بالروح حتى تحسب .

وأما قوله : وهلا أغنت النفس عن الروح ، فإن الروح كآلة للنفس
حتى ينفذ تديرها بوساطته في صاحب الروح ، وليس ذلك لمعجز النفس ،
ولكن لمعجز ما ينفذ فيه التدير ، وإذا حقق هذا الرمز لم يكن هناك معجز
لأنه نظام موجود على هذه الصورة ، وصورة قائمة على هذا النظام ، فليس
لأحد أن يعمل ذلك بلم ولا بكيف إلا من طريق الإفناع .

(١٢) وأما قوله : هلا كفت الطبيعة . فقد كفت في مواضعها التي لها الولاية
عليها من قبل النفس ، كما كفت النفس في الأشياء التي لها عليها الولاية من
قبل العقل ، كما كفى العقل في الأمور التي له الولاية عليها من قبل الإله ؛ وإن
كان مجموع هذا راجعاً إلى الإله ، فإنه في التفصيل محفوظ الحدود على أربابها ؛
وهذا كالمالك الذي له في بلاده جماعة فيصنّدون عن رأيه ، وينتهون إلى أمره ،
ويتوخّون في كل ما يفقدونه ويحلّونه ، وينقضونه ويبرّمونه ، ما يرجع إلى
وفاقه ، وكل ذلك منه وله وبأمره ، وقد كفاه أولئك التزم ذلك كله .

فإن قال قائل : فكيف مثلت سياسة إلهية بسياسة بشرية ، وأين هذه

من تلك ؟

فالجواب أن البشر المسكين لم يجد هذه السياسة من تلقاء نفسه ، ولا بما هو به مهيئ ضعيف عاجز مسكين ؛ بل بما فاض عليه من تلك القوى وتلك الصور ، فهو إذا أبرز شيئاً أبرز على مثال تلك ، لأنه قد أعطى القالب ، فقد سهل عليه أن يفرغ فيه ، وذهب له الطابع ، فهو ينحتم به ؛ وهى على ذلك فهو يجرى عليه ، وهذا سوق إلى الهوى وإن كان الأنسياء^(١) بشرياً ، ونظم ربوبي وإن كان الانتظام إنسياء ؛ وفي الجملة إحدى السياستين ، أعنى البشرية هي ظلة للأخرى ، أعنى الإلهية ، والشفليات منقادة منفعة للعلويات ، والعلويات مستوريات على الشفليات ، بحق العدل وما هو مقتضاها ، ولأن هذه قواعل ، أعنى العلويات ، وتلك قواعل ، أعنى المنفعيات ، ووجب ذلك لأن الصورة في الفاعل أغلب ، والهوى في التقابل أغلب ، والمالكان متواصلان ، والسياستان متمماتان ، والسيارتان متعادلتان ، والتدويران متقابلان ، ولكن التدوير إذا نفذ في الشفلي يسمى بشرياً ، وإذا نفذ في العلوي يسمى إلهياً ، وإن كانا في التحقيق إلهيين ، وإنما اختلفا بحسب العصور والورود ، والفصول والوصول ، والشخص^(٢) والبلوغ ؛ والعادة جارية بأن يشبه الإنسان شيئاً من الأشياء بالشمس والقمر ، ولا يشبه الشمس والقمر بشيء آخر ، لأن للأعلى النفث الأول ، وللأسفل النفث الأزذل ؛ فهذا كما ترى .

وأما قوله : وما القمل ، وما أنعاؤه ، وما صنيعة ؟ فإن الجواب عن هذا (١٣) لو وقع^(٣) في خلد كثير ، لكان محمولا على التقصير ، وكذلك فيما تقدم ؛ ولكن

(١) في كلتا النسختين : « الاشقياء » بالسين المعجمة ، وهو تصحيف .

(٢) يريد بالشخص هنا الارتحال ، وهو في مقابلة البلوغ .

(٣) في كلتا النسختين : « أنه لو وقع » . والظاهر أن قوله « أنه » زيادة من الناسخ .

هذا مكان قد اقترح فيه الإيجاز والتقريب ، ولهذا لا يكونان إلا بحذف الزوائد المفيدة ، وإلا يتفرق العلائق الموضحة . وبعد ، فاعقل أيضاً قوة إلهية [أبسط من الطبيعة ، كما أن الطبيعة قوة إلهية] أبسط من الأسطقات ، وكما أن الأسطقات أبسط من المركبات ؛ وعلى هذا حتى تنتهي المركبات إلى مركب في الغاية ، كما بلغت المبسوطات إلى مبسوط في النهاية ؛ فالتقى الطرفان على ما يقال له : كل ، فلم يكن بعد ذلك مطلب لا في هذا الطرف ولا في هذا الطرف ؛ والعقل هو خليفة الله ، وهو القابل لفنيض الخالص الذي لا شوب فيه ولا قذى ؛ وإن قيل : هو نور في الغاية لم يكن بعيد ، وإن قيل بأن اسمه مفعن عن نفعه لم يكن بمنكر ؛ وإنما عجزنا عن تحديد هذه البساط لآنا حاولنا عند عينا^(١) أن تكون في صورة المركبات أو قريبة منها ، وأن تصير لنا أصناماً نتمثلها ونوكل بها^(٢) ؛ وهذا منا تعجرف مزود علينا ، وخطأ يلزمنا الاعتذار منه إلى كل من أحس به منا ؛ وينبغي أن نتوب إلى الله في كل وقت من وصفه بما لا يليق به ، ومن طرح الوهم على شيء قد حجب عن معارفنا ، ورفع عن عقولنا ، وقصرنا على حدودنا اللازمة لنا ، وأشكالنا المشتملة علينا ؛ هذا حديث العقل إذا لحظ في ذروته .

فأما إذا فحص عن آثاره في حضيضه فإنه تميز وتخصيل وتفتيح وحكم وتصويب وتخطئة ، وإجازة وإيجاب وإباحة ؛ وإياك أيها السامع أن يكون مفهومك من هذه الأسماء والأفعال والحروف أشياء متميزة فتجعل شيئاً واحداً أشياء ، ومن كثر الواحد فهو أشد خطأ ممن وحد الكثير ، لأن تكثير

(١) في كلتا النسخين : « علمائها » ؛ وهو تحريف ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٢) في كلتا النسخين : « وتوكل » ؛ وهو تحريف .

الواحد انحطاطٌ إلى المركز ؛ وتوحيده الكثير استئلاء إلى المحيط ، بل يجب أن يكون مَحْصُولُكَ منها شيئاً واحداً لم تصل إليه إلا بتراؤفِ هذه الكلمات ، وتَصَاحُبِ هذه الصِّمَاتِ .

وأما أمحاؤه ، فعلى قدر ما يقال : فلان عاقل وفلان أعقل من فلان ، وفلان في عقله لونه^(١) ، وفلان ليس بعقل ؛ وأصحابُ العقل أنصباؤهم منه مُخْتَلِفَةٌ بالقِلَّةِ والكثرة ، ، والصِّغَاءِ والكَدَرِ ، والإنارة والظلمة ، واللطافة والكثافة ، والخِفَّةِ والخَصَافَةِ ، كما تجدُهم مُخْتَلِفِينَ في الصُّورِ والألوانِ والخلقِ بالطولِ والقصرِ ، والحُسْنِ والقُبْحِ ، والأعْذَالِ والانحرافِ ، والرَّوَّةِ والقبولِ ، إلا أن هذا القَبِيلَ يُدْرِكُ بالحسِّ ، ويُشْهَدُ بالعيانِ ، ويُعَيَّنُ بالحضورِ ، وذلك القَبِيلَ مَحْجُوبٌ عن هذا كُلِّهِ ، فلم يَجْزَ أن تكون الإحاطة بْتَفَاوُتِ ما غاب [عَنَّا] في وَزْنِ [الإحاطة^(٢)] بْتَفَاوُتِ ما حَصَرَ ، فإنَّهما ما تبايَنا لِيَأْتِكُنَا ، بل لِيَخْتَلِفَا ، وهذا التَّفَاوُتُ مُعْتَرَفٌ به إذا اعتبر من خارج ، وذلك أنك تجد أصحاب المال أيضاً يَتَبَايَنُونَ في مقادير ما يَمْلِكُونَ من المال ، ولا يَتَفَقَّهُونَ على مِقْدَارٍ واحدٍ منه عند جَمَاعَتِهِمْ ، ولا يَتَفَقَّهُونَ على نوعٍ واحدٍ أيضاً من أَعْيَانِ أُمُالٍ ، لأنَّ هذا يَمْلِكُ الصَّامِتَ ، وذاك يَمْلِكُ النَّاظِقَ ، وهذا يُمارِسُ القَرَ ، وهذا يُمارِسُ الصُّوفَ ، وهذا يَنْظُرُ في العَصْرِفِ ، وهذا يَبِيعُ الحَيَّوانَ ، وكلُّهم منهم صاحبُ مالٍ ومُبَاشِرٌ له ؛ وعلى هذا المَثَالِ اخْتَذَى أَهْلُ الْعَقْلِ في مَطَالِبِهِمْ ، فصار هذا يَمْلِكُ بِعَقْلِهِ غَيْرَ ما يَمْلِكُ الْآخَرُ ، أعْنِي أن هذا يَنْظُرُ في المهندسة ، وهذا في الطِّبِّ ،

(١) في (١) : « لونه » ووردت هذه الكلمة في (ب) مطبوسة الحروف تميز قراءتها ، والصواب ما أثبتنا .

(٢) لم ترد هذه الكلمة في كلتا النسختين ، والسياق يقتضيها .

وهذا في النحو، وهذا في الفقه؛ والعبارة تمنع من إشباع هذا المعنى، وحصر هذا الفن، فعلى هذا أنعأوه، وإنها لكثيرة إن لم تكن بلا نهاية.

وأما صنيعه، فهو الحكم بقبول الشيء ورده، وتحسينه وتفجيحه، إذا كان المروض عليه على جبهته غير مموه ولا منشوش، ولا مشتبه فيه ولا ملبوس، فإن كان مموهاً اختلف حكمه، لأن العقل يرى الباطل حقاً في وقت، ويرى الحق باطلاً في وقت، مماذا الله من هذا، ذلك للحس المنقوص، والذهن الملبوس، لأن^(١) العارض مموه مفروضه على العقل، فحكم له بما يستحقه، إلا أن يكون العارض لم يشمر بذلك التمويه، ولم يفتن لذلك النفس، فحينئذ يهديه العقل ويرشده، ويفتح عليه، وينصح له.

وأما قوله: وهل يعقل العقل، فإن الأولى أن يقال: الماقل يعقل بالعقل معقوله، ألا ترى أنه يقال: السراج أضاء البيت، ويبعد أن يقال: أضاء نفسه، لأنه مضي بنفسه، فليس به فقر إلى أن يضي نفسه، وإنما أضاء غيره.....^(٢). ولو عيل العقل لميل بالعقل، وهذا إذا استمر كان مردوداً، ونحن إذا قلنا: عقل الماقل معقوله، فإنما نصفه بأنه أنفع أنفعال كمال، والعقل يرى من هذا الأنفعال ألا يتوخى أنه يعقل الإله الذي هو به ما هو، فإنه يجوز أن يضر^(٣) به أنفعال لاثق به يكون عبارة عن شوقه^(٤) إليه، وكاله به، وأتعبه منه، وهذا صراط حديد، والواطي عليه على خطر شديد، والوقوف

(١) وردت هنا كلمة: « لكن ». في الأصول وهي زيادة من الناسخ.

(٢) ورد موضع هذه النقط في كلتا النسختين: « إلى لأنه أضاءه »، ولا مقضى لهذه العبارة هنا كما يظهر لنا. (٣) في كلتا النسختين: « يضر به » بالنون مكان الراء؛ ولم نثبت له معنى في هذا الموضع؛ ولعل الصواب ما أثبتنا أو لعله « يضل به » باللام.

(٤) في كلتا النسختين: « سوقه » بالسين وهو تصحيف.

دونه أصدعُ بالحُجَّة ، وأوضحُ للمُذَر ، لأنَّ الإنسانَ خَوَّارٌ بالطَّبع ، وإن كان جَسُوراً بالنفس .

وأما قوله : وهل تَنَنِّسُ النفس ، فإنَّ أريدَ بذلك النفسُ الناميةُ (١٤) والحيوانيةُ فهو قريب ، وأما الناطقةُ فإنَّ ذلكَ يَبْعُدُ منها [لأنَّ ذلكَ التنفسُ أَسْتِمْدَادُ شيءٍ به يكونُ الشيءُ حيًّا] أو كالحَيِّ ؛ والناطقةُ غَنِيَّةٌ عن ذلك .

فإن قيل : فهل تَقْتَبِسُ من العقلِ وتَسْتَمِدُّ ؟ قيل : هذا لا يُسَمَّى تَنَفُّسًا ، وليس اللفظُ يُبْعِدُهُ عن الحقيقةِ تأويلٌ في الوَضْعِ ؛ ولا وَجْهٌ في الأَعْمَالِ (١) وإدخالُ التَوَيْصِ في المكانِ الذي يُحْتَاجُ فيه إلى رَفْعِ اللَّبْسِ وزوالِ الإشْكَالِ ، مُدَاجَاةٌ في العِلْمِ [وَخِيَانَةٌ لِلْحِكْمَةِ] وَجَنَابَةٌ عَلَى الْمُسْتَنْصَحِ .

وأما مَرْتَبَتُهُ (٢) عند الإلهِ فقد وضحَ بأنه كالشمسِ تَطْلُعُ فَتُحْجِي ، وتَضِيءُ فَتَنْفَعُ .

فإن قيل : فالعقلُ أيضاً هكذا ، قيل : العقلُ أيضاً شمسٌ أُخْرَى ، ولكنها تطلعُ على النفسِ التي ليست حاويةً للجدارِ وَسَطُوح ، وَبَرٍّ وَبَحْرٍ ، وَجَبَلٍ وَسَهْلٍ ، لِأَنَّهُ لَمَّا كَانَ الْعَقْلُ أَشْرَقَ مِنَ النَّفْسِ — لِأَنَّهُ مُسْتَخْلِفٌ لِلنَّفْسِ ، وَالنَّفْسُ خَلِيفَتُهُ — كَانَ إِشْرَاقُهُ أَلْطَفَ ، وَمَنَافِعُهُ فِي إِشْرَاقِهِ أَشْرَفَ ، وَأَيْضًا فَإِنَّ الشَّمْسَ تَجِدُهَا بِالْحِسِّ لَهَا غُرُوبٌ وَطُلُوعٌ ، وَتَجَلٍّ وَكُسُوفٌ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ الْعَقْلُ ، لِأَنَّ إِشْرَاقَهُ دَائِمٌ ، وَنُورُهُ مُنْتَشِرٌ ، وَطُلُوعُهُ سَرْمَدٌ ، وَكُسُوفُهُ مَقْدُومٌ ، وَتَجَلِّيُّهِ غَيْرُ مَتَوَقَّفٍ (٣) .

(١) في (ب) : « الاحتمال » .

(٢) مرتبته ، يعنى العقل .

(٣) في كلتا النسختين : « متوقع » بالعين ؛ وهو تحريف .

فإن قيل : نَرَى الْعَقْلَ يَعَزُبُ عَنِ الْإِنْسَانِ فِي وَقْتٍ [وَيَتَوَبُّ إِلَيْهِ فِي وَقْتٍ] . فاجواب أن الوصف الذي كُنَّا نَنْعَتُ^(١) بِهِ وَاصَّدَعُ بَيَانَهُ لَمْ يَكُنْ لِعَقْلِ زَيْدٍ وَعَمْرٍو ، وَبَكَرٍ وَخَالِدٍ ، لِأَنَّ ذَلِكَ يُنْعَتُ بِالطَّلُوعِ وَالْفُرُوبِ ، وَبِالْحُضُورِ وَالنُّيُوبِ ، لِأَنَّهُ هَاهُنَا مُضَافٌ وَمُنْحَازٌ^(٢) ، أَوْ كَالْمُنْحَازِ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ هُوَ ، فَإِنَّهُ هُنَاكَ عَلَى بَهْجَتِهِ التَّامَّةِ ، وَصُلَاطَانِهِ الْقَاهِرِ ، وَمَلَكُوتِهِ الْأَفْيَحِ ، وَبَسِيطِهِ الْفَاتِقِ^(٣) ، وَقَضَائِهِ الْمَرِيضِ .

وأما قوله : وَهَلْ يَنْفَعِلُ ، فَقَدْ مَرَّ الْكَلَامُ عَلَيْهِ فِي طَى مَا مَرَّ ، وَلَيْسَ لِلتَّكْرَارِ وَجْهٌ ، وَلَا فِي التَّطْوِيلِ عُذْرٌ .

وأما قوله : فَحَسِطُ الْفِعْلِ أَكْثَرُ ، أَمْ حَسِطُ الْأَنْفِعَالِ ، فَإِنَّ هَذَا يُلْحَظُ مِنْ وَجْهَيْنِ ، إِذَا لُحِظَ قَبُولُهُ مِنْ قَيْضِ الْإِلَهِ فَحَسِطُ الْأَنْفِعَالِ أَظْهَرَ ، وَإِذَا لُحِظَ قَيْضُهُ عَلَى النَّفْسِ فَحَسِطُ الْفِعْلِ فِيهِ أَكْثَرُ ، لِأَنَّهُ بِجُودِهِ عَلَى غَيْرِهِ يُشَارِكُهُ مَنْ جَادَ عَلَيْهِ بِجُودِهِ ، وَهَذَا لَطِيفٌ جِدًّا .

(١٥) وأما قوله . وَمَا الْمَادُ ، فَأَسْهَلَ مُطَالَبَةَ السَّائِلِ بِهَذَا الْأَمْرِ الصَّعْبِ الْمَائِلِ الَّذِي كُلُّ أَمْرٍ مُتَعَلِّقٌ بِهِ ، وَكُلُّ رَجَاءٍ حَائِثٌ حَوْلَهُ ، وَكُلُّ طَمَعٍ مُتَوَجِّعٌ إِلَيْهِ ، وَكُلُّ شَيْءٍ مَقْصُورٌ عَلَيْهِ ، وَكُلُّ إِنْسَانٍ بِهِ يَهِيمُ ، وَكُلُّ مُصَرِّحٍ عَنْهُ يُصَرِّحُ ، وَكُلُّ كَانَ عَنْهُ يَكْنِي ، وَكُلُّ مَتَرْتَّمٍ بِهِ يَحْدُو ، وَكُلُّ لَحْنٍ إِلَيْهِ يُشِيرُ ، وَكُلُّ سَامِعٍ إِلَيْهِ يَطْرَبُ ، وَنَزَجِعُ فَنَقُولُ — عَلَى الْعَمَى وَالْبَيَانِ ، وَعَلَى الزَّحْفِ وَالْعَدْوَانِ — إِنَّ عَوْدَ النَّفْسِ إِنَّمَا هُوَ تَخْلِيَّتُهَا لِلْبَدَنِ إِذَا حَانَ وَقْتُ التَّخْلِيَةِ ، إِمَّا لِأَنَّ الْبَدَنَ

(١) فِي (١) : « قَنَعَ » ؛ وَفِي (ب) : « نَسَعَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كَلِمَتَيْهِ .

(٢) فِي كَلِمَتَا النِّسْخَتَيْنِ : « وَخَنَارٌ أَوْ كَالْخَنَارِ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كَلَامِ الْمَوْضُوعَيْنِ .

(٣) فِي (١) : « الْغَائِبُ بِالْفَيْنِ وَالْبَاءُ » ؛ وَفِي (ب) : « الْغَائِثُ » بِالْفَاءِ وَالنَّاءِ ؛ وَلِلصَّوَابِ مَا أَتَيْنَا .

غير مُحْتَمِلٍ لِمَادَّةِ الْحَيَاةِ ، وَإِنَّمَا لِأَنَّ النَّفْسَ قَدْ أَرْزَمَتْ أَمْرًا آخَرَ ، وَلَا يَتِمُّ لَهَا ذَلِكَ إِلَّا بِتَخْلِيلِهِ هَذَا ؛ وَإِنَّمَا لِهَذَا .

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : فَمَا نَصِيبُ الْإِنْسَانِ مِنْ عَوْدِ النَّفْسِ الَّذِي هُوَ تَخْلِيلُهَا لِلْبَدَنِ وَخُرُوجِهَا عَنْهُ ، وَتَرْكُ اسْتِعْمَالِهَا لَهُ . فَالْجَوَابُ مِنْ طَرِيقِ التَّمْثِيلِ ، وَالرَّضَا بِالرَّأْيِ الْأَضَوِّبِ ، وَالْحُكْمِ الْأَجْلِيِّ أَنْ يَقَالَ : لَوْ قِيلَ لِرَجُلٍ مِنْ عُرْضِ النَّاسِ وَافِرٍ أَوْ نَاقِصٍ : إِنَّكَ إِذَا فَارَقْتَ هَذَا الْعَالَمَ بَقِيتَ عَيْنُكَ الْبَاصِرَةَ ، وَأُذُنُكَ السَّامِعَةَ ، هَلْ تَرَى ذَلِكَ نِعْمَةً عَلَيْكَ ، وَإِحْسَانًا إِلَيْكَ ، فَإِنَّ عَيْنَكَ إِذَا بَقِيتْ أَبْصَرْتَ الْعَالَمَ بَعْدَكَ كَمَا كُنْتَ تُبْصِرُهُ وَهِيَ مَعَكَ ، بَلْ تُبْصِرُ أَحْسَنَ مِنْ ذَلِكَ الْإِبْصَارِ ، لِأَنَّهَا كَانَتْ مَعَكَ تَرْمَدُ بِسَبَبِكَ ، وَتَعْشَى مِنْ أَجْلِكَ ، وَرَبَّمَا عَرَضَ لَهَا سُوءٌ تَذِيرُكَ ، أَوْ بَانْفَاقٌ رَدَى عَلَيْكَ ، مِنْ عَشَى أَوْ عَمَى وَخَفَسَ وَعَمَسَ وَعَوَرَ وَآفَاتٍ ^(١) كَثِيرَةٍ ، وَهِيَ آمِنَةٌ بَعْدَكَ مِنْ هَذِهِ الْأَغْرَاضِ الْمَكْرُوهَةِ ، وَالْأَحْوَالِ الدَّاهِيَةِ ^(٢) ، فَإِنَّا نَعْلَمُ حَقًّا وَعِيَانًا أَنَّهُ يَقُولُ : قَدْ رَضِيتُ بَلْ أَتَمَّنَى هَذَا ، وَمَنْ لِي بِهِ ، أَيْ إِنْ أُعْطِيتُ هَذَا فَمَنْ مِنِّي ^(٣) أَسْمَعُ وَأَبْصُرُ ، وَإِذَا كُنْتُ أَكْرَهُ الدُّنْيَا فِي حَيَاتِي إِذَا فَقَدْتُهَا فَكَيْفَ لَا أُحِبُّ الدُّنْيَا إِذَا وَجَدْتُهَا ، فَإِنَّ كَانَ هَذَا التَّمْثِيلُ وَاقِعًا ، وَهَذَا التَّقْرِيبُ نَافِعًا ، وَالْحَقُّ فِي تَضَاعُيفِهِ وَاضِحًا ، فَلْيَكُنْ ذَلِكَ مُطَرِّدًا فِي بَقَاءِ نَفْسِ الْإِنْسَانِ الَّتِي بِهَا كَانَ إِنْسَانًا ، وَبِهَا كَانَ يَنْتَمِ فِي هَذَا الْعَالَمِ ، وَبِهَا كَانَ يَعْلَمُ وَيَعْرِفُ وَيَحْكُمُ وَيُصِيبُ ، وَيَجِدُ لَذَّةَ اللَّذِيذِ مِنْ نَاحِيَةِ الْعَقْلِ وَالْحِسِّ ، وَبِهَا كَانَ يَتَمَتَّى بِالْبَقَاءِ وَالِدَّوَامِ وَالْخُلُودِ ،

(١) كَذَا فِي (ب) وَالَّذِي فِي (أ) : « وَذُنُوبٌ » ؛ وَهُوَ تَبْدِيلٌ مِنَ النَّاسِخِ . وَلَمْ يَرِدْ قَوْلُهُ : « كَثِيرَةٍ » فِي (ب) . (٢) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « الدَّاهِيَةِ » ؛ وَهُوَ تَصْغِيرُ . (٣) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « مَثَلِي » بِالتَّاءِ وَاللَّامِ ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ مَا أَبْتَنَاهُ كَمَا يَقْتَضِيهِ السِّيَاقُ ، وَأَسْمَعُ وَأَبْصُرُ : وَصِفَانِ لِلتَّفَضُّيلِ .

وإنما استحال ذلك التعمي من أجل كونه وفساده اللذين لم يكن بُدٌّ من انتهائهما إلى الفناء الذي هو مفارقة النفس الجسد وتخليتها للبدن ، ونسبة نفس الإنسان إلى الإنسان أؤكد وألصق من نسبة العين إليه ، ألا ترى أنه بالنفس إنسان ، وبالبدن حافظ لشكل [الإنسان] ؛ فإذا كان للإنسان في هذا التمثيل فائدة ممتنة ، وحالة محبوبة هنيئة ، أعنى في بقاء العين والأذن حتى يُنصرَ بإحداهما هذا العالم الخشوع بالآفات ، ويسمع بالأخرى ما يجري فيه من ضروب الاستحالات ، فبالعري أن يكون رضا بقاء النفس في محل الروح والأمن ، ومقام الكرامة والسكينة على حال الخلود والطمانينة ، إن هذا لمعجب ؛ وأعجب من هذا المعجب عقل لا يفلق به ، وروح لا يهش لسماعه ، ونفس لا تجد حلاوته ، وصدر لا يتصدع طرباً عليه ، والباحا^(١) إليه ، فإن من لم يشعر بهذه الفائدة ، ولم يحمد الله على هذه النعمة ، لعازب الرأي ، ضعيف العقل ، خفيف المنقال ، ردي الاختيار ، قليل الحصافة ، سيئ النظر ؛ حيوان خسيس ، في مسك إنسان رئيس ؛ فقد بان — على مذهب التقريب — ما المعاد المشار إليه ، وما الإنسان منه ، وما لنفسه به .

(١٦) وأما قوله : وما الفرق بين الأنفس ، أى نفس زيد وعمر و بكر و خالد ، وما الفرق أيضاً بين أنفس أصناف الحيوان ، فإنما الفرق بين هذه الأنفس بقدر قسط كل واحد منهم منها ، وهذه الأقساط إذا اجتمعت تفاوتت ، وإذا تفاوتت كانت منها نفس باقية حية ، ونفس فانية ميتة ، ألا ترى الشمس كيف تطلع على هذه المواضع المختلفة بالعلو والثلل ، وبالتعريج والاستقامة ، والأشكال الكثيرة ، فيقول كل إنسان : مشرقى أطيب من مشرق فلان ،

(١) الالتياح : الشوق . وفي الأصول : « واربنا » . وهو تحريف .

وما أشبه هذا الكلام ، وطلوع الشمس على جميعها طلوع واحد ، ولكن حفظ البقاع منها مخبئة ؛ فليس بُنكر [أن تكون] نفسُ زيد أنجي من الكدر ، وأخلص من الآفة ، وأوصل إلى السعادة ؛ ونفسُ بكرٍ على خلاف ذلك ، ومراتب هذه الأنفس موقوفة على الإضافات الحاصلة لها بأصحابها ، والأنصباء المذخورة لها بأكتسابها .

فأما أنفسُ أصناف الحيوان كالفرس والحمار فإنها أنفسٌ ناقصةٌ غيرُ كاملة ، وهي ضعيفة ، لأنها لم تجد إلا الإحساس والحركات ، لم يشع فيها نور النفس الشريفة ، ولم ينبث فيها شعاع العقل الكريم ؛ فوجب من هذا الوجه أن تكون تابعة لأبدانها ، جارية على فسادها وبطلانها ، لأن الحكمة انتهت إلى ذلك الحد في كونها حشوا لهذا العالم وزينة ومنافع ومبالغ إلى غايات وأغراض .

وأما قوله : وهل الملك حيوان ، فقد علمت أنه يقال له حي ، وهذا وقف (١٧) على الأسماء الجارية ، والماديات القائمة ، وكأن الحيوان إنما شاع في غير الملك لما فيه من الحس والحركة والأهتداء والتصرف على ما لاق بجنسه ونوعه وشخصه ؛ فأما ما يعلو وينزه عن الصفات فلم يطلق عليه حيوان ، ولكن يقال : حي لأنه أقرب الأسماء إلى المعنى المشار إليه ، وبهذا التثريب قيل أيضاً لله : إنه حي ، وأنت إذا حدثت الحي أو الحياة لم تقدر على أن تصف الله [جلّ وعلا] بشيء من ذلك .. وفي الجملة كل ما كان أدخل في البساطة كان أخرج من التركيب ، وكل ما كان أخرج من البساطة كان أدخل في التركيب .

فأما المركب الذي ليس له من البسيط إلا النصيب النزر ، وإلا طينف الخيال ، فاسمه واضح والإشارة إليه سهلة ، والعيان له مدرك ، لأنه محاط

بمحدوده في طوله وعرضه وعمقه .

وأما المركب البسيط الذي ليس له من التركيب إلا النصيب اليسير ، فاسمه غامض ، والإشارة إليه عسرة ، والعيان عنه مكفوف ؛ وهذا باب إذا حفظ فهم منه شيء كثير مما يتبع فيه العلط من الإنسان بفكره الرديء ؛ وينفع أيضا نفعا بيّنا في التخالط العارض بين المتناظرين على جهة التناقص والتناصف قال أبو سليمان : من حرس هذا النغر أمن من جميع الأعداء ، ومن أهمله كانت جنايته على نفسه بيده أعظم من جناية مدوّه النائر من نغره .

وأما قوله : على أي وجه يقال لله حيّ والملك حيّ والفرس حيّ ، فقد دخل الجواب عنه في ضمن ما تشقّق القول به ، وتحقّق المعنى عليه في حديث المركب والبسيط ؛ ونزيد هاهنا حرفا يكون رديفا لما تقدّم ، فنقول : أمّا الإنسان فإنه يقال له : حيّ بسبب الحس والحركة وما يتبعهما مما هو كمال الحيّ ، وكذلك الفرس وما أشبهه . وأمّا الملك فلما كان ما يستحقّه ببساطته معدوما عندنا ، لم نقدر على شيء نصفه به إلا ما نصف به أنفسنا بيننا ، ولو كنّا في عالم الملك لعلنا كنّا ندرى بأى شيء ينبغي أن يُنعت ويُسمّى ويُذكر ويُحسكى ، فإن من كان منّا في بلاد الصين فإنه يُسمّى الإنسان والفرس والحمار والبقر بها يتعالم أهلها بينهم ، وإذا كان هذا موزّعا على ما ترتى في الملك ، أغنى تسميته الحيّ ، ونعته بالحياة ، فالله الذي لا سبيل للعقل أن يدركه أو يحيط به أو يجده وجدانا أولى وأحرى أن يُمسك عنه عجزا وأستخذء ، وتضاولا وأستغناء ، إلا بما وقع الإذن به من جهة صاحب الدين الذي هو مالك أزمة العقول ومرشدها إلى السعادات ، وواقفها عند الحدود ، وزاجرها

عَنِ التَّخَطُّى إِلَى مَا لَا يَجُوزُ . فَعَلَى هَذَا قَدْ وَضَحَ أَنَّ الصَّمْتَ فِي هَذَا الْمَكَانِ أَغْوَدُ عَلَى صَاحِبِهِ مِنَ النُّطْقِ ، لِأَنَّ الصَّمْتَ عَنِ الْمَجْهُولِ أَنْفَعُ مِنَ الْجَهْلِ بِالْمَعْلُومِ ، وَالنَّظَاهِرَ بِالْمَجْزِي فِي مَوْضِعِهِ كَالْأَسْطِطَالَةَ بِالْقُدْرَةِ فِي مَوْضِعِهَا ، وَلَيْسَ لِخَلْقٍ مِنْ هَذَا الْوَاحِدِ الْأَحَدِ إِلَّا الْإِنِّيَّةُ وَالنُّهْوِيَّةُ ، فَأَمَّا كَيْفَ وَلِمَ وَمَا خُوفَانِهَا ظَاهِرَةٌ فِي الرِّيَاحِ كَمَا تَسْمَعُ وَتَرَى .

وَلَمَّا حَرَرْتُ هَذِهِ الْجُمْلَةَ وَحَمَلْتُهَا إِلَى الْوَزِيرِ وَقَرَأْتُهَا عَلَيْهِ قَالَ لِي : هَذَا وَاللَّهِ جُهْدُ الْمُقِلِّ ، وَفِي غَلِيلِي بَقِيَّةٌ مِنَ اللَّهَبِ .

قُلْتُ : أَبُيَا الْوَزِيرِ ، قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ : سَنَقُولُ لَكَ كَلَامًا لَا يَكُونُ فِيهِ كُلُّ الرِّضَا ، فَقُلْ لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ : إِنَّكَ سَأَلْتَ عَنِ الْعَالَمِ بِأَسْرِهِ ، فَلَا طَاقَةَ لِأَحَدٍ أَنْ يَغْرِضَ عَلَيْكَ الْعَالَمَ بِأَسْرِهِ ، وَلَوْلَا عَجَلَةُ رَسُولِكَ فِي الْمُطَالَبَةِ ، وَإِذْلَالُهُ بِالْإِلْحَاحِ ، وَقَوْلُهُ : الْمُرَادُ التَّقْرِيبُ وَالْإِيحَازُ ، لَا التَّطْوِيلُ وَالْإِسْهَابُ ، لَكَانَ الذَّنْجُ عَلَى غَيْرِ هَذَا الْمِنْوَالِ ، وَالْعَمَلُ عَلَى غَيْرِ هَذَا الْوَسْطَى . قَالَ : وَمِنَ الْمَعَالِمِ الَّتِي لَيْسَ لَهَا نَازِرٌ ، وَلَا بِهَا خَائِرٌ ، أَنَّ السَّائِلَ يَحْضُرُ عَلَى التَّلْخِيصِ الْمَفْهُومِ ، وَلَعَلَّ ذَلِكَ يَزِيدُ الشَّيْءَ إِغْلَاقًا ، فَإِذَا أُمْتُثِلَ مَا يَزِيدُ قُلْتُ : مَا شَفَانِي الْقَوْلُ ؛ وَإِنْ زِيدَ عَلَى ذَلِكَ قَالَ : غَرِقَ الْمُرَادُ فِي حَوَاشِي التَّكْثِيرِ ؛ فَلَيْسَ لِلْعَالِمِ تَخَلُّصٌ مِنْ أَسْتِزَادَةِ الْمُتَعَلِّمِ ، وَلَا عِنْدَ الْمُتَعَلِّمِ شُكْرٌ عَلَى مَبْذُولِ جُهِدِ الْعَالِمِ ، وَهَذَا أَمْرٌ قَدْ تَقَدَّمَ الْأَسْتِغَاثَةُ مِنْهُ عَلَى مَرَّةٍ الدُّهُورِ ، وَالْأَوَّلَى فِيهَا لَا حِيلَةَ فِيهِ الرِّضَا بِالْمَيْسُورِ مِنْهُ .

ثُمَّ قَالَ : وَإِنْ أَطَالَ اللَّهُ أَيَّامَ هَذِهِ الدَّوْلَةِ ، وَحَرَسَ عَلَى هَذِهِ الْجَمَاعَةِ الْقَلِيلَةِ النِّعْمَةَ ، أَسْتَأْنِفْنَا نَظْرًا أَنْ بَلَّغَ مِنْ هَذَا النَّظَرِ ، بَيِّانٍ أَشْفَى مِنْ هَذَا الْبَيَّانِ ، وَطَرِيقٍ أَوْضَحَ مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ — إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

قال الوزير : والله ما قلتُ قَوْلِي ذاك ، لأنَّ هذا الكلامَ سهْلٌ ، وهذا المتناوَلُ قريب ، وهذا المرعى كَثْبٌ ، كَلَّا ، وإِنَّ لأظُنُّ بَلَّ أَحَقُّ أَنَّهُ لَيْسَ فِي بَضَائِعِ أَصْحَابِنَا الَّذِينَ حَوَّلِي مَنْ يُذَرِّكُ هَذِهِ الْمَعَانِي عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ إِذَا قُرِئَتْ عَلَيْهِ ، فَكَيْفَ مِنْ^(١) يُفَزَعُ^(٢) فِي شَرْحِهَا وَتَهْذِيبِهَا إِلَيْهِ .

ثُمَّ تَمَطَّى وَقَالَ : وَأُنْعَاسَاهُ ، وَاضْعَفْ مُنْتَابَهُ ؛ ثُمَّ فَارَقَتْ الْجُلُوسَ .

الليلة السادسة والثلاثون

(١) وقال — دامت أيامه — كَيْفَ تَقُولُ عِنْدَ مُهَلِّ الشَّهْرِ شَيْئًا آخَرَ مِنْ لَفْظِهِ ؟
فكان من الجواب : حَكَّى الْعَالِمُ : عِنْدَ هُلُولِ^(٣) الشَّهْرِ وَمُسْتَهْلِهِ [وَهَلِهِ]
وإِهْلَالِهِ وَأُسْتِهْلَالِهِ .

(٢) قال : وَرَأَيْتُ الْحَاتِمِي يَقُولُ : عَشْرُ كَلِمَاتٍ جَاءَتْ وَعَيْنُهَا عَيْنٌ وَلَا مَهْلَ وَآوُ ، وَلَمْ أُؤَيِّرْ شَرْحَهُ لَهَا لِتَقْلَ رُوحَهُ ، وَمُقَالَاتِهِ بِنَفْسِهِ ، وَكَأَنَّهُ لَا عِلْمَ إِلَّا عِنْدَهُ ، وَلَا فَائِدَةَ إِلَّا هِيَ مَعَهُ ، فَهَلْ فِي حِفْظِكَ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ ؟

قلت : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، الْيَوْمَ ذَكَرَ الْأَنْدَلُسِيَّ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ وَعَدَّهَا ، وَقَدْ حَفِظْتُهَا ، فَقَالَ : هَاتِ يَا مُبَارَكَ ؛ فَكَانَ الْجَوَابُ : مِنْهَا الْبَعْوُ ، وَهُوَ الْجِنَايَةُ ، وَالْجَفْوُ ، وَهُوَ الْعَطِينُ ، وَالْدَّغْوُ ، مَصْدَرُ دَعَا دَعْوًا ، وَالسَّغْوُ : الشَّمْعُ ، وَالشَّعْوُ : هُوَ أَنْتَفَاشُ الشَّعْرِ ، وَالصَّغْوُ : الرَّجُلُ الضَّعِيفُ ، وَهُوَ أَيْضًا طَائِرٌ أَصْغَرُ مِنْ الْمُصْفُورِ ، وَالْقَفْوُ : مِنَ الْبَكْرَةِ ، وَاللَّغْوُ : الْحَرِيرُ . وَالذَّنْبُ فِي بَعْضِ

(١) الظاهر أن « من » زائدة . (٢) وردت هذه الكلمة في (١) مهمة

الحروف من النقط ، ووردت في (ب) هكذا « نقرع » .

(٣) لم نجد الهولول فيما راجعناه من كتب اللغة ، ولعل صوابه « هلال » أو لعله من الألفاظ التي انفرد المؤلف بروايتها عن مشايخه .

اللغات ، والمعو^(١) : الجنى من الرطب ، والنمو : الشق في مشفر البعير .

قال : هذا حسن ، لو أتى به الحائمي لآوى شذقه ، وقال : تنح فقد جاء الأسد وغلب الطوفان وخرج الدجال وطلعت الشمس من المغرب ، ما بال أصحابنا تغتريهم هذه الخيلاء ، ويفلب عليهم النقص ، ويستمكن منهم الشيطان .

قلت : قال أبو سليمان : كل من غلب عليه حفظ اللفظ وتصرفه وأمثلته وأشكاله بعد من معانى اللفظ ؛ والمعاني صوغ العقل ، واللفظ صوغ اللسان ، ومن بعد من المعاني قل نصيبه من العقل ، ومن قل نصيبه من العقل كثر نصيبه من الحق ، ومن كثر نصيبه من الحق خفي عليه قبح الذكر .

الليلة السابعة والثلاثون

وقال الوزير ليلة : ما أحوج الجبان إلى أن يسمع أحاديث الشجعان^(١) وما أشد انتفاع الضيق النفس بأستماع أخبار الكرام ، لأن الأخلاق في الخلق أغراض ، والأعراض منها لازم ومنها لا صيق .

قال : وكان^(٢) عيسى بن زُرعة سرّد على سنة سبعين ، ليالي كانت الأشغال خفيفة ، والسياسة بالماضي — نور الله قبره وضريحه — عامة ، والنظر بالحسنى شاملاً — أشياء في الخلق أتى بها على عمود ما كان في نفسى ، وذلك

(١) في كلتا النسختين « والمو » باللام ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا نقلاً

عن كتب اللغة .

(٢) في (١) « ولو كان » ؛ وقوله « لو » زيادة من الناسخ .

أَنَّهُ ذَكَرَ الْعَقْلَ وَالْحَقَّ ، وَالْعِلْمَ وَالْجَهْلَ ، وَالْحِلْمَ وَالشُّخْفَ ، وَالْقَنَاعَةَ وَالشَّرَّهَ ، وَالْحَيَاءَ وَالْقِيَّةَ ، وَالرَّحْمَةَ وَالْقَسْوَةَ ، وَالْأَمَانَةَ وَالْخِيَانَةَ ، وَالْيَقِظَ وَالْفَقْلَةَ ، وَالثَّقَى وَالْفُجُورَ ، وَالْجُرْأَةَ وَالْجُبْنَ ، وَالتَّوَاضُّعَ وَالْكِبَرَ ، وَالْوَفَاءَ وَالْعَذَرَ ، وَالنَّصِيحَةَ وَالْغِيثَ ، وَالصَّدْقَ وَالْكَذِبَ ، وَالسَّخَاءَ وَالْبُخْلَ ، وَالْأَنَانَةَ وَالْبَطْشَ ، وَالْعَدْلَ وَالْجُورَ ، وَالنَّشَاطَ وَالْكَسَلَ ، وَالنُّسْكَ وَالْفَتْكَ ، وَالْحَقْدَ وَالصَّنْعَ ، وَيَنْبَغِي أَنْ تَزُورَ عَيْسَى وَتَذْكُرَ لَهُ هَذِهِ الْجُمْلَةَ ، وَتَبْعَمَهُ عَلَى إِعَادَةِ حُدُودِهَا ، وَإِشْبَاعِ الْقَوْلِ فِيهَا ، مَعَ إِجْازٍ لَا يَكُونُ بِهِ مَدْخَلٌ لِلِخَلَلِ ، وَلَا تَقْصِيرٌ عَنْ إِيصَالِ الْآخِرِ بِالْأَوَّلِ .

فَلَقِيتُ عَيْسَى وَعَرَفْتُهُ الْحَدِيثَ ، وَأَمَلَى مَا رَسَمْتُهُ فِي هَذَا الْجُزْءِ ، وَعَرَضْتُهُ عَلَى أَبِي سَلِيمَانَ ، فَرَضِيهِ بَعْضَ الرِّضَا ، وَلَمْ يَسْخَطْ كُلَّ السَّخَطِ ، وَقَالَ : تَحْدِيدُ الْأَخْلَاقِ لَا يَصِحُّ إِلَّا بِضَرْبٍ مِنَ التَّجَوُّزِ وَالتَّسَمُّحِ ، وَذَلِكَ أَنَّهَا مُتَلَابِسَةٌ تَلَابَسًا ، وَمُتَدَاخِلَةٌ تَدَاخُلًا ، وَالشَّيْءُ لَا يَتَمَيَّزُ عَنْ غَيْرِهِ إِلَّا بِبَيِّنُونَةٍ وَاقِعَةٍ تَظْهَرُ لِلْحَسَنِ اللَّطِيفِ ، أَوْ تَتَضَحُّ لِلْمَقِلِّ الشَّرِيفِ .

نَمَّ قَالَ : [أَلَا تَرَى] أَنَّ الْفِكَرَ مَشُوبٌ بِالرَّوِيَّةِ ، وَالظَّنَّ مَخْلُوطٌ بِالْوَهْمِ ، وَالذِّكْرَ مَعْنَى التَّخْيِيلِ ، وَالْبَدِيهَةَ جَانِحَةٌ إِلَى الْحِسِّ ، وَالْأَسْتِنْبَاطَ مَوْصُوفٌ بِالْفَوْصِ ، وَمَا ^(١) هَذَا الْمَعْنَى الَّذِي مَيَّزَ التَّوَاضُّعَ مِنْ شَوْبِ الضَّعَةِ ، أَوْ خَلَصَ عُلُوَّ الْهِمَّةِ مِنْ شَوْبِ الْكِبَرِ ، أَوْ فَرَزَ ^(٢) عِزَّةَ النَّفْسِ مِنْ نَقْصِ الْعُجْبِ ، أَوْ أَبَانَ الْحِلْمَ عَنْ بَعْضِ الضَّغْفِ ؟ أَمْ هَذَا بِالْقَوْلِ رَبَّمَا مَهْلٍ وَأَنْفَادَ ، وَلَكِنْ بِالْعَقْلِ رَبَّمَا عَزَّ وَأَعْتَصَى ، وَالْأَخْلَاقُ وَالْخِلَاقُ مُخْتَلِطَةٌ ، فَهِيَ مَا اخْتَلَطَ قَوِيُّ

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « وَمِنْ هَذَا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « أَوْ قَرَنَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

شديد ، ومنها ما اختلأه ضعيفٌ سهّلٌ ، ومنها ما [اختلأه] نصّفٌ بين اللين والشدة ، وهذه ينفعُ العلاجُ في بَعْضِهَا ، وَيَنْبُوُ الْعِلَاجُ عَنْ بَعْضِهَا ؛ وَالْحَزْمُ يَقْضَى بِالْأَيُّهَاوَنَ بِمَا يَقْبَلُ الْعِلَاجُ لِأَجْلِ مَا لَا يَقْبَلُ الْعِلَاجُ .

قال : وهذا أيضاً يَخْتَلِفُ بِحَسَبِ الْمَزَاجِ وَالْمَزَاجِ ، وَالْإِنْسَانِ وَالْإِنْسَانِ ، أَلَا تَرَى أَنَّكَ لَوْ رُمْتَ تَحْوِيلَ الْبَخِيلِ مِنَ الْعَرَبِ إِلَى الْجُودِ كَانَ أَسْهَلَ عَلَيْكَ مِنْ تَحْوِيلِ الْبَخِيلِ مِنَ الرُّدْمِ إِلَى الْجُودِ ، وَالطَّمَعِ فِي جَبَانِ التُّرْكِ أَنْ يَتَحَوَّلَ شُجَاعًا أَقْوَى مِنَ الطَّمَعِ فِي جَبَانِ الْكُرْدِ أَنْ يَصِيرَ بَطَلًا .

قال : ومع هذا فَوَصَفُ الْأَخْلَاقِ بِالْحُدُودِ — وَإِنْ كَانَ هَلَى مَا قَدَّمْنَاهُ — نَافِعٌ جَدًّا ، وَإِضْمَارُهَا فِي النَّفْسِ مُثْمِرٌ أَبَدًا ، فِهَذَا هَذَا .

(٢) وأما ما قال أبو علي فإنه هذا .

قيل : ما الحلم ؟ قال ضَبُطُ الْفِكْرِ بِكَفِّ الْغَضَبِ .

وقال شيخنا أبو سعيد السَّيْرَافِي : اعتباره من ناحية الاسم تَفْطِيلٌ لِطَبِيعِهِ ^(١) وذلك أَنَّ الْحِلْمَ شَرِيكَ التَّحَلُّمِ ، « فَكَانَ الْحِلْمُ [الَّذِي] يُعَدُّ فِيمَنْ يَحْلُمُ ^(٢) » فِي عَرْضِ الْحِلْمِ الَّذِي لَا يُعَاجُ عَلَيْهِ وَلَا يُكْتَرَثُ لَهُ . قال : وَالتَّحَلُّمُ نَافِعٌ أَيْضًا ، وَهُوَ أَحَدُ مِنَ التَّحَالُمِ ، لِأَنَّ الثَّانِي أَقْرَبُ إِلَى الثَّانِي ، كَمَا أَنَّ الْأَوَّلَ أَقْرَبُ إِلَى الْحَقِيقَةِ .

(٣) وقيل لعبسي : ما المدل ؟ فقال : الْقِسْطُ الْقَائِمُ عَلَى التَّسَاوِي .

وحكى جالينوس قال : إن الناس أشدّة حُبِّهِمْ لأنفسهم يظنون أن لهم ما يحبون ، فمن أجل ذلك وقعوا في العُجْب ؛ فَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ مَحَبَّتُكَ لِنَفْسِكَ

(١) في الأصل « لطيفة » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٢) وردت هذه العبارة في كلتا النسختين مضطربة اللفظ لا يفهم المراد منها ، وسياق

الكلام يقتضي ما أثبتنا ، كما ورد في (ب) « هو » قبل كلمة « الذي » .

حَقِيقَتِهِ ، وَبِتَمِّ ذَٰلِكَ لَكَ إِذَا أَنْتَ صَبَّرْتَ نَفْسَكَ عَلَى الْحَالِ الَّتِي يَرَى مِنْ
يَرَى أَنَّكَ عَلَيْهَا .

[وَقَالَ : الْمُعْجَبُ] يُحِبُّ نَفْسَهُ أَكْثَرَ مِمَّا يَحِقُّ لَهَا ؛ وَمَا أَحْسَنَ
بِالْإِنْسَانِ أَنْ يُحِبَّ نَفْسَهُ ، وَلَكِنْ بِالْعَدْلِ ، فَإِنْ أَرَادَ أَنْ يُحِبَّهَا جِدًّا فَيُحِبُّ
أَنْ يَجْعَلَ لَهَا مِنْ أَهْلِ الْمَحَبَّةِ ، ثُمَّ يُحِبُّهَا مِنْ بَعْدِ .

(٤) قِيلَ : فَمَا الْحَسَدُ ؟ قَالَ : شِدَّةُ الْأَمْنَى عَلَى شَيْءٍ يَكُونُ لغيرِهِ .

(٥) قِيلَ : فَمَا الْكَآبَةُ ؟ قَالَ : إِفْرَاطُ الْحُزْنِ .

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ : الْحُزْنُ وَالْغَمُّ وَالْهَمُّ وَالْأَمْنَى وَالْجُرْعُ وَالْخَوَرُ مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ
وَمَنْ تَعَامَلَى وَصَفَ أَغْصَانِ شَجَرَةٍ طَالَ عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَحْظَ بِطَائِلٍ ، وَيَكْفِي أَنْ نَعْرِفَ
شَجَرَةَ التَّفَاحِ مِنْ شَجَرَةِ الْمُسْمُسِ ، وَشَجَرَةَ الْكُمُزَى مِنْ شَجَرَةِ السَّفَرَجَلِ ؛
فَإِنْ عَوَاقِبَ الْمَعَارِفِ نَسَكِرَاتٍ ، كَمَا أَنَّ فَوَاحِ الْمَعَارِفِ جَهَالَاتٍ .

(٦) قِيلَ : فَمَا الشَّجَاعَةُ ؟ قَالَ : الْإِقْدَامُ فِي مَوْضِعِ الْفُرْصَةِ مِنْ جَمِيعِ الْأُمُورِ .

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ : الشَّجَاعَةُ إِذَا كَانَتْ نُطْقِيَّةً ^(١) كَانَتْ فُرْصَتُهَا تَعَاطِي
الْحِكْمَةِ وَالِدَّوْبَ فِي بُلُوغِ الْغَايَةِ ، وَبَذَلَ الْقُوَّةَ فِي نَيْلِ الْبَغْيَةِ ؛ وَإِذَا كَانَتْ
غَضَبِيَّةً كَانَتْ فُرْصَتُهَا شِفَاءُ الْغَيْظِ إِمَامًا مِنْ مُسْتَحِقٍّ ، وَإِمَامًا غَيْرَ مُسْتَحِقٍّ ، وَإِذَا
كَانَتْ شَهْوِيَّةً كَانَتْ فُرْصَتُهَا التَّحَلَّى بِالْعَفَةِ الْتَامَةِ ، أَعْفَى فِي الْخُلُوةِ وَالْحَفْلِ .

قَالَ لَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى الرُّمَاطِيُّ الشَّيْخُ الصَّالِحُ : الْعِفَّةُ وَاسِطَةٌ
بَيْنَ الْمُقَارَفَةِ وَالْعِصْمَةِ ، وَالْعِصْمَةِ وَاسِطَةٌ بَيْنَ الْبَشَرِيَّةِ وَالْمَلَكِيَّةِ .

وَحَكَى عِيسَى بْنُ زُرْعَةَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ — عِنْدَ تَدَافُعِ الْحَدِيثِ — أَنَّ
مُورِسًا قَالَ : إِنِّي لَا عَجَبُ مِنْ نَاسٍ يَقُولُونَ : كَانَ يَنْتَبِهُ أَنْ يَكُونَ النَّاسُ

(١) نطقية ، ي فسكر .

على رأي واحد، ومنهاج واحد، وهذا ما لا يستقيم ولا يقع به نظام.

قال: وهب أن يكون الناس وكل واحد منهم مَلِكاً يَأْمُرُ وَيَنْهَى وَيُسْتَمَعُ له ويُطَاع، فَمَنْ كانَ المَأْمُورَ المُوْتَمِرَ، والمَنْهَى المُنْتَهَى؛ والعَاقِلُ الحَصِيفُ يَعْلَمُ أنه لا بدَّ من النفاوت الذي به يكون التَّصَالُحُ، كالعالمِ والمُتَعَلِّمِ، والآمِرِ والمَأْمُورِ والصانعِ والمصنوعِ له.

ثم قال عيسى: مِنْ تَوَابِعِ الأخلاقِ المَذْمُومَةِ الغَضَبُ والكَذِبُ والجهلُ والجورُ والدَّناءةُ.

قال أبو سليمان: أمَّا الغَضَبُ فلا يكون مَذْمُومًا إِلَّا إذا أُنْعِمَ في غير أَوَانِهِ، وعلى غير ما يَأْذَنُ النامُوسُ الحَقُّ به؛ وأمَّا الكَذِبُ ففيه أيضاً مَصَالِحُ، كما أَنَّ الصَّدْقَ ربَّما أَقْضَى إلى كثير من المَفاسِدِ — وإن كانَ الصَّدْقُ قد فازَ بالوصفِ الأَحْسَنِ، والكَذِبُ قد وُصِفَ بالذَّمِّ الأَفْبَحِ — فكمْ كَذِبٌ نَجَى مِنْ شَرِّهِ، وكمْ صِدْقٌ أَوْقَعَ فِي هَوَاةٍ، وبقي الآنَ أَنْ نَعْرِفَ الصَّدْقَ مع أَوَانِهِ وَمَكَانِهِ، فَيُؤَنَّى به أَوْ يُنْهَى عنه، وكذلك الكَذِبُ على حَدِّهِ وَمِثَالِهِ.

قال: وأمَّا الجهلُ والجورُ والدَّناءةُ فَإِنَّهَا أَثَنَاتُ الرَّذَائِلِ، فَيَتَبَنَّى أَنْ يُفْتَنَى مِنْهَا بِجُمْلَةٍ وَتَفْصِيلًا، وَلَا يَسْلُكُ أَحَدٌ إِلَى شَيْءٍ مِنْهَا [سَبِيلًا] فَإِنَّهَا أَغْدَامٌ؛ — هكذا قال —؛ والعَدَمُ كَرِيهٌ وَمَهْرُوبٌ مِنْهُ، والوجودُ على أَنْقَصِ الثُّبُوتِ أَتَمُّ وَأَشْرَفُ مِنَ الْعَدَمِ على أَزِيدِ الصِّفَاتِ، وإن كانَ لا زِيَادَةَ فِي الْعَدَمِ إِلَّا مِنْ طَرِيقِ الْوَهْمِ الْعَارِضِ مَا يَصِحُّ وَمَا لَا يَصِحُّ.

(٧) قيل: فما العُجْبُ؟ قال وَزَنَ النَّفْسِ بِأَكْثَرِ مِنْ مِثْقَالِهَا.

وقال أيضاً: العُجْبُ هو النَّظَرُ فِي النَّفْسِ بِعَيْنِ تَرَى الْقَبِيحَ جَمِيلًا.

ويقال : المَعْجَبُ يَدَّعِي أَنَّ مَا يَنْبَغِي أَنْ يُعْجَبَ مِنْهُ قَدْ حَصَلَ لَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ ؛ فَأَمَّا إِذَا كَانَ ذَلِكَ حَاصِلًا فَالْعُجْبُ لَيْسَ بِعُجْبٍ إِلَّا مِنْ طَرِيقِ الْأَسْمِ ، وَإِلَّا فَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ إِحْسَاسٌ بِالْفَضْلِ الْمَقْشُوقِ ، وَشُعُورٌ بِالنِّكَالِ الْمُؤْمُوقِ ، وَأُسْتِدْعَاءٌ لِلزِّيَادَةِ تَمَّا صَارَ بِهِ هَكَذَا ، وَأُسْتِعْدَادٌ لِقَبُولِ الْفَنِيضِ مِنْ مَعْدِنِهِ بِالْأَخْتِيَارِ الثَّانِي وَالْإِعْتِيَادِ الْأَوَّلِ .

(٨) قيل : فما الوفاء ؟ قال قضاء حقٍّ واجب ، وإيجاب حقٍّ غير واجب ، مع رِقَّةٍ أَنْسِيَّةٍ ، وَحَفِيزَةٍ مَرْعِيَّةٍ .

(٩) قيل : فما الرَّغْبَةُ ؟ قال : حَرَكَةٌ تَكُونُ مِنْ شَهْوَةٍ يُرْجَى بِهَا مَنَفَعَةٌ .
قال أبو سليمان : الرَّغْبَةُ إِذَا كَانَتْ نَظْفِيقَةً كَانَتْ مَبْعُوثَةً عَلَى التَّحَلِّيِّ بِالْفَضَائِلِ ، وَإِذَا كَانَتْ سَبْعِيَّةً أَوْ بَهِيمِيَّةً كَانَتْ مُلْهِجَةً بِمُوَاقِعَةِ أَضْدَادِهَا^(١) مِنْ الرَّذَائِلِ .

(١٠) وقيل : ما الْمِهْنَةُ ؟ فقال : حَرَكَةٌ يَتَمَاطَاها الْإِنْسَانُ بِلَا حَفَيزٍ وَلَا اسْتِكْرَاهٍ .
قال عليُّ بْنُ عِيسَى : الْمِهْنَةُ صِنَاعَةٌ ، وَلَكِنهَا [إِلَى الدَّلِّ أَقْرَبَ ، وَفِي الضَّمَّةِ أَدْخَلَ ، وَالصَّنَاعَةُ مِهْنَةٌ ، وَلَكِنهَا] تَرْتَفِعُ عَنْ تَوَابِعِ الْمِهْنَةِ ، وَفِي الصَّنَاعَاتِ مَا يَتَّصِلُ بِهِ الدَّلُّ أَيْضًا ، وَلَكِنْ ذَلِكَ لَيْسَ مِنْ جِهَةِ حَقِيقَةِ الصَّنَاعَةِ ؛ وَلَكِنْ مِنْ جِهَةِ انْعَرُضِ الذِّى بَيْنَ الصَّنَاعَةِ وَالصَّنَاعَةِ ، وَالْمَرْتَبَةِ وَالْمَرْتَبَةِ .

(١١) قيل : فما الْعَادَةُ ؟ قال : حَالٌ يَأْخُذُ بِهَا الْمَرْءُ نَفْسَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَكُونَ مَسْنُونَةً يَجْرِي عَلَيْهَا تَجْرِي مَا هُوَ مَأْلُوفٌ طَبِيعِيٌّ .

قال أبو سليمان : كَانَ هَذَا الْأَسْمَ لَيْسَ يَخْلُصُ إِلَّا لِمَنْ أَتَى شَيْئًا مِرَارًا ، فَأَمَّا فِي أَوَّلِ ذَلِكَ فَلَيْسَ لَهُ هَذَا النَّمْتُ ، وَإِنَّمَا يَصِيرُ مَأْلُوفًا بِالتَّكْرَارِ ، وَلِهَذَا

(١) أَضْدَادُهَا ، أَيْ أَضْدَادُ الْفَضَائِلِ .

مَا صِيغَتِ الْكَلِمَةُ مِنْ عَادَ يَعُودُ وَأَعْتَادَ يَنْتَادُ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : طَبِيعِي ، فَقَلَى وَجْهَ التَّشْبِيهِ ، لِأَنَّ الطَّبِيعِيَّ أَشَدُّ رُسُوحًا وَأَثْبَتُ عِرْقًا ، وَأَبْعَدُ مِنَ الْأَنْتِقَاضِ ؛ فَأَمَّا الْعَادَةُ فَكُلُّ ذَلِكَ جَائِزٌ عَلَيْهَا ، وَغَيْرُ مَأْمُونٍ مِنَ الْوُقُوعِ فِيهِ .

قِيلَ : كَمْ الْحَرَكَاتُ ؟ قَالَ : سِتَّةُ أَصْنَافٍ ، أَوَّلُهَا حَرَكَةُ الْأَنْتِقَالِ ، وَهِيَ (١٢) ضَرْبَانِ : إِمَّا حَرَكَةُ الْجِسْمِ بَكُلِّهِ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ ، وَإِمَّا حَرَكَتَهُ بِأَجْزَائِهِ كَالْفَلَكَ وَالرَّحَى ، وَالثَّانِي حَرَكَةُ الْكَوْنِ ، وَالثَّالِثُ حَرَكَةُ الْفَسَادِ ، وَالرَّابِعُ حَرَكَةُ الرُّبُوبِ^(١) ، وَالْخَامِسُ حَرَكَةُ الْإِنْقِضِ وَالْبَلَى ، وَالسَّادِسُ حَرَكَةُ الْأَسْتِحَالَةِ ، وَهِيَ ضَرْبَانِ : أَمَّا فِي الْجِسْمِ فَمِثْلُ اللَّوْنِ ، وَأَمَّا فِي النَّفْسِ فَمِثْلُ الْغَضَبِ وَالرِّضَا ، وَالْعِلْمِ [وَالْجَهْلِ^(٢)] .

وَالثَّقَلَةُ مَكَانِيَّةٌ ، وَالْكَوْنُ وَالْفَسَادُ جَوْهَرِيَّانِ ، وَالْأَسْتِحَالَةُ هَيْئِيَّةٌ ، وَالنَّمُوُّ وَالْأَضْمِحْلَالُ^(٣) مَكَانِيَّانِ .

قَالَ الْكِندِيُّ : وَهَاهُنَا حَرَكَةٌ أُخْرَى ، وَهِيَ حَرَكَةُ الْإِبْدَاعِ ، إِلَّا أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَرَكَةِ الْكَوْنِ فَرْقًا ، لِأَنَّ هَذِهِ لَا مِنْ مَوْضِعٍ ، وَحَرَكَةُ الْكَوْنِ مِنْ فسادِ جَوْهَرٍ قَبْلَهُ بِمُحْدُوْتِهِ ، وَلِذَلِكَ قِيلَ : إِنْ الْكَوْنُ خُرُوجٌ مِنْ حَالٍ خَسِيسَةٍ إِلَى حَالٍ نَفِيسَةٍ .

قَالَ أَبُو سَلِيمَانَ : حَرَكَةُ الْإِبْدَاعِ عِبَارَةٌ بِسَيْطَةٍ لَا يَجِبُ أَنْ يُفْهَمَ^(٤) مِنْهَا

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « الدُّنُو » ، وَهُوَ تَصْغِيفٌ . وَالرُّبُوبُ : الزِّيَادَةُ ، وَقَدْ أَثْبَتْنَا هَذِهِ الْكَلِمَةَ أَخَذًا مِمَّا يَأْتِي بَعْدَ فِي تَوْضِيحِ هَذِهِ الْحَرَكَاتِ ، مِنْ قَوْلِهِ : « وَلِئِنْ » وَإِنَّمَا أَثْبَتْنَا هُنَا الرُّبُوبَ بِالرَّاءِ وَالْبَاءِ لِقُرْبِهِ مِنْ حُرُوفِ الْأَصْلِ . (٢) هَذِهِ الْكَلِمَةُ أَوْ مَا يَفِيدُ مَعْنَاهَا لَمْ تَرِدْ فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ ، وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِي لِبَيِّنَاتِهَا إِذْ لَا تَتَحَقَّقُ الْأَسْتِحَالَةُ إِلَّا بَيْنَ الشَّيْءِ وَمَا يَخَالِفُهُ .

(٣) يُشِيرُ بِالْأَضْمِحْلَالِ هُنَا إِلَى مَا سَبَقَ مِنْ حَرَكَةِ النِّقْضِ وَالْبَلَى ، وَهِيَ الْخَامِسَةُ .

(٤) فِي (ب) : « يَظْهَرُ » مَكَانَ « يُفْهَمُ » .

مَعْنَى مُرَكَّبٍ . قَالَ : وَإِنَّمَا قُلْتُ [هَذَا] لِأَنَّ اللَّفْظَ نَظِيرُ اللَّفْظِ فِي أَغْلَبِ الْأَمْرِ
وَلَيْسَ الْمَعْنَى نَظِيرَ الْمَعْنَى فِي أَغْلَبِ الْأَمْرِ ، وَاللَّفْظُ كُلُّهُ مِنْ وَادٍ وَاحِدٍ فِي التَّرَكُّبِ
بِلُغَةِ كُلِّ أُمَّةٍ ، وَالْمَعْنَى تَخْتَلِفُ فِي الْبَسَاطَةِ عَلَى قَدَرِ الْعَقْلِ ^(١) وَالْعَقْلُ ، وَالْعَاقِلُ
وَالْعَاقِلُ ، وَإِنَّمَا حَرَكَةُ الْإِبْدَاعِ مُشَارٌ بِهَا إِلَى مَقْوَمِ الْأَشْيَاءِ بِلا كُفْلَةٍ فَاعِلٍ ،
وَلَا مُعَانَاةٍ صَانِعٍ ، وَإِنَّهَا بَدَتْ بِالْمُبْدِعِ مِنَ الْمُبْدِعِ لِلْمُبْدِعِ لَا عَلَى أَنَّ الْبَاءَ
أُلْصَقَتْ بِهِ شَيْئًا ، وَلَا عَلَى أَنَّ [مِنْ] فَصَلَتْ مِنْهُ شَيْئًا ، وَلَا عَلَى أَنَّ اللَّامَ أَضَافَتْ
إِلَيْهِ شَيْئًا ، فَإِنَّ هَذِهِ الْعَلَامَاتِ وَالْأَمَارَاتِ كُلَّهَا مَوْجُودَةٌ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَعَلَّقَتْ
بِالْإِبْدَاعِ ، فَلَمْ يَجْزُ أَنْ يُنَمَّتْ بِهَا الْمُبْدِعُ ، وَلَوْ جَازَ هَذَا لَكَانَ دَاخِلًا فِيهَا ،
وَمَوْجُودًا بِهَا ، وَهَذَا بَعِيدٌ جِدًّا . فَلَمَّا جَلَّ عَنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ بِالْتَّحْقِيقِ فِي الْأَخْتِيَارِ
وُصِفَ بِهَا بِالْأُسْتِمَارَةِ عَلَى الْأَضْطِرَارِ ، لِأَنَّهُ لَا بَدَلًا لَنَا مِنْ أَنْ نَذْكُرَهُ وَنَصِفَهُ
وَنَدْعُوهُ وَنَعْبُدَهُ وَنَقْصِدَهُ وَنَزْجُوهُ وَنَخَافَهُ وَنَعْرِفَهُ وَنَمْنُحُوهُ وَنَطْلُبُ مَا عِنْدَهُ
وَنُؤَاجِهَهُ وَنُكَافِحَهُ ^(٢) ؛ وَهَذِهِ نِعْمَةٌ مِنْهُ عَلَيْنَا ، وَلُطْفٌ مِنْهُ بِنَا ، وَحِكْمَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَنَا
وَإِلَّا كَانَتْ الْعِصْمَةُ تَنْبِيْرًا ، وَالطَّمَعُ يَنْقَطِعُ ، وَالْأَمَلُ يَضْعَفُ ، وَالرَّجَاءُ يَخِيبُ ،
وَالْأَرْكَانُ تَتَخَلَّخَلُ ، وَالذَّرَائِعُ تَرْتَفِعُ ، وَالْوَسَائِلُ تَمْتَنِعُ ، وَالْقَوَاعِدُ تَسِيحُ ،
وَالرَّغَبَاتُ تَسْقُطُ ، وَالْجُودُ وَالْكَرَمُ وَالْحِكْمَةُ وَالْقُدْرَةُ وَالْجَبَرُوتُ وَالْمَلَكُوتُ
تَأْتِي ذَلِكَ ؛ فَصَارَتْ هَذِهِ الْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ سَلَامًا لَنَا إِلَيْهِ ، لَا حَقَائِقَ يَجُوزُ
أَنْ يُظَنَّ بِهِ شَيْءٌ مِنْهَا ، عَلَى سَبِيلِ ^(٣) السَّيَاحِ الْمَدُودِ ، وَالْمِنْهَاجِ الْمَخْدُودِ .

سُقْتُ كَلَامَ عِيسَى فِي تَصْدِيفِ الْحَرَكَاتِ مِنْ أَجْلِ هَذِهِ الْفِئْرَةِ الَّتِي كَانَتْ
مَحْفُوظَةً فِي حَرَكَةِ الْإِبْدَاعِ ، فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ لِلْقَوْمِ فِي هَذَا الْبَابِ حَيْرَةً عَارِضَةً

(١) فِي (ب) عَلَى قَدَرِ اللَّفْظِ ، وَفِيهِ تَبْدِيلٌ مِنَ النَّاسِخِ . (٢) الْمَكَاغَةُ : الْمَوَاجِهَةُ
وَالْمُلَاقَاةُ . (٣) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ «لَا عَلَى سَبِيلِ» الْح. وَقَوْلُهُ «لَا» زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ كَمَا يُلَوِّحُ لَنَا .

أَوْ رَاكِدَةً ، لَا يَسْتَطِيعُونَ التَّفَقُّصَ عَنْهَا ، وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى الْبَرَاءَةِ مِنْهَا ، لِلضَّلَالِ
الَّذِي قَدْ لَزِمَهُمْ ، وَالْأَصْنَامَ الَّتِي قَدْ تَرَبَّعَتْ فِي نُفُوسِهِمْ ، وَالْأُمُثْلَةَ الَّتِي قَدْ خَالَطَتْ
عُقُولَهُمْ ، وَالْأَفْيَاءَ الَّتِي أَسْتَضْحَبَوْهَا مِنْ إِحْسَائِهِمْ ؛ وَالْقَائِلَ هَذَا يَنْبَغِي أَنْ
يَتَحَرَّى وَيَتَلَبَّثَ حَتَّى يَغْرِى مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَيَتَرَيَّثَ ؛ فَيَنْتَهِزُ أَضْمَنَ لَهُ أَنْ
يَصِحَّ تَوْحِيدُهُ ، وَيَتِمَّ تَجَرِيدُهُ ، وَإِلَى التَّوْحِيدِ تَنْتَهِي الْفَلَسَفَةُ بِأَجْزَائِهَا
الكَثِيرَةِ ، وَأَبْوَابِهَا الْمُخْتَلِفَةِ ، وَطُرُقِهَا الْمُتَشَعِّبَةِ .

وَأَنَا أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ صِنَاعَةٍ لَا تُحَقِّقُ التَّوْحِيدَ وَلَا تَدُلُّ عَلَى الْوَاحِدِ وَلَا تَدْعُو
إِلَى عِبَادَتِهِ ، وَالْأَعْتَرَاكِ بِوَحْدَانِيَّتِهِ ، وَالْقِيَامِ بِحَقُوقِهِ ، وَالْمَصِيرِ إِلَى كَيْفِهِ ،
وَالصَّبْرِ عَلَى قَضَائِهِ ، وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِهِ ؛ وَوَجَدْتُ أَرْبَابَ هَذِهِ الصَّنَاعَاتِ ، أُغْنِي
الْمُهَنْدَسَةَ وَالطَّبَّ وَالْحَسَابَ وَالْمُوسِيقَى وَالْمَنْطِقَ وَالتَّجْنِيمَ مُغْرَضِينَ عَنْ تَجَسُّمِ هَذِهِ
الغَايَاتِ ، بَلْ وَجَدْتُهُمْ تَارِكِينَ الْإِسْلَامَ بِهَذِهِ الْحَانِكَاتِ ، وَهَذِهِ آفَةٌ نَسَأَلُ اللَّهَ
السَّلَامَةَ مِنْهَا ، وَالْعَاقِبَةَ مِنْ عَوَاقِبِهَا ؛ وَالسَّلَامَ .

قيل : ما التَّامُّ ؟ قال : بَلُوغُ الشَّيْءِ الْحَدَّ الَّذِي مَا فَوْقَهُ ^(١) إِفْرَاطٌ ، (١٣)
وَمَا دُونَهُ تَقْصِيرٌ .

قال أبو سليمان : التَّامُّ أَلْيَقُ بِالْمَخْسُوسَاتِ ، وَالْكَامِلُ أَلْيَقُ بِالْأَشْيَاءِ الْمُتَقُولَةِ .
قال : وَلَيْسَتْ هَذِهِ الْفُتْيَا مِثْلَ جَازِمَةٍ ، وَلَا عَنْ الْعَرَبِ الْعَرَبِيَّةِ مَرْوِيَّةٌ ،
وَلَكِنْ إِذَا لَحَظْنَا الْعَمَانِيَّ الْمُخْتَلِفَةَ ، طَلَبْنَا لَهَا أَسْمَاءَ مُخْتَلِفَةً ، لِيَكُونَ ذَلِكَ مَعُونَةً
لَنَا فِي تَحْدِيدِ الْأَشْيَاءِ أَوْ فِي وَصْفِ الْأَشْيَاءِ مِنْ ^(٢) طَرِيقِ الْإِتْقَانِ الْكَافِ ^(٣) .

(١) ما فوقه ، أى الذى فوقه . وكذلك أيضاً « وما دونه » .

(٢) ورد فى كلتا النسختين « إلا من طريق » . وقوله « إلا » زيادة من الناسخ كما يلوح لنا .

(٣) فى كلتا النسختين « الكاف » والياء زيادة من الناسخ .

لجَدَلٍ وَالتَّهْمَةِ ، أَوْ مِنْ طَرِيقِ الْبُرْهَانِ الْقَاطِعِ بِالْحُجَّةِ ، الرَّافِعِ لِلشُّبْهَةِ ، أَوْ مِنْ طَرِيقِ التَّبْقِيلِ الْجَارِي عَلَى السَّنَنِ وَالْعَادَةِ .

قال : ولهذا [إذا] قيل : ما أُنْتَمَّ قَامَتُهُ إِنْ كَانَ أَحْسَنَ ، وَإِذَا قِيلَ : مَا أُكْمِلَ نَفْسُهُ إِنْ كَانَ أَجْمَلَ .

قيل له : هَلْ يَتَسَاوَى الْكَوْنُ وَالْفَسَادُ فَيَنْبَقِي الشَّيْءُ عَلَى مَا هُوَ بِهِ ؟ فَقَالَ : أَمَّا عَلَى الْحَقِيقَةِ فَلَا ؛ وَلَكِنْ ^(١) عَلَى السَّعَةِ ، لِأَنَّ الْكَوْنَ مُتَّصِلٌ بِالْفَسَادِ ، إِلَّا أَنَّهُمَا يَخْفَيَانِ فِي مَبَادِيهِمَا حَتَّى إِذَا أُمْتَدَّ الْإِنَانُ ^(٢) فَصَارَ آتَا ^(٣) وَاحِدًا خَفِيئًا ثَبَتَ بَانَ الْكَوْنَ مِنَ الْفَسَادِ ، وَبَانَ الْفَسَادُ مِنَ الْكَوْنَ ، وَهَذَا بِالْأَعْتَابِ الْحَسِّيِّ ؛ فَأَمَّا الْعَقْلُ فَيَرْتَفِعُ عَنْ هَذَا ، لِأَنَّهُ يَعْلَمُ حَقِيقَةَ الشَّيْءِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ ، وَلَا يَقْبَلُ مِنَ الْحَسِّ حُكْمًا ، وَلَا يَخْتَكِمُ إِلَيْهِ أَبَدًا .

وَأَمَّا الْحَسُّ عَامِلٌ مِنْ عُثَالِ الْعَقْلِ . وَالْعَامِلُ يُجَوِّرُ مَرَّةً وَيَعْدِلُ مَرَّةً ، فَأَمَّا الَّذِي هَذَا هُوَ عَامِلُهُ فَهُوَ الَّذِي يَتَمَقَّبُهُ ، فَإِنْ وَجَدَهُ جَائِرًا أَبْطَلَ قَضَاءَهُ ، وَإِنْ وَجَدَهُ عَادِلًا أَمْضَى حُكْمَهُ ، وَمَتَى أُسْتَشِيرَ الْحَسُّ فِي قَضَايَا الْعَقْلِ فَقَدْ وُضِعَ الشَّيْءُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ ، وَمَتَى أُسْتَشِيرَ الْعَقْلُ فِي أَحْكَامِ الْحَسِّ فَقَدْ وُضِعَ الشَّيْءُ فِي مَوْضِعِهِ .

قيل : فَمَا الصُّورَةُ ؟ قَالَ : الَّتِي بَهَا ^(٣) يَخْرُجُ الْجَوْهَرُ إِلَى الظُّهُورِ عِنْدَ أَعْتِقَابِ الصُّورِ إِيَّاهُ .

(١) فِي (ب) : « أَمَّا » مَكَانَ « وَلَكِنْ » ، وَهُوَ خَطَأً مِنَ النَّاسِخِ لَا يَسْتَقِيمُ بِهِ السَّكَلَامُ لِذَا لَا جَوَابَ لِأَمَّا بَعْدَ ذَلِكَ .

(٢) فِي (ب) : الْإِنَانُ ... أَبَا وَاحِدًا ، وَفِي (١) : الْإِنَانُ ... « أَنَاءً وَاحِدًا » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ .

(٣) فِي (ب) : « لَهَا » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

قال أبو سليمان : هذه الفُتَيَا جُزَافِيَّةٌ ، الصُّورُ أَصْنَافٌ : إلهِيَّةٌ وَعَقْلِيَّةٌ ، وَفَلَكَيَّةٌ وَطَبِيعِيَّةٌ ، وَأُسْطَقْسِيَّةٌ وَصَنَاعِيَّةٌ ، وَنَفْسِيَّةٌ وَلَفْظِيَّةٌ ، وَبَسِيطَةٌ وَمُرَكَّبَةٌ ، وَمُزْوَجَةٌ وَصَافِيَّةٌ ، وَيَقْظِيَّةٌ وَنَوْمِيَّةٌ ، وَغَائِبِيَّةٌ وَشَاهِدِيَّةٌ .

ثم اندفع فقال : أما الصُّورَةُ الإلهِيَّةُ — وهى أعلاها فى الرُّتَبَةِ والحَقِيقَةِ . وهى (١٦) أَبْعَدُ مِنَّا فى التَّحْصِيلِ إِلَّا بِمَعُونَةِ اللَّهِ تَعَالَى — فلا طَرِيقَ إِلَى وَصْفِهَا وَتَحْدِيدِهَا إِلَّا عَلَى التَّقْرِيبِ ، وَذَلِكَ أَنَّ البَّسَاطَةَ تَغْلِبُ عَلَيْهَا ، إِلَّا أَنهَا مَعَ ذَلِكَ تُرْسَمُ بِأَنَّ يُقَالَ : هِىَ الَّتِى تَجَلَّتْ بِالْوَحْدَةِ ، وَتَبَيَّنَتْ بِالذَّوَامِ ، وَدَامَتْ بِالْوُجُودِ .

وأما الصُّورَةُ الْعَقْلِيَّةُ فَهِيَ شَقِيقَةُ تِلْكَ ، إِلَّا أَنهَا دُونَهَا لَا^(١) بِالْأَنْحِطَاطِ (١٧) الْحِصَى ، وَلَكِنْ بِالْمُرْتَبَةِ اللَّفْظِيَّةِ ، وَلَيْسَ بَيْنَ الصُّورَتَيْنِ فَضْلٌ إِلَّا مِنْ نَاحِيَةِ النِّعَتِ ، وَإِلَّا فَالْوَحْدَةُ شَائِعَةٌ وَغَالِبَةٌ وَشَامِلَةٌ ، لَكِنْ الصُّورَةُ الإلهِيَّةُ تُنَلَحْظُ لَحْظًا ، وَلَا يُلْفَظُ بِوَصْفِهَا لَفْظًا ، لِمُشَاكَلَتِهَا الصُّورَةَ النَّفْسِيَّةَ ، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ أَمْكَنَ أَنْ تُرْسَمَ فَيُقَالَ : هِىَ الَّتِى تُهْدِى إِلَى الْعَاقِلِ تَلَجًّا فِي الْحُكْمِ ، وَثِقَةً بِالْقَضَاءِ ، وَطُمَأْنِينَةً لِلْعَاقِبَةِ ، وَجَزْمًا بِالْأَمْرِ ، وَدُخُوضًا لِلْبَاطِلِ ، وَبِهَجَّةً لِلْحَقِّ وَنُورًا لِلصِّدْقِ .

وَالْفَرْقُ بَيْنَ الصُّورَةِ الإلهِيَّةِ وَالصُّورَةِ الْعَقْلِيَّةِ أَنَّ الصُّورَةَ الإلهِيَّةَ تَرِدُ عَلَيْكَ وَتَأْخُذُ مِنْكَ ، وَالصُّورَةَ الْعَقْلِيَّةَ تَصِلُ إِلَيْكَ فَتُعْطِيكَ ، فَالْأُولَى بِقَهْرٍ وَقُدْرَةٍ ، وَالثَّانِيَةُ بِرَفْقٍ وَطَافَةٍ ؛ وَتِلْكَ تَحْجُبُكَ عَنْ لِمَ وَكَيْفَ ، وَهَذِهِ تَفْتَحُ عَلَيْكَ لِمَ وَكَيْفَ ، وَتِلْكَ لَا تُنَحِّى وَلَا تُطْلَبُ ، وَهَذِهِ يُسَمَّى إِلَهِهَا ، وَيُسْأَلُ عَنْهَا وَتُوجَدُ ، وَأَنْوَارُ الصُّورَةِ الإلهِيَّةِ بَرُّوقٌ تَمَرُّ ، وَأَنْوَارُ الصُّورَةِ الْعَقْلِيَّةِ شُمُوسٌ تَسْتَنِيرُ ؛ وَتِلْكَ إِذَا حَصَلَتْ لَكَ بِالْخُصُوصِيَّةِ لَا نَصِيبَ لِأَحَدٍ مِنْهَا ، وَهَذِهِ إِذَا حَصَلَتْ لَكَ فَأَنْتَ

(١) فى كلتا النسختين : «دونها بالانحطاط» بسقوط «لا» النافية ، والسياق يقتضى إنباتها.

وغيرك شرع فيها ؛ وتلك للصّون والحفظ ، وهذه للبذل والإفاضة

(١٨) وأما الصورة الفلكيّة فداخلة تحت الرّمس بالعرض ، ولوهم فيها أثرٌ كثير ، ولأنّها مأخوذة من الجسم الأعظم صارت مشاكستها مقسومة بين البسيط الذي لا ترّكيب فيه البتّة ، وبين المركب الذي لا يخلو من التركيب البتّة ؛ ولهذا صار تأثير الفلك في المتحرّكات عنه أشدّ من تأثير الفلك عن المتحرّك له ، وكأنّه أولُ [متحرّك] متحرّك ؛ وليس هكذا ^(١) ماعلا عنه .

والفلك بما هو جسم منقوص الصورة ، وبما هو دائم الحركة شريف الجواهر .

(١٩) وأما الصورة الطبعيّة فتعلّقها بالمادّة القابلة لآثارها بحسب استعدادها لها ، فلذلك ما هي مزخزخة عن الدّرجة العليا ، وعشقها للقابل منها أشدّ من عشيقها للمفيعض عليها ، ولهذا أيضاً كانت منافعها ممزوجة ، ومضارّها بحتة ^(٢) ، وهي تجمع بين الحكمة والبّله ، وبين الجيد والرّدى ، ولو سألناها لم أنتِ ضارّة نافعة ؟ لقالت : بعدت ، فلما بعدت صوّبت وصعدت .

وسمعت أبا النفيس يقول في وصف الطّبيعة كلاماً له رونق في النّفس ^(٣) وأنا أصل هذه الجملة به .

قال : أيتها الطّبيعة ، ما الذي أقول لك ، وبأيّ شيء أواخذك ، وكيف أوجه العتب عليك ؟ ! فإنّك قد جمعت أموراً منكّرة ، وأحوالاً عسرة ،

(١) كذا في (ب) والذي في (أ) « وليس هذا ماعلا عنه » . ولا يخفى ما في هذه العبارة من التعريف .

(٢) في كلتا النسخين : « نجية » ، وهو تصحيف ، وسباق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٣) في (ب) « في السمع » .

لَا يَبْقَى نِظَامُكَ فِيهَا بَأْنْتِثَارِكَ عَلَيْهَا ، وَلَكِ بَوَادِرُ ضَارَّة ، وَغَوَائِلُ خَفِيَّة تَبْدُو
مِنْكَ ، وَتَغُورُ فِيكَ ، وَتَرْجِعُ إِلَيْكَ ، حَتَّى إِذَا قُلْنَا فِي بَعْضِهَا : إِنَّكَ حَكِيمَةٌ ،
قُلْنَا فِي بَعْضِهَا : إِنَّكَ سَفِيهَةٌ ، فَالْبَلَّ مِنْكَ مَحْلُوطٌ بِالْيَقْظَةِ ، وَالْأَسْتِقَامَةُ فِيكَ
عَائِدَةٌ بِالْأَعْوَجَاجِ ، وَفِيكَ فِظَاطُوعٌ وَنَزَاطُوعٌ ، وَقَوَارِعُ وَبِدَاطُوعٌ ، لِأَنَّ حَرَكَاتِكَ
تَسْتَنُّ مَرَّةً أَسْتِنَانَا تُعْشِقِينَ عَلَيْهِ ، وَتُحْيِينَ مِنْ أَجْلِهِ ، وَتَزِيغُ أُخْرَى زِيغًا
تُفْقِئِينَ عَلَيْهِ ، وَتُبْغِضِينَ بِسَبَبِهِ ، وَرَبَّمَا كَانَتْ حَرَكَاتُكَ نَقْضًا لِلْبِنَاءِ الْحَكَمِ
وَالصُّورَةِ الرَّائِعَةِ ، وَالنِّظَامِ الْبَهِيِّ ، وَرَبَّمَا كَانَتْ بِنَاءٌ لِلْمُنْتَفِضِ ، وَتَجْدِيدًا لِلْبَالِي
وَإِصْلَاحًا لِلْفَاسِدِ ، حَتَّى كَأَنَّكَ عَائِثَةٌ بِلَا قِصْدٍ ، عَائِثَةٌ عَلَى عَمْدٍ ، وَعَلَى جَمِيعِ
صِفَاتِكَ مِنَ الْوَاصِفِينَ لَكَ لَمْ يَعْلَمْ ^(١) مَنْ ظَنَّ ، وَلَا رَأَى مَنْ تَخَيَّلَ ، وَلَا بَعْدَ لَفْظٍ
مِنْ تَأْوِيلٍ ، وَلَا حَالٍ مَعْنَى عَنْ تَوْثَمٍ ، وَلَا أَسْفَرَ حَقٌّ عَنْ بَاطِلٍ ، وَلَا تَمَيَّزَ
بَيَانٌ عَنْ تَمْوِيهِ ، وَلَا وَضَحٌ نُصْحٌ مِنْ غِشٍّ ، وَلَا سَلَمٌ ظَاهِرٌ مِنْ تَنَاقُضٍ ، وَلَا
خَلَّتْ دَعْوَى مِنْ مُعَارِضٍ ، فَلِهَذَا وَأَشْبَاهِهِ وَاجْهَتِكَ بِخَطَابِي ، وَعَرَضْتُ
عَلَيْكَ مَا فِي نَفْسِي ، فَبِالَّذِي أَنْتَ بِهِ قَائِمَةٌ ، وَبِالَّذِي أَنْتَ بِهِ مَوْجُودَةٌ ،
وَبِالَّذِي أَنْتَ لَهُ مُنْقَلِبَةٌ ، وَإِلَيْهِ مُنْسَاقَةٌ ، إِلَّا خَبَرْتَنِي عَنْكَ ، وَشَفِيتَ غَلِيلِي مِنْكَ ،
وَنَمَتَ لِي غَيْبُ شَأْنِكَ ، وَجَعَلْتَ الْخَبَرَ عَنْكَ كَعِيَانِكَ ، وَإِنَّمَا ضَرَعْتُ
إِلَيْكَ هَذَا الضَّرْعَ ، وَعَرَضْتُ عَلَيْكَ هَذَا الْوَجَعَ ، لِأَنَّكَ جَارَتِي وَصَاحِبَتِي ،
وَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ حِجَابٌ إِلَّا مَا هُوَ عَدُوٌّ مِنْكَ أَوْ مَوْتِي ، أَعْنِي بِمَا هُوَ مِنْكَ لُطْفٌ
سِحْرُكَ ، وَخَفَاءُ سِرِّكَ ، وَأَعْنِي بِمَا هُوَ مَوْتِي مَا أَعْجَزُ عَنْ أَسْتِبَانَتِهِ وَاسْتِضَاحِهِ
إِلَّا بِقُوَّةِ الْإِلَهِ الَّذِي هُوَ سَبَبُ إِحْرَكَاتِكَ فِي أَفَانِينَ تَبْصُرُفِكَ ، وَأَعَاجِيبِ عَدْلِكَ
وَتَحْيُفِكَ .

(١) عبارة (١) « لَمْ نَرِ أَعْلَمَ مِنْ ظَنْ » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

وكان إذا بَلَغَ هذا الحدَّ وما شاكَه أَخذَ في كلامٍ كالجوابِ عَلَى طريقِ التَّائِسِ والتَّسْلِيَةِ والاستِراحةِ ، وهذا بالواجبِ ، لأنَّ الإنسانَ بسببِ أغراضه المجهولةِ ، وعَوَارِضه الفاجِئَةِ الباغِئَةِ مِنَ الغَيْبِ والشَّهادَةِ يَفْتَقِرُ أَفتقارًا شَدِيدًا إلى هذه الثَّغُوتِ التي تَقَدِّمُ ذِكْرُها ؛ وهذا كاللِّدَاءِ والدَّواءِ ! وليس لأحد أن يَتَهَكَّمَ فيقول : هَلَّا أَرْتَفَعَ الدَّاءُ أَضَلًّا فَيُسْتَقَنَّى مِنَ الدَّواءِ بُجْلةً ، وهَلَّا وَقَعَ الدَّواءُ أَبَدًا عَلَى الدَّاءِ ونَفَاةً وَصَرَفَهُ . فَإِنَّ هَذَا كَلَامٌ مَدْخُولٌ ، من عَقْلِ كَلِيلٍ ، وَلَعَمْرِي إِنَّ مَنْ جَهِلَ القِسْمَةَ الإلهِيَّةَ فِي الأَزَلِّ^(١) بِحَسَبِ شَهادَةِ العَقْلِ لَعِبَ بِهِ الوَسْوَاسُ فِي هَذِهِ المَوَاضِعِ ، وَظَنَّ أَنَّ الأَمْرَ لو كانَ يَخْلَافُ ما هُوَ عَلَيْهِ كانَ أَوَّلَى وَأَنْتَ وَأَوْثَقَى وَأَحْكَمَ . يا وَيْحَهُ ! مَنْ أَيْنَ يُوجِبُ هَذَا الحُكْمُ ؟ وبأَيِّ شَيْءٍ يُثَبِّتُ هَذَا القَضَاءُ ؟ وكيفَ يَثْبُقُ بِهِذا الوَهْمُ ؟

وكان يقول أيضًا إِنَّ الطَّيِّبَةَ تقولُ : أَنَا قُوَّةٌ مِنْ قوَى الباري ، مُوَكَّلَةٌ بِهِذِهِ الأجسامِ المُسَخَّرَةِ حَتَّى أَتَصَرَّفَ فِيها بِغَايَةِ ما عِنْدِي مِنَ النِّقْشِ والتَّصْويرِ والإِصْلاحِ والإِفسادِ اللَّذِينَ لَوَلَاهُما لَمْ يَكُنْ لِي أَثَرٌ فِي شَيْءٍ ، وَلَا لَشَيْءٍ أَثَرٌ مِنِّي ، وكانَ وَجُودِي وَعَدَمِي سَوَاءً ، وَحُضُورِي وَغِيَابِي واحداً ، وَلَوْ بَطَلَتْ بَطَلَ بِبُطْلَانِي ما أَنَا بِهِ ؛ وَهَذَا زائِفٌ مِنَ القَوْلِ ، وَخَطَلٌ مِنَ الرَّأْيِ ، وَتَحَكُّمٌ مِنَ الظَّانِّ ؛ وَلَوْ اخْتُمِلَ إِرَادُ كُلِّ ما كانَ يَتَدَنَّفَسُ بِهِ هَذَا الشَّيْخُ فِي حالِ نَشَاطِهِ وَأَنْفِيائِهِ ، لَكانَ ذَلِكَ مَرادًا فاسِحًا ، وَمَشَرعًا واسِعًا ، وَلَكِنَّ ذَلِكَ مُتَعَدِّرٌ لِعَجْزِي عَنِ الوَفاءِ بِهِ ، وَلأنَّ هَذِهِ الرِّسالةَ تَتَقَلَّصُ عَنْهُ ، وَإِنما أَجُولُ فِي هَذِهِ الأَكْفافِ لِكُنْفِي بِالْحِكْمَةِ كَيْفَ دارَتِ العبارةُ بِها ، وَأُمَكَّتِ الإِشارةُ إِلَيْها ، لا عَلَى التَّفَقُّصِ لها وَبُلُوغِ الغَايَةِ مِنْها ، وَمَنْ يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ ؟ وَمَنْ يُحَدِّثُ

(١) فِي (١) « الأول » ، وَفِي (ب) « الأولى » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

نفسه بذلك ؟ العالم أبعدُ غَوْرًا وأَعْلَى قُلَّةً وَأَثْقَلُ وَزْنًا وَأَحَدُ غَرْبًا وَالْأَطْفُ
أَعْرَاضًا وَأَكْثَفُ أَجْرَامًا وَأَعْجَبُ تَرْكِيبًا وَأَغْرَبُ بَسَاطَةً مِنْ أَنْ يَأْتِيَ عَلَيْهِ
إِنْسَانٌ وَاحِدٌ ، وَكُلُّ مَنْ ^(١) كَانَ فِي مَسْكِهِ ، وَإِنْ بَلَغَ الْغَايَةَ فِي دِقَّةِ الدِّهْنِ
وَحُسْنِ الْبَيَانِ وَبَلَاغَةِ اللَّفْظِ ، وَأَسْتَنْبَاطِ الْغَامِضِ فِي حَاضِرِهِ ^(٢) وَغَائِبِهِ ؛ هَذَا
مَا لَا يَتَوَهَّمُهُ الْعَقْلُ ^(٣) .

وَأَنَا أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ هَذِهِ الدَّعْوَى ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُبْلِغَنِي الشُّكْرَ عَلَى مَا فَتَحَ
وَتَرَسَّحَ ، وَهَدَى إِلَيْهِ وَمَنَحَ ، وَأَطْلَعَ عَلَيْهِ وَنَدَحَ ^(٤) ، فَإِنَّ الشُّكْرَ قَرَعٌ لِبَابِ
الْمَزِيدِ ، وَالْمَزِيدُ بَاعَثٌ عَلَى الشُّكْرِ الْجَدِيدِ ، وَالشُّكْرُ — وَإِنْ خَلَصَ
بِالْعِرْفَانِ ، وَجَرَى بِضُرُوبِ الْبَيَانِ عَلَى اللِّسَانِ — فَإِنَّهُ يَقْصُرُ عَنْ تَوَاتُرِ النِّعْمَةِ
بَعْدَ النِّعْمَةِ ، وَتَظَاهُرِ الْفَائِدَةِ بَعْدَ الْفَائِدَةِ .

(٢٠) وَأَمَّا الصُّورَةُ الْأُسْطُقُسِيَّةُ ، فَهِيَ لَأَمْحَةٌ لِكُلِّ ذِي حِسٍّ ^(٥) بِالتَّنَاطُلِ الْمَوْجُودِ
فِيهَا ، وَالتَّبَايُنِ الْآخِذِ بِنَصِيبِهِ مِنْهَا ، وَلَهَا أَنْقِسَامٌ إِلَى آحَادِهَا ، أَغْنَى أَنْ صُورَةَ
الْمَاءِ مُبَايِنَةٌ لَصُورَةِ الْهَوَاءِ ، وَكَذَلِكَ صُورَةُ الْأَرْضِ مُخَالِفَةٌ لَصُورَةِ النَّارِ ،
فَتَحْدِيدُهَا بِمَا يُقَرَّرُهَا مَعَ غَوْصِهَا فِي كُلِّ أُسْطُقُسٍ شَدِيدٍ ، وَاللَّفْظُ لَا يَصْنَعُو ،
وَالْمُرَادُ لَا يَنْبَازُ .

- (١) فِي (ب) «مَا» مَكَانَ «مَنْ» ، وَفِي (أ) «مَسْئَلَةٌ» مَكَانَ «مَسْكَةٍ» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي
كَلَامِ الْفَلَسْطِينِ . وَالْمَسْكُ : الْمَجْلَدُ . وَيُرِيدُ بِهِ هُنَا الشَّكْلَ ، أَيْ كُلِّ مَنْ أَشْبَهَهُ وَشَاكَلَهُ . أَوْ يُرِيدُ
بِهِ مَنْ كَانَ مَجْبُوسًا فِي جِسْمِهِ مَقِيدًا بِمَادَّتِهِ .
- (٢) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : «فِي آخِرِهِ» مَكَانَ قَوْلِهِ : «فِي حَاضِرِهِ» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .
- وَفِي (أ) وَ«غَائِبَتِهِ» مَكَانَ «وَعَائِبَتِهِ» الْوَارِدِ فِي (ب) وَهُوَ مَا اخْتَرْتَاهُ لِيَتَقَابَلَ الْوُصُفَانِ .
- (٣) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ «إِلَّا عَقْلًا» وَفِي قَوْلِهِ «إِلَّا» تَحْرِيفٌ ظَاهِرٌ .
- (٤) نَدَحَ الشَّيْءُ : وَسَّعَهُ ، وَفِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : وَ«قَدَحَ» بِالْقَافِ ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .
- (٥) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : «حَسَنٌ» ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢١) وَأَمَّا الصُّورَةُ الصَّنَاعِيَّةُ فَهِيَ أَبْنَيْنُ مِنْ ذَلِكَ ، لَأَنَّهَا مَعَ غَوَّصِهَا فِي مَادَّهَا بَارِزَةٌ لِلْبَصَرِ وَالسَّمْعِ وَلِجَمِيعِ الْإِحْسَاسِ ، كَصُورَةِ السَّمِيرِ وَالْكُرْمِيِّ وَالْبَابِ وَالْخَاتَمِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ .

(٢٢) وَأَمَّا الصُّورَةُ النَّفْسِيَّةُ فَهِيَ رَاجِعَةٌ إِلَى الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ وَتَوَابِعِهِمَا فِيمَا يُحَقِّقُهُمَا أَوْ يُخْذِمُهُمَا^(١) وَهِيَ شَقِيقَةُ الصُّورَةِ الْعَقَائِيَّةِ بِالْحَقِّ .

(٢٣) وَأَمَّا الصُّورَةُ الْبَسِيطَةُ فَلَاخْتِلَافِ مَرَاتِبِ الْبَسِيطِ مَا يَعْزُّزُ رِسْمَهَا إِلَّا بِالْإِيمَاءِ إِلَيْهَا ، فَإِنْ لَحِقَ هَذَا الْإِيمَاءُ سَامِعُهُ فَذَلِكَ ، وَإِلَّا فَلَا طَمَعُ فِي عِبَارَةٍ شَافِيَةٍ عَنْهَا .

(٢٤) وَأَمَّا الصُّورَةُ الْمُرَكَّبَةُ فَهِيَ بَادِيَةٌ لِلْحِسِّ بِأَنَارِ الطَّبِيعَةِ فِي مَادَّتِهَا ، وَبَادِيَةٌ أَيْضًا لِلنَّفْسِ بِأَنَارِ الْعَقْلِ فِي سَيِّجِهِ عَلَيْهَا ، وَكَأَنَّ بَيْنَ الْبَسِيطِ وَالْبَسِيطِ فَرْقًا يَكَادُ الْبَسِيطُ يَكُونُ بِهِ مُرَكَّبًا ، كَذَلِكَ بَيْنَ الْمُرَكَّبِ وَالْمُرَكَّبِ فَرْقٌ يَكَادُ الْمُرَكَّبُ يَكُونُ بِهِ بَسِيطًا ؛ وَهَذِهِ جُمْلَةٌ تَفْسِيرُهَا مُعَوِزٌ .

(٢٥) وَأَمَّا الصُّورَةُ الْمُنَزُّوجَةُ فَهِيَ أُخْتُ الصُّورَةِ الْمُرَكَّبَةِ ، وَكَذَلِكَ الصُّورَةُ الصَّافِيَّةُ أُخْتُ الصُّورَةِ الْبَسِيطَةِ ، وَلَيْسَ هَذَا تَمَايُزًا فِي اللَّفْظِ وَاللَّفْظِ ، إِذْ كَانَتَا مُتَصَاحِبَتَيْنِ^(٢) وَلَمْ تَكُونَا مُتَمَانِدَتَيْنِ .

(٢٦) وَأَمَّا الصُّورَةُ الْيَقْظِيَّةُ فَهِيَ جَمْعُوعَةٌ مِنَ الْإِحْسَاسِ ، جَرَيَانُهَا^(٣) عَلَى وَجْدَانِ الْمَشَاعِرِ كُلِّهَا ، وَمَا لَهَا وَبِهَا .

(٢٧) وَأَمَّا الصُّورَةُ النَّوْمِيَّةُ فَهِيَ أَيْضًا مُمَيِّزَةٌ عَنْ أُخْتِهَا ، أَعْنَى الْيَقْظِيَّةِ ، لَأَنَّهَا إِغْضَاءُ عَيْنٍ وَفَتْحُ عَيْنٍ ، أَعْنَى أَنَّ النَّائِمَ قَدْ حِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مِثَالَاتِ الْإِحْسَاسِ

(١) فِي (١) « لَوْعْدُ مِنْهَا » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « إِذَا كَانَا مُتَصَاحِبَيْنِ » الْخِ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ « وَجَرَيَانُهَا » بِالْوَاوِ ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

وعَوَارِضِ الْكَوْنِ وَالْفَسَادِ ، وَفُتِحَ عَلَيْهِ بَابٌ إِلَى وَجْدَانٍ شَيْءٍ آخَرَ يَجْرِي كَظَلِّ الشَّخْصِ مِنَ الشَّخْصِ ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ وَادِي الطَّبِيعَةِ أَوْماً إِلَى آثَارِ الْأَخْلَاطِ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ وَادِي النَّفْسِ أَوْماً إِلَى نَضْبِ النَّمَائِيلِ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ وَادِي الْعَقْلِ صَرَّحَ بِمَحَاقِنِ الْغَيْبِ فِي عَالَمِ الشَّهَادَةِ إِمَّا بِالتَّقْرِيبِ وَإِمَّا بِالتَّهْدِيدِ أَعْنَى إِمَّا بِوُقُوعِهِ عَقِيبَ ذَلِكَ ، وَإِمَّا بَعْدَ مُهْلَةٍ .

(٢٨) وَأَمَّا الصُّورَةُ الْغَائِبِيَّةُ وَالشَّاهِدِيَّةُ فَقَدْ أُتْصَلَ الْكَلَامُ فِي شَرْحِهَا بِمَا تَقَدَّمَ مِنْ حَدِيثِ الصُّورَةِ الْيَقِظِيَّةِ وَالنَّوْمِيَّةِ ، وَالْعِبَارَةُ عَنِ الشَّاهِدِ مَقْصُورَةٌ عَلَى وَجْدَانِ الْمَشَاعِرِ ، وَالْعِبَارَةُ عَنِ الْغَائِبِ مَقْصُورَةٌ عَلَى مَا تَمَلَّقَ^(١) عَلَى الْمَشَاعِرِ ، وَفِي الْغَائِبِ شَاهِدٌ هُوَ الْمَلْحُوظُ^(٢) مِنَ الْغَائِبِ ، وَفِي الشَّاهِدِ غَائِبٌ هُوَ الْمَبْحُوثُ عَنْهُ فِي الشَّاهِدِ ، فَالشَّاهِدُ غَائِبٌ بِوَجْهِهِ ، وَالْغَائِبُ شَاهِدٌ بِوَجْهِهِ ، حَقٌّ إِذَا اسْتَجْمَعَا لَكَ كُنْتَ بَيْنَهُمَا فِي شِعَارِهِمَا . وَالْإِلَهِيُّونَ مِنَ الْفَلَاسِفَةِ هُمُ الَّذِينَ جَمَعُوا بَيْنَ هَذَيْنِ النِّعَتَيْنِ ، وَعَلَوْا هَاتَيْنِ الذَّرْوَتَيْنِ ، فَقَوَّحَدُوا عِنْدَ ذَلِكَ بِمَخَصَّائِهِمْ ، وَانْسَلَخُوا عَنْ نِقَائِصِهِمْ ، فَلَوْ قُلْتَ : مَا هَؤُلَاءِ^(٣) بَشَّرْتُ كُنْتَ صَادِقًا .

وَلَقَدْ أَحْسَنَ الَّذِي قَالَ فِي وَصْفِ الْعِصَابَةِ حَيْثُ وَصَفَ فَقَالَ :

فِينَا وَفِيكَ طَبِيعَةٌ أَرْضِيَّةٌ تَهْوِي بِنَا أَبَدًا لِشَرٍّ^(٤) قَرَارٍ
لَكِنَّا مَقْصُورَةٌ مَأْسُورَةٌ مَغْلُوبَةُ السُّلْطَانِ فِي الْأَخْرَارِ
نَجْسُومُهُمْ مِنْ أَجْلِهَا تَهْوِي بِهِمْ وَنُفُوسُهُمْ تَسْمُو سُمُومَ النَّارِ

(١) فِي (ب) لِلْوُجُودَةِ فِيهَا هَذِهِ الْعِبَارَةُ وَحْدَهَا دُونَ (أ) «تَمَلَّقَ مِنْ» ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ

(٢) فِي (ب) لِلْوُجُودَةِ فِيهَا هَذِهِ الْعِبَارَةُ وَحْدَهَا دُونَ (أ) «الْمَلْحُوظُ» ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي (أ) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا هَذَا الْكَلَامُ وَحْدَهَا دُونَ (ب) «هَؤُلَاءِ مَا يَبْشُرُ» ، وَفِيهِ

تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ وَقَعَا مِنَ النَّاسِخِ كَمَا لَا يَخْفَى .

(٤) فِي (أ) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا هَذَا الشَّعْرُ وَحْدَهَا دُونَ (ب) «لِنَشْرِ» ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

لولا مُنَازَعَةُ الجُـسـومِ نَفـوسَهُـمِ نَفَذَتْ بِسَـوَرَتِـهَا مِنَ الأَقْطَارِ
عَرَفُوا لِرُوحِ اللهِ فِيهِ فَضْلَ مَا قَدْ آثَرُوا مِنْ صَالِحِ الآثَارِ
فَتَنَزَّهُوا وَتَكَرَّمُوا وَتَعَظَّمُوا عَنِ لُؤْمِ طَبِيعِ الطَّيْنِ وَالْأَحْجَارِ
نَزَعُوا إِلَى الْبَحْرِ الذِي مِنْهُ أَنْتَ أَرْوَاهُمْ وَسَمَوْا عَنِ الْأَغْوَارِ
وهذا وَصَفٌ بَليغٌ بِالإِضَافَةِ إِلَى القَوْمِ ^(١).

فَأَمَّا مَا وَرَاءَ هَذَا فَهِنَّكَ خَبَرٌ ثَقِيٌّ ^(٢) بِمَا قَرَّرَ وَقَالَ :

(٢٩) وَأَمَّا الصُّورَةُ اللَّفْظِيَّةُ فَهِيَ مَسْمُوعَةٌ بِالْآلَةِ الَّتِي هِيَ الْأُذُنُ ، فَإِنْ كَانَتْ عَجْمَاءَ
فَلَهَا حُكْمٌ ، وَإِنْ كَانَتْ نَاطِقَةً فَلَهَا حُكْمٌ ، وَعَلَى الْحَالَتَيْنِ فَهِيَ بَيْنَ مَرَاتِبِ ثَلَاثٍ :
إِمَّا أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهَا تَحْسِينُ الْإِفْهَامِ ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهَا تَحْقِيقُ الْإِفْهَامِ ،
وَعَلَى الْجَمِيعِ فَهِيَ مَوْقُوفَةٌ عَلَى خَاصٍّ مَالِهَا فِي بُرُوزِهَا مِنْ نَفْسِ الْقَائِلِ ، وَوُصُولِهَا
إِلَى نَفْسِ السَّامِعِ ؛ وَلِهَذِهِ الصُّورَةُ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ مَرْتَبَةٌ أُخْرَى إِذَا مَازَجَهَا اللَّحْنُ
وَالِإِيْقَاعُ بِصِنَاعَةِ الْمُوسِيقَارِ ، فَإِنَّهَا حِينَئِذٍ تُعْطَى أُمُورًا ظَرِيفَةً ، أَعْنَى أَنَّهَا تَلْذُّ
الْإِحْسَاسَ ، وَتُثْلِبُ الْأَنْفَاسَ ، وَتَسْتَدْعِي الْكَاسَ وَالطَّاسَ ، وَتُرَوِّحُ الطَّبِيعَ ،
وَتُنْعِمُ الْبَالُ ، وَتُذَكِّرُ بِالْعَالَمِ ^(٣) الْمَشُوقِ إِلَيْهِ ، الْمُتَلَهِّفِ عَلَيْهِ .
هَذَا مُنْتَهَى كَلَامِهِ عَلَى مَا عُلِقَ الْخَفِظُ ، وَلَقِنَهُ الذَّهْنُ ؛ وَلَوْ كَانَ مَاخُودًا عَنْهُ
بِالْإِغْلَاءِ لَكَانَ أَقْوَمَ وَأَحْكَمَ ، وَلَكِنَّ السَّرْدَ بِاللَّسَانِ ، لَا يَأْتِي عَلَى جَمِيعِ الْإِمْكَانِ
فِي كُلِّ مَكَانٍ ، فَهَذَا هَذَا .

قال الوزير : هذا بابٌ في غاية الإيفاء والاستيفاء ، ومن يتحكك بالاعتراض

(١) في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام دون (ب) «القول» مكان «القوم» ، وهو تحريف فيما يظهر لنا .

(٢) في (١) التي ورد فيها هذا الكلام وحدها دون (ب) «حرسه» ، مكان قوله : «خبر ثقی» وهو تحريف لا يفهم له معنى . (٣) لعلّه يريد بالعالم : عالم الروح .

عليه فقد صَنَى^(١) ، وأبْدَى صَفَحَتَهُ بِالْبُهْتِ ، ودَلَّ مِنْ عَقْلِهِ عَلَى الدَّخَلِ^(٢) ،
ومن أخلاقه عَلَى الْخَلَلِ^(٣) ؛ لقد وَهَبَ اللهُ لِهَذَا الرَّجُلِ مَقَامًا عَالِيًا ، وَلَا حُجْبَ فَإِنَّهُ
مُعَوَّضٌ بِهَذَا عَمَّا فَاتَهُ .

وقال : أَنَشَدَنِي فِي الْحَجْرِ شَيْئًا غَرِيبًا ، فَأَنَشَدَنِي :

وَمُورِدِ الْوَجَنَاتِ يَخْ طِرُ حِينَ يَخْطِرُ فِي مُورَدٍ
بَسْفِكَ مَنْ جَفَنَ اللَّجِينِ إِذَا سَقَاكَ دُمُوعَ عَسَجَدٍ
حَتَّى تَظُنَّ الشَّمْسَ تَذْ زِلُ أَوْ تَظُنَّ الْأَرْضَ تَصْعَدُ
فَإِذَا سَقَاكَ بِعَيْنِهِ وَفِيهِ ثَمَّ سَقَاكَ بِالْيَدِ
حَيَّاكَ بِالْيَاقُوتِ تَحْ مَتَّ الدَّرَّ مِنْ فَوْقِ^(٤) الزَّبْرِ جَدِ

قال : أَحْسَنْتَ وَاللهُ ؛ هَاتِ زِيَادَةَ : فَقُلْتُ :

وَعَذْرَاءُ^(٥) تَرْغُو حِينَ يَضْرِبُهَا الْفَحْلُ كَذَا الْبَكْرِ تَنْزُو حِينَ يَفْتَضُّهَا الْبَيْدُ
تُدِيرُ عِيُونًا فِي جُفُونٍ كَأَنَّمَا حَالِقُهَا بِيضٌ وَأَحْدَاثُهَا نُجْلُ
كَأَنَّ حَبَابَ الْمَاءِ حَوْلَ إِيْنَاهُمَا شَدُورُ^(٦) وَدُرٌّ لَيْسَ بَيْنَهُمَا فَصْلُ

(١) صنى : مال .

(٢) في (١) التي ورد فيها هذا الكلام وحدها دون (ب) « الرجل » ؛ وهو تصحيف والسياق يقتضى ما أثبتنا .

(٣) في (١) التي ورد فيها هذا الكلام وحدها دون (ب) « الحال » ؛ وهو تصحيف ؛ والسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٤) في (١) التي ورد فيها وحدها دون (ب) هذا الشعر ما نصه :

حياك بالياقوت فو * ق الدر من تحت الزبرجد

وهو تبديل من الناسخ رواه ما أثبتنا . إذ الحُرُّ المشبهة بالياقوت لأنها تكون تحت الحبب المشبهة بالدر ؛ وكلاهما فوق الكأس المشبهة بالزبرجد .

(٥) يريد بالعذراء : البكر من الحُرِّ . ويريد بالفحل : الماء الذى تمزج به .

(٦) في (١) التي ورد فيها هذا الشعر وحدها « أناسا شذود » وهو تحريف في كلتا الكلمتين .

تَوَهَّمْتُهَا فِي كَأْسِهَا فَكَأْنَمَا تَوَهَّمْتُ شَيْئًا لَيْسَ يُدْرِكُهُ الْعَقْلُ
إِذَا اشْتَبَكَتْ رِجْلَايَ مِنْ سَوْرَةِ الْكَرَى دَرَجْتُ إِلَيْهَا مِثْلَ مَا يَدْرُجُ الطُّقْلُ
وَأَنْشَدْتُ لآخر :

وَكَمْ عَائِبٍ لِلْخَمْرِ لَوْ أَنَّ أُمَّهُ تَبُولُ مُدَامًا لَمْ يَزَلْ يَسْتَبِيلُهَا
وَلآخر :

خَلِجِي لُؤْمَانِي ^(١) عَلَى الْخَمْرِ أَوْ دَعَا فَإِنْ تَجِدَا عِنْدِي عَلَى اللَّوْمِ مَطْمَعَا
وَشَبَّ ^(٢) سَنَا نَارٍ لَعَلَّ نَدِيمَنَا بَنَجْرَانِ أَنْ يَلْقَى سَنَاهَا فَيَتَبَعَا
فَا رَاعِنَا إِذْ أُوقِدَتْ فَوْقَ رَبْوَةٍ مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا رَأَى كَبَانٍ قَدْ أَوْضَعَا
فَهَشَّاءَ إِلَيْنَا نَمُ قَالَا : أَلَا أُنِيعَا مَسَاءَ فَقُلْنَا : دَامَ ذَلِكَ لَنَا مَعَا
وَأَنْشَدْتُ لآخر :

سَقَوْنِي وَقَالُوا لَا تُغْنٍ لَوْ سَقَوَا جِبَالَ شِمَامٍ ^(٣) مَا سَقَوْنِي لَغْنَتِ
وَأَنْشَدْتُ أَيْضًا :

الكَأْسُ لَا تَذَرِي وَلَا الْخَمْرُ مِنْ أَيْ شَيْءٍ عَجَّلَ الشُّكْرُ
أُسْكِرْنِي مِنْ قَبْلِ شُرْبِي لَهَا مَنْ دَابُّهُ الْإِعْرَاضُ وَالْهَجْرُ
قُلْتُ لَهُ وَالْخَمْرُ فِي كَأْسِهِ ^(٤) كَأْنَهَا فِي كَفِّهِ بَدْرُ

(١) في (١) التي ورد فيها هذا الشعر وحدها « أوماني » ؛ وهو تحريف .

(٢) في (١) « وسنا » بالسين والنون ؛ وهو تصحيف .

(٣) شمام : جبل لباهلة له رأسان يسميان ابني شمام ؛ ويضرب بهما المثل في الاجتماع .

وعدم الفرقة .

(٤) عبارة (١) التي ورد فيها هذا الشعر وحدها « في كفه » كَأْنَهَا فِي كَأْسِهِ ؛

وهو خطأ من الناسخ ؛ وسياق المعنى يقتضي ما أثبتنا . إذ العروف تعبیه الكأس بالدر ، لا تشبيه الخمر به .

أَنْتَ لَعْمَرِي الْحَرُّ يَا سَيِّدِي لَيْسَ الَّذِي سَقَيْتَنِي الْخَمْرُ
آخِرُ :

تَرَكْتُ النَّبِيذَ لِأَهْلِ النَّبِيذِ فَخَارَ لِي اللَّهُ فِي تَرْكِهِ
وَقَدْ كُنْتُ قَدَمًا بِهِ مُنْجَبًا أَرْوَحُ وَأَغْدُو إِلَى سَفْكِهِ^(١)

فَقَالَ : قَدْ جَرَى هَذَا أَيْضًا عَلَى التَّامِّ . اخْتَمَمْتُ مَجْلِسَنَا بِدُعَاءِ الصُّوفِيَّةِ .

فَقُلْتُ : سَمِعْتُ ابْنَ سَمْعُونَ يَدْعُو فِي الْجَامِعِ فِي آخِرِ مَجْلِسِهِ وَيَقُولُ : اللَّهُمَّ
اجْعَلْ قَوْلَنَا مَوْصُولًا بِالْعَمَلِ ، وَعَمَلَنَا مُحَقَّقًا لِلْأَمَلِ ، وَلَا تُضَايِقْنَا فِيمَا نَتَحَوَّلُ بِهِ ،
وَنَتَقَلَّبُ لَكَ فِيهِ ، وَكَنَّفْ عَلَيْنَا بِسِتْرِكَ ، وَسَوِّغْنَا بِرِّكَ ، وَأَلْهِمْنَا شُكْرَكَ ،
وَحَفِّفْ عَلَيَّ أَفْوَاهِنَا ذِكْرَكَ ، وَأَخْصُصْنَا بِكَ بِمَا هُوَ أَلْيَقُ بِذَلِكَ ؛ اللَّهُمَّ
اسْمَعْ وَأَسْتَجِبْ وَقَرِّبْ . وَأَنْصَرَفْتُ .

الليلة الثامنة والثلاثون

وَجَرَى لَيْلَةً بِحَضْرَةِ الْوَزِيرِ — أَعْلَى اللَّهِ كَلِمَتَهُ ، وَأَدَامَ غِيْظَتَهُ ، وَوَالَى
نِعْمَتَهُ — أَحَقُّ مَنْ دُعِيَ لَهُ ، وَأَشْرَفُ مَنْ بُوْهِىَ بِهِ ، وَأَكْمَلُ مَنْ شُوهِدَ
فِي عَصْرِهِ — حَدِيثُ ابْنِ يَوْسَفَ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ غَنَائَتِهِ وَرِثَاتِهِ ، وَعِيَارَتِهِ^(٢)
وَحَسَاسَتِهِ .

فَقُلْتُ لَهُ : عِنْدِي حَدِيثٌ ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْوَزِيرَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ ، عَارِفٌ بِهِ .

(١) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الشَّعْرُ «بِتَكَ» بِالْبَاءِ وَالنَّوْنِ مَكَانَ قَوْلِهِ «سَفْكِهِ»
وَلَمْ نَجِدْ لَهُ مَعْنَى يَنْسَبُ إِلَى السِّيَاقِ ؛ وَلِئَلَّ الصَّوَابُ مَا أَتَيْنَا لِأَنَّ الْمُرُوفَ تَشْبِيهُ الْحَرِّ بِالدَّمِ الْمُسْفُوكِ ؛
وَقَدْ جَاءَ هَذَا كَثِيرًا فِي الشَّعْرِ .

(٢) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا هَذَا السَّكَّامُ وَحْدَهَا دُونَ (ب) «وَعِيَارَتِهِ» بِالْبَاءِ وَالْوَحْدَةِ ؛

وَهُوَ تَصْغِيرٌ .

قال : ما ذاك ؟ قلت : حَدَّثَنِي أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْقَاضِي التَّنُوخِيُّ قَالَ : كُنْتُ فِي الصُّحْبَةِ إِلَى هَٰذَانِ سَنَةٍ تِسْعٍ وَسِتِّينَ ، وَكُنَّا جَمَاعَةً وَفِينَا ابْنُ حَرْنَبَارٍ ^(١) أَبُو مُحَمَّدٍ ، وَكَانَ فِي جَنْبِهِ ابْنُ يُوسُفَ ، فَاتَّفَقَ أَنَّ عَصَدَ الدَّوْلَةَ — بِرَدِّ اللَّهِ مَضْجَعَهُ — قَالَ لِابْنِ شَاهَوِيَّةَ : سِرْ إِلَى ابْنِ حَرْنَبَارٍ ^(٢) وَقُلْ لَهُ : يَنْبَغِي أَنْ تَسِيرَ إِلَى الْبَصْرَةِ وَإِنَّا نَجْعَلُ لَكَ فِيهَا مَعُونَةً ، فَقَدْ طَالَ مُقَامُكَ عِنْدَنَا ، وَتَوَالَى تَبَرُّؤُنَا بِكَ ، وَتَبَرُّؤُكَ بِنَا ، وَلَيْسَ لَكَ بِحَضْرَتِنَا مَا تُحِبُّهُ وَتَقْتَرِحُهُ ، وَالسَّلَامَةُ لَكَ فِي بُعْدِكَ عَنَّا قَبْلَ أَنْ يُفْضِيَ ذَلِكَ إِلَى تَغْيِيرِنَا . وَكَلَامًا فِي هَذَا النَّوعِ .

قال : وَنَعَذَّ أَبُو بَكْرٍ وَمَعَهُ آخَرُ مِنَ الْمَجْلِسِ يَشْهَدُ التَّبْلِيغَ وَالْأَدَاءَ ^(٣) ، وَيَسْمَعُ الْجَوَابَ وَالْأَبْتِدَاءَ — عَلَى رَنَمٍ كَانَ مَعَهُودًا فِي مِثْلِ هَذَا الْبَابِ — فَلَقِيَ ابْنُ حَرْنَبَارٍ ^(١) وَشَافَهُ بِالرَّسَالَةِ عَلَى التَّمَامِ ؛ فَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ لِمَا سَمِعَ : الْأَمْرُ لِلْمَلِكِ ، وَلَا خِلَافَ عَلَيْهِ ؛ وَلَعَمْرِي إِنَّ النَّاسَ بِجُدُودِهِمْ يَنَالُونَ حُظُوظَهُمْ ، وَبِحُظُوظِهِمْ يَسْتَقْدِمُونَ جُدُودَهُمْ ؛ وَلَوْ وَفَّقْتُ مَا كَانَ عَجِيبًا ، فَقَدْ نَالَ مَنْ هُوَ أَتَقْصُ مِنِّْي ، وَبَلَغَ الْمَنَى مَنْ أَنَا أَشْرَفُ ^(٢) مِنْهُ ، وَلَكِنَّ الْمَقَادِيرَ غَالِبَةٌ ، وَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ عَنْهَا مَرْتَحَلٌ ؛ وَقَدْ قِيلَ : مَنْ سَاوَرَ الدَّهْرَ غُلِبَ ، وَلَكِنْ أَتَيْهَا الشَّيْخُ لِي حَاجَةٌ : أَحَبُّ أَنْ تُبَلِّغَ الْمَلِكَ كَلِمَةً عَنِّي . قَالَ : هَاتِيهَا ؛ قَالَ : تَقُولُ لَهُ : أَنَا صَائِرٌ إِلَى مَا رَسَمْتَ ، وَمُمْتَثِلٌ بِمَا أَمَرْتَ ، بَعْدَ أَنْ تَقْضِيَ لِي وَطْرًا فِي نَفْسِي ، قَدْ تَقَطَّعَ عَلَيْهِ نَفْسِي ، وَذَلِكَ أَنْ تَتَقَدَّمَ فَيُقَامُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ يُوسُفَ بَيْنَ اثْنَيْنِ فَيَصْغَمَانِهِ مَائَتَيْنِ ، وَيَقُولَانِ لَهُ : إِذَا لَمْ تَبْذُلْ جَاهَكَ لِمَتَلَهْفٍ ، وَلَا عِنْدَكَ فَرَجٌ لِمَكْرُوبٍ ،

(١) كَذَا وَرَدَ هَذَا الْاسْمُ فِي الْأَصُولِ وَلَمْ نَقِفْ عَلَى تَصْحِيحِهِ ؛ وَلَعَلَّ الصَّوَابَ فِيهِ ابْنُ حَذِقَارٍ ، فَإِنَّ هَذَا مِنْ أَسْمَائِهِمْ .

(٢) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا هَذَا الْكَلَامُ وَحَدَّثَاهُ « وَالْأَرَاءَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ « أَشْفَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

ولا برّ لضعيف ، ولا عطاء لائل ، ولا جائزة لشاعر ، ولا مرعى لمنتجع ،
ولا مأوى لضيئف ، فلم يُخاطَبُ بسيدنا ، وتقبّل لك اليد ، ويقام لك إذا طلعت ؟؟
قال ابن شاهويه : فقبل أن لقيتُ الملك أفصح^(١) له الذي كان معي مشرفاً
على . فلما دخلتُ الدار عُرِفَ ، فقال : على به ، فحضرته وابنُ يوسف قاعدٌ
بين يديه على رسيه . فقال لي : هاتِ الجواب عما نَقَذْتَ فيه ؛ فقلت : الجوابُ
عندك ، فقال : ما أعجبَ هذا ! أنتِ مُحَلَّتِ الرسالة وأطالبُ غيرك بالجواب ؟
قال : فلوئيتُ حياءً من ابنِ يوسف ، فقال : هاتِ يا هذا الحديثَ بفصه ، فوالله
لا أفنعُ إلا به ، ما هذا التواني والتكاسل ، فكرهتُ اللجاج ، فسرذته على
وجهه ، ولم أغادر منه حرفاً ، وابن يوسف يتقدّد في إهابه^(٢) ، ويتغير^(٣) وجهه
عند كلِّ لفظة تمرُّ به ، فأقبلَ عليه الملكُ وقال : كيف ترى يا أبا القاسم
الكيس ؟ فقال : يا مولانا ، إنما أنا أقضي الحاجة بك ، فإذا لم تقضها كيف
أكون ؟ فإن الحوائج كلها إليك .

قال : صدقت ، إنما أقضي حاجة لك ، لأنك لا تقصّدُ بها وجهَ الله ،
ولا تنبغي بها مكرمة ، ولا تحفظُ بها مروءة ، وإنما ترثي عليها ، وتصانعُ
بها ، وتجعلني باباً من أبوابِ تجارتك وأرباحك ، ولو كنتُ أعلمُ أنك تقضي
حاجةً لله أو لسكرمة أو لرحمة ورفقةٍ لكان ذلك مهلاً على ، وخفيفاً عندي ،
لكنك معرُوفُ المذهب في الطمع والحيلة ، وجرت النارُ إلى قرصك ، وشرهك
في جميع أحوالك ؛ وليس الذنبُ لك ، ولكن لمن رآك إنساناً وأنتَ كلبٌ .

(١) في كلا الأصلين : « ما أفصح » . و « ما » زيادة من الناسخ .

(٢) في (ب) « في نياه » ؛ وهو تحريف .

(٣) في (١) « يميز » .

وَصَدَقَ — صَدَّقَ اللَّهُ قَوْلَهُ — فَإِنَّهُ كَانَ أَحْسَنَ خَلْقِ اللَّهِ ، وَأَتَمَّنَ النَّاسَ ،
وَأَقْدَرَ النَّاسَ ، لَا مَنْظَرَ وَلَا نَحْبَرَ .

وكانت أمُّهُ مُغْنِيَةً مِنْ أَهْلِ الْبَيْضَاءِ ، وَأَبُوهُ مِنْ أَسْقَاطِ النَّاسِ ، وَنَشَأَ مَعَ
أَشْكَالِهِ ، وَكَانَ فِي مَكْتَبٍ^(١) الرَّبْضِيُّ عَلَى أَحْوَالٍ فَاحِشَةٍ ، وَوَرَقَ زَمَانًا ، نَمَّ
إِنَّ الزَّيْمَانَ نَوَّةَ بِهِ ، وَنَبَّهَ عَلَيْهِ ، وَمِثْلُ هَذَا يَكُونُ ، وَالْأَيَّامُ ظُهُورٌ وَبُطُونٌ ؛
وَمَا يَسْتَقْطُ الْفَاضِلُ إِذَا عَانَدَهُ الْجَدُّ ، كَذَلِكَ يَرْتَفِعُ السَّاقِطُ إِذَا سَاعَدَهُ الْجَدُّ
فَهَذَا هَذَا ؛

فقال : ما كان هذا الحديثُ عندي ، وإنَّه لَمِنْ الْغَرِيبِ .

ثم قال : كيف خبرُك في الفِتنَةِ الَّتِي عَرَضَتْ وَانْتَشَرَتْ ، وَتَفَاقَتْ
وَتَعَاظَمَتْ ؟

فكان من الجواب : خَبَرُ مَنْ شَهِدَ أَوَّلَهَا ، وَغَرِقَ فِي وَسْطِهَا ، وَنَجَّى فِي آخِرِهَا .
قال ؛ حَدَّثَنِي فَإِنَّ فِي رِوَايَتِهِ وَسَمَاعِهِ تَبَصُّرَةً وَتَعْجَبًا ، وَزِيَادَةً فِي التَّجَرُّبَةِ .
وقد قيل : تَجَارِبُ الْمُتَقَدِّمِينَ ، مَرَايَا^(٢) الْمُتَأَخِّرِينَ ، كَمَا يُبْصَرُ فِيهَا مَا كَانَ ،
يُتَبَصَّرُ بِهَا فِيمَا سَيَكُونُ ، وَالشَّاعِرُ قَدْ قَالَ :

وَالدَّهْرُ آخِرُهُ شَبْهُ بِأَوَّلِهِ نَاسٌ كَنَاسٍ وَأَيَّامٌ كَأَيَّامِ

وليس من حادثة ماضية إِلَّا وَهِيَ تُعَرِّفُكَ الْخَطَأَ وَالصَّوَابَ مِنْهَا لِتَسْكُنَ عَلَى
أَهْبَةٍ فِي أَخْذِكَ وَتَرْكِكَ ، وَإِقْدَامِكَ وَنُكُولِكَ ، وَقَبْضِكَ وَبَسْطِكَ ، وَهَذَا
وإنَّ كَانَ لَا يَبْقَى كُلُّ الْوَقَايَةِ ، فَإِنَّهُ لَا يُبَاقِي فِي التَّهْلُكَةِ كُلِّ الْإِلْقَاءِ .

(١) في (ب) «مكتب» ؛ وهو تحريف . وفي (أ) «الرمضى» بالميم ؛ وهو تحريف أيضا .

(٢) في (أ) «مرأى» ، وفي (ب) «مرامى» ؛ وهو تحريف في كلتا النسختين .

كان أول هذه الحادثة الفظيعة البشعة التي حَيَّرَت العقول وولَّهت الألباب ،
وسافَرَ عنها التوفيق ، وأستولى عليها الخِذْلان ، وعُدِمَت فيه البصائر ، شئٌ ، كلا
شئٍ ، وإذا أراد الله [تعالى ذكره] أن يُعْظِمَ صغيراً قَل ، وإذا شاء أن يُصَغِّرَ
عظيماً قَدْر ، لَهُ الخَلْقُ والأَمْر ، ولا مُعْتَبَ إِحْكَمِهِ ، ولا رَادَّ لِقَضَائِهِ ، ولا صَارِفَ
لِقَدْرِهِ ؛ وقُدْرَةُ الإنسان محدودة ، وأستطاعته مُتَنَاهِيَةٌ ، وأختيارُهُ قَصِير ، وطَاقَتُهُ
مَعْرُوفَةٌ ؛ وكلُّ ما جاوز هذا الحدَّ وهذا^(١) التَّنَاهِي فهو الذي يَجْزِي على الإنسان
شاءَ أَوْ أَبِي ، كَرِهَ أَوْ رَضِيَ ، وهَاهُنَا يُفْرَغُ إلى الله مِنْ نَازِلِ الْمَكْرُوهِ ،
وحَادِثِ الْمَخْذُورِ .

وَذَلِكَ أَنَّ الرُّومَ تَهَايَجَّتْ على المُسْلِمِينَ ، فسَارَتْ إلى نَصِيبِينَ بِجَمْعٍ عَظِيمٍ
زَائِدٍ على مَا عُهِدَ على مَرِّ السَّنِينَ ، وكانَ هذا في آخِرِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ ، خَافَ^(٢)
النَّاسُ بِالْمَوْصِلِ وما حَوْلَهَا ، وأَخَذُوا في الانْحِدَارِ على رُغْبٍ قُذِفَ في قُلُوبِهِمْ ،
ليَكُونَ سَبَباً لما صَارَ إليه [الأَمْر] ؛ وما جَ النَّاسُ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ وأُضْطَرُّوا ،
وَتَقَسَّمَ هذا المَوْجُ والأُضْطِرَابُ بينَ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ ؛ وصَارَتِ الْعَامَّةُ طَائِفَتَيْنِ ،
طَائِفَةٌ تَرِقُّ لِلدِّينِ وَلِمَا دَهَمَ المُسْلِمِينَ ، وَتَسْتَنْظِمُ ذَلِكَ فَرَقاً بما يُنْتَهَى إليه ، بعد
مَا يُؤْتَى عليه ؛ وطَائِفَةٌ وَجَدَتْ فُرْصَتَهَا في الْعَيْثِ وَالْفَسَادِ ، والنَّهْبِ وَالْفَارَةِ
بِوَسَامَلَةِ الْبَعْضِ لِلذَّهَبِ .

وافتَرَقَتِ الْخَاصَّةُ أيضاً فَرَقَتَيْنِ : فَرَقَةٌ أَحَبَّتْ أَنْ تَكُونَ لِلنَّاسِ حَاجَةً^(٣)
لِلْإِسْلَامِ ، ونُهُوضٌ إلى الْعَزْوِ ، وَأَنْبِعَاثٌ في نُصْرَةِ المُسْلِمِينَ ، إذ قد أَضْرَبَ

(١) في (ب) ؛ د وهو ؛ وهو تحريف .

(٢) في (١) د خلق ؛ وهو تحريف .

(٣) في (ب) د حيا ؛ وهو تحريف .

السلطان عن هذا الحديث ، لأنهما كِه في القَصْفِ والعَرْفِ ، وإِعْرَاضِهِ عن المصالح الدِّيْنِيَّةِ ، والخِياراتِ السِّيَاسِيَّةِ ؛ وطائِفَةٌ اختارت السَّكُونَ والإِقْبَالَ على ما هُوَ أَحْسَمُ لِمَادَةِ الوُثُوبِ والهَيْجِ ، وَأَقْطَعَ اشْغَبَ الشَّاغِبِ ، وَأَقْعُ خِلَافِ الْمَتَّهِمِ ؛ فَإِنْ الْأَخْتِلَافَ إِذَا عَرَضَ خَفِيَ مَوْضِعُ الْأَتْفَاقِ ، وَأَلْتَبَسَ الْأَمْرُ عَلَى الصَّغَارِ وَالْكِبَارِ ؛ وَبِمِثْلِ هَذَا فَتَحَتِ الْبِلَادَ ، وَمِلِكَتِ الْحُصُونُ ، وَأَزِيلَتِ النِّعَمُ ، وَأُرِيقَتِ الدِّمَاءُ ، وَهَتِكَتِ الْحَارِمُ ، وَأُيِدَتِ الْأُمُ ؛ وَتَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ وَمِمَّا قَرَّبَ مِنْ [سَخَطِ] اللَّهِ ؛ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَمْرًا كَثُرَ بَوَاعِيهِ ، وَفُرِّقَ نَوَائِبُهُ ^(١) .

وَلَمَّا أَشْتَقَلَّتِ النَّارُ ، وَأَشْتَقَلَّتِ النَّارُ ، صَاحَ النَّاسُ : النَّفِيرَ النَّفِيرَ ، وَإِسْلَامَهُ ، وَأُحْمَدَاهُ ، وَأَصَوَّمَاهُ ، وَأَصْلَانَاهُ ، وَاحِجَّاهُ ، وَاعْزَوَاهُ ، وَأَمْرَاهُ ، فِي أَيْدِي الرُّومِ وَالطُّغَاةِ . وَكَانَ عِزُّ الدَّوْلَةِ قَدْ خَرَجَ فِي ذَلِكَ الْأَوَانِ إِلَى الْكُوفَةِ لِلصِّيدِ ، وَلَاغْرَاضٍ غَيْرِ ذَلِكَ ؛ فَاجْتَمَعَ النَّاسُ عِنْدَ الشُّيُوخِ وَالْأُمَاثِلِ وَالْوُجُوهِ وَالْأَشْرَافِ وَالْعُلَمَاءِ ، وَكَانَتِ النَّيَّةُ ^(٢) بِمَعْدُ حَسَنَةً ، وَلِلنَّاسِ فِي ظِلِّ السُّلْطَانِ مَيِّبٌ وَمَقِيلٌ ، يَسْتَمْعِدُونَ وَرَدَهُ ، وَيَسْتَنْسِلُونَ صَدْرَهُ ، وَعَجَّوْا وَضَجَّوْا ، وَقَالُوا : اللَّهُ اللَّهُ ، انْظُرُوا فِي أَمْرِ الضَّعْفَاءِ وَأَحْوَالِ الْفُقَرَاءِ ؛ وَأَغْضَبُوا اللَّهَ وَلَدِينَهُ ؛ فَإِنْ هَذَا الْأَمْرُ إِذَا تَفَاقَمَ تَعَدَّى ضُعْفَانًا إِلَى أَقْوِيَانَا ، وَبَطَلَ رَأْيُ كِبَرَانَا فِي تَذْيِيرِ صُغْرَانَا ؛ وَالتَّيْدَارُكُ وَاجِبٌ ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ ، إِنْ لَمْ نَذُبْ عَنْهُ غَلَبَ الْكُفْرُ ، وَهُوَ الْأَمْنُ وَالسَّكُونُ إِنْ لَمْ يُحْفَظَا ، فَهُوَ الْخُوفُ وَالْبَلَاءُ وَذَهَابُ الْحَرْثِ وَالنَّسْلِ ،

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « نَوَائِبُهُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا كَمَا يَنْتَضِيهِ السِّيَاقُ .

وَنَوَائِبُ الْأَمْرِ : مَثِيرَاتُ دَفِينَةٍ وَمُظْهَرَاتُ خَفِيَّةٍ .

(٢) فِي (١) « الثِّقَّةُ » وَفِي (ب) « الْبَقِيَّةُ » وَفِي (١) « تَعَدُّ » مَكَانَ قَوْلِهِ « بَعْدُ » ؛

وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

وَفَضِيحَةُ الْوَلَدِ وَالْأَهْلِ . فَسَكَنَ الْمَشَايخُ مِنْهُمْ ، وَطَيَّبُوا أَنْفُسَهُمْ ، وَقَوَّوْا مُنْتَهَمَهُمْ
وَوَعَدُوهُمْ أَنْ يَرْتَنُّوا^(١) فِيهِ مُتَّفِقِينَ ، وَيَجْتَمِعُوا عَلَيْهِ مُجْتَهِدِينَ ، وَيَسْتَخِيرُوا اللَّهَ
ضَارِعِينَ ؛ وَانصَرَفَ النَّاسُ عَنْهُمْ ، وَأَجْتَمَعَ الْقَوْمُ : أَبُو تَمَّامِ الزَّيْنِيُّ ، وَمُحَمَّدُ
ابْنُ صَالِحِ بْنِ شَيْبَانَ ، وَابْنُ مَعْرُوفِ الْقَاضِي ، وَأَبْنُ غَسَّانِ الْقَاضِي ، وَأَبْنُ
مُسْكِرْتَمَ — وَكَانَ مِنْ كِبَارِ الشُّهُودِ فِي سُوقِ^(٢) يَحْيَى — وَأَبْنُ أَيُّوبَ الْقَطَّانِ
الْعَدْلُ وَأَبُو بَكْرٍ الرَّازِيُّ الْفَقِيهَ ، وَعَلِيُّ بْنُ عِيسَى وَالْعَوَّامِيُّ صَاحِبُ الزَّيْبَرِيِّ^(٣) ،
وَابْنُ رُبَاطٍ شَيْخُ الْكَرْنَجِ ، وَنَائِبُ الشَّيْبَةِ^(٤) وَلِسَانُ الْجَمَاعَةِ ، وَابْنُ آدَمَ
التَّاجِرِ^(٥) ، وَالشَّالُوسِيُّ أَبُو مُحَمَّدٍ ، وَغَيْرُهُمْ مَنْ يَطُولُ ذِكْرُهُمْ ؛ وَتَشَاوَرُوا
وَتَفَاوَضُوا ، وَقَلَّبُوا الْأَمْرَ ، وَسَقَبُوا الْقَوْلَ ؛ وَصَوَّبُوا وَصَعَّدُوا ، وَقَرَّبُوا وَبَعَّدُوا^(٦)
وَالْيَأَمُّ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ أَنْ تَخْرُجَ طَائِفَةٌ وَرَاءَ الْأَمِيرِ بِخَتِيَارٍ إِلَى الْكُوفَةِ وَتَلْقَاهُ
وَتُعْرِفَهُ^(٧) مَا قَدْ شَمِلَ مَدِينَةَ السَّلَامِ مِنَ الْأَهْتَامِ ؛ وَأَنَّ الْخَوْفَ قَدْ غَلَبَهُمْ ،
وَأَنَّ الذُّعْرَ قَدْ مَلَكَهُمْ ؛ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ : لَوْ كَانَ لَنَا خَلِيفَةٌ أَوْ أَمِيرٌ أَوْ نَاطِرٌ
سَائِسٌ لَمْ يُفَضَّ الْأَمْرُ إِلَى هَذِهِ الشَّنَاعَةِ ؛ وَأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُطِيعَ لِلَّهِ إِنَّمَا وَلَاهُ
مَا وَرَاءَ بَابِهِ لِيَتَّقِظَ فِي لَيْلِهِ ، مَهْفُوسًا فِي مَصَالِحِ الرِّعَايَا ، وَيُنْفِذَ فِي نَهَارِهِ أَمْرًا
وَنَاهِيًا مَا يَعُودُ بِمَرَّاشِدِ الدِّينِ ، وَمَنَافِعِ الدَّانِينَ وَالْقَاصِينَ^(٨) وَإِلَّا فَلَا طَاعَةَ ؛

(١) فِي كِلْتَا النُّسَخَتَيْنِ : « يَرْتَوَا » بِالنَّاءِ وَسُقُوطِ الْهَمْزِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) سُوقٌ يَحْيَى كَانَتْ فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنْ بَغْدَادَ ، كَانَتْ بَيْنَ الرِّصَافَةِ وَدَارِ الْمَلِكَةِ ؛ وَهِيَ مَنَسُوبَةٌ إِلَى يَحْيَى بْنِ خَالِدِ الْبَرْمَكِيِّ ؛ وَهِيَ مَحَلَّةُ ابْنِ حِجَّاجِ الشَّامِرِ الْمَعْرُوفِ .

(٣) فِي (ب) « الزَّهْرِيُّ » مَكَانَ « الزَّيْبَرِيِّ » .

(٤) فِي (أ) « وَنَائِبُ السَّبْعَةِ » وَفِي (ب) « بَابُ السَّبْعَةِ » . وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا النُّسَخَتَيْنِ .

(٥) فِي (ب) « الشَّامِرُ » .

(٦) فِي (أ) « وَقَعَّدُوا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٧) فِي (ب) « وَتَعْلَمُهُ » ؛ وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ أَيْضًا .

(٨) كَذَا فِي (ب) . وَالَّذِي فِي (أ) « الْوَارِدِينَ وَالْقَاصِدِينَ » ؛ وَمَا أَتَيْنَاهُ أَوَّلَ بِالسِّيَاقِ .

وكلاماً على هذا الطابع ، وفي هذا النسيج ؛ فأتفق جماعة على صريمة الرأي في الحركة إلى الكوفة ، منهم أبو كعب الأنصارى ، وأبو الحسن مذرّة القوم ، وعلى ابن عيسى ، والعمامى ، وابن حسان القاضى صاحب الوقوف ، وأبو أحمد الجرجاني القاضى البليغ ، وابن سيار القاضى أبو بكر ، وأبو بكر الرازى .
وأما جعل ، فإنه ذكر ما به من وجع النقرس ، واستعفى .

وأما أبو سعيد السيرافى ، فإنه ذكر ضعفاً وسناً ، وقال : أنا ^(١) أعين في هذه النائية بإقامة رجل جليل مزاح الملة بالفرس والسلاح ، وقعد الجمل الفقير ، وسارت الجماعة إلى الكوفة ، ولحقت عز الدولة في التصيد ، وانظرتنه ؛ فلما عاد قامت في وجهه واستأذنت في الوصول إليه على خلوة وسكون بال وقلة شغل ؛ فلم يلتفت إليهم ، ولا عاج عليهم — وكان وافر الحظ من سوء الأدب ، قليل التبحر من أهل الفضل والحكمة — ثم قيل له : إن القوم وردوا في مهم لا يجوز التغافل عنه ، والإمساك دونه ، فأذن ^(٢) لهم بين المغرب والمغمة ، فجلسوا بحضرته كما أنفق من غير ترتيب ، فقال : تكلموا .

فقال أبو الوفاء المهندس لأبى بكر الرازى : تكلم أيها الشيخ ، فإنك رضا الجماعة ، ومقتنع العصابة .

فقال أبو بكر : الحمد لله الذى لا موهبة إلا منه ، ولا بلوى إلا بقضائه ، ولا مفزع إلا إليه ، ولا يسر إلا فيما يسره ، ولا مصلحة إلا فيما قدره ؛ له الحكم وإليه النصير ، وصلى الله على سيدنا محمد رسوله للبعوث ، إلى الوارث والموروث ؛ أما بعد ، فإن الله [تعالى] قد حصّ على الجهاد ، وأمر بإعزاز الدين ،

(١) في (١) « لا » ، وهو تحريف .

(٢) في (ب) « فأمر » .

والذَّبُّ عن الحَرِيمِ والإِسْلَامِ والمُسْلِمِينَ في الدهرِ الصالحِ، والزمانِ المطمئنِّ؛ فكيف إذا اضْطَرَبَ الحَبْلُ وانتَكَسَتْ مَرِيْرَتُهُ، وأُبْرَزَ مَصُونُهُ، وعُرِّيَ حَرِيمُهُ بالأُسْتَبَاحَةِ؛ ونِيلَ جانبُهُ بالضَّيْمِ، وضُعِفَ مَنَارُهُ بالرَّغْمِ، وقَصِدَ رُكْنُهُ بالهَذْمِ، وأنتَ أيها^(١) المولى من وراءِ سُدَّةِ أميرِ المؤمنينِ الطَّيِّعِ لَهِ، والحاملِ لأَعْيَاءِ حُفَّتَاتِهِ، والناهِضِ بِأَثْقَالِ نَوَائِبِهِ وأَحْدَاثِهِ؛ وَلِالْفَرْعِ إِلَيْكَ، والمَعْوَلِ عَلَيْكَ، فَإِنْ كَانَ مِنْكَ جِدٌّ وَتَشْمِيرٌ فَمَا أَقْرَبَ الْفَرَجَ مِمَّا قَدْ أَظْلَمَ وَأَزْجَجَ، وَإِنْ كَانَ مِنْكَ تَوَانٍ وَتَقْصِيرٌ فَمَا أَضْعَفَ مِنْ خَطْبٍ؟ وما أَبْعَدَهُ مِنْ شَفَبِ ١١ وقد جُنْتُكَ نُحَقِّقُ عِنْدَكَ مَا بَلَغَكَ مِنْ تَوَسُّطِ هَذِهِ الطَّاعِيَةِ أَطْرَافَ الْمَوْصِلِ وَمَا وَالَاهَا، وَأَنَّ النَّاسَ قَدْ جَلَوْا عَنْ أَوْطَانِهِمْ، وَفُتِنُوا فِي أَذْيَانِهِمْ^(٢) وَضَعُفُوا عَنْ حَقِيقَةِ إِيْمَانِهِمْ؛ لِلرَّغْبِ الَّذِي أَذْهَلَهُمْ، وَالْخَوْفِ الَّذِي وَهَلَهُمْ؛ وَإِنَّمَا هُمْ بَيْنَ أَطْفَالِ صِفَارٍ، وَنِسَاءِ ضِعَافٍ، وَشِيُوخٍ قَدْ أَخَذَ الزَّمَانُ مِنْهُمْ، فَهُمْ أَرْضٌ لِكُلِّ وَاطِئٍ، وَنَهْبٌ لِكُلِّ يَدٍ؛ وَشَبَابٌ لَا يَقِفُونَ لِعَدُوِّهِمْ لِقَلَّةِ سِلَاحِهِمْ، وَسُوءِ تَأْتِيهِمْ^(٣) فِي الْقِرَاعِ وَالِدِّفَاعِ؛ وَنَحْنُ نَسْتَلُكُ أَنْ تَتَوَخَّى فِي أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يُزِيلُكَ عَنْهُ، وَيَكُونُ لَكَ فِي ذَلِكَ ذُخْرٌ مِنْ شَفَاعَتِهِ وَبِخْتِيَارِ مُطَرِّقٍ.

ثم اندفع على بن عيسى فقال: أيها الأمير، إن الصغير يتدارك قبل أن يكبر، فكيف يجوز ألا يستقبل بالجد والأجتهاد وهو قد عسا وكبر. والله إن^(٤) بنا إلا أن يظن أهل الجبل وأذربيجان وخراسان أنه ليس لنا ذاب

(١) كذا في (ب). وهبارة (١) «وأنت أمير الأمير المولى ما وراء سيده»، ولا يخفى

ما فيها من اضطراب.

(٢) في (١) «ديارهم»؛ وهو تحريف.

(٣) كذا في (ب)؛ والتي في (١) بأسهم؛ وهو تحريف لإذ أن سوء البأس في هذا الموضع

كما يحمد لا مما يباب. (٤) «إن» في هذا الموضع نافية بمعنى «ما».

عن حَرِيمِنَا ، وَلَا نَاصِرٍ لِدِينِنَا ، وَلَا حَافِظٍ لَبَيْضَتِنَا ، وَلَا مُفَرِّجٍ لَكُرْبَتِنَا ،
وَلَا مَنْ يَهْمُهُ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِنَا ، فَاللَّهُ اللَّهُ ، لَا تَجْرُنَّ عَلَيْنَا كَمَا تَجْرُنَّ عَلَيْنَا ،
وَحُذْ بِأَيْدِنَا بِقُوَّتِكَ ، وَحُسْنِ نِيَّتِكَ ، وَحَمِيدِ طَوْبِيتِكَ ، وَعِزِّكَ وَسُلْطَانِكَ ،
وَأَوْلِيَانِكَ وَأَعْوَانِكَ ، وَأَكْتُبْ قَبْلَ هَذَا إِلَى عُدَّةِ الدَّوَلَةِ بِمَا يَنْبَغُهُ عَلَى حِفْظِ
أَطْرَافِهِ ، وَحِرَاسَةِ أَكْنَافِهِ ، مَعَ اسْتِظْلَاعِ الرَّأْيِ مِنْ جِهَتِكَ ، وَمُطَالَعَةِ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِرَأْيِكَ وَمَشُورَتِكَ .

ثم رفع الأنصارى رأسه وقال : ليس في تَكْرِيرِ الكلام — أطال الله
بقاء الأمير — فائدة كبيرة ، ولئن كان الإيجازُ في هذا الباب لا يَكُنْفِي ،
فَالْإِطْنَابُ فِيهِ أَيْضًا لَا يُغْنِي ، وَاللَّهُ لَوْنَهَضَتْ بِنَا وَنَحْنُ أَخْرَاضُ^(١) كَمَا تَرَى
لَا نُقَلِّبُ مَخْصَرَةً^(٢) بَكَلَّتْ ، وَلَا نَزِمِي دُخْرُوجَةً^(٣) بَيْدَ ، وَلَا نَعْرِفُ سِلَاحًا
إِلَّا بِالْأَسْمِ ، لَنَهَضْنَا وَسِرْنَا تَحْتِ رَابِتِكَ ، وَتَصَرَّفْنَا بَيْنَ أَمْرِكَ وَنَهْيِكَ ،
وَقَدَّيْنَاكَ بَارِئًا وَاحِدًا ضَنَّا بِكَ ، وَبَعَثْنَا عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ أَحْدَانَنَا وَأَوْلَادَنَا الَّذِينَ
رَبَّيْنَاهُمْ بِبِعْمَتِكَ ، وَخَرَجْنَاهُمْ فِي أَيَّامِكَ ، وَأَدَخَرْنَاهُمْ لِلنَّوَازِلِ إِذَا قَامَتْ ،
وَالْحَوَادِثِ إِذَا تَرَامَتْ ، فَإِنْ كَانَ فِي الْمَالِ قَلَّةٌ فَخُذْ مِنْ مُوسِرِنَا وَمَنْ لَهُ فَضْلٌ
فِي حَالِهِ ، فَإِنَّهُ يُفَرِّجُ عَنْهُ طَاعَةَ لَكَ ، وَطَمَعًا فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الثَّوَابِ .

(١) في (ب) «أحراس» بالصاد ؛ وهو تصحيف . والأحراض : جمع حرض بالتحريك .
وهو الكال العبي والمصرف على الملاك .

(٢) في (١) «محصرة» بالحاء المهملة ؛ وفي (ب) «محصرة» بالحاء المهملة والصاد المعجمة
وهو تصحيف في كلتا النسختين . والمحصرة : ما يتوكل عليه من عصا ونحوها .

(٣) في كلتا النسختين «مبحوكة» وهو تحريف إذ لم نجد له معنى يناسب السياق ، ولعل
سوابه ما أثبتنا . والدخروجة : ما يدرجه الجمل من البندق ، أو لعله حُدْجَةٌ بالتحريك
يقال تراموا بالحدج وهو المنطل الصغير .

وقال العوامي^(١) : والله ما مُنِّيتَ لِلدَّوْلَةِ عِزًّا ، إِلَّا لِأَنَّ اللَّهَ — تعالى — قد ذَخَرَكَ لِلْمُسْلِمِينَ كَنْزًا ، وجعل لهم على يَدَيْكَ وبتدبيرك راحةً وفَوْزًا ، ولم يُعَرِّضْكَ لِهَذِهِ الْفَاقِدَةِ إِلَّا لِيَخْصُصَكَ بِإِنْفِرَاجِهَا [عَلَى يَدِكَ] وَيُنْقِىَ لَكَ بِهَا ذِكْرًا يَطْبِقُ الْأَرْضَ وَيَبْلُغُ أُمَرَاءَ خُرَّاسَانَ وَمِصْرَ وَالْحِجَازِ وَالْيَمَنِ قَيْصِيهِمْ الْحَسَدَ عَلَى مَا هِيَ^(٢) اللَّهُ لَكَ مِنْهَا .

وَنَظَرَ بَخْتِيَارٌ إِلَى ابْنِ حَسَّانِ الْقَاضِي — وَكَانَ مُنْبَسِطًا مَعَهُ لِقَدِيمِ خِدْمَتِهِ — فَقَالَ : أَيُّهَا الْقَاضِي ، أَنْتَ لَا تَقُولُ شَيْئًا ؟ قَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، وَمَا الْقَوْلُ وَعِنْدَكَ هَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءُ ، وَالْمَصَاقِعُ الْأَلْبَاءُ ؛ وَإِنْ سِرَّاجِي لَا يَزِدُّهُرُ فِي شَمْسِهِمْ ، وَإِنْ سَحَابِي لَا تَبِلُ عَلَى بُلَالِهِمْ^(٣) : وَقَدْ قَالُوا فَأَنْمُوا^(٤) ، وَجَرَوْا^(٥) فَأَنْمُوا ، وَلَيْسَ قَدْ أَتَاهُمْ إِمَامٌ ، وَلَا وَرَاءَهُمْ أَمَامٌ ؛ لَكِنِّي أَقُولُ : مَا جَسَمْنَا إِلَيْكَ هَذِهِ الْكُلْفَ إِلَّا لِتَنْظُرَ عَلَى ضَعْفِ أَرْكَانِنَا ، وَعُلُوِّ أَسْنَانِنَا^(٦) وَقَلَّةِ أَعْوَانِنَا^(٧) ، لَأَنَّا^(٨) رَأَيْنَاكَ أَهْلًا لِلنَّظَرِ فِي أَمْرِنَا ، وَالْأَهْتَامِ بِحَالِنَا ، وَبِمَا يَعُودُ نَفْعُهُ عَلَى صَغِيرِنَا وَكَبِيرِنَا .

فَقَالَ عِزُّ الدَّوْلَةِ : مَا زُوِيَ عَنِّي مَا طَرَقَ هَذِهِ الْبِلَادَ ، وَلَقَدْ أَشْرَفْتُ عَلَيْهِ ، وَفَكَّرْتُ فِيهِ ، وَمَا أَحْبَبْتُ تَجَسُّمَ هَذِهِ الطَّائِفَةِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ . وَمَا أَعْجَبَنِي

(١) في كلتا النسختين : « المراق » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا أخذاً مما سبق .

(٢) في (ب) « وهب » مكان قوله « هياً » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضاً .

(٣) البلال بكسر الباء وضمتها : الماء .

(٤) أنموا : جودوا .

(٥) في (أ) « وحرروا » ؛ وهو تحريف .

(٦) في كلتا النسختين : « شأنا » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا ، كما أن في (أ)

وحدماً « وعلو » بالعين المعجمة مكان المهمله ؛ وهو تصعيف أيضاً .

(٧) في (أ) « لإخواننا » ؛ وهو تحريف .

(٨) في كلتا النسختين : « لكننا » ؛ وهو تحريف ، فإن الاستدراك هنا غير مفهوم .

هذا التفرُّيعُ مِنَ الصَّغِيرِ والكبيرِ ، وما كانَ يَجُوزُ لِي أنْ أُنْعَسَرَ عَلَى هذه
الكَارِثَةِ ، وَأُنْعَمَ بِالْعَيْشِ مَعَهَا ، وَأَعْمُرِي إِنْ الْغَفْلَةُ [عَلَيْنَا] أَغْلَبَ ، وَالسُّمُورُ
فِينَا أَكْمَلَ ، وَلَكِنْ فِيمَا رَكِبْتُمُوهُ ^(١) مَتَى تَهْجِينُ شَدِيدَ ، وَتَوَيْيخُ فَاحِشٌ ، وَإِنْ
هَذَا الْمَجْلِسُ لَمَّا يُتَهَادَى حَدِيثُهُ بِالزَّائِدِ وَالنَّاقِصِ ، وَالْحَسَنِ وَالْقَبِيحِ ، وَإِنْكُمْ
لَتَبْظُنُّونَ أَنْكُمْ مَظْلُومُونَ بِسُلْطَانِي عَلَيْكُمْ ، وَوَلَا يَبْقَى لِأُمُورِكُمْ ؛ كَلًّا ، وَلَكِنْ
كَأَنْتُمْ تَكُونُونَ يَوْمَئِذٍ عَلَيْكُمْ ؛ هَكَذَا قَوْلُ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ فِينَا وَفِيكُمْ ؛ وَاللَّهِ لَوْ لَمْ
تَكُونُوا أَشْبَاهِي لَمَّا وَلَيْتُكُمْ ، وَلَوْ لَا ^(٢) أَنَّنِي كَوَاحِدٍ مِنْكُمْ ، لَمَّا جُعِلْتُ قِيَمًا
عَلَيْكُمْ ؛ وَلَوْ خَلَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا بِعَيْنِ نَفْسِهِ لَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يَسْمَعُهُ وَغَطُّ غَيْرِهِ ، وَتَهْجِينُ
سُلْطَانِهِ ؛ أَيْظُنُّ هَذَا الشَّيْخُ أَبُو بَكْرٍ الرَّازِيُّ أَنَّنِي غَيْرُ عَالِمٍ بِنَفَاقِهِ ، وَلَا عَارِفٍ
بِمَا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ مِنْ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ؛ يَلْقَانِي بِوَجْهِ صُلْبٍ ، وَلِسَانٍ هَذَارٍ يُرَى
مِنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ يَعِظُ الْحَجَّاجَ بْنَ يُوسُفَ ، أَوْ وَاصِلُ بْنُ عَطَاءٍ
يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ ، أَوْ ابْنَ التَّمَاكِ يُرْهِبُ الْفُجَّارَ ؛ هَذَا قَبِيحٌ ، وَلَوْ سَكَتُ عَنْ هَذَا
لَكُنَّا عِيًّا وَعَجْزًا ؛ جَزَى اللَّهُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ شَيْخَنَا خَيْرًا حِينَ جَلَسَ ، وَكَذَلِكَ
أَحْسَنَ اللَّهُ عِذَا مَكَافَاةَ أَبِي سَعِيدٍ السَّيْرَافِي ، فَإِنَّهُ لَوْ عَلِمَ أَنَّ فِي مُسَاعَدَةِ تَكْمُ
رُشْدًا لَمَّا تَوَقَّفَ ؛ وَأَمَّا أَنْتَ يَا أَبَا الْحَسَنِ — يُرِيدُ عَلِيَّ بْنَ عِيسَى — فَوَاحِقٌ أَبِي
إِنَّنِي لَا حِبَّ لِقَاءِكَ ، وَأَوْثَرُ قُرْبِكَ ، وَلَوْلَا مَا يَبْلُغُنِي مِنْ مُلَازِمَتِكَ لِمَجْلِسِكَ ،
وَتَذَرِّسِكَ لِمُخْتَلِفَتِكَ ^(٣) ، وَإِنْ كُتِبَ عَلَيْكَ كِتَابُكَ فِي الْقُرْآنِ ، لَغَلَبْتُكَ عَلَى
ذِمَّتِكَ ، وَلَا أَسْتَكَثِّرْتُ مِمَّا قَلَّ خَطِيئَتِي مِنْهُ فِي هَذِهِ الْحَالِ الَّتِي أَنَا مَذْفُوعٌ

(١) فِي (١) « رَأَيْتُمُوهُ مِنْ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي (١) « وَلَوْ أَنِّي » ؛ وَلَا يَسْتَقِيمُ بِهِ الْعَنَى .

(٣) الْمُخْتَلَفَةُ : الَّذِينَ يَتَعَلَّمُونَ مِنْهُ .

إليها ، فإنها وازعة على هوى النفس ، وطاعة الشيطان ، ومذازعة الأَكفَاء ،
وجمع المال ، وأخذه من حيث يحبُّ أولاً يحبُّ ، وتفرقته فيمن يستحقُّ
ومن لا يستحقُّ ، وإلى الله أفزعُ في قليل أمرى وكثيره ، إذا شئتم .

قال لى أبو الوفاء — وهو الذى شرح لى المجلس من أوله إلى آخره — :
لقد شاهدتُ من عزِّ الدولة فى ذلك المجلس المنصور^(١) فى جدِّه ومهاتمه ، وثباتِ
قلبه وقوَّة لِسانه ، مع بَحمٍ لَدِيذٍ ولُثْفَةٍ حُلوةٍ .

قال : ولقد قلتُ له بعد ذلك : أيُّها الأمير ، ما ظننتُ أنك إذا خلعتَ رِداءَكَ
ونزعتَ حِذاءَكَ تقول ذلك المقال ، وتَجُولُ ذلك المجال ، وتَنالُ ذلك المال ،
لقد أنصرفَ ذلك الرَّهْطُ عَلَى هَيْبَةٍ لَكَ شَدِيدَةٍ ، وتَعْظِيمٍ بالغٍ ، ولقد تَدَاوَلُوا
لَفْظَكَ ، وتَتَبَّعُوا مَعَانِيكَ ، وتَشَاحُوا^(٢) عَلَى نَظْمِكَ ، وقالوا : ما يَنْبَغِي لِأَحَدٍ
أَنْ يُسِيءَ ظَنَّهُ بِأَحَدٍ إِلَّا بَعْدَ الْخَبَرَةِ وَالْعِيَانِ ، وإلا بَعْدَ الشَّهَادَةِ وَالْبَيَانِ ؛
ألهذا يقال له مُتَخَلِّفٌ أَوْ نَاقِصٌ ؟ لَهِ دَرُّهُ مِنْ شَخْصٍ ! ولله أبوه مِنْ فِتْي مِدْرَه !
ولما بَلَغَ هَذَا الْجُلُوسُ الَّذِينَ قَعَدُوا عَنِ السَّيْرِ إِلَيْهِ — أَعْنَى عِزُّ الدَّوْلَةِ —
حَمِدُوا اللَّهَ تَعَالَى ، وَعَلِمُوا أَنَّ الْخَيْرَةَ كَانَتْ قَرِينَةً اخْتِيَارَهُمْ .

قال الوَزِيرُ : قرأتُ ما دَوَّنَه الصَّابِي أَبُو إِسْحَاقَ فى (التَّاجِي) فما وَجَدْتُ
هذا الحديث فيه . قلتُ : لعلَّه لم يَقَعْ إِلَيْهِ ، أو لعلَّه لم يَرِ التَّطْوِيلَ بِهِ ، أو لعلَّه لم
يَسْتَحِفَّ ذِكْرَهُ الدَّوْلَةَ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ . قال : هذا مُمَكِّنٌ ؛ فهل سَمِعْتَ فى
أَيَّامِ الْفِتْنَةِ بِغَرِيبَةٍ ؟

(١) يريد بالمنصور أبا جعفر الخليفة العباسي المعروف .

(٢) تشاحوا على نظرك ، أى أن كلا منهما ضمن بما يحفظه منه على صاحبه ، وفى (ب)
« وتشاحوا » ؛ وهو تحريف .

قلتُ : كلُّ ما كُتِبَ فيه [كان] غريباً بديعاً ، عجيباً شديداً ، حصلَ لنا
مِنَ العَيَّارِينَ قُوَاد^(١) ، وأشهرُهم^(٢) ابنُ كَبْرَوِيه ، وأبو الدُّود^(٣) ، وأبو الذُّباب ،
وَأَسْوَدُ الزُّبْد ، وأبو الأَرْضَة^(٤) ، وأبو النُّوَاجح ، وشُنَّت الغارة ، واتَّصلَ
النَّهْب ، وتَوَالَى الحَرِيقُ حتى لم يَصِلْ إلَيْنَا المَاءُ من دِجْلَة ، أغْنَى السَّكَرُخ .

فَإِنْ غَرِيبٍ مَا جَرَى أَنَّ أَسْوَدَ الزُّبْدِ كَانَ عَبْدًا يَأْوِي إِلَى قَنْطَرَة^(٥) الزُّبْدِ
وَيَلْتَقِطُ النَّوَى وَيَسْتَقِيمُ مِنْ حَضَرَ ذَلِكَ الْمَكَانَ بِلَهْوٍ وَلَعِبٍ ، وَهُوَ عُرْيَانُ
لَا يَتَوَارَى إِلَّا بِخُرْقَةٍ ، وَلَا يُؤْبَاهُ لَهُ ، وَلَا يُبَالِي بِهِ ، وَمَضَى عَلَى هَذَا دَهْرٍ ، فَلَمَّا حَلَّتِ
الْقَنْطَرَة^(٦) أَغْنَى لَنَا وَقَمَتِ الْفِتْنَةُ ، وَفَشَا الْمَرْجُ وَالْمَرْجُ ، وَرَأَى هَذَا الْأَسْوَدُ مِنْ
هُوَ أضعَفُ مِنْهُ قَدْ أَخَذَ السَّيْفَ وَأَعْمَلَهُ ، طَلَبَ سَيْفًا وَشَعَدَهُ ، وَنَهَبَ وَأَغَارَ
وَسَلَبَ ، وَظَهَرَ مِنْهُ شَيْطَانٌ فِي مَسَكِ إِنْسَانٍ ، وَصَبَّحَ وَجْهَهُ ، وَعَذَّبَ لَفْظَهُ ،
وَحَسَنَ جِسْمَهُ ، وَعُشِقَ وَعُشِقَ ، وَالْأَيَّامُ تَأْتِي بِالْغَرَائِبِ وَالْعَجَائِبِ ، وَكَانَ الْحَسَنُ
الْبَصْرِيُّ يَقُولُ فِي مَوَاعِظِهِ : الْمُتَعَبِّرُ كَثِيرٌ ، وَالْمُتَعَبِّرُ قَلِيلٌ . فَلَمَّا دُعِيَ قَائِدًا وَأَطَاعَهُ

(١) في (١) « قول » ؛ وهو تحريف .

(٢) في (ب) « وأشماؤهم » .

(٣) في كلتا النسختين : « وابن الرود » بالراء ؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا إذ هو
المناسب لأسماء هؤلاء الذين ذكروا .

(٤) كذا في (١) والذي في (ب) « أبو الأرمي » .

(٥) في كلتا النسختين : « الريد » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا قلا عن كتاب بغداد
للأستاذ لوستراخ Le Strange ؛ ولعلهم كانوا يبيعون الزبد عند هذه القنطرة فأضيفت إليه
وهي قنطرة البطريق أيضاً . وفي ياقوت : قنطرة رحي البطريق ، وهي على نهر الصراة .

(٦) في (١) : « حلف الخنصرة » وفي (ب) « حلب البقرة » ؛ وهو تحريف في
كلتا النسختين .

رِجَالٌ وَأَعْطَاهُمْ وَفَرَّقَ^(١) فِيهِمْ ، وَطَلَبَ الرِّأْسَةَ عَلَيْهِمْ ، صَارَ جَانِبُهُ لَا يُرَامُ ، وَحِمَاهُ لَا يُضَامُ .

فَمِمَّا ظَهَرَ مِنْ حُسْنِ^(٢) خُلُقِهِ — مَعَ شَرِّهِ^(٣) وَأَمْنَتِهِ ، وَسَفِكِهِ لِلدَّمِ ، وَهَتْكِهِ لِلْحُرْمَةِ ، وَرُكُوبِهِ لِلْفَاحِشَةِ ، وَتَمَرُّدِهِ عَلَى رَبِّهِ الْقَادِرِ ، وَمَالِكِهِ الْقَاهِرِ — أَنَّهُ اشْتَرَى جَارِيَةً كَانَتْ فِي النَّخَّاسِينَ عِنْدَ الْمُوصِلِيِّ بِأَلْفِ دِينَارٍ ، وَكَانَتْ حَسَنَاءَ جَمِيلَةٍ ، فَلَمَّا حَصَلَتْ عِنْدَهُ حَاوَلَ مِنْهَا حَاجَتَهُ ، فَاثْمَنَعَتْ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهَا : مَا تَكْرِهِينَ مِنِّي ؟ قَالَتْ : أَكْرَهُكَ كَمَا أَنْتَ . فَقَالَ لَهَا : فَمَا تُحِبِّينَ ؟ قَالَتْ : أَنْ تَبِيعَنِي ، قَالَ لَهَا : أَوْ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ أَعْتَقُكَ وَأَهْبُ لَكَ أَلْفَ دِينَارٍ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، فَأَعْتَقَهَا وَأَعْطَاهَا أَلْفَ دِينَارٍ بِمَحْضَرَةِ الْقَاضِي ابْنِ الدَّقَاقِ عِنْدَ مَسْجِدِ ابْنِ رَغْبَانَ^(٤) فَمَجَّبَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ وَهَيْبَتِهِ وَسِمَاحَتِهِ ، وَمِنْ صَبْرِهِ عَلَى كَلَامِهَا ، وَتَرَكَ مُكَافَأَتَهَا عَلَى كَرَاهَتِهَا ، فَلَوْ قَتَلَهَا مَا كَانَ أَتَى مَا لَيْسَ مِنْ فِعْلِهِ فِي مِثْلِهَا .

قَالَ الْوَزِيرُ : هَذَا وَاللَّهِ طَرِيفٌ ، فَمَا كَانَ آخِرُ أَمْرِهِ ؟ قُلْتُ : صَارَ فِي جَانِبِ أَبِي أَحْمَدَ الْمُوسَوِيِّ وَحِمَاهُ ، ثُمَّ سَيَّرَ إِلَى الشَّامِ فَهَلَكَ بِهَا .

قَالَ : وَكَيْفَ سَلِمْتَ فِي هَذِهِ الْحَالَاتِ ؟ قُلْتُ : وَمَتَى سَلِمْتُ ؟ جَاءَتِ النِّهَايَةُ إِلَى بَيْنِ السُّورَيْنِ^(٥) وَشَفُّوا النَّارَ وَأَكْتَسَعُوا مَا وَجَدُوا فِي مَنْزِلِي مِنْ ذَهَبٍ وَثِيَابٍ وَأَثَاثٍ ، وَمَا كُنْتُ ذَخَرْتُهُ مِنْ تَرَاثِ الْعُمَرَاءِ وَجَرَّدُوا السَّكَاكِينَ

(١) فَرَّقَ فِيهِمْ ، أَيْ فَرَّقَ الْأَعْطِيَةَ فِيهِمْ .

(٢) فِي (١) « مِنْ خُلُقِهِ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي (١) « شَرُّهُ » ؛ وَالْمَاءُ الْأَوَّلَى زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٤) مَسْجِدُ ابْنِ رَغْبَانَ فِي غَرْبِي بَغْدَادَ . وَالَّذِي فِي (١) ابْنُ رَغْبَانَ بِالْمَعْنَى الْمَهْمَلَةِ ؛

وَهُوَ تَصْغِيرٌ .

(٥) إِلَى بَيْنِ السُّورَيْنِ ، أَيْ إِلَى هَذِهِ الْمَهْلَةِ الْمَسَامَةِ بِهَذَا الْأِسْمِ فِي بَغْدَادَ .

على الجارية في الدار يطالبونها بالمال ، فأُنشقت مَرَارَتُهَا ، ودُفِنَتْ في يومها ،
[وأُمْسِيتُ] وما أُمْلِكُ مع الشيطان فَجْرَةً^(١) ، ولا مع الغراب نَقْرَةً .

أَيُّهَا الشَّيْخُ — وَهَكَذَا اللهُ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِكَ ، وَكَانَ لَكَ فِي كُلِّ مَقَالِكَ
وَفَعَالِكَ — إِنَّمَا نَثَرْتُ بِالْقَلَمِ مَا لَاقَ بِهِ ؛ فَأَمَّا الْحَدِيثُ الَّذِي كَانَ يَجْرِي بَيْنِي
وَبَيْنَ الْوَزِيرِ فَكَانَ عَلَى قَدَرِ الْحَالِ وَالْوَقْتِ [والواجب] ؛ وَالْإِتْسَاعُ يَتَّبِعُ
الْقَلَمَ مَا لَا يَتَّبِعُ اللِّسَانَ ، وَالرَّوْيَةُ^(٢) تَتَّبِعُ الْخَطَّ مَا لَا تَتَّبِعُ الْعِبَارَةَ ، وَلَمَّا كَانَ
قَصْدِي فِيهَا أَغْرَضُهُ عَلَيْكَ ، وَأَلْقِيهِ إِلَيْكَ ، أَنْ يَبْقَى الْحَدِيثُ بَعْدِي وَبَعْدَكَ ،
لَمْ أَجِدْ بُدًّا مِنْ تَسْمِيْقٍ يَزِدُّنِي بِهِ الْحَدِيثَ ، وَإِضْلَاحٍ يَخْسُنُ مَعَهُ الْمَغْرَى ،
وَتَكْلُفٍ يَبْلُغُ بِالْمُرَادِ الْغَايَةَ ، فَلَيْتُمُ الْمُنْذِرُ عِنْدَكَ عَلَى هَذَا الْوَصْفِ ، حَتَّى يَزُولَ
الْعَنَبُ ، وَيُسْتَحَقَّ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ .

الليلة التاسعة والثلاثون

(١) وقال الوزير ليلة : يعجبني الجوابُ الحاضر ، واللفظُ النادر ، والإشارة
الحُلُوَّةُ ، والحركة الرَضِيَّةُ ، والنِّفْمَةُ الْمُتَوَسِّطَةُ ، لَا نَازِلَةً إِلَى قَعْرِ الْحَلْقِ ،
وَلَا طَافِحَةً عَلَى الشَّفَةِ .

فَكَانَ مِنَ الْجَوَابِ : اقْتِرَاحُ الشَّيْءِ عَلَى الْكَمَالِ سَهْلٌ ، وَلَكِنْ وَجْدَانُهُ

(١) فِي (١) « نَحْوُهُ » . وَفِي (ب) « نَحْرُهُ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ صَوَابُهُ
مَا أَثْبَتْنَا ، أَيْ لَا أَمْلِكُ مَا أَجْرُ بِهِ فَجْرَةً وَاحِدَةً مَعَ الشَّيْطَانِ . وَيَشْتَبِهُونَ الْعَجَلَةَ فِي السُّجُودِ بِقَرِ
الْغَرَابِ ، فَيُرِيدُ بِالْعِبَارَةِ الثَّانِيَةِ أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ سَجْدَةً مُسْتَعِجِلَةً مَعَ الْغَرَابِ تَشْبَهُ قَرَّةً مِنْ تَقَرَّاتِهِ .
وَيُرِيدُ بِالْعِبَارَتَيْنِ أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ عَمَلًا خَبِيثًا وَلَا طَيِّبًا مَهْمَا قَلَّ . هَذَا مَا يُلَوِّحُ لَنَا مِنْ مَعْنَى هَاتَيْنِ
الْعِبَارَتَيْنِ .

(٢) فِي الْأَصُولِ : « وَالرَّقُّ بِهِ يَنْسَعُ الْخَطُّ مَا لَا تَسْعُ الْخ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ ؛ وَسِيَاقُ
الْكَلَامِ يَقْتَضِي مَا أَثْبَتْنَا .

على ذلك صَنَع ، لأنَّ التَّمَنَّى صَفْوُ النَّفْسِ الحَسَنَةِ ، وَنَيْلُ التَّمَنَّى فِي الفُرْصَةِ ^(١)
 المَحْشُورَةِ بِالْحَيْلُولَةِ .

وقد قال المدائني : أَحْسَنُ الجَوَابِ مَا كَانَ حَاضِرًا مَعَ إِصَابَةِ التَّمَنَّى
 وَإِيجَازِ اللَّفْظِ وَبُلُوغِ الْحِجَّةِ .

وقال أبو سليمان شارحاً لهذا : أَمَّا حُضُورُ الجَوَابِ فَلْيَكُنْ الظَّفَرُ عِنْدَ
 الْحَاجَةِ ، وَأَمَّا إِيجَازُ اللَّفْظِ فَلْيَكُنْ صَافِيًا مِنَ الحَشْوِ ، وَأَمَّا بُلُوغُ الْحِجَّةِ
 فَلْيَكُنْ حَسَمًا لِّلْمَعَارِضَةِ .

قال : مَا أَحْسَنَ مَا وَشَّحَ هَذِهِ الْفِقْرَةَ بِهِذِهِ الشَّدْرَةُ !
 وَحَكَى المدائني قال : قَالَ مُسْلِمُهُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ : مَا مِنْ شَيْءٍ يُوْنَاهُ الْعَبْدُ
 بَعْدَ الْإِيْمَانِ بِاللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ جَوَابٍ حَاضِرٍ ، فَإِنَّ الْجَوَابَ إِذَا تُعْقِبَ
 لَمْ يَكُنْ لَهُ وَقْعٌ .

وَحَكَى المدائني بإسنادِهِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَوْشَبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِعَمْرُو بْنِ الْأَهْمَمِ التَّمِيمِيِّ : أَخْبِرْنِي عَنِ الزُّبْرِ قَانَ بْنِ بَذْرٍ ،
 فَقَالَ : مُطَاعٌ فِي أَدْنِيهِ ، شَدِيدُ الْعَارِضَةِ ، مَانِعٌ لِّمَا وَرَاءَ ظَهْرِهِ . فَقَالَ
 الزُّبْرِ قَانُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّهُ لَيَعْلَمُ مِنِّي أَكْثَرَ مِنْ هَذَا ، وَلَكِنَّهُ حَسَدَنِي ،
 فَقَالَ عَمْرُو : أَمَّا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ لَزِمَ ^(٢) المَرُوءَةَ ، ضَيِّقُ الْعَطَنِ ، لَثِيمُ
 الْخِلَالِ ، أَتَمَحَقُّ الْوَالِدِ ، وَمَا كَذَبْتُ فِي الْأَوَّلَى ، وَلَقَدْ صَدَقْتُ فِي الْآخِرَى ، وَلَقَدْ
 رَضِيتُ فَقُلْتُ أَحْسَنَ مَا عَلِمْتُ ، وَسَخِطْتُ فَقُلْتُ أَسْوَأَ مَا عَلِمْتُ . فَقَالَ رَسُولُ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ مِنَ الْبَيَّانِ لَسِحْرًا وَإِنَّ مِنَ الشَّعْرِ لِحِكْمًا » .

(١) فِي (١) « فِي الْعُرْضَةِ » ؟ وَفِي (ب) « فِي الْعُرْضِ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِيهَا .

(٢) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « زَمَنَ » بِالنُّونِ ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ ؟ وَزَمَرُ الْمَرُوءَةِ : قَلِيلُهَا .

وقال أبو سليمان : السَّحَرُ بالقَوْلِ الأَعْمِّ والرَّسْمِ المُعَيَّدِ على أَرْبَعَةٍ أَضْرُبُ :
 سِحْرٌ عَقْلِي ، وهو ما بَدَرَ من الكلامِ المشتَمِلِ على غريبِ المعْنَى في أَىِّ فنٍّ
 كان ؛ وسِحْرٌ طَبِيعِي ، وهو ما يَظْهَرُ مِنْ آثَارِ الطَّبِيعَةِ في العَنَاصِرِ المُتَهَيِّئَةِ^(١)
 والمَوَادِّ المُسْتَجِيبَةِ^(٢) ، وسِحْرٌ صِنَاعِي ، وهو ما يوجَدُ^(٣) بِخَفَّةِ الحَرَكَاتِ المُبَاشِرَةِ ،
 وتصريفها في الوُجُوهِ الخَفِيَّةِ عن الأبصارِ المُحَدِّقَةِ ، وسِحْرٌ إلهي ، وهو ما يَبْدُو
 من الأنْفُسِ السَّكْرِيَّةِ الطَّاهِرَةِ بِاللَّفْظِ سَرِّةً ، وبالفِعْلِ مَرَّةً . وعَرَضَ كُلُّ واحدٍ
 من هذه الضُّرُوبِ واسِعٌ ، وكَلَرٌ حَذَقٍ ومهَارَةٍ وبلوغِ قَاصِيَةٍ في كُلِّ أَمْرٍ
 هو سِحْرٌ ، وصاحبُه سَاحِرٌ .

وقال المدائني : نظرَ ثابت بنُ عبد الله بنِ الزُّبَيْرِ إلى أهل الشام فَشَتَمَهُمْ ،
 فقال له سعيد بنُ عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ ، أَتَشْتُمُهُمْ لِأَنَّهُمْ قَتَلُوا أَبَاكَ ؟ فقال :
 صَدَقْتَ ، ولكنَّ المهاجِرِينَ والأَنْصَارَ قَتَلُوا أَبَاكَ .

وقال عبدُ الملِكِ بنُ سَرْوَانَ لثابت بن عبد الله بن الزُّبَيْرِ : أَبُوكَ كَانَ
 أَعْلَمَ بِكَ حِينَ شَتَمَكَ ، فقال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَتَدْرِي لِمَ كَانَ يَشْتُمُنِي ؟
 إِنِّي نَهَيْتُهُ أَنْ يُقَاتِلَ بِأَهْلِ مَكَّةَ وَأَهْلَ الْمَدِينَةِ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَنْصُرُهُ بَهُمَا ،
 وَقُلْتُ لَهُ ، أَمَّا أَهْلُ مَكَّةَ فَأَخْرَجُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
 وَأَخَافُوهُ ، ثُمَّ جَاؤَا إِلَى الْمَدِينَةِ فَأَخْرَجُوهُمْ مِنْهَا وَشَرَّدُوهُمْ .

فَمَرَّضَ بِالْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ — وَهُوَ جَدُّ عَبْدِ الْمَلِكِ — وَكَانَ النَّبِيُّ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ نَفَاهُ .

(١) ورد في (ب) هذان اللفظان « التهيئة والاستجابة » مهمله حروفهما من النقط

تتمذر قراءتهما .

(٢) في (١) يؤخذ .

وأما أهل المدينة فخذلوا عُثْمَانَ حَتَّى قُتِلَ بينهم ، لم يَرَوْا أَنْ يَدْفَعُوا عنه . فقال له عبدُ الملِك : لَحَاكَ الله .

وقال عبدُ الرحمن بنُ خالد بنِ الوليدِ لمعاوية : أما والله لو كنت بمكة لَعَلِمْتَ ، فقال معاوية : كنتُ أكونُ ابنَ أبي سُفْيَانَ يَنْشَقُّ عَنِي الْأَبْطَحُ ، وكنتُ أنتَ ابنُ خالدٍ مِنْزِلُكَ أَجْيَادُ ، أَعْلَاهُ مَدْرَةٌ ، وَأَسْفَلُهُ عَذِرَةٌ .

وقال المدائني : قال ابنُ الضحَّاك بنِ قيسِ الفِهْرِيِّ ^(١) لهشام بنِ عبد الملِك قبل أن يَمْلِكَ — وهو يومئذ غلامٌ شابٌ — يا بنِ الخَلَّاف ، لم تُطِيلْ شَعْرَكَ وقِميصَكَ ؟ قال أكرهه أن أكونَ كما قال الشاعر :

قصيرُ القَمِيصِ فاحشٌ عِنْدَ بَيْتِهِ وشَرُّ غِرَاسٍ في قُرَيْشٍ مُرَّ كَبَابٍ ^(٢)

قال : وهذا الشعرُ لأبي خالدٍ ^(٣) مروان بنِ الحَكَم ، هَجَا به الضحَّاك ابن قيس .

وحَكَّى أيضًا ، قال : مرَّ عطاء بنُ أبي ^(٤) صَيْفِيَّ بعبد الرحمن بنِ حِسان ابنِ ثابتٍ يَعْطَاهُ على قَرَسٍ له ؛ فقال له عبد الرحمن : يا عطاء ، لو وجدتَ زِمَامَ زَيْقٍ الخمرِ خَالِيًا ما كنتَ تَصْنَعُ به ؟ قال : كنتُ آتِي به دُورَ بَنِي النَّجَّارِ فَأَعْرِفُهُ فَإِنَّهُ ضَالَّةٌ مِنْ ضَوَالِهِمْ ، فَإِنْ عَرَفُوهُ ^(٥) وَإِلَّا فَهُوَ لَكَ لَمْ يَعُدْكَ ، ولكن

(١) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « الفهري » ، وهو تحريف .

(٢) المركب : الأمل والنبت . وفي (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « فركبا »

وهو تحريف لا معنى له . وفيها أيضا « فراش » مكان « غراس » ؛ وهو تحريف .

(٣) لم نجد في الكتب التي بين أيدينا أن أبا خالد كنية لمروان بن الحكم .

(٤) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة : قال ابن عطاء مر ابن صيفي . وفي

العبارة اضطراب ظاهر لا يستقيم به المعنى ، كما لا يخفى .

(٥) حذف الجواب هنا لعلم به وهو « فهو لهم » .

أَخْبِرْنِي أَيُّ جَدِّكَ أَكْبَرُ ، أَوْ فُرَيْعَةُ أَمْ نَابِتٌ ؟ قَالَ : لَا أَذْرِي . قَالَ : فَلِمَ يَغْنِيكَ ^(١) مَا فِي كَفَّانِ الرُّجَالِ وَأَنْتَ لَا تَذْرِي أَيُّ جَدِّكَ أَكْبَرُ ؟ بَلْ فُرَيْعَةُ أَوْ كَبْرُ مِنْ نَابِتٍ ، وَقَدْ تَزَوَّجَهَا قَبْلَهُ أَرْبَعَةٌ كُلُّهُمْ يَلْقَاهَا بِمِثْلِ ذِرَاعِ الْبَكْرِ ، ثُمَّ يُطَلِّقُهَا عَنْ قَلْبِي ؟ فَقَالَ لَهَا نِسْوَةٌ مِنْ قَوْمِهَا : وَاللَّهِ يَا فُرَيْعَةُ إِنَّكَ لَجَمِيلَةٌ ، فَا بَالِ أَرْوَاكِ يُطَلِّقُونَكَ ؟ قَالَتْ : يُرِيدُونَ الضَّيْقَ ضَيْقَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ .

وَحَكَى أَيْضًا قَالَ : قَالَ أَبُو السَّفَرِ : بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسِيرُ إِذْ رُفِعَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ قَبْرُ أَبِي سَعِيدٍ بْنِ الْعَاصِ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : لَعَنَّ اللَّهُ صَاحِبَ هَذَا الْقَبْرِ ، فَإِنَّهُ كَانَ يُكَذِّبُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، فَقَالَ [خَالِدُ بْنُ] ^(٢) أُسَيْدٍ — وَهُوَ فِي الْقَوْمِ — : لَا بَلْ لَعَنَّ اللَّهُ أَبَا قُحَّافَةَ فَإِنَّهُ كَانَ لَا يَقْرَى الضَّيْفَ ، وَلَا يَنْتَعِ الضَّيْفَ ، وَلَا يُقَاتِلُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا سَبَّنِي الْمَشْرِكُونَ فَعُثُومٌ بِالسَّبِّ ، وَلَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ فَإِنَّ سَبَّ الْأَمْوَاتِ يُغْضِبُ الْأَحْيَاءَ ؟ » .

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ : فَذَا كَرْتُ بِهَذَا الْحَدِيثِ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ مِنْ وَلَدِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ ، فَمَرَّفَهُ ، فَقَالَ : فِيهِ زِيَادَةٌ لَيْسَتْ عِنْدَكُمْ ، قُلْتُ : وَمَا هِيَ ؟ فَقَالَ : قَالَ خَالِدُ بْنُ أُسَيْدٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا يَسُرُّنِي أَنَّهُ فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ وَأَنْ أَبَا قُحَّافَةَ وَلَدَهُ . فَصَحِّحَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ، وَقَالَ : « لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ فَإِنَّ سَبَّهُمْ يُغْضِبُ الْأَحْيَاءَ » .

(١) فِي (١) الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا وَحْدَهَا هَذِهِ الْقِصَّةُ : « يَنْهَيْكَ » ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .
(٢) هَذِهِ التَّكْلَةُ الَّتِي بَيْنَ مَرْبَعَيْنِ لَمْ تَرُدْ فِي (١) الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا وَحْدَهَا هَذِهِ الْقِصَّةُ وَالسِّيَاقُ يَقْضِي لِإِتْبَاطِهَا إِذْ أَنَّ أُسَيْدًا أَبَا خَالِدٍ لَمْ يَكُنْ مَعَ الْقَوْمِ .

وحكى قال : رمى عمر بن هبيرة الفزاري إلى عرام بن شبيب^(١) بختام له
فضة — وقد زوج — فعمد عليه عرام سيرا وردّه إلى ابن هبيرة. أراد ابن
هبيرة قول الشاعر :

لقد زرت عيناك يا بن ملعن كما كل ضبي من اللوم أزرق
وعراض له عرام بقول ابن دارة :

لا تأمنن فزاريًا خلوت به على قلوصك وأكتبها بأسبار^(٢)
وقال المدائني : وكان ابن هبيرة يسير هلال^(٣) بن مكمل الثميري ،
فتقدمت بيلة الثميري ببيلة ابن هبيرة . فقال : غص من بفلتك . فالتفت
إليه الثميري فقال : أصلىح الله الأمير ، إنها مكتوبة ، وإنما أراد ابن هبيرة :
فغص الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا^(٤)
وأراد الثميري قول سالم بن دارة :

لا تأمنن فزاريًا خلوت به على قلوصك وأكتبها بأسبار
وقال الوليد الغنوي^(٥) : سرت امرأة من بني نمير على مجلس لهم ،
فقال رجل منهم : أيتها الرسحاء^(٦) . فقالت المرأة : يا بني نمير ، والله ما أطلعت

(١) كذا في تاريخ الطبري طبع أوروبا ، والذي في (١) التي وردت فيها وحدها
هذه القصة « شنير » بالنون ، وهو تصحيف .

(٢) أكتبها بأسبار ، أي اخزم حياها لثلا يزي عليها .

(٣) في العقد الفريد « سنان بن مكل » . وفي نهاية الأرب أيوب بن ظبيان ، وفي
كتاب الكناية والتعريض للثعالبي « شريك بن محمد » .

(٤) البيت لجرير .

(٥) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « النيدى » ، ولم نجد النيدى
هذا ضمن أسماء الرواة ، والذي وجدناه في أسمائهم الوليد الغنوي كما في تاريخ الطبري .

(٦) في نهاية الأرب سرت امرأة من العرب يجلس من مجالس بني نمير ؛ وهو أنسب .

(٧) الرسحاء : التي خف لحم لبتيتها ووركيها .

اللهَ وَلَا أَطَعْتُمُ الشَّاعِرَ ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَفُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ)
وقال الشاعر :

فَفُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَ كَغَبَا بَلَّغْتَ وَلَا كِلَابَا
وقال : مرَّ الفرزدقُ بِخَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ بْنِ الْأَهَمِّ ، فقال له خالد : يا أبا فراس ،
ما أنت الذي لما رأيتهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَعْتَ أَيْدِيَهُنَّ ، فقال له الفرزدق : ولا أنت
الذي قالت النعجة لأبيها فيه : (يا أبتِ اسْتَجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ
الْقَوِيُّ الْأَمِينُ) .

قال : ودخل يزيدُ بْنُ مُسْلِمٍ عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وكان مُضْفَرًا
نَحِيفًا ، فقال سليمان : عَلَى رَجُلٍ أَجْرَكَ رَسَنَكَ ^(١) وَسَلَّطَكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ لَعْنَةُ
اللَّهِ . فقال : يا أميرَ المؤمنين إِنَّكَ رَأَيْتَنِي وَالْأَمْرُ عَنِّي مَدِيرٌ ، فلو رَأَيْتَنِي وَهُوَ
عَلَى مُقْبِلٍ لَأَسْتَعِظَمْتَ مِنِّي يَوْمَئِذٍ مَا اسْتَعِظَرْتَ الْيَوْمَ . قال : فَأَيْنَ الْحَجَّاجُ ؟
قال : يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ أَبِيكَ وَأَخِيكَ ، فَضَعُهُ حَيْثُ شِئْتُ .

وقال عُبَادُ بْنُ زِيَادٍ : كُنْتُ عِنْدَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ إِذْ أَنَا أَبُو يَوْسُفَ
حَاجِبُهُ ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، هذه بُثَيْنَةُ . قال : أُمِّ بَثِينَةُ جَمِيلٌ ؟ قال : نعم ،
قال أَدْخِلْهَا ، فَدَخَلَتْ أَمْرَأَةً أَذْمَاءَ طَوِيلَةً يُغْلَمُ أَنَّهَا كَانَتْ جَمِيلَةً ، فقال له
يا أبا يَوْسُفَ أَلْقِ لَهَا كُرْسِيًا ، فَأَلْقَاهُ لَهَا ، فقال لها عَبْدُ الْمَلِكِ ، وَيْحَكَ مَا رَجَا
مِنْكَ جَمِيلٌ ، قالت : الذي رَجَبَتْ مِنْكَ الْأُمَةُ حِينَ وَلَّتْكَ أُمْرَهَا .

وقال سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَّانٍ : إِنَّ رَهْطًا مِنَ الْأَنْصَارِ دَخَلُوا عَلَى
مُصَاوِيَةَ ، فقال : يا مَقْشَرُ الْأَنْصَارِ ، قُرَيْشٌ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْكُمْ لَهُمْ ، فَإِنْ يَكُنْ

(١) أَجْرَكَ رَسَنَكَ ، أى تركك وشأنك تفعل ما تشاء . والرسن الميعود تقاد به الدابة .

ذَلِكَ لِقَتْلِي أَحَدَ ، فَقَدْ قَتَلْتُمْ يَوْمَ بَذْرِ مِثْلَهُمْ ؛ وَإِنْ يَكُنْ لِلْإِمْرَةِ ^(١) فَوَاللَّهِ مَا جَعَلْتُمْ لِي إِلَى صِلَتِكُمْ سَبِيلًا ؛ خَذَلْتُمْ عُمَانَ يَوْمَ الدَّارِ ، وَقَتَلْتُمْ أَنْصَارَهُ يَوْمَ الْجَمَلِ ، وَصَلَيْتُمْ بِالْأَمْرِ يَوْمَ صِفِّينَ . فَتَكَلَّمَ رَجُلٌ مِنْهُمْ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَمَّا قَوْلُكَ « إِنْ يَكُنْ لِقَتْلِي أَحَدٌ » فَإِنْ قَتَلْنَا مَهْدٍ وَحَيَيْنَا تَائِقَ ^(٢) ، وَأَمَّا ذِكْرُكَ الْإِمْرَةَ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِالصَّبْرِ عَلَيْهَا . وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّا خَذَلْنَا عُمَانَ ، فَإِنَّ الْأَمْرَ فِي عُمَانَ إِلَى قَتْلَتِهِ ^(٣) ؛ وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّا قَتَلْنَا أَنْصَارَهُ يَوْمَ الْجَمَلِ فَذَلِكَ مَا لَا نَعْتَذِرُ مِنْهُ ، وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّا صَلَيْنَا بِالْأَمْرِ يَوْمَ صِفِّينَ ، فَإِنَّمَا كُنَّا مَعَ رَجُلٍ لَمْ نَأْلِهِ خُبْرًا ، فَإِنْ لُمْنَا فَرُبَّ مَلُومٍ لَا ذَنْبَ لَهُ .

نَمِ قَامَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ يَجْرُؤُ ثَوْبَهُ مُغَضَّبًا ، فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : رُدُّوهُمْ ، فَرُدُّوهُمْ ، فَرَضَّاهُمْ حَتَّى رَضُوا ، ثُمَّ أَنْصَرَفُوا . وَأَقْبَلَ مَعَاوِيَةُ عَلَى رَهْطٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا فَرَّغَ مِنْ مَنَظِقِهِ حَتَّى ضَاقَ بِي مَجْلِسِي .

قَالَ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَّانَ : دَخَلَ قَيْسُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ مَعَ قَوْمٍ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى مُعَاوِيَةَ . فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ، لِمَ تَطْلُبُونَ مَا قَبِلِي ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُمْ قَلِيلًا مَعِيَ ، كَثِيرًا عَلَى ، وَلَقَدْ قَتَلْتُمْ جُنْدِي ^(١) يَوْمَ

(١) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا دُونَ (ب) هَذَا الْكَلَامِ « لَدِهِمْ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ ، صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا كَمَا يُوْخِذُ مَا بَأْتَى بَعْدَ فِي جَوَابِ الْأَنْصَارِ مِنْ قَوْلِهِمْ : وَأَمَّا ذِكْرُكَ الْإِمْرَةَ الْحِ . وَبَرِيدٌ بِالْإِمْرَةِ أَنَّهُ لَا يُولِيهِمُ الْأَعْمَالُ .

(٢) تَائِقٌ أَيْ إِلَى أَنْ يَسْتَشْهَدَ . وَفِي (١) الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا وَحْدَهَا هَذِهِ الْقِصَّةُ وَرَدَتْ تِلْكَ الْكَلِمَةُ مَهْلَةً الْحُرُوفِ مِنَ النُّقْطِ . وَلَمَّا لَمَّا الصَّوَابُ مَا أَثْبَتْنَا أَوْ لَمَّا لَمَّا صَوَابُهَا « مَائِتٌ » .

(٣) فِي (١) الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا وَحْدَهَا هَذِهِ الْقِصَّةُ « قَلْنَا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) فِي (١) « جَدِي » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

صِفَيْنِ حَتَّى رَأَيْتُ الْمَنَايَا تَنْظِي فِي أَسِنَّتِكُمْ^(١) ، وَهَجَوْنُمُونِي^(٢) بِأَشَدِّ مِنْ وَخْزِ الْأَشَافِي^(٣) حَتَّى إِذَا أَقَامَ اللَّهُ مَا حَاوَلْتُمْ مِثْلَهُ^(٤) ، قَلْتُمْ : ارْزَعْ فِينَا وَصِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ هَبْهَات ، «أَبَى الْحَقِيقِينَ الْعِذْرَةَ»^(٥) ، فَقَالَ قَيْسٌ : نَطْلُبُ مَا قَبْلَكَ بِالْإِسْلَامِ الْكَافِي بِهِ اللَّهُ لَا سِوَاهُ ، لَا بِمَا تُمُتُّ بِهِ إِلَيْكَ الْأَحْزَابُ ، وَأَمَّا عِدَاؤُنَا لَكَ فَلَوْ شِئْتَ كَفَفْنَا عَنْكَ ؛ وَأَمَّا هَجَاؤُنَا إِلَيْكَ فَقَوْلُ يَزُولُ بَاطِلُهُ ، وَيَنْبُتُ حَقُّهُ ، وَأَمَّا قَتَلُنَا جُنْدَكَ يَوْمَ صِفِّينَ فَإِنَّا كُنَّا مَعَ رَجُلٍ نَرَى أَنَّ طَاعَتَهُ طَاعَةُ اللَّهِ ؛ وَأَمَّا أَسْتِقَامَةُ الْأَمْرِ لَكَ فَقَلَى كُرْهُهُ كَانَ مِنَّا ، وَأَمَّا وَصِيَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ آلِهِ وَسَلَّمَ فِينَا ، فَمَنْ آمَنَ بِهِ رَعَاهَا ؛ وَأَمَّا قَوْلُكَ «أَبَى الْحَقِيقِينَ الْعِذْرَةَ» ، فَلَيْسَ دُونَ اللَّهِ يَدٌ تَخْجُزُكَ ؛ فَشَأْنُكَ . فَقَامَ مُعَاوِيَةُ فَدَخَلَ ، وَخَرَجَ قَيْسٌ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدٍ الْقُرَشِيُّ : دَخَلَ زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ الْكِلَابِيُّ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَعِنْدَهُ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أُسَيْدٍ وَأُمَيَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدٍ ، فَقَالَ زُفَرُ : لَوْ كَانَ لِعَبْدِ اللَّهِ سَخَاةٌ مُصْغَبٌ وَكَانَ لِمُصْغَبٍ عِبَادَةُ عَبْدِ اللَّهِ لَكُنَّا مَا شَاءَ الْمُتَمَنِّي . فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : مَا كَانَ سَخَاةً

(١) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « ولهجوتنوني » ، وهو تحريف .

(٢) في (١) « الأناني » بالثاء ؛ وهو تحريف .

(٣) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « مثله » بالثاء ؛ وهو تصحيف ،

والتصحیح عن المقد الفريد ج ٢ ص ١٤٦ طبع بولاق .

(٤) وردت هذه العبارة في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « بأى الحقيقين

الغفرة » ؛ وهو تحريف كما ترى ، والتصحيح عن مجمع الأمثال . والحقيقين : : اللبني المحقون والعذرة : العذر . وأصله أن رجلا نزل بقوم فاستسقام لبنا ، فاعتلوا عليه وزعموا أن لابن عندهم ، وكان اللبني محقونا في وطاب عندهم ، فقال هذا المثل ؛ وهو مثل يضرب للكاذب الذي يعتذر ولا عذر له . يقول : إن اللبني المحقون لديهم يكذبهم في عذرهم . والذي في المقد الفريد « أبى الحبير العذرة » .

مُصَنَّبٌ إِلَّا لَعِبًا ، وَلَا كَانَتْ عِبَادَةُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَّا عِبَتًا ، وَلَكِنْ لَوْ كَانَ لِلضَّحَّاكِ
أَبْنِ قَيْسٍ مِثْلُ رَجَالِ مَرْوَانَ لَكَانَتْ قَيْسُ أَرْبَابًا بِالشَّامِ ، فَقَالَ زُفَرٌ : لَوْ كَانَتْ
لِمَرْوَانَ صُحْبَةُ الضَّحَّاكِ لَكَانَ ؛ فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ ، وَاللَّهِ مَا أَحِبُّ لَهُ مِثْلَ صُحْبَتِهِ
وَمَضْرَعِهِ ، فَقَالَ خَالِدٌ : لَوْلَا أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا يُبْصِرُ مَرْعَى ^(١) لَمَا تَرَكَكَ
وَالْكَلَامَ . فَقَالَ زُفَرٌ : إِرْبَعَا ^(٢) عَلَى أَنْفُسِكَا وَدَعَانَا وَخَلِيفَتَنَا وَاسْحَبَا ذُيُولَكَا
عَلَى خِيَانَةِ خِرَاسَانَ وَسِجِسْتَانَ وَالْبَصْرَةَ .

وَقَالَ الْمَدَائِنِيُّ : غَابَ مَوَالِيٌّ لِلزُّبَيْرِ عَنِ الْمَدِينَةِ حِينًا ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ
قُرَيْشٍ لَمَّا رَجَعَ : أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ أَتَيْتَ قَوْمًا يُبْغِضُونَ طَلْعَتَكَ ، وَفَارَقْتَ قَوْمًا
لَا يُحِبُّونَ رَجْعَتَكَ . قَالَ الْمَوَالِيُّ : فَلَا أَنْعَمَ اللَّهُ مِمَّنْ قَدِمْتُ عَلَيْهِ عَيْنًا ، وَلَا
أُخْلَفَ اللَّهُ عَلَى مَنْ فَارَقْتُ بِخَيْرٍ .

قَالَ الْمَدَائِنِيُّ : كَانَ مَرْثَدُ بْنُ حَوْشَبٍ عِنْدَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَجَرَى
بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِيهِ كَلَامٌ حَتَّى تَسَابَا ، فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ : وَاللَّهِ مَا أَنْتَ بِأَبْنِي ، قَالَ :
وَاللَّهِ لِأَنَا أَشْبَهُ بِكَ مِنْكَ بِأَبِيكَ ، وَلَآنْتَ كُنْتَ أَغْيَرَ عَلَى أُمِّي مِنْ أَبِيكَ
عَلَى أُمِّكَ . فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانٌ : قَاتَلَكَ اللَّهُ ، إِنَّكَ لِأَبْنُهُ .

وَسَابَّ مَرْثَدُ أَخَاهُ ثُمَامَةَ ، فَقَالَ لَهُ ثُمَامَةُ : يَا حَلَقِي ^(٣) ، فَقَالَ لَهُ مَرْثَدُ :

(١) يشير خالد بهذه العبارة إلى قول زفر بن الحارث :

وقد يثبت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هيا

وهذا البيت من أبيات قالها زفر حين فرّ بعد وقعة مرج راهط التي قتل فيها الضحّاك

وانتصر فيها مروان ، وكان زفر من أصحاب الضحّاك .

(٢) اربعا : يخاطب خالدا وأخاه أمية .

(٣) يمهه بداه قبيح ؛ ويقال أتان حلقيّة إذا تداولتها الحر فأصابها داء في رحمها .

والحلان في الأتان ألا تصعب من السفاد .

يا خبيث ، أتسابني مُسَابَّة الصَّبِيَّانِ ، فوالله إنك لأبني ، ولقد غلبني حَوْشَب على أُمِّكَ ، وقد أَلَقَحْتُمَا بِكَ ^(١) .

وقال ابنُ عَيَّاش المَنْثُوف ^(٢) لِأَبِي شَاكِرِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ : لَوْ قَصَّرْتَ قَيْصَكَ ، قال له : مَا يَضُرُّكَ مِنْ طَوْلِهِ . قال : تَدُوسُهُ فِي الطَّيْنِ ، قال وما يَنْفَعُكَ مِنْ دَوْسِهِ .

وقال : كان على تَبَالَةٍ ^(٣) رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، فقال لِرَجُلٍ مِنْ بَاهِلَةٍ ، مَنْ الذي يقول :

إِنْ كُنْتَ تَرْجُو أَنْ تَنْتَالَ غَنِيمَةً فِي دُورِ بَاهِلَةٍ بِنِ يَعْفَرُ فَأَرْحَلْ
قَوْمٌ قَتِيبةٌ أَثْمُهُمْ وَأَبْوُهُمْ لَوْلَا قُتَيْبَةُ أَصْبَحُوا فِي مَجْهَلٍ
فقال الباهلي : مَا أَذْرِي غَيْرَ أَنِّي أَظُنُّهُ الذي يقول :

يَا شَدَّةَ مَا شَدَدْنَا غَيْرَ كَاذِبَةٍ عَلَى سَخِينَةٍ لَوْلَا اللَّيْلُ وَالْحَرَمُ ^(٤)
قال : وتكلم ابنُ ظِيَّانَ التَّيْسِيُّ يوماً فَأَكْثَرَ ، فقال له مَالِكُ بْنُ مُسَمِّعٍ ،

(١) يتضح من القصة أن مرندا وثمامة أخوان لأب ، وبذلك يستقيم الكلام .
(٢) كذا في تاريخ الطبري طبع أوروبا . والذي في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « الثبوق » ؛ وهو تحريف .

(٣) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة : « تأييده » مكان قوله : « يا شدة » .
و « على سجية » مكان قوله « على سخيبة » ؛ وهو تحريف في كلتا الكلمتين صوابه ما أثبتنا نقله عن الأغاني ج ١٩ ص ٧٦ طبع بولاق . والبيت لخداش بن زهير ، والسخينة : طعام يتخذ من الدقيق . وهو دون العصيدة في الرقة وفوق الحساء ، وهو لقب لقريش كانت تعبّر به لكثرة اتخاذهم لهذا الطعام . وهذا البيت من أبيات أربعة وردت في الأغاني في خبر طويل فأنظره ثم . وهما من ذى الأبيات الثلاثة بعد هذا البيت :

إِذْ يَقِينَا هِشَامَ بِالْوَلِيدِ وَلَوْ أَنَا تَقَفْنَا هَمَامًا شَالَتِ الْخَدَمُ
بَيْنَ الْأَرَاكِ وَبَيْنَ الْمَرْجِ نَبْطَحُهُمْ زُرْقَى الْأَسْنَةِ فِي أَطْرَافِهَا السَّمِ
فَإِنْ سَمِعْتُمْ بِجَيْشٍ سَالَكَ شَرْفًا وَبَطْنَ مَرٍ فَأَخْفُوا الْجَرْسَ وَاكْتَسَمُوا

إيها أبا مَطَر^(١) ، فإن للقوم في الكلام نصيبًا ، فقال : والله ما إليك حِثٌّ ، ولو أن بكر بن وائل أجمعت في بيتٍ بقالٍ لَأَتَيْتُهُمْ . فقال له مالك ، إنما أنت سَهْمٌ من سِهَامِ كِنَانَتِي . فقال ابنُ ظَبْيَانَ : أنا سَهْمٌ من سِهَامِ كِنَانَتِكَ ؟ فوالله لو قُتُّ فيها لَطَلَّتْهَا ، ولو قعدتُ فيها لخرقَتْهَا ، وأيمُ الله ما أراك تَنْتَهِي حَتَّى أَرْمِيكَ بِسَهْمٍ لَمْ يُرَشْ^(٢) ، تَذَلُّ بِه شَفَتَاكَ ، وَيَحِفُّ لَهُ رِيْقُكَ .

وقال رجلٌ للأخنف : بأيِّ شيءٍ سُدَّتَ تَمِيًا ؟ فوالله ما أنت بأجودِم ولا أشجعِم ولا أبجلِم ولا أشرِفَم ، قال : بخلافٍ ما أنت فيه . قال : وما خلافٌ ما أنا فيه ؟ قال : تَرَكِي ما لَا يَعْنِينِي من أُمُورِ الناسِ كما عَنَّاكَ مِنْ أُمُورِي ما لَا يَعْنِيكَ .

وَوَفَدَ عَلَيْنُ بن خَالِدِ الهُجَيْمِيُّ عَلَى هِشَامٍ وعنده الأبرش [الكلبي] ، فقال له الأبرش الكلبي : يا أخا بني الهُجَيْمِ ، مَنْ القائل :

لَوْ يَسْمَعُونَ بِأَكْلَةٍ أَوْ شَرِبَةٍ بِمَآنَ أَصْبَحَ جَمْعُهُمْ بِمَآنَ
أَلَكُمُ يَقُولُهُ ؟ قال : نعم ، لَنَا يَقُولُهُ ، وَلَكِنَّكُمْ يَامَعْشَرَ كَلْبٍ تُعْبِرُونَ^(٣)
الذَّسَاءَ وَتَجْزُونَ^(٤) الشَّاءَ ، وَتَكْدِرُونَ العَطَاءَ ، وَتَوَخَّرُونَ العِشَاءَ ، وَتُبَيِّعُونَ المَاءَ .

(١) في (١) « إنها أبا فطر » ، وهو تحريف ، وقد أثبتنا هذه الكنية عن الكامل للبرد . والذي في (ب) إنما ينتظر القوم .

(٢) يقال راس السهم بريشه إذا وضع عليه الريش ليكون أسرع له . ويريد هنا سهماً من القول .

(٣) تعبرون النساء أى تتركهن ختانهن . يقال امرأة معبرة إذا طال بظرها . وفي الأصل تميرون بالياء المثناة وهو تحريف .

(٤) في كلتا النسختين : « وتجيرون » ؛ وهو تحريف ؛ ولعل صوابه ما أثبتنا .

فَضَحِكَ هِشَامٌ ، فَلَمَّا خَرَجَا قَالَ الْأَبْرَشُ : يَا أَخَا بَنِي الْمُجَنِّمِ ، أَمَا كَانَتْ عِنْدَكَ بَقِيَّةٌ ؟ قَالَ : بَلَى ، لَوْ كَانَ عِنْدَكَ بَقِيَّةٌ .

قَدَّمَتْ امْرَأَةٌ زَوْجَهَا إِلَى زِيَادٍ تُفَارِغُهُ ، وَقَدْ كَانَتْ سِنُّهُ أَعْلَى مِنْ سِنِّهَا فَجَعَلَتْ تَعْيِيبَ زَوْجِهَا وَتَقَعُ فِيهِ ، فَقَالَ زَوْجُهَا : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، إِنْ شَرَّ شَطْرِي لِلرَّأَةِ آخِرُهَا ، وَخَيْرَ شَطْرِي الرَّجُلِ آخِرُهُ . الْمَرْأَةُ إِذَا كَبُرَتْ عَقَمَتْ رَحِمُهَا ، وَحَدَّ لِسَانُهَا ، وَسَاءَ خُلُقُهَا ، وَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا كَبُرَتْ سِنُّهُ أَسْتَحْكَمَ رَأْيُهُ ، وَكَثُرَ حِلْمُهُ وَقَلَّ جَهْلُهُ .

وَقَالَ أَعَشَى هَمْدَانَ لِأَمْرَأَتِهِ : إِنَّكَ لَسَلْسَةُ الثَّقَبَةِ ، سَرِيعَةُ الْوَثْبَةِ ، حَدِيدَةُ الرُّكْبَةِ ، فَقَالَتْ : وَاللَّهِ إِنَّكَ لَسَرِيعُ الْإِرَاقَةِ ، بَطِيءُ الْإِفَاقَةِ ، قَلِيلُ الطَّاقَةِ ^(١) ، فَطَلَّقَهَا ، وَقَالَ :

تَقَادَمَ عَهْدُكَ أُمُّ الْجَلَالِ وَطَاشَتْ نَبَالُكَ عِنْدَ الْفَضَالِ
وَقَدْ بَتَّ ^(٢) حَبْلُكَ فَأَسْتَبْقِنِي بِأَنِّي طَرَحْتُكَ ذَاتَ الشَّمَالِ ^(٣)
وَأَنْ لَا رُجُوعَ فَلَا تُكَذِّبِي نَ مَا حَنْتِ ^(٤) النَّيْبُ إِثْرَ الْفِصَالِ
قَالَ الْفِلَاحِيُّ عَنْ غَيْرِهِ : قَالَ رَجُلٌ لِأَمْرَأَتِهِ : أَمَا إِنَّكَ مَا عَلِمْتُ لَسْتُ لِسْتُ لِسْتُ
مُنْعَةً ، جَزُوعٌ هَلَعَةٌ ، تَمْشِيَنَّ الدَّفْقَى ^(٥) وَتَقْعِدِينَ الْهَبْنَقَةَ ، فَقَالَتْ : أَمَا وَاللَّهِ

(١) فِي (١) الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا وَحْدَهَا هَذِهِ الْقِصَّةُ « الطَّاعَةُ » ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي رِوَايَةٍ : لَغَى حَبْلُكَ .

(٣) وَرَدَ هَذَا الشَّطْرُ فِي (١) الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا هَذِهِ الْآيَاتُ :

* بِأَنِّي فَرَضْتُكَ دَابَّ النَّبَالِ *

وَهُوَ تَصْحِيفٌ لَامَعْلَةٍ . وَالتَّصْوِيبُ عَنْ شِعْرِ أَعَشَى هَمْدَانَ الطَّبُوعِ فِي أَوْرِبَا ضَمَّنَ شِعْرَ الْأَعَشِينَ .

(٤) فِي (١) الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا وَحْدَهَا هَذِهِ الْآيَاتُ « مَا حَيْتُ لِلْبَيْتِ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

وَالْتَصْحِيفُ عَنْ شِعْرِ أَعَشَى هَمْدَانَ الطَّبُوعِ فِي أَوْرِبَا ضَمَّنَ شِعْرَ الْأَعَشِينَ . وَالنَّيْبُ جَمْعُ نَابٍ ، وَهِيَ الْمَسْنَةُ مِنَ النَّيَاقِ .

(٥) يُقَالُ يَقَعُ الدَّفْقَى كَرَمْكِي إِذَا مَشَى مَسْرَعًا . وَجَلَسَ الْمُبْنَقَةُ ، إِذَا جَلَسَ مَزْهَوًا أَوْ جَلَسَ مُتَرَبِّحًا مَادًّا لِاحِدَى رَجُلَيْهِ فِي تَرْبَعِهِ .

إِنْ كَانَ زَادِي مِنْكَ لَهْدِيَّةً^(١) ، وَإِنْ كَانَتْ حُطَوْتِي مِنْكَ لَحَذِيَّةً^(٢) ، فَإِنَّكَ لِأَبْنِ خَبِيْثَةِ يَهُودِيَّةٍ .

وَقَالَ الْمَدَائِنِيُّ : قَبِضَ كِسْرَى أَرْضًا لِرَجُلٍ مِنَ الدَّهَاقِينَ ، وَأَقْطَعَهَا الْبَحْرَجَانُ^(٣) ، فَقَدِمَ صَاحِبُ الْأَرْضِ مُتَظَلِّلًا ، فَأَقَامَ بِيَابِ كِسْرَى ، فَرَكَبَ كِسْرَى يَوْمًا ، فَقَعَدَ لَهُ الرَّجُلُ عَلَى طَرِيقِهِ يُسَكِّلُهُ ، فَلَمَّا حَازَاهُ شَدَّ عَلَيْهِ حَتَّى صَكَ بَصْدَرِهِ رُكْبَتَهُ ، وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى فَخْذِهِ ؛ فَوَقَفَ لَهُ كِسْرَى وَكَلَّمَهُ ، فَقَالَ لَهُ : أَرْضُكَ كَانَتْ لِأَجْدَادِي وَرِثَتُهَا مِنْ آبَائِي قَبِضْتُهَا فَأَقْطَعْتُهَا الْبَحْرَجَانُ ؟ أُرَدُّدَهَا عَلَيَّ ، فَقَالَ لَهُ كِسْرَى : مُذْ كَمْ هَذِهِ الْأَرْضُ فِي أَيْدِي أَجْدَادِكَ وَأَبَائِكَ ؟ فَذَكَرَ دَهْرًا طَوِيلًا ، فَقَالَ لَهُ كِسْرَى : وَاللَّهِ لَقَدْ أَكَلْتُمُوهَا دَهْرًا طَوِيلًا ، فَمَا عَلَيْكَ فِي أَنْ تَدْعَهَا فِي يَدِ الْبَحْرَجَانِ عَارِيَّةً سُنِّيَّاتٍ يَسْتَمْتِعَ بِهَا نَحْنُ بِرَدِّهَا عَلَيْكَ ، فَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، قَدْ عَلِمْتَ حُسْنَ بِلَاءٍ بِهِزَامِ جُورٍ فِي طَاعَتِكُمْ ، أَهْلَ الْبَيْتِ ، وَمَا كُفَاكُمْ مِنْ حَدِّ عَدُوِّكُمْ ، وَدَفَعَهُ عَنْكُمْ كَيْدَ التَّرْكِ وَحُسْنَ بِلَاءِ آبَائِهِ قَبْلَ ذَلِكَ فِي طَاعَةِ آبَائِكَ ، فَمَا كَانَ عَلَيْكَ لَوْ أَعْرَضْتُهُ مُلْكَكَ سُنِّيَّاتٍ يَسْتَمْتِعَ بِهِ نَحْنُ بِرُدِّهِ إِلَيْكَ ؟ فَقَالَ كِسْرَى : يَا بَحْرَجَانُ ، أَنْتَ رَمَيْتَنِي بِهَذَا السَّهْمِ ، أُرَدُّدُ عَلَيْهِ أَرْضَهُ [فَرَدَّهَا] .

قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَحَاطِنَةِ^(٤) لِرَجُلٍ مِنْ أَبْنَاءِ الْأَعَاجِمِ : مَا يَقُولُ الشَّعْرُ مِنْكُمْ

(١) تريد بهذه العبارة أن ما تناله من طعام لدى زوجها يشبه الهدية في ندرته وازدهائه بإطعامها كما يزعم صاحب الهدية بما أهدى وأن زوجها يرى أن إطعامها غير واجب بل هو من قبيل الهدية . هذا ما يلوح لنا من معنى هذه العبارة لأن لم يكن فيها تحريف .

(٢) في الأصل « تحذية » ولعل الصواب ما أثبتنا . والحذية : من معانيها القصة من الغنمية ، أى أنه كان يعطيها القليل مما يغم . وقد تكون الجدية بالجيم والبدال ومعناها القطعة من الكساء تحت السرج أى الشيء النافه . (٣) يريد بالبحرجان هنا صاحب سفن كسرى ورئيس اللاحين ، وهى كلمة فارسية معناها النوق ، كما فى المعجم الفارسي الإنجليزى لاسنانينجاس . (٤) فى (١) القحاطبة وفى (ب) وردت هذه الكلمة مهملة الحروف من النقط .

إلا من كانت أمُّهُ زَنَى بها رَجُلٌ مِنَّا فَزَنَعَ إِلَيْنَا . فقال له الثَّوَيُّ . وكذلك كلُّ مَنْ [لم] يَقلُ الشَّعْرَ مِنْكُمْ ، فَإِنَّمَا زَنَى بِأَمِّهِ رَجُلٌ مِنَّا فَحَمَلَتْ بِهِ ، فَزَنَعَ إِلَيْنَا ، فَمِنْ ثَمَّ لَمْ يَقُلِ الشَّعْرَ .

وقال رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ لِرَجُلٍ مِنْ أبنَاءِ الْعَجَمِ : رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنِّي دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَلَمْ أَرَفِهَا ثَنَوِيًّا . فقال له الثَّوَيُّ : أَصَعِدْتَ الْعُرْفَ ؟ قال : لا . قال : فَمِنْ ثَمَّ لَمْ تَرَهُمْ ، هُمْ فِي الْعُرْفِ .

قال ابنُ عِيَّاش : ما قَطَعَنِي إِلَّا رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ آلِ أَبِي مُعَيْطٍ ، وكان مَاجِنًا ^(١) شاربَ خَمْرٍ ، وذلك أُنِي وَقَفْتُ عَلَى بَيَانِ التَّبَيُّانِ ^(٢) الَّذِي أَتَى ^(٣) بِهِ ابْنُ هُبَيْرَةَ الْفَزَارِيُّ فَأَمَرَ بِصُلْبِهِ ، فقال لي : ما وَقُوفُكَ هَاهُنَا يَا أَبَا الْجَرَّاحِ ؟ قُلْتُ : أَنْظِرُ إِلَى هَذَا الشَّقِيِّ الَّذِي يَقُولُ : إِنَّهُ نَبِيٌّ ؛ قال : وما أَتَى بِهِ فِي نَبَوِيَّتِهِ ؟ قُلْتُ : بِتَحْلِيلِ الْخَمْرِ وَالزَّنا — وَأَنَا أُعَرِّضُ بِهِ — فقال : لا ، وَاللَّهِ لَا يُقْبَلُ ذَلِكَ مِنْهُ حَتَّى يُبَيِّرَ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ .

قال للدائِي : ابنُ عِيَّاشِ أَبْرَصٌ .

وقال : دَخَلَ أَبُو الْأَسودِ الدَّوْلِيُّ عَلَى عبيدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ ، فقال له ابنُ زِيَادٍ — وَهُوَ يَهْزَأُ بِهِ — [أَمْسَيْتَ يَا أَبَا الْأَسودِ الْعَشِيَّةَ جَمِيلًا فَلَوْ عَلَّقْتَ تَمِيمَةً تَنفِي

(١) فِي (١) الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا وَحْدَهَا هَذِهِ الْقِصَّةُ « مَا حَارِبًا » وَهُوَ تَحْرِيفُ صَوَابِهِ مَا أَثْبَتْنَا كَمَا يَقْتَضِيهِ السِّيَاقُ :

(٢) فِي (١) الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا وَحْدَهَا هَذِهِ الْقِصَّةُ : « ابْنُ بَيَّانٍ » . وَلَمْ نَجِدْهُ فِي رَاجِعِنَاهُ مِنَ الْكُتُبِ ، وَلَعَلَّ الصَّوَابَ مَا أَثْبَتْنَا تَقْلًا عَنِ الْكَامِلِ لِابْنِ الْأَثِيرِ ، وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْفَرْقِ ، وَعَيُونَ الْأَخْبَارِ . وَبَيَّانٌ هَذَا ، هُوَ ابْنُ سَمْعَانَ التَّيْمِيِّ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ قَالَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْقَالَاتِ الزَّائِفَةِ وَكَانَ يَقُولُ إِنَّهُ الْمَعَارِ إِلَى بَقُولِهِ تَعَالَى : « هَذَا بَيَّانٌ لِلنَّاسِ » .

(٣) فِي (١) الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا وَحْدَهَا هَذِهِ الْقِصَّةُ « أَرَى » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَالَّذِي وَجَدْنَاهُ فِي الْكُتُبِ أَنَّ الَّذِي صَلَبَ بَيَّانًا هَذَا هُوَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ لَا ابْنَ هُبَيْرَةَ الْفَزَارِيَّ وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةَ ١١٩ هـ

بها عنك العين ؟ فعرف أنه يهزأ به [فقال : أصلح الله الأمير —

أَفَنِي الشَّبَابَ الَّذِي فَارَقْتُ بِهِجَّتَهُ مَرُّ الْجَدِيدَيْنِ مِنْ آتٍ وَمُنْطَلِقٍ
لَمْ يَتْرُكْ لِي فِي طَوْلِ اخْتِلَافِهِمَا شَيْئًا تُخَافُ عَلَيْهِ لَذَعُهُ^(١) الْحَدَقِ
وَقَالَ الْمَدَائِنِيُّ : وَقَعَ بَيْنَ الْعُرْيَانِ بْنِ الْهَيْثَمِ النَّخَعِيِّ وَبَيْنَ بِلَالِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ
ابْنِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ كَلَامٌ بَيْنَ يَدَيَّ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ^(٢)
وَحَالِدِ يَوْمَئِذٍ عَلَى الْعِرَاقِ — وَكَانَ مَتَحَامِلًا عَلَى بِلَالٍ ، وَكَانَ الْعُرْيَانُ عَلَى شَرْطَةِ
خَالِدٍ — فَقَالَ الْعُرْيَانُ لِبِلَالٍ : إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَنَا بِأَبْيَضِ الرَّاحَتَيْنِ ، وَلَا مُنْشَرِّ
الْمُنْخَرَيْنِ ، وَلَا أَرْوَحِ الْقَدَمَيْنِ ، وَلَا مُحَدِّدِ الْأَسْنَانِ ، وَلَا جَنْدٍ قَطَطٍ ، فَقَالَ
بِلَالٌ : يَا عُرْيَانُ أَتُعِينِنِي^(٣) بِهَذَا ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، وَلَكِنْ كَلَامٌ يَتْلُو بَعْضُهُ
بَعْضًا . فَقَالَ بِلَالٌ : يَا عُرْيَانُ ، أُرِيدُ أَنْ تَشْتُمَ أَبَا بُرْدَةَ وَأَشْتُمَ أَبَاكَ ، وَتَشْتُمَ
أَبَا مُوسَى وَأَشْتُمَ جَدَّكَ ، هَذَا وَاللَّهِ مَا لَا يَكُونُ ، قَالَ الْعُرْيَانُ : إِنِّي وَاللَّهِ
مَا أَجْعَلُ أَبَا مُوسَى فِدَاءَ الْأَسْوَدِ ، وَلَا أَبَا بُرْدَةَ فِدَاءَ الْهَيْثَمِ ، فَتَمَلَّى وَمَثَلَ
فِي ذَلِكَ كَمَا قَالَ مِسْكِينُ الدَّارِمِيِّ^(٤) :

أَنَا مِسْكِينٌ لِمَنْ أَنْكَرَنِي وَلِمَنْ يَعْرِفُنِي جِدُّ نَطَقِ^(٥)
لَا أُبِيعُ النَّاسَ عِرْضِي إِنِّي لَوْ أُبِيعُ النَّاسَ عِرْضِي لَنَفَقُ

(١) في رواية : « لذعة » .

(٢) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « القسري » ؛ وهو تصحيف .

(٣) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « استمن » ؛ وهو تحريف إذ

لا يناسب معناه سياق الكلام .

(٤) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « الدائقي » ؛ وهو تحريف .

(٥) ورد هذا البيت في (١) التي ورد فيها وحدها هذان البيتان :

أيا مسكين لمن تعرفني ولمن تبادر لي حد نطق

وهو تحريف ؛ والتصحيح من الأغاني في ترجمة مسكين الدارمي .

قال المدائني : جرى بين وكيع بن الجراح وبين رجل من أصحابه كلام في معاوية واختلفا ، فقال الرجل لو كيع : ألم ينبئك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعن أبا سفيان ومعاوية وعقبة فقال : « لعن الله الراكب والقائد والسائق » ، فقال وكيع : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أيما عبد دعوت عليه فأجعل ذلك (له أو عليه) رحمة » ؛ فقال الرجل : أفسر لك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن والدك فكان ذلك لها رحمة . فلم يجر إليه جوابا .
تكلّم صغصعة عند معاوية ففرق ، فقال : وبهرك القول يا صغصعة ؟
فقال : إن الجياد نضاعة بالماء .

هكذا قال لنا السيرافي ، وقد قرأت عليه هذه الفقر كلها ، وإنما جمعتها للوزير بعد إحصائها وروايتها .

قال علي بن عبد الله : شهدت الحجاج خارجا من عند عبد الملك بن مروان ، فقال له خالد بن يزيد بن معاوية : إلى متى تقتل أهل العراق يا أبا محمد ؟ فقال : إلى أن يكفوا عن قولهم في أبيك : إنه كان يشرب الخمر .

قال المدائني : أسرّت مزينة حسان بن ثابت — وكان قد هاجم — فقال :
مُزِينَةُ لَا يَرَى فِيهَا خَطِيبُ وَلَا فِدِيجٌ يُطَافُ بِهِ خَضِيبُ
أُنَاسُ تَهْلِكُ الْأَخْصَابُ فِيهِمْ يَرَوْنَ التَّيْسَ يَبْدُلُهُ الْحَبِيبُ
فأتهم الخزرج يفتدونه ؛ فقالوا^(١) : نفاديه بتيس ؛ ففضبوا وقاموا ؛ فقال لهم حسان : يا إخوتي خذوا أخاكم وادفموا إليهم أخاهم .

وقال المدائني : فرق عمر بن الخطاب بين منظور بن أبان وبين امرأته —

(١) فقالوا ، أي أسروه ، وهم بنو مزيعة .

وكان خَلَفَ عليها بعد أبيه — فزَوَّجها طلحة بن عبد الله ، فلقية منظور ، فقال له : كيف وجدت سُورِي ؟ فقال : كما وجدت سُورَ أبيك . فأفحمته .

وقال حاطب بن أبي بِلْتَمَةَ : بسّنى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى المقوقس ملك الإسكندرية ، فأتيته بكتاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأبلغته رسالته ؛ فضحك ثم قال : كتب إلى صاحبك أن أتبعه على دينه ، فما ينعمه — إن كان نبيا — أن يدعو الله أن يسلط على البحر فيغرقني فيكتفي مؤونتي ويأخذ منكى ؟ قلت : فما صنع عيسى إذ أخذته اليهود فربطوه في حبل وحلقوا وسط رأسه ، وجعلوا عليه إكليل شوك ، وحملوا خشبته التي صلبوه عليها على عنقه ، ثم أخرجوه وهو يبكي حتى نصبوه على الخشبة ، ثم طعنوه حيا بحربة حتى مات ؛ هذا على زعمكم ، فما منعه أن يسأل الله فينجيه ويهلكهم فيكفي مؤونتهم ويظهر هو وأصحابه عليهم ؟ وما منع يحيى بن زكريا حين سألت امرأة الملك الملك أن يقتله فقتله ، وبعث برأسه إليها حتى وُضع بين يديها ، أن يسأل الله تعالى أن ينجيها ويهلك الناس ؟ فأقبل على جلسائه وقال : إنه والله لحكيم ، وما يخرج الحكيم إلا من عند الحكماء .

قال المدائني : أبطأ على رجل من أصحاب الجنيد بن عبد الرحمن ما قبله ^(١) — وهو على خراسان — وكان يقال للرجل : زامل بن عمرو من بني أسد بن خزيمه ، فدخل على الجنيد يوما فقال : أصلىح الله الأمير ، قد طال أنتظاري ، فإن رأى الأمير أن يضرب لي موعدا أصير إليه قتل . فقال : موعدك الحشر ؛ فخرج زامل متوجها إلى أهله ؛ ودخل على الجنيد بعد ذلك رجلا من أصحابه فقال : أصلىح الله الأمير .

(١) ما قبله ، أى ما قبل الجنيد من المطاء .

أَرِخْنِي بِخَيْرٍ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ فَاعِلًا وَإِلَّا فَمِعَادٌ كَمِعَادِ زَامِلٍ
 قال : وَمَا قَمَلَ زَامِلٌ ؟ قال : لِحَقِّ بَاهِلِهِ . فَأَبْرَدَ الْجَنَيْنُ فِي أَثَرِهِ بَرِيدًا
 وَبَعَثَ يُنْهَدُهُ إِلَى السَّكُورَةِ ^(١) الَّتِي يُدْرِكُ بِهَا ، [فَأَدْرِكُ] ^(٢) بَنِيْسَابُورَ ، فَزَلَّهَا .
 وَامْتَدَحَ رَجُلٌ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — بِشِعْرِ ، فَأَمَرَ لَهُ بِشَيْءٍ ؛
 فَقِيلَ ^(٣) : أُنْغِطِي عَلَى كَلَامِ الشَّيْطَانِ ؟ فَقَالَ : أُبْغِئِي الْخَيْرَ لَنَفْسِي الشَّرِّ .
 قَالَ اللَّدَائِنِيُّ : أَنَى الْعَبْدَانِيُّ حَمَادَ بْنَ أَبِي حَنِيفَةَ وَقَدْ مَلَأَ عَيْنَهُ كُحْلًا
 قَدْ ظَهَرَ مِنْ مَحَاجِرِ عَيْنِهِ ، وَعِنْدَ حَمَادٍ جَمَاعَةٌ . فَقَالَ لَهُ حَمَادُ : كَأَنَّكَ أَمْرَأَةٌ
 نَفْسَاءُ . قَالَ : لَا ، وَلَكِنِّي تُكَلِّئِي . قَالَ : عَلَى مَنْ ؟ قَالَ : عَلَى أَبِي حَنِيفَةَ .
 وَقَالَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ لِيَخْبِي ^(٤) : إِنْ ابْنَتِكَ تَشْكُو تَزْوِجِي بِكَ وَتَزْعُمُ
 أَنَّهُ ^(٥) يَبُولُ فِي دِثَارِهِ ^(٦) . قَالَ : فَهُوَ يَبُولُ مِنْهَا فِيمَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ دِثَارِهِ ^(٧) .
 وَقَالَ مُعَاوِيَةُ : هَذَا عَقِيلٌ عَمَّهُ أَبُو لَهَبٍ . فَقَالَ عَقِيلٌ : هَذَا مُعَاوِيَةُ عَمَّتِي
 حَمَّالَةُ الْحَطَبِ .

قال : وَدَخَلَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ فَقَارَبَ فِي خَطْوِهِ ، فَقَالَ
 أَبُو جَعْفَرٍ : كَبُرَتْ سِنَّكَ يَا مَعْنُ . قَالَ : فِي طَاعَتِكَ . قَالَ : وَإِنَّكَ لَجَلْدٌ .
 قَالَ : عَلَى أَعْدَائِكَ . قَالَ : إِنَّ فِيكَ لَبَقِيَّةً . قَالَ : هِيَ لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

(١) بعث يمهده إلى السكورة ، أي بعث إلى السكورة التي يدرك بها يؤمنه . يقال
 أعهده إذا آمنه وكفله . (٢) لم ترد هذه الكلمة في (١) التي وردت فيها وحدها
 دون (ب) هذه القصة ؛ وسيان الكلام يقتضي إثباتها .
 (٣) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « فقال » ؛ وهو خطأ ؛ أو لعل
 اسم القائل قد سقط من الناسخ كما يظهر لنا .
 (٤) يريد يحيى بن الحكم أخا مروان . (٥) أنه أي زوجها .
 (٦) في (١) التي وردت فيها وحدها دون (ب) هذه القصة « داره » ؛ في كلا الموضوعين
 وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

قال المنصور لسُفْيَان بنِ مُعَاوِيَةَ المَهَلَّبِيِّ ، مَا أَسْرَعَ النَّاسَ إِلَى قَوْمِكَ ؟
قال سُفْيَان :

إِنَّ الْعَرَانِينَ^(١) تَلْقَاهَا مُحَسَّدَةٌ وَلَنْ تَرَى لِلنَّاسِ النَّاسِ حُسَادًا
فقال : صدقت .

قال المدائني : حضرَ قومٌ مِنْ قُرَيْشٍ مجلسَ معاويةَ وفيهم عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ
وعبدُ اللَّهِ بْنُ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ الْجَمَحِيِّ وعبدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ ؛
فقال عمرو : احمَدوا اللَّهَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِذْ جَعَلَ وَالِيَّ أُمُورِكُمْ مِنْ يُفْضِي^(٢) عَلَى
الْقَذَى ، وَيَتَصَامُ عَنِ الْعَوْرَاءِ ، وَيَجْرُ ذَيْلَهُ عَلَى الْخِلْدَانِ . قال عبدُ اللَّهِ بْنُ
صَفْوَانَ : لَوْ لَمْ يَكُنْ هَذَا لَمَشَيْنَا إِلَيْهِ الضَّرَاءَ ، وَدَبَبْنَا^(٣) لَهُ الْخَمَرَ ، وَقَلَبْنَا لَهُ ظَهَرَ
الْمَجَنِّ ، وَرَجَوْنَا أَنْ يَقُومَ بِأَمْرِنَا مَنْ لَا يُطْعِمُكَ مَالٌ مِصْرَ .

وقال معاوية : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، حَتَّى مَتَى لَا تُنْصِفُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ؟
فقال عبدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَارِثِ : إِنْ عَمْرًا وَذَوِي عَمْرٍ وَأَفْسَدُوكَ عَلَيْنَا
وَأَفْسَدُونَا عَلَيْكَ ، مَا كَانَ لَوْ أَغْضَبْتَ عَلَى هَذِهِ ؟ فقال : إِنْ عَمْرًا لِي نَاصِحٌ ،
قال أَطْعَمْنَا مَمًّا^(٤) أَطْعَمْتَهُ ، ثُمَّ خَذْنَا بِمَثَلِ نَصِيحَتِهِ ، إِنَّكَ يَا مُعَاوِيَةَ تُضَرِّبُ
عَوَامَّ قُرَيْشٍ بِأَيَادِيكَ فِي خَوَاصِّهَا كَأَنَّكَ تَرَى أَنَّ كِرَامَهَا جَارُوكَ^(٥) دُونَ لثَامِهَا ،

(١) عرانيين القوم : عليتهم ، تشبيها بعرانيين الأنوف .

(٢) في نسخة : « يقضى على الهدى » .

(٣) في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام دون (ب) « ووهنا له الحمى » مكان
« ودبنا له الجر » ؛ وهو تحريف من الناسخ صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق ، يقال : مضى
إلى خصمه الضراء ودب إليه الجر بفتح الحاء والميم إذا مضى إليه مستخفيا ليخنته . والضراء :
الفجر الملتف ؛ والجر : ما وارك من جرف ونحوه .

(٤) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « منذ » ؛ وهو تحريف .

(٥) كذا في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة . وجاروك ، أى جروا موك فيها
تريد . وفي بعض الكتب حاربوك . يريد أنه يعطى كرامهم خوفا منهم واتقاء لحرهم .

وَأَيُّمُ اللَّهِ : إِنَّكَ لَتَفْرَغُ^(١) مِنْ إِنْهَاءِ قَعْمٍ فِي إِنْهَاءِ ضَنْحٍ ، وَلَكَأَنَّكَ بِالْحَرْبِ قَدْ حُلَّ عِقَالُهَا نِمَّ لَا تُنْظِرُكَ . فقال معاوية : يَا بَنَ أَخِي^(٢) مَا أَحْوَجَ أَهْلَكَ إِلَيْكَ . ثُمَّ أَنْشَدَ مُعَاوِيَةَ :

أَغْرَى رَجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ تَشَابَعُوا عَلَى سَفَهٍ ، مِمَّا الْحَيَا وَالْقَكْرُومُ ؟
وقال للدائني : كَانَ عَمْرُؤُ بْنُ الزُّبَيْرِ عِنْدَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ يَحْدُثُهُ —
وعنده الحجاج بن يوسف — فَقَالَ لَهُ عَمْرُؤُ فِي بَعْضِ حَدِيثِهِ : قَالَ أَبُو بَكْرٍ —
يَعْنِي عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ — فَقَالَ الْحَجَّاجُ : أَعِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ تَكْنِي ذَلِكَ الْفَاسِقَ ؟
لَا أَمَّ لَكَ . فَقَالَ عَمْرُؤُ : أَلَيْ تَقُولُ هَذَا لَا أَمَّ لَكَ وَأَنَا ابْنُ عَجَازِ الْجَنَّةِ خَدِيمَةِ
وَصَفِيَّةِ وَأَسْمَاءَ وَعَائِشَةَ ، بَلْ لَا أَمَّ لَكَ أَنْتَ يَا بَنَ الْمُسْتَفْرِمَةِ^(٣) بِعَجَمِ زَيْبِ الطَّائِفِ .
وقال : لَمَّا صَنَعَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بَغْيَانًا الْوَاعِظِ مَا صَنَعَ ، قَالَ لَهُ
رَجُلٌ : مَا ظَلَمَكَ اللَّهُ وَلَا سَلَّطَ عَلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا وَأَنْتَ مُسْتَحِقٌّ ؛ فَقَالَ
غَيْلَانُ : قَاتَلَكَ اللَّهُ ، إِنَّكَ جَاهِلٌ بِأَصْحَابِ الْأَخْدُودِ .

قال عمرو بن العاص : أَعْجَبْتَنِي كَلِمَةً مِنْ أُمَةٍ ؛ قُلْتُ لَهَا وَمَعَهَا طَبَقٌ :
مَا عَلَيْهِ يَا جَارِيَّةُ ؟ قَالَتْ : فَلِمَ غَطَّيْنَاهُ إِذَا ؟
وَقَعَ ابْنُ الزُّبَيْرِ فِي مُعَاوِيَةَ ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ فَأَخْبَرَهُ مُعَاوِيَةَ بِبَعْضِهِ ، فَقَالَ :
أَنْتِ عَلِمْتَ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ ظَنَّ الْحَكِيمِ كَهَانَةٌ .

(١) في (١) التي وردت فيها هذه القصة وحدها : « لتفرغ » ، ولم تنبئ له معنى . والصواب ما أثبتنا كما في المقد الفريد .

(٢) في الأصل : « يا براح » مكان « يا بن أخى » ، ولم نفهم له معنى . والصواب ما أثبتنا كما في المقد الفريد . وبعد قوله « ما أحوج أهلك إليك » قوله « فلا تفجهم بنفسك » .

(٣) المستفرمة بعجم زيب الطائف : عبارة كان عبد الملك بن مروان قد شتم بها الحجاج في بعض كتبه إليه . وعجم الزيب : نواه . ويريد أن أمه كانت تستفرم به أى تضعه في فرجها الميضيق .

وقيل لعمر بن عبد العزيز : ما تقول في علي وعثمان وفي حرب الجمل وصيفين ؟ قال : تلك دماء كف الله يدي عنها ، فانا أكره أن أغس لسانى فيها .

وقال : طلق أبو الخنذف امرأته أم الخنذف ، فقالت له : يا أبا الخنذف طلقتنى بعد خمسين سنة ، فقال : مالك ^(١) عندي ذنب غيره .

وقال : لقي جرير الأخطل فقال : يا مالك ، ما فعلت خنازيرك ؟ قال : كثيرة في مرج أفيح ، فإن شئت قريناك منها ، ثم قال الأخطل : يا أبا حزره ما فعلت أهنارك ؟ قال كثيرة في واد أزوح ، فإن شئت أنزيناك ^(٢) على بغضها . وقال الشعبي : ذكر عمرو بن العاص عليا فقال : فيه دُعابة ، فبلغ ذلك عليا فقال : زعم أن النابغة أنى تلعباة تمرأحة ذو دُعابة أعافس وأمارس ؛ هينات ، يمنع من العفاس والمراس ذكر الموت وخوف البعث والحساب ومن كان له قلب في هذا عن هذا له واعظ وزاجر ، أما وشر القول الكذب — إنه كيعد فيخلف ، ويحدث فيكذب ، فإذا كان يوم البأس فإنه زاجر وأمر ما لم تأخذ السيوف بهام الرجال ، فإذا كان ذاك فأعظم مكيدته في نفسه أن يمنح القوم أسنجه .

قال المدائني : بمث المفضل [الضبي] إلى رجل بأضحية ، ثم لقيه فقال : كيف كانت أضحييتك ؟ فقال : قليلة الدم . وأراد قول الشاعر :
ولو ذبح الضبي بالسيف لم تجد من اللوم للضبي لحا ولا دما

(١) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة : « تباك » .

(٢) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة : « أمريناك » بالغاف والراء ؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

وقال المدائني : مرَّ عَقِيلُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَى أَخِيهِ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَعَهُ تَبَسُّ، فَقَالَ لَهُ عَلَى : إِنَّ أَحَدَ ثَلَاثِنَا أَحَقُّ . فَقَالَ عَقِيلُ : أَنَا أَنَا وَتَبَسَى فَلَا .

وَكَلَّمَ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ قَيْسٍ حُرَّانَ يَوْمًا فِي الْمَسْجِدِ . فَقَالَ لَهُ حُرَّانُ : لَا أَكْثَرُ اللَّهُ فِينَا مِثْلَكَ . فَقَالَ عَامِرُ : لَكِنْ : أَكْثَرُ اللَّهُ فِينَا مِثْلَكَ ، فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ : يَا عَامِرُ ، يَقُولُ لَكَ حُرَّانُ مَا لَا تَقُولُ مِثْلَهُ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ يَكْسَحُونُ طُرُقَنَا ، وَيَحْوُكُونُ ^(١) ثِيَابَنَا ، وَيَحْرِزُونَ خِفَافَنَا . فَقِيلَ لَهُ : مَا كُنَّا نَرَى أَنَّكَ تَعْرِفُ مِثْلَ هَذَا ، قَالَ : مَا أَكْثَرَ مَا نَعْرِفُ مِمَّا لَا تَعْرِفُونَ بِنَا .

وقال : مرَّ جَرِيرُ بْنُ عَطِيَّةٍ عَلَى الْأَحْوَصِ وَهُوَ عَلَى بَنَلٍ ، فَأَذَلَّى الْبَنَلُ فَقَالَ الْأَحْوَصُ : بَنَلُكَ يَا أَبَا حَزْرَةَ عَلَى خَمْسِ قَوَائِمٍ . قَالَ جَرِيرُ : وَالْخَامِسَةُ أَحَبُّ إِلَيْكَ .

وَمَرَّ جَرِيرٌ بِالْأَحْوَصِ ^(٢) وَهُوَ يَفْسُقُ بِامْرَأَةٍ وَيُنْشِدُ :

يَقِرُّ بِمَعْنَى مَا يَقِرُّ بِعَيْنِهِ — وَأَحْسَنُ شَيْءٍ مَا بِهِ الْعَيْنُ قَرَّتِ
فَقَالَ لَهُ جَرِيرُ : فَإِنَّهُ يَقِرُّ بِعَيْنِهَا أَنْ تَقْعُدَ عَلَى مِثْلِ ذِرَاعِ الْبَكْرِ ، أَفَتَرَكَ تَفْعَلُ ذَلِكَ ؟

فَقَالَ الْوَزِيرُ : مَنْ رَأَيْتَ مِنَ الْكِبَارِ ^(٣) كَانَ يَحْفَظُ هَذَا الْفَنَّ وَلَهُ فِيهِ غَزَاوَةٌ وَأَنْبَعَاثٌ وَجَسَارَةٌ عَلَى الْإِيرَادِ . قُلْتُ : أَبْنُ عِبَادٍ عَلَى هَذَا ، وَيَبْلُغُ مِنْ قُوَّتِهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ ^(٤) أَشْيَاءَ شَبِيهَةً بِهَذَا الضَّرْبِ عَلَى مَنْ حَضَرَ ، فَقَالَ : الْكَذِبُ لَا خَيْرَ

(١) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة : « ويمولون » ؛ ولا يخفى ما فيها من تحريف ظاهر .

(٢) عبارة (ب) « ومر جرير بالأحوص وهو ينشد » ثم ذكر البيت .

(٣) في (ب) « الكتاب » . (٤) في (١) « ينقل » ؛ وهو تحريف .

فيه ، ولا حلاوة لراويه ، ولا قبول عند سامعيه .

وقال: أرسل بلال بن أبي بردة إلى أبي علقمة فأتاه ، فقال : أتدرى لأى شيء أرسلت إليك ؟ قال : نعم ، لتصنع بى خيراً . قال : أخطأت ولكن لأسى بك . فقال : أما إذ قلت ذاك لقد حكّم المسلمون حَكَمِينَ ، فسخر أحدهما بالآخر . فقال الوزير : أيقال سخر به فكان الجواب أن أبا زيد حكاه ، وصاحب التصنيف قد رواه ؛ وسخر منه أيضاً كلام ، وإنما يقال هو أفصح ، لأنه فى كتاب الله عز وجل ، وإلا فكلاهما جائز .

وقال حمزة بن بيش الحنفى للفرزدق : يا أبا فراس ، أئما أحب إليك أن تسبق الخير أم يسبقك ؟ قال : ما أريد أن أسبقه ولا أن يسبقنى ، بل نكون معاً . ولكن حدثنى أئما أحب إليك : أن تدخل منزلك فتجد رجلاً على حرامك ، أو تجدها قابضة على قدم الرجل . فافحمة .

فلما قرأت الجزء فى ضروب الجواب المفهم . قال : ما أفتح^(١) هذا النوع من الكلام لأبواب^(٢) البدية وأبعثه لرواقد الذهن وما يتفاضل الناس عندي بشيء [أحسن]^(٣) من هذه الكلمات الفوائى الروائق ، ما أحسن ما جمعت وأتيت به .

الليلة الأربعون

وقال مرة أخرى : حدثنى عن اعتقادك فى أبى تمام والبخترى ، فكان (١)

(١) كذا فى (ب) . والذى فى (١) « ما أصح » ؛ وهو تحريف .

(٢) فى (ب) : « لأنواع » ؛ وهو خطأ من الناسخ .

(٣) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها لم ترد فى كلتا النسخين ، والسياق يقتضيها ،

لذا لا تم العبارة بدونها .

الجواب : إن هذا الباب مُخْتَلَفٌ فيه ، ولا سبيل إلى رَفْعِهِ ، وقد سَبَقَ هذا من الناس في الْفَرَزْدَقِ وَجَرِيرٍ وَمِنْ قَبْلِهِمَا فِي زُهَيْرٍ وَالنَّابِغَةِ حَتَّى تَكَلَّمَ عَلَى ذَلِكَ الصَّدْرُ الْأَوَّلُ ، مع علوِّ مَرَاتِبِهِمْ فِي الدِّينِ وَالْعَقْلِ وَالْبَيَانِ ، لَكِنْ حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْقَرَوِضِيُّ عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدِ قَالَ : سَأَلَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سُلَيْمَانَ عَنْ أَبِي تَمَامٍ وَالْبُحْتَرِيِّ ؛ فَقُلْتُ : أَبُو تَمَامٍ يَغْلُو عُلُوًّا رَفِيعًا ، وَيَسْقُطُ سُقُوطًا قَبِيحًا ، وَالْبُحْتَرِيُّ أَحْسَنُ الرِّجَالِ نَمَطًا ، وَأَعَذِبُ لَفْظًا ؛ فَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ :

قد كَانَ ذَلِكَ ظَنِّي فَمَادَ ظَنِّي يَقِينًا
فَقُلْتُ : وَهَذَا أَيْضًا شِعْرٌ . فَقَالَ : مَا عَلِمْتُ .

فَقَالَ : هَذِهِ حِكَايَةٌ مَفِيدَةٌ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ الْمُتَقَدِّمِ ، وَحُكْمٌ يُلَوِّحُ مِنَةِ الْإِنصَافِ ، وَقَدْ أَغْنَى هَذَا الْقَوْلُ عَنْ خَوْضٍ كَثِيرٍ .

وَدَعَ ذَا ؛ مِنْ أَيْنَ دَخَلَتِ الْآفَةُ عَلَى أَصْحَابِ الْمَذَاهِبِ حَتَّى أَفْتَرَقُوا هَذَا الْأَفْتِرَاقَ ، وَتَبَايَنُوا هَذَا التَّبَايُنَ ، وَخَرَجُوا إِلَى التَّكْفِيرِ وَالتَّفْسِيرِ وَإِبَاحَةِ الدِّمِ وَالْمَالِ وَرَدِّ الشَّهَادَةِ وَإِطْلَاقِ اللِّسَانِ بِالْجُرْحِ وَبِالتَّقْذَعِ وَالتَّهَاجُرِ وَالتَّقَاطُعِ !

فَكَانَ الْجَوَابُ : إِنَّ الْمَذَاهِبَ فُرُوعُ الْأَدْيَانِ ، وَالْأَدْيَانُ أَصُولُ الْمَذَاهِبِ ، فَإِذَا سَأَلَ^(١) الْأَخْتِلَافُ فِي الْأَدْيَانِ — وَهِيَ الْأَصُولُ — فَلَيْمَ لَا يَسُوعُ فِي الْمَذَاهِبِ وَهِيَ الْفُرُوعُ .

فَقَالَ : وَلَا سَوَاءَ^(٢) ، الْأَدْيَانُ اخْتَلَفَتْ بِالْأَنْبِيَاءِ ، وَهِيَ أَرْبَابُ الصِّدْقِ وَالْوَحْيِ الْمَوْثُوقِ بِهِ ، وَالْآيَاتِ الدَّالَّةُ عَلَى الصِّدْقِ ؛ وَابْسَ كَذَلِكَ الْمَذَاهِبُ .

فَقِيلَ : هَذَا صَحِيحٌ ، وَلَا دَافِعَ^(٣) لَهُ ، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَتْ لِلْمَذَاهِبِ نَتَائِجُ

(١) فِي (ب) « شَاع » ؛ وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ أَيْضًا .

(٢) فِي (١) وَلَا سِيَا ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ إِذْ لَا يَسْتَقِيمُ بِهِ سِيَاقُ الْكَلَامِ .

(٣) فِي (١) « وَلَا رَاجِع » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

الآراء ، والآراء ثمراتِ العقول ، والعقول منافعُ الله للعباد ، وهذه النتائجُ مُتخِلِفَةٌ بالصِّفاء والكَدْر ، وبالسَّكَم والنَّقْص ، وبالقِلَّة والكثرة ، وبالخفاء والوضوح ؛ وَجَبَ أَنْ يَجْرِيَ الْأَمْرُ فِيهَا عَلَى مَنَاجِجِ الْأُذْيَانِ فِي الْأَخْتِلَافِ وَالْأَفْتِرَاقِ وَإِنْ كَانَتْ تِلْكَ مَنُوطَةً بِالنَّبُوءَةِ ؛ وَبَعْدَ ، فَمَا دَامَ النَّاسُ عَلَى فِطَرٍ كَثِيرَةٍ ، وَعَادَاتٍ حَسَنَةٍ وَقَبِيحَةٍ ، وَمَنَاشِئٍ مَحْمُودَةٍ وَمَذْمُومَةٍ ، وَمُلَاحَظَاتٍ قَرِيبَةٍ وَبَعِيدَةٍ ، فَلَا بَدَّ مِنَ الْأَخْتِلَافِ فِي كُلِّ مَا يُخْتَارُ وَيُجْتَنَبُ ، وَلَا يَجُوزُ فِي الْحِكْمَةِ أَنْ يَقَعَ الْأُتْفَاقُ فِيمَا جَرَى تَجَرُّى الْمَذَاهِبِ وَالْأُذْيَانِ ؛ أَلَا تَرَى أَنَّ الْأُتْفَاقَ لَمْ يَحْضُرْ فِي تَفْضِيلِ أُمَّةٍ عَلَى أُتَمَةٍ ، وَلَا فِي تَفْضِيلِ بَلَدٍ عَلَى بَلَدٍ ، وَلَا فِي تَقْدِيمِ رَجُلٍ عَلَى رَجُلٍ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي هَذَا الْأَمْرِ إِلَّا التَّعَصُّبُ وَاللَّجَاجُ وَالْهَوَى وَالْحَكُّ وَالذَّهَابُ مَعَ السَّابِقِ إِلَى النَّفْسِ ، وَالْمُؤَافِقُ [لِلزَّجَاجِ] ، وَالْخَفِيفُ عَلَى الطَّيِّاعِ ، وَالْمَالِكُ لِلْقَلْبِ ، لَكَانَ كَافِيًا بِالْفَاءِ بِالْإِنْسَانِ كُلِّ مَبْلَغٍ .

وَشِخْنَا أَبُو سُلَيْمَانَ يَقُولُ كَثِيرًا : إِنَّ الدِّينَ مَوْضُوعٌ عَلَى الْقَبُولِ وَالتَّسْلِيمِ ، وَالْمُبَالَاةِ فِي التَّنْظِيمِ ^(١) ، وَلَيْسَ فِيهِ « لِمَ » وَ « لَا » وَ « كَيْفَ » إِلَّا بِقَدْرِ مَا يَوْكُدُ أَصْلَهُ وَيَشْدُدُّ أَرْزَهُ ، وَيَنْفِي عَارِضَ الشَّوْءِ عَنْهُ ، لِأَنَّ مَا زَادَ عَلَى هَذَا يُوهِنُ [الْأَصْلَ] بِالشَّكِّ ، وَيَقْدَحُ فِي الْفَرَعِ بِالتَّهْمَةِ .

قَالَ : وَهَذَا لَا يَخْصُ دِينَ دُونِ دِينٍ ، وَلَا مَقَالَةً دُونِ مَقَالَةٍ ، وَلَا نِخْلَةً دُونِ نِخْلَةٍ ، بَلْ هُوَ سَارٍ فِي كُلِّ شَيْءٍ فِي كُلِّ حَالٍ فِي كُلِّ زَمَانٍ ، وَكُلِّ مَنْ حَاوَلَ رَفَعَ هَذَا فَقَدْ حَاوَلَ رَفَعَ الْفِطْرَةَ وَنَفَى الطَّيِّاعَ وَقَلَبَ الْأَصْلَ ، وَعَكَسَ الْأَمْرَ ؛ وَهَذَا غَيْرُ مُسْتَطَاعٍ وَلَا مُمَكِّنٍ ؛ وَقَدْ قِيلَ : « إِذَا لَمْ يَكُنْ مَا تُرِيدُ فَأَرِدْ مَا يَكُونُ » .

(١) فِي كِتَابِ النَّسَخَاتِ « وَالتَّنْظِيمِ » بِالْوَاوِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفُ صَوَابِهِ مَا أَثْبَتْنَا كَمَا يَنْتَضِيهِ السِّيَاقُ .

وقال لنا القاضي أبو حامد المروزي : أنا منذ أربعين سنة أجتهد مع أصحابنا البصريين في أن أصحح عندهم أن بغداد أطيب من البصرة ، وأنا اليوم في كلامي معهم كما كنت في أول كلامي لهم ، وكذلك حالهم معي ، فهذا هذا . أنظر إلى فضل ومرعوش — وهما من سقط الناس وسفلهم — كيف لهج الناس بهما وبالتمصّب لهما حتى صار جميع من ببغداد إما مرعوشياً وإما فضلياً .

ولقد أجاز ابن معروف وهو على قضاء القضاة بباب الطاق فتعلّق بعض هؤلاء الجان بلجام بقلته ، وقال : أيها القاضي ، عرفنا ، أنت مرعوشى أم فضلى ، فتعير وعرف ما تحت هذه الكلمة من السفه والفتنة ، وأن التخلّص بالجواب الرفيق أجدى عليه من المنف وألحق وإظهار السطوة ؛ فالتفت إلى الحرّائى — وكان معه وهو من الشهود — فقال : يا أبا القاسم ، نحن في محلة من ؟ قال : في محلة مرعوش ؛ فقال ابن معروف : كذلك نحن — عافاك الله — من أصحاب محلّتنا لا نخار على اختيارهم ؛ ولا نتميز فيهم . فقال العيّار : امش أيها القاضي في ستر الله ؛ مثلك من تمصّب للجيران .

فقال الوزير — أحسن الله توفيقه — هذا كله تعصّب وهوى وتمأحك^(١) وتكلف . قيل : هذا وإن كان هكذا فهو داخل فيما عداه من حديث الدين والمذهب والصناعة والبلد .

قال أبو سليمان : واصلحة عامة نهي عن المراء والجدل [في الدين] على عادة المتكلمين ، الذين يزعمون أنهم ينصرون الدين^(٢) ، وهم في غاية العداوة

(١) في (١) « وتماك » ؛ وهو تحريف .

(٢) في (ب) « الجدل » مكان « الدين » ؛ وهو خطأ من الناسخ .

للإسلام والمسلمين ، وأبعدُ الناس من الطمأنينة واليقين .

ثم حدث فقال :

اجتمعَ رَجُلَانِ : أحدهما يقول بقولِ هشام ، والآخرُ يَقُولُ بِقَوْلِ الجَوَالِيقِيِّ ؛ فقال صاحبُ الجَوَالِيقِيِّ لصاحبِ هشام : صِفْ لِي رَبَّكَ الَّذِي تَعْبُدُهُ ، فوصَّفه بأنَّه لا يدَّ له ولا جارحة ولا آله ولا إسان ، فقال الجوالِيقِيُّ : أيسرُّكَ أن يكونَ لكَ وَلَدٌ بهذا الوصف ! قال : لا ، قال : أما تستحي أن تصفَ رَبَّكَ بصفةٍ لا ترضاها لولدك ! فقال صاحبُ هشام : إنَّكَ قد سمعتَ ما نقول ، صِفْ لِي أَنْتَ رَبَّكَ ؛ فقال : إِنَّهُ جَمَدٌ قَطَطٌ فِي أتمَّ القامات وأحسن الصُّور والقوام . فقال صاحبُ هشام ^(١) : أيسرُّكَ أن تكونَ لكَ جاريةٌ بهذه الصِّمَّة تطوُّها ؟ ! قال : نعم ، قال : أما تستحي من عبادة من تُحِبُّ مُبَاضَعَةً مِثْلَهُ ! ! وذلك لأنَّ مَنْ أَحَبَّ مُبَاضَعَتَهُ فقد أوقعَ الشهوةَ عليه .

فقال : هذا من شؤم الكلام ونكد الجدَل ، فلو كان هُناكَ دِينٌ لكان لا يدورُ هذا في وهمٍ ^(٢) ولا ينطقُ به لِسَانٌ .

وَحَكِي أَيْضاً قال : ابْنُ غِلَافٍ غلامٌ أعجميٌّ بوجعٍ شديد ، فجعل يثأؤُهُ ويتلَوَّى وَيَصِيحُ . فقال له أبوه : يا بُنَيَّ أصبرْ وأحذرِ اللهَ تعالى . فقال : ولماذا أحمده ! قال لأنه أبتلاكَ بهذا ؛ فأشدَّ وجعُ الغلامِ ورفَعَ صَوْتُهُ بالثأؤِ أَشدَّ ممَّا كان ، فقال له أبوه : ولم أَشدَّ جَزَعُكَ ! فقال : كنتُ أَظُنُّ أَنَّ غَيْرَ اللهِ أَبْتَلَانِي بهذا فكنتُ أَرْجُوهُ أن يُعَافِيَنِي من هذا البلاءِ وَيَصْرِفَهُ عَنِّي ، فأما إِذْ كَانَ هُوَ

(١) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه العبارة « الجوالِيقِي » مكان « هشام » ، وهو خطأ من الناسخ ؛ والسياق يقتضي ما أثبتنا . وعبرة (ب) « فقال له » ثم ذكر كلامه .
(٢) في (ب) « في خاطر » ، والمعنى يستقيم عليه أيضا .

الَّذِي أُبْتَلَانِي بِهِ فَنِ ارْجُو أَنْ يُعَافِيَنِي ! فَالآنَ أَشْتَدُّ جَزَعِي ، وَعَظُمَتْ مُصِيبَتِي . قَالَ : وَلَوْ عَلِمَ أَنَّ الَّذِي أُبْتَلَاهُ هُوَ الَّذِي اسْتَصْلَحَهُ بِالْبَلَاءِ لَيَكُونُ إِذَا وَهَبَ لَهُ الْعَافِيَةَ شَاوِرًا لَهُ عَلَيْهَا بِحَسْبِ صَحِيحٍ وَعِلْمٍ تَامٍ لَكَانَ لَا يَرَى مَا قَالَهُ وَتَوَهَّمَهُ لِأَزِمَاتِهِ .

وَحَكَى أَيْضًا أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْعَجَمِ حَجَّ وَتَعَلَّقَ بِاسْتِثَارِ الْكَفَنَةِ فَطَفِقَ يَدْعُو وَيَقُولُ : يَا مَنْ خَلَقَ السَّبَاعَ الضَّارِيَةَ ، وَالْهَوَامَّ الْعَادِيَةَ ، وَسَلَّطَهَا عَلَى النَّاسِ ، وَضَرَبَهُمْ بِالزَّوْمَانَةِ وَالْعَمَى وَالْفَقْرِ وَالْحَاجَةِ ؛ فَوَتَّبَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ وَسَبَّوْهُ وَزَجَرُوهُ وَقَالُوا : أَدْعُ اللَّهَ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى . فَأَظْهَرَ لَهُمُ النَّدَامَةَ ، وَالتَّعَارُفَ ^(١) فَخَلَوْا عَنْهُ بَعْدَ مَا أَرَادُوا الْوَقِيعَةَ بِهِ ، فَارْجَعَ وَتَعَلَّقَ بِاسْتِثَارِ الْكَفَنَةِ ، وَجَعَلَ يُنَادِي : يَا مَنْ لَمْ يَخْلُقِ السَّبَاعَ الضَّارِيَةَ ، وَلَا الْهَوَامَّ ، وَلَا سَلَّطَهَا عَلَى النَّاسِ ، وَلَمْ يَضْرِبِ النَّاسَ بِالْأَوْجَاعِ وَالْأَسْقَامِ . فَوَثَبُوا [عَلَيْهِ] أَيْضًا وَقَالُوا لَهُ : لَا تَقُلْ هَذَا فَإِنَّ اللَّهَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ؛ فَقَالَ : مَا أَذْرِي كَيْفَ أَعْمَلُ ؟ إِنْ قُلْتُ : إِنَّ اللَّهَ خَالِقُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَتَنَبَّأْتُ عَلَى ؛ وَإِنْ قُلْتُ : [إِنَّ اللَّهَ] لَمْ يَخْلُقْهَا وَتَنَبَّأْتُ عَلَى . فَقَالُوا : هَذَا يَنْبَغِي أَنْ تَعْلَمَهُ بِقَلْبِكَ وَلَا تَدْعُ اللَّهَ بِهِ .

قَالَ أَبُو سَلَمَانَ : وَهَذَا أَيْضًا مِنْ شُومِ الْكَلَامِ وَشُبُهَةِ الْمُتَكَلِّمِينَ الَّذِينَ يَقُولُونَ : لَا يَجُوزُ ^(٢) أَنْ يُعْتَقَدَ شَيْءٌ بِالتَّقْلِيدِ ، وَلَا بُدَّ مِنْ دَلِيلٍ ، ثُمَّ يَدُلُّونَ وَيَحْتَلِفُونَ ، ثُمَّ يَرْجِعُونَ إِلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ الْأَدِلَّةَ مُتَكَافِئَةٌ .

وَكَانَ ابْنُ الْبَقَالِ يَجْهَرُ بِهَذَا الْقَوْلِ ، فَقُلْتُ لَهُ مَرَّةً : لِمَ مِلْتَ إِلَى هَذَا التَّذَنُّبِ ؟ فَقَالَ : لِأَنِّي وَجَدْتُ الْأَدِلَّةَ مُتَدَافِقَةً فِي أَنْفُسِهَا ، وَرَأَيْتُ أَصْحَابَهَا

(١) عبارة (١) « وفارق جلوا عنه » ؛ وهو تحريف . والتعارف : التقارب والمداينة .

(٢) كذا في (١) والذي في (ب) « لا يجب » . ولعلها محرفة عن « لا يجب » .

بالبناء للجهول .

يُرْخَرُ فُونَهَا وَيُمَوِّهُونَهَا لِيُتَقَبَلَ مِنْهُمْ ، وَكَانُوا كَأَصْحَابِ الزُّيُوفِ الَّذِينَ يَغْشَوْنَ
 النَّفَقَةَ لِيَنْفَقَ عِنْدَهُمْ ، وَتَدُورُ الْمُعَالَطَةُ ^(١) بَيْنَهُمْ . فَقُلْتُ لَهُ : أَمَا تَعْرِفُ بَأْنَ الْحَقِّ
 حَقَّ وَالْبَاطِلِ بَاطِلًا ؟ قَالَ : بَلَى ، وَلَكِنْ لَا يَتَبَيَّنُ ^(٢) أَحَدُهُمَا مِنَ الْآخَرِ . قُلْتُ :
 أَفَلَا تَهْ لَا يَتَبَيَّنُ لَكَ الْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ تَعْتَقِدُ أَنَّ الْحَقَّ بَاطِلٌ وَأَنَّ الْبَاطِلَ حَقٌّ ؟
 قَالَ : لَا أَجِبُهُ إِلَى حَقِّ أَغْرِفُهُ بِمَعْنِيهِ فَأَعْتَقِدُ أَنَّهُ بَاطِلٌ ، وَلَا أَجِبُهُ أَيْضًا إِلَى
 بَاطِلِ أَغْرِفُهُ بِمَعْنِيهِ فَأَعْتَقِدُ أَنَّهُ حَقٌّ ، وَلَكِنْ لَمَّا أَلْتَبَسَ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ وَالْبَاطِلُ
 بِالْحَقِّ قُلْتُ : إِنَّ الْأَدِلَّةَ عَلَيْهِمَا وَلَهُمَا مِتْكَافِئَةٌ ، وَإِنِهَا مَوْقُوفَةٌ عَلَى حِذْقِ الْحَازِقِ
 فِي نُصْرَتِهِ ، وَضَعْفِ الضَّعِيفِ فِي الذَّبِّ عَنْهُ . قُلْتُ فَكَأَنَّا كَدَرَجَعْتَ عَنْ
 اعْتِرَافِكَ بِالْحَقِّ أَنَّهُ حَقٌّ ، وَبِالْبَاطِلِ أَنَّهُ بَاطِلٌ . قَالَ : مَا رَجَعْتُ . قُلْتُ
 فَكَأَنَّا نَدْعِي الْحَقَّ حَقًّا جُمْلَةً وَالْبَاطِلَ بَاطِلًا جُمْلَةً مِنْ غَيْرِ أَنْ تُتَمَيَّزَ بِالنَّفْصِيلِ .
 قَالَ : كَذَا هُوَ . قُلْتُ : فَمَا نَفْعُكُمْ ^(٣) بِالْأَعْرَافِ بِالْحَقِّ وَأَنَّهُ مُتَمَيَّزٌ عَنِ الْبَاطِلِ
 فِي الْأَصْلِ ، وَأَنْتَ لَا تُمَيَّزُ بَيْنَهُمَا فِي النَّفْصِيلِ ؟ قَالَ : وَاللَّهِ مَا أَذْرِي مَا نَفْعِي
 مِنْهُ . قُلْتُ فَلِمَ لَا تَقُولُ : الرَّأْيُ أَنْ أَقِفَ فَلَا أَخْكُمَ عَلَى الْأَدِلَّةِ بِالتَّكَاثُفِ ، لِأَنَّ
 الْبَاطِلَ لَا يُقَاوِمُ الْحَقَّ ، وَالْحَقَّ لَا يَتَشَبَّهُ بِالْبَاطِلِ ، إِلَى أَنْ يَفْتَحَ اللَّهُ بَصَرِي
 فَأَرَى الْحَقَّ حَقًّا فِي النَّفْصِيلِ ، وَالْبَاطِلَ بَاطِلًا عَلَى التَّحْصِيلِ ، كَمَا رَأَيْتُهُمَا فِي الْجُمْلَةِ ،
 وَأَنَّ الَّذِي فَتَحَ بَصَرِي عَلَى ذَلِكَ فِي الْأَوَّلِ هُوَ الَّذِي غَضَّ بَصَرِي عَنْهُ فِي
 الثَّانِي ؟ قَالَ : يَنْبَغِي أَنْ أَنْظُرَ فِيمَا قُلْتُ . فَقُلْتُ : أَنْظُرْ إِنْ كَانَ لَكَ نَظَرٌ ،
 وَلَا تَتَكَلَّفَ النَّظَرَ مَا دَامَ بِكَ عَمَى أَوْ عَشَا أَوْ رَمَدَ .

(١) كَذْ فِي (١) وَالَّذِي فِي (ب) « الْمَاعِلَةُ » .

(٢) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ « يَبِينُ » بِسِقُوطِ « لَا » ؛ وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتْنَا كَمَا يُوْخِذُ مِمَّا يَأْتِي بَعْدَ .

(٣) فِي (١) « تَفْعَلُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

وحكى لنا أبو سليمان قال : وصَفَ لنا بعضُ النَّصارَى الجَنَّةَ فقال : ليس فيها أَكْلٌ ولا شُرْبٌ ولا نِكَاح . فَسَمِعَ ذَلِكَ بعضُ المتكلمين فقال : ما تصف إلاَّ الحُزْنَ والأسَفَ والبلاء .

وقال أبو عيسى الوراق — وكان من حُذَّاق المتكلمين — إِنَّ الأمر بما يَعْلَمُ أَنَّ للأمور لا يَفْعَلُهُ سَفِيهٌ ، وقد عَلِمَ اللهُ مِنَ الكفار أَنَّهُمْ لا يؤمنون ، فليس لأمرهم بالإيمان وَجْهٌ في الحِكْمَةِ .

قال أبو سليمان : أَنْظِرْ كيف ذَهَبَ عَلَيْهِ السَّرُّ في هَذِهِ الحال ، مِنْ أَيْنَ أَتَوْا ، وكيف لَزِمَتْهُمُ الحِجَّةُ .

وقال أبو عيسى أيضاً : الْمُعَاقِبُ الَّذِي لا يَسْتَصْلِحُ بِمُعُوبَتِهِ من عَاقِبِهِ ، ولا يَسْتَصْلِحُ بِهِ غَيْرُهُ ، ولا يَشْفِي غِيظَهُ بِمُعُوبَتِهِ جَائِرٌ ، لَأَنَّهُ قد وَضَعَ الْمُعُوبَةَ في غير مَوْضِعِهَا . قال : لَأَنَّ اللهَ تَعَالَى لا يَسْتَصْلِحُ أَهْلَ النار ولا غَيْرَهُمْ ، ولا يَشْفِي غِيظَهُ بِمُعُوبَتِهِمْ ، فليس للمُعُوبَةِ وَجْهٌ في الحِكْمَةِ . هَذَا غَرَضُ كِتَابِهِ الَّذِي نَسَبَهُ إلى الغريب المَشْرِقِ .

وقال أبو سعيد الخضرمي — وكان من حُذَّاقِ الْمُتَكَلِّمِينَ ببغداد ، وهو الَّذِي تَظَاهَرَ بالقَوْلِ بتكافؤِ الأدلَّةِ — إِنَّ كَانَ اللهُ عَدْلًا كَرِيمًا جَوَادًا عَلِيمًا رَهِيمًا فَإِنَّهُ سَيُصَيِّرُ جَمِيعَ خَلْقِهِ إلى جَنَّتِهِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ جَمِيعًا على أَخْطَافِهِمْ يَجْتَهِدُونَ في طَلَبِ مَرْضَاتِهِ ، فَيَهْرُبُونَ مِنْ وَقَعِ سَخَطِهِ بِقَدْرِ عِلْمِهِمْ وَمَتَلَبِ عَقُولِهِمْ ، وَإِنَّمَا تَرَ كَوَا أَتْبَاعَ أَمْرِهِ لَأَنَّهُمْ خَدَعُوا ، وَزَيَّنَ لَهُمُ الْبَاطِلُ بِأَسْمِ الْحَقِّ ؛ وَمَتَلَّهُمْ في ذَلِكَ مَثَلُ رَجُلٍ حَمَلَ هَدِيَّةً إلى مَلِكٍ ، فَعَرَضَ لَهُ في الطَّرِيقِ قَوْمٌ شَانَهُمُ الْخِدَاعُ وَالْمَكْرُ وَالْأَسْتِلَالُ^(١) ، فَتَصَبَّوْا لَهُ رَجُلًا ، وَسَمَّوْهُ بِأَسْمِ الْمَلِكِ

(١) في (١) «والاستللال» وفي (ب) «والاسترسال»؛ وهو تعريف في كلتا النسختين.

الذى كان قصده ، فسلم الهدية إليهم ؛ فالملك الذى قصده إن كان كريماً فإنه يعذره ويرحمه ويزيد في كرامته ويره حين يقف على قصته ، وهذا أولى به من أن يفض عليه ويعاقبه .

وقال أبو سليمان : ذكروا أن رجلاً رأى قوماً يتناظرون ، فجلس إليهم فرآهم مختلفين ، فأقبل على رجل منهم فقال : أتلتزمني أن أقول بقولك وأنا لا أعلم أنك محق ؟ فإن قلت : نعم ، قلت لك : إن بعض جلسائك يدعوني إلى مخالفتك وأتباعه ، وليس عندي علم بالمحق منكم ؛ وإن ألزمتني أن أتبع كلكم فهذا محال ، وإن قلت : لا يلزمك أن تتبعني ولا غيري إلا بعد العلم بالمحق منكم ، لم يخل العلم بذلك من أن يكون فلي أو فقل غيري ، فإن كان العلم ففلاً لغيري فقد صرت مضطراً ، ولا أستوجب عليه حمداً ولا ذمّاً [وإن كان الفعل لى] فمن أعظم جهالة ممن يفعل ما يلزمه الأمر والنهي به ، وإن قصر صيره ذلك إلى العطب والهلاك ، مع أن هذا القول يؤدى إلى أن أكون أنا المعترض على نفسى ، لأنه إنما يلزمنى ذلك إذا علمت أنى أقدر أن أعلم وألا أعلم .

وحكى لنا أيضاً قال : سئل عندنا رجلاً من المتحيرين بسجستان فقيل له : [ما دليلك على صحة مقالتك ؟ فقال لا دليل ولا حجة . فقيل له] وما الذى أخوجك إلى هذا ؟ قال : لأننى رأيت الدليل لا يكون إلا من وجوه ثلاثة : إما من طريق النبوة والآيات ، فإن كان إنما يثبت من هذه الجهة فلم أشاهد شيئاً من ذلك ثبت عندى مقالته .

وإما أن يكون يثبت بالكلام والقياس فإن كان إنما يثبت بذلك فقد

رَأَيْتُنِي سَرَّةً أَخْصِمُ وَسَرَّةً أُخْصَمُ ، وَرَأَيْتُنِي أَعْجِزُ عَنِ الْحُجَّةِ فَأَجِدُهَا عِنْدَ غَيْرِي ، وَأَتَنَبَّهُ إِلَيْهَا مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي بَعْدَ ذَلِكَ ، فَيَصِحُّ عِنْدِي مَا كَانَ بَاطِلًا ، وَيَفْسُدُ عِنْدِي مَا كَانَ صَحِيحًا ؛ فَلَمَّا كَانَ هَذَا الْوَصْفُ عَلَى مَا وَصَفْتُ لَمْ يَكُنْ لِي أَنْ أَقْضِيَ لَشَيْءٍ بِصَحَّةٍ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ ، وَلَا أَقْضِيَ عَلَى شَيْءٍ بِفَسَادٍ لِعَدَمِ الْحُجَّةِ .

وَأَمَّا أَنْ تَكُونَ ثَبَتَتْ بِالْأَخْبَارِ عَنِ الْكُتُبِ فَلَمْ أَجِدْ أَهْلَ مِلَّةٍ أَوْلَى بِذَلِكَ مِنْ غَيْرِهِمْ ، وَلَمْ أَجِدْ إِلَى تَصْدِيقِ كُلِّهِمْ سَبِيلًا . وَكَانَ تَصْدِيقُ الْفِرَقَةِ الْوَاحِدَةِ دُونَ مَا سِوَاهَا جَوْرًا ، لِأَنَّ الْفِرْقَ مُمْتَاوِيَةً فِي الدَّعْوَى وَالْحُجَّةِ وَالذَّبِّ وَالنُّصْرَةِ . فَقِيلَ لَهُ : فَلِمَ تَدِينُ بِدِينِكَ هَذَا الَّذِي أَنْتَ عَلَى شِعَارِهِ وَحِلْيَتِهِ ، وَهَذِيهِ وَهَيْئَتِهِ ؟

فَقَالَ : لِأَنَّ لَهُ حَرَمَةً لَيْسَتْ لَغَيْرِهِ ، وَذَاكَ أُنِّي وَلِدْتُ فِيهِ ، وَنَشَأْتُ عَلَيْهِ ، وَتَشَرَّبْتُ حَلَاوَتَهُ ، وَأَلْفَتُ عَادَةَ أَهْلِهِ ، فَكَانَ مَثَلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ دَخَلَ خَانًا يَسْتَظِلُّ فِيهِ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ وَالْمَاءُ مُصْحِيَّةٌ ، فَأَدْخَلَهُ صَاحِبُ الْخَانِ بَيْتًا مِنْ الْبُيُوتِ مِنْ غَيْرِ تَخَبُّرٍ وَلَا مَعْرِفَةٍ بِصَلَاحِهِ ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ نَشَأَتْ سَحَابَةٌ فَطَفَرَتْ جَوْدًا ، وَوَكَّفَ الْبَيْتُ ، فَنَظَرَ إِلَى الْبُيُوتِ الَّتِي فِي الْفُنْدُقِ فَرَأَاهَا أَيْضًا تَكِيفُ ، وَرَأَى فِي صَحْنِ الدَّارِ رَذَغَةً ، فَفَكَّرَ أَنْ يُقِيمَ مَكَانَهُ وَلَا يَنْتَقِلُ إِلَى بَيْتٍ [آخِر] وَيَرْبَحَ الرَّاحَةَ ، وَلَا يُلَطِّخَ رِجْلَيْهِ بِالرَذَغَةِ وَالْوَحَلِ اللَّذَيْنِ فِي الصَّخْنِ ؛ وَمَالَ إِلَى الصَّبْرِ فِي بَيْتِهِ ، وَالْمَقَامِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ ، وَكَانَ هَذَا مَثَلِي ، وَلِدْتُ وَلَا عَقْلَ لِي ، ثُمَّ أَدْخَلَنِي أَبَوَايَ فِي هَذَا الدِّينِ مِنْ غَيْرِ خِبْرَةٍ مِنِّي ، فَلَمَّا قَفَّسْتُ عَنْهُ رَأَيْتُ سَبِيلَهُ سَبِيلَ غَيْرِهِ ، وَرَأَيْتُنِي فِي صَبْرِي

عليه أَعَزَّ مِنِّي فِي تَرْكِهِ ، إِذْ كُنْتُ لَا أَدَعُهُ وَأَمِيلُ إِلَى غَيْرِهِ إِلَّا بِاخْتِيَارٍ مِنِّي
لِذَلِكَ ، وَأَثَرَةٌ لَهُ عَلَيْهِ ؛ وَلَسْتُ أَجِدُ لَهُ حُجَّةً إِلَّا وَأَجِدُ لَغَيْرِهِ عَلَيْهِ مِثْلَهَا .

وَحَكَى لَنَا ابْنُ الْبَقَالِ — وَكَانَ مِنْ دُهَاقِ النَّاسِ — قَالَ : قَالَ ابْنُ
الْمَيْثَمِ : جُمِعَ بَيْنِي وَبَيْنَ عُثْمَانَ بْنِ خَالِدٍ ، فَقَالَ لِي : أَحِبُّ أَنْ أُنَظِرَكَ
فِي الْإِمَامَةِ ؛ فَقُلْتُ : إِنَّكَ لَا تُنَظِرُنِي ، وَإِنَّمَا تُشِيرُ عَلَيَّ ؛ فَقَالَ : مَا أَفْعَلُ
ذَلِكَ ، وَلَا هَذَا مَوْضِعُ مَشُورَةٍ ، وَإِنَّمَا اجْتَمَعْنَا لِلْمُنَظَرَةِ ؛ فَقُلْتُ لَهُ : فَإِنَّا
قَدْ اجْتَمَعْنَا عَلَى أَنْ أَوْلَى النَّاسِ بِالْإِمَامَةِ أَفْضَلُهُمْ ، وَقَدْ سَبَقْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ يَتَنَازَعُ فِي
فَضْلِهِمْ ، وَإِنَّمَا يُعْرَفُ فَضْلُهُمْ بِالْثَّقَلِ وَالْخَبَرِ ؛ فَإِنْ أَخْبَيْتَ سَلَّمْتُ لَكَ مَا تَرْوِيهِ
أَنْتَ وَأَهْلُ مَذْهَبِكَ فِي صَاحِبِكَ ، وَتَسَلَّمْتُ لِي مَا أَرْوِيهِ أَنَا وَفِرْقَتِي فِي صَاحِبِي ،
ثُمَّ أُنَظِرُكَ فِي أَيِّ الْفَضَائِلِ أَعْلَى وَأَشْرَفَ ؛ قَالَ : لَا أُرِيدُ هَذَا ، وَذَلِكَ أَنِّي
أَرْوِي مَعَ أَصْحَابِي أَنَّ صَاحِبِي رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُصِيبُ وَيُخْطِئُ ، وَيَعْلَمُ
وَيَجْهَلُ ؛ وَأَنْتَ تَقُولُ فِي صَاحِبِكَ : إِنَّهُ مَقْصُومٌ مِنَ الْخَطَا ، عَالِمٌ بِمَا يَحْتَاجُ
إِلَيْهِ . فَكَيْفَ أَرْضَى هَذِهِ الْجُمْلَةَ ؟ قُلْتُ : فَأَقْبَلُ كُلَّ شَيْءٍ تَرْوِيهِ أَنْتَ
وَأَصْحَابُكَ فِي صَاحِبِي مِنْ سَخَدٍ أَوْ ذَمٍّ ، وَتَقْبَلُ أَنْتَ كُلَّ شَيْءٍ أَرْوِيهِ أَنَا
وَأَصْحَابِي فِي صَاحِبِكَ مِنْ سَخَدٍ أَوْ ذَمٍّ ؛ قَالَ : هَذَا أَقْبَحُ مِنَ الْأَوَّلِ ، وَذَلِكَ
أَنِّي وَأَصْحَابِي نَرَوِي أَنَّ صَاحِبِكَ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ فَاضِلٌ ، وَأَنْتَ وَأَصْحَابُكَ تَرَوُونِ
أَنَّ صَاحِبِي كَافِرٌ مُنَافِقٌ ؛ فَكَيْفَ أَقْبَلُ هَذَا مِنْكَ وَأُنَظِرُكَ عَلَيْهِ ؟

قَالَ ابْنُ الْمَيْثَمِ : فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ أَقُولَ : دَعَّ قَوْلَكَ وَقَوْلَ أَصْحَابِكَ ،
وَأَقْبَلُ قَوْلِي وَقَوْلَ أَصْحَابِي ؛ قَالَ : مَا هُوَ إِلَّا ذَاكَ ؛ قُلْتُ : هَذِهِ مَشُورَةٌ ، وَلَيْسَتْ
مُنَظَرَةً . قَالَ : صَدَقْتَ .

وَحَكَّى لَنَا الزُّهَيْرِيُّ قَالَ : سَأَلَ رَجُلٌ آخَرَ فَقَالَ : أَتَقُولُ إِنَّ اللَّهَ نَهَانَا أَنْ نَعْبُدَ إِلَهَيْنِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ قَالَ : [وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ إِلَهًا وَاحِدًا ؟ قَالَ :] نَعَمْ ؛ قَالَ : فَلَا تُنَانِ الْأَذَانُ نَهَانَا عَنْ عِبَادَتِهِمَا مَعْقُولَانِ هَكَذَا ؟ وَأَشَارَ بِإصْبَعَيْهِ ، قَالَ : نَعَمْ ؛ قَالَ : فَالوَاحِدُ الَّذِي أَمَرَنَا بِعِبَادَتِهِ مَعْقُولٌ هَكَذَا ؟ وَأَشَارَ بِإصْبَعٍ وَاحِدَةٍ ؛ قَالَ : لَا ؛ قَالَ : فَقَدْ نَهَانَا عَمَّا يُعْقَلُ وَأَمَرَنَا بِمَا لَا يُعْقَلُ ، وَهَذَا يُعْلَمُ مَا فِيهِ فَانْظُرْ حَسَنًا .

وَحَكَّى لَنَا الزُّهَيْرِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ الْأَخْشَادِ قَالَ : تَنَاظَرَ رَجُلَانِ فِي وَصْفِ الْبَارِي مُبْجَاهَةً ، وَاشْتَدَّ بَيْنَهُمَا الْجِدَالُ ، فَتَرَاضَيَا بِأَوَّلِ مَنْ يَطْلُعُ عَلَيْهِمَا وَيُحْكَمُ بَيْنَهُمَا ، فَطَلَعَ أَعْرَابِيٌّ ، فَأَجْلَسَاهُ وَقَصَّاهُ قِصَّتَهُمَا ، وَوصَفَا لَهُ مَذْهَبَيْهِمَا ؛ فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ لِأَحَدِهِمَا — وَكَانَ مُشَبَّهًا — : أَمَّا أَنْتَ فَتَنْصِفُ صَبًا ، وَقَالَ لِثَانِي : وَأَمَّا أَنْتَ فَتَنْصِفُ عَدَمًا ، وَكِلَاكُمَا تَقُولَانِ عَلَى اللَّهِ مَا لَمْ تَعْمَلَا .

وَقَالَ لَنَا الْأَنْصَارِيُّ أَبُو كَتَبٍ : قَالَ ابْنُ الطَّحَّانِ الضَّرِيرُ الْبَصْرِيُّ — وَكَانَ يَقُولُ بِقَوْلِ جَهْمٍ — : إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ بَدَّلَ اللَّهُ سَيِّئَاتِ الْمُؤْمِنِينَ حَسَنَاتٍ ، فَيَنْدَمُونَ عَلَى مَا قَصَرُوا فِيهِ مِنْ تَنَاوُلِ اللَّذَاتِ ، وَقَضَاءِ الْأَوْطَارِ بِالشَّهَوَاتِ ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَتَوَقَّعُونَ الْعِقَابَ ، فَنَالُوا الثَّوَابَ ؛ وَكَانَ يَقُولُ عِنْدَ هَذَا الْحَدِيثِ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : (فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ) .

وَحَكَّى لَنَا ابْنُ الثَّلَاجِ قَالَ ، قَالَ أَبُو عُمَانَ الْأَدِمِيُّ : إِنَّ الْجَنَّةَ لَا سَائِرَ فِيهَا ، وَذَلِكَ لِأَنَّ كُلَّ سَائِرٍ مَارِيعٌ ، وَكُلٌّ مَارِيعٌ آفَةٌ ، وَلَيْسَتْ فِي الْجَنَّةِ آفَةٌ ، وَلِهَذَا رُوِيَ فِي الْحَدِيثِ : إِنَّ الْحَوْرَ يَرَى مُخَّ سَاقِيهَا مِنْ وَرَاءِ سَبْعِينَ حُلَّةً

سَوَى مَا تَحْتَ ذَلِكَ مِنَ اللَّحْمِ وَالْعَظْمِ ، كَأَسْأَلِكَ فِي الْيَاقُوتِ ؛ فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ :
الْجَنَّةُ إِذَا أُوْلَى مِنَ الْحَمَامِ ، إِذْ قِيلَ : بَشِّرَ الْبَيْتَ الْحَمَامَ ، يُذْهِبُ الْحَيَاءَ ،
وَيُبْدِي الْعَوْرَةَ .

وَحَكَى لَنَا ابْنُ رَبَاطٍ الْكُوفِيُّ — وَكَانَ رَئِيسَ الشَّيْعَةِ بِبَغْدَادَ ، وَلَمْ أَرِ
أَنْطَقَ مِنْهُ — قَالَ : قِيلَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ — عَلَيْهِ السَّلَامُ —
مِنْ أَئِنَّ جَاءَ اخْتِلَافُ النَّاسِ فِي الْحَدِيثِ ؟ فَقَالَ : النَّاسُ أَرْبَعَةٌ : رَجُلٌ مُنَافِقٌ
كَذَبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَعَمِّدًا ، فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ مُنَافِقٌ
مَا صَدَّقَ ^(١) وَلَا أَخَذَ عَنْهُ . وَرَجُلٌ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ
قَوْلًا أَوْ رَأَى يَفْعَلُ فَعَلًا ثُمَّ غَابَ وَنُسِخَ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ أَوْ فِعْلِهِ ، فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ نُسِخَ
مَا حَدَّثَ وَلَا عَمَلَ بِهِ ، وَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ نُسِخَ مَا قَبِلُوا مِنْهُ وَلَا أَخَذُوا
عَنْهُ وَرَجُلٌ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ قَوْلًا فَوَهِمَ فِيهِ ،
فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ وَهَمٌ مَا حَدَّثَ وَلَا عَمَلَ بِهِ . وَرَجُلٌ لَمْ يَكْذِبْ وَلَمْ يَهَيِّمْ ، وَشَهِدَ
وَلَمْ يَغِيبْ .

قَالَ : وَإِنَّمَا دَلَّ بِهَذَا عَلَى نَفْسِهِ ، وَلِهَذَا قَالَ : كُنْتُ إِذَا سُئِلْتُ أُجِيبْتُ ،
وَإِذَا سَكْتُ أُبْتَدِئْتُ .

وَحَكَى لَنَا ابْنُ زُرْعَةَ النَّصْرَانِيُّ قَالَ : قِيلَ لِلْمَسِيحِ : مَا بَالُ الرَّجُلَيْنِ
يَسْمَعَانِ الْحَقَّ فَيَقْبَلُهُ أَحَدُهُمَا وَلَا يَقْبَلُهُ الْآخَرُ ؟ فَقَالَ : مَثَلُ ذَلِكَ مَثَلُ الرَّاعِي
الَّذِي يَصُوتُ بِغَنَمِهِ فَتَأْتِيهِ هَذِهِ الشَّاةُ بِغِدَائِهِ ، وَلَا تَأْتِيهِ هَذِهِ .

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ : هَذَا جَوَابٌ مَبْتُورٌ ، وَلَيْسَ لَهُ سَنَنٌ ، وَلَعَلَّ التَّرْجُمَةَ قَدْ

(١) كَذَا فِي (ب) . وَالَّذِي فِي (أ) : « مَا حَدَّثَ » .

حافت عليه ، والمعنى انحرف عن الغاية ؛ وليس يجوز أن يكون حال الإنسان كيف كان ، حال الشاة في إجابة الداعي وإبائها^(١) ، فإن له دواعي وموانع عقلية [وحسية] .

فقال الوزير : هذا أيضاً باب قد مضى مُستوفى ، ما الذى سمعت اليوم ؟ قلتُ : رأيت ابن برمويه فى دَعْوَةٍ ، وتَرَائى الحديث فقال : رأيتُ اليومَ الوزيرَ شديدَ العُبوس ، أهو هكذا أبداً ، أم عَرَضَ له هذا عَلَى بَخْتى ؟ فقال ابنُ جبلة : لعلَّه كان ذلك لسبب ، وإلا فالْبِشْرُ غَالِبٌ عَلَى وَجْهِهِ ، والبَاشَاءُ مألوفةٌ منه . فقال ابن برمويه : ما أَحْسَنَ ما قال الشاعر :

أخو البِشْرِ محمودٌ عَلَى حُسْنِ بَشْرِهِ ولن يَفْدَمَ البَغْضَاءُ مَنْ كَانَ عَاسِياً
فقال على بنُ محمد — رسولُ سِجِسْتَان — : ما أَذْرِي ما أَتَمَّا فِيهِ ، ولكن يقال : ما أَرْضَى الغَضَبَان ، ولا أَسْتَعْطَفَ السُّلْطَان ، ولا مَلَكَ الإِخْوَان ؛ ولا اسْتَلَّتْ الشَّخْصَاءُ ، ولا رُفِعَتِ البَغْضَاءُ ؛ ولا تَوَقَّى المَحْذُور ، ولا اجْتَلَبَ السَّرُور ؛ بمثل البِشْرِ والبِرِّ ، والهَدِيَّةِ والعَطِيَّةِ .

وقال الوزير : هاتِ مُلَحَّةَ المجلس^(٢) .

فسكان الجواب : قال أبو هَمَّام ذاتَ يوم : لو كان النخلُ لا يَحْمِلُ بعضُهُ إلا الرُّطْبَ ، وبعضُهُ [إلا] البُسْرَ ، وبعضُهُ إلا الخَلَالَ^(٣) ، وكنا مَتَى

(١) كذا فى (١) . والذى فى (ب) : « وإتيانه » ؛ وهو تحريف .

(٢) فى (ب) : « الوداع » مكان قوله : « المجلس » .

(٣) الخلال يفتح الحاء : البسر إذا اخضر واستدار .

تَنَاقَلْنَا مِنَ الشَّمْرَاحِ بُسْرَةً خَلَقَ اللَّهُ مَكَانَهَا بُسْرَتَيْنِ ، مَا كَانَ بِذَلِكَ بَأْسٌ .
ثم قال : أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ، لَوْ كُنْتُ تَمَنَيْتُ بِدَلِّ نَوَافِ التَّدْرِ زُبْدَةً
كَانَ أَضْوَبَ .

وسأل الوزيرُ : هل يقال في النساءِ رَجُلَةٌ ؟ (٣)

فكان الجواب : حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ السَّيْرَافِيُّ قَالَ : كَانَ يُقَالُ فِي عَائِشَةَ
بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا] : « كَانَتْ رَجُلَةً الْعَرَبِ » ، وَإِنَّمَا
ضَاعَتْ هَذِهِ الصِّفَةُ عَلَى مَرَةِ الْأَيَّامِ بِغَلْبَةِ الْمُجُتَمَانِ ؛ فَقَالَ : إِنَّهَا وَاللَّهِ لَكَذَلِكَ ،
وَلَقَدْ سَمِعْتُ مَنْ يَقُولُ : كَانَ يُقَالُ : لَوْ كَانَ لِأَبِيهَا ذَكَرٌ مِثْلُهَا مَا خَرَجَ
الْأَمْرُ مِنْهُ .

قال : هل تَحْفَظُ مِنْ كَلَامِهَا شَيْئًا ؟ فقلتُ : لَهَا كَلَامٌ كَثِيرٌ فِي الشَّرِيعَةِ ،
وَالرَّوَايَةُ عَنْهَا شَائِعَةٌ فِي الْأَحْكَامِ ، وَلَقَدْ نَطَقَتْ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهَا بِمَا حُفِظَ وَأُذِيعَ ،
لَسَكُنِي أَخْفَظُ لَهَا مَا قَالَتْهُ لَمَّا قُتِلَ عُمَانُ :

خَرَجْتُ وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ ، وَهَلَيْتُ فِيهِمْ ، فَقَالَتْ : أَتَقِيلُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
عُمَانُ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَتْ : أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُمْ إِلَى تَسْدِيدِ الْحَقِّ وَتَأْكِيدِهِ
أَحْوَجَ مِنْكُمْ إِلَى مَا نَهَضْتُمْ إِلَيْهِ ، مِنْ طَاعَةِ مَنْ خَالَفَ عَلَيْهِ ؛ وَلَكِنْ كَلَّمَا
زَادَكُمْ اللَّهُ صِحَّةً فِي دِينِهِ ، أَزْدَدْتُمْ تَشَاؤُلًا عَنْ نُصْرَتِهِ طَمَعًا فِي دُنْيَاكُمْ ، أَمَّا وَاللَّهِ
لَهَدَمْتُ النِّعْمَةَ أَيْسَرُ مِنْ بُنْيَانِهَا ، وَمَا الزَّيَادَةُ إِلَيْكُمْ بِالشُّكْرِ ، بِأَسْرَعَ مِنْ
زَوَالِ النِّعْمَةِ عَنْكُمْ بِالْكَفْرِ ؛ أَمَا لئن كَانَ فَنِي أَكُلُهُ ، وَاخْتِرِمَ أَجَلُهُ ، إِنَّهُ
لِصِهْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَحَلَّى آلَهُ وَسَلَّمَ مَرَّتَيْنِ ، وَمَا عَلِمْنَا [خَلْقًا]
تَزُوجَ أَبْنَتِي نَبِيَّ غَيْرِهِ ؛ وَلَوْ غَيْرَ أَيْدِيكُمْ قَرَعَتْ صِفَاتِهِ لَوُجِدَ عِنْدَ تَلَطُّي

الحربِ متَجَرِّداً^(١) ، وإِسْوَافِ النَّصْرِ متَقَلِّداً ، ولكنها فِتْنَةٌ قُدِحَتْ بِأَيْدِي الظُّلَمَةِ ؛ أما والله لقد حاطَ الإسلامَ وأَكَّدَهُ ، وَعَصَّدَ الدِّينَ وأَيْدَهُ ؛ ولقد هَدَمَ اللهُ به صَيَامَى أَهْلِ الشِّرْكِ ، وَوَقَمَ^(٢) أَرْكَانَ الكُفْرِ ؛ لِلَّهِ المُصِيبَةُ به ، ما أَفْجَعَهَا ! والفَجِيعَةُ به ما أَوْجَعَهَا ! صَدَّعَ اللهُ مَقْتَلَهُ صِفَاةَ الدِّينِ ، وثَلَمَتْ مُصِيبَتُهُ ذِرْوَةَ الإسلامِ ، تَبًّا لِقَاتِلِهِ ، أَعَاذَنَا اللهُ وإِيَّاكُمْ مِنَ التَّلَبُّسِ بِدَمِهِ ، والرِّضَا بِمَقْتَلِهِ .

فقال الوزير : ما أَفْصَحَ لسانَهَا ، وأَشْجَعَ جَنَانَهَا ، في ذلك المَحْفَلِ الذي يَتَبَلَّلُ فيه كُلُّ قُلُقُلٍ^(٣) !

وَرَوَيْتُ أَيْضاً أَنهَا قالت : مَكَارِمُ الأخلاقِ عَشْرٌ : صِدْقُ الحديثِ ، وَصِدْقُ البَأْسِ^(٤) ، وأَدَاءُ الأمانةِ ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ ، وَبَذْلُ المَعْرُوفِ ، والتَّذَمُّمُ للجَارِ ، والتَّذَمُّمُ للصَّاحِبِ ، والمُكَافَأَةُ بالصَّنَائِعِ ، وَقِرَى الضَّيْفِ ، ورَأْسُهُنَّ الحَيَاءُ .
فقال : واللهِ لَكُنَّهَا نَفَاتُ النَبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ما كان أَشْهَمَهَا ، وَأَعْلَى نَظَرَهَا ، وَأَبْنَى جَوَابَهَا !!

(٤) وحَدَّثَنِي أَنَّ أَمْرَأَةً تَظَلَّمَتْ إلى مُسْلِمِ بْنِ قُتَيْبَةَ بِخُرَاسَانَ ، فزَبَرَها ، ولم يَنْظُرْ في قِصَّتِهَا ؛ فقالت له : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَعَثَكَ إلى خُرَاسَانَ لِيَنْظُرَ هل تَثْبُتُ خُرَاسَانُ بِلا عَامِلٍ أَمْ لا ؛ فقال لها مُسْلِمٌ : اسْكُتِي وَنِيلَكَ ، فَظَلَامَتُكَ مَسْمُوعَةٌ ، وَحَاجَتُكَ مَقْضِيَّةٌ .

(١) في (١) : « متحركا » ؛ وهو تحريف .

(٢) وقم أركان الكفر : كسرهما وأذلتهما .

(٣) الفقلل : السريع الخفيف الموان .

(٤) في (١) : « الناس » بالنون . ووردت هذه الكلمة في (ب) لا تقط فيها .

ولعل الصواب ما أثبتنا .

وقال مسلم : ما وَخَزَ قَلْبِي قَطَّ شَيْءٌ مِثْلُ قَوْلِ هَذِهِ الْمَرْأَةِ ، وَلَقَدْ آلَيْتُ
أَلَّا أَسْتَهينَ بِأَحَدٍ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُتَى .

وشبهه بهذا قول المَعْلَى بْنِ أَيُّوبَ : رَأَيْتُ فِي دَارِ الْمَأْمُونِ إِنْسَانًا
فَارْدَرَبْتُهُ ، فَقُلْتُ : لَأَيُّ شَيْءٍ تَصْلُحُ أَنْتَ ؟ عَلَى غَيْظٍ مِنِّي وَتَفَضُّبٍ ؛ فَقَالَ :
أَنَا أَصْلُحُ لِأَنْ يَقَالَ لِي : هَلْ يَصْلُحُ مِثْلُكَ لِمَا أَنْتَ فِيهِ أَوْ لَا . قَالَ : فَوَاللَّهِ
مَا وَقَرَّتْ كَلِمَتُهُ فِي أُذُنِي حَتَّى أَظْلَمَ عَلَى الْجُلُوءِ وَنَكَرْتُ نَفْسِي .

وكان عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ سُرُوقَانَ إِذَا كَانَ لَهُ خَصِيٌّ وَضِيٌّ أَمَرَ أَنْ يُحْجَبَ
عَنْ نِسَائِهِ ، وَقَالَ : هُوَ رَجُلٌ وَإِنْ قُطِعَ مِنْهُ مَا قُطِعَ ، وَرَبَّمَا أُجْتَرَأَتْ أَمْرَأَةٌ
بِمِثْلِهَا ، وَلِلْمَعْنِ حَظُّهَا .

قال عبد الرحمن بن سعيد القرشي : كان لهشام بن عبد الملك خَصِيٌّ
يُقَالُ لَهُ خَالِدٌ ، وَكَانَ وَضِيئًا تَأْخُذُهُ الْعَيْنُ ، مَدِيدَ الْقَامَةِ ، فَحَمَّا أَبْيَضَ ، فَأَسْرَ
هشامُ مَسْئَلَةً مَالْفِدْوُ عَلَيْهِ ، ففَدَا ، فَقِيلَ : اسْتَأْذِنْ لِأَخِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ ،
فَاسْتَخَفَّ وَقَالَ كَلِمَةً سَمِعَهَا مَسْئَلَةٌ ، فَحَقَّقَهَا عَلَيْهِ ، فَلَمَّا دَخَلَ مَسْئَلَةٌ إِلَى هِشَامِ
لَمْ يَزَلْ يُبْذَاكِرُهُ شَيْئًا ، وَيُشِيرُ عَلَيْهِ حَتَّى حُطَّ عَنْ فُرْشِهِ وَجَلَسَا عَلَى الْبِساطِ
وَمَسْئَلَةٌ فِي ذَلِكَ يَرْمُقُ الْخَصِيَّ مَتَى يَمُرُّ بِهِ ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَرَّ مُعَمَّمًا بِعِمَامَةٍ
وَشَيْءٍ ؛ فَقَالَ مَسْئَلَةٌ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَيُّ فِتْيَانِنَا هَذَا ؟ قَالَ : غَمَرَ اللَّهُ لَكَ
يَا أَبَا سَعْدٍ ، هَذَا خَالِدُ الْخَصِيِّ ؛ قَالَ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَضَمَّةٌ مِنْ هَذَا
خَيْرٌ مِنْ مُجَامَعَةِ رَجُلٍ ، فَقَلِقَ هِشَامُ وَجَمَلَ يَتَقَوَّرُ حَتَّى قَامَ مَسْئَلَةٌ ، ثُمَّ أَمَرَ
بِالْخَادِمِ فَأَخْرَجَ مِنَ الرُّصَافَةِ ، فَأَتَصَلَ بِبَعْضِ بَنِيهِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ هِشَامُ ، إِنِّي
نَحَيْتُهُ لِمَا بَلَغَكَ ، فَجَفَاءً ، فَلَحِقَ الْخَادِمُ بِالشَّغْرِ .

(٥) وَجَرَى حَدِيثُ النَّفْسِ وَأَنَّهَا كَيْفَ تَعْلَمُ الْأَشْيَاءَ ، فَقِيلَ : النَّفْسُ فِي الْأَصْلِ عَلَّامَةٌ ، وَالْعِلْمُ صُورَتُهَا ؛ لَكُنْهَا لِمَا لَابَسَتْ الْبَدَنَ ، وَصَارَ الْبَدَنُ بِهَا إِنْسَانًا ، اعْتَرَضَتْ حُجُبٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ صُورَتِهَا كَثِيفَةٌ وَلَطِيفَةٌ ، فَصَارَتْ تَخْرِقُ الْحُجُبَ بِكُلِّ مَا أَسْتَطَاعَتْ لِتَصِلَ إِلَى مَا لَهَا مِنْ غَيْبِهَا ، فَصَارَتْ تَعْلَمُ الْمَاضِيَ بِالْأَسْتِخْبَارِ وَالتَّعَرُّفِ وَالتَّبَحُّثِ وَالْمَسْئَلَةِ وَالتَّنْقِيرِ ، وَتَعْلَمُ الْآتِيَ بِالتَّلَاقِي وَالتَّوَكُّفِ وَالتَّبَشِيرِ وَالْإِنْذَارِ ، وَتَعْلَمُ الْحَاضِرَ بِالتَّعَارُفِ ^(١) وَالْمُشَاهَدَةِ وَبِجَالِ الْحِسِّ ؛ وَهَذِهِ لِلْمَعْلُومَاتِ كُلِّهَا زَمَانِيَّةٌ ، وَلِهَذَا انْفَسَمَ بَيْنَ الْمَاضِي وَالْآتِي وَالْحَاضِرِ . فَأَمَّا مَا هُوَ فَوْقَ الزَّمَانِ فَإِنَّهَا تَعْلَمُهُ بِالمَصَادَقَةِ الْخَارِجَةِ مِنَ الزَّمَانِ ، الْعَالِيَةِ عَلَى حَضَرٍ ^(٢) الدَّاهِرِ ، وَهَذِهِ عِبَارَةٌ عَنْ وَجْدَانِهَا ، لِمَا لَهَا فِي غَيْبِهَا بِالْحَرَكَةِ اللَّائِقَةِ بِهَا ، أَعْنِي الْحَرَكَةَ الَّتِي هِيَ فِي نَوْعِ الشُّكُونِ ، وَأَعْنِي بِهَذَا الشُّكُونِ الَّذِي هُوَ فِي نَوْعِ الْحَرَكَةِ ؛ وَلَمَّا فَقِدَ الْأَسْمُ الْخَاصُّ بِهَذَا اللَّغْنِ ، وَلَمْ يُعْرَفْ فِي الْإِخْبَارِ وَالْأَسْتِخْبَارِ إِلَّا مَا كَانَ مَأْلُوفًا بِالزَّمَانِ ، أُلْتَبَسَتْ الْعِبَارَةُ عَنْهُ بِاعْتِمَادِ الشُّكُونِ فِيمَا يُلْحَظُ مِنْهُ الْحَرَكَةُ ، وَاعْتِمَادِ الْحَرَكَةِ فِيمَا يُلْحَظُ مِنْهُ الشُّكُونِ ، فَصَارَ هَذَا الْجُزْءُ ^(٣) كَأَنَّهُ نَاقِضٌ وَمَنْقُوضٌ ، وَهَذَا لِيَجْذِبَ ^(٤) مَحَلُّ الْحِسِّ مِنْ نَبْتِ ^(٥) الْعَقْلِ ، وَخِصْبِ ^(٦) مَرَادِ الْعَقْلِ بِكُلِّ مَا عَلِقَ بِالْمَوْجُودِ الْحَقِّ .

(١) كَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي الْأَسْوَلِ وَلَا مَعْنَى لِلتَّعَارُفِ هُنَا .

(٢) فِي (ب) : « حَصْن » .

(٣) فِي (ب) : « الْخَبَرِ » مَكَانَ قَوْلِهِ : « الْجُزْءِ » .

(٤) فِي (أ) : « الْجُزْءِ » مَكَانَ قَوْلِهِ : « الْجَدْبِ » .

(٥) فِي (أ) : « نَبْتٌ » . وَقَدْ وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي (ب) مُهْمَلَةً الْحُرُوفِ مِنَ النُّقْطِ .

(٦) كَذَا فِي (ب) . وَالَّذِي فِي (أ) : « وَخَصَّتْ مَوَادَّ الْعَقْلِ » ؛ وَمَا أُتْبِئْتَهُ هُوَ

مَا يَجْتَضِيهِ سِيَاقُ الْكَلَامِ .

فقال الوزير : ما أَعْلَى نَجْدَ هذا الكلام ! وما أَعَمَّقَ غَوْزَهُ ! وإني لأَعْذِرُ كلَّ مَنْ قَابَلَ هذا المسموعَ بالرَّدِّ ، وأَعْتَزُّ عَلَى قائله بالتَّكْبَرِ ؛ وَلَعَمْرِي إِذَا تَعَايَتِ الأشياءُ بالأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ ، وَعَرَضَ الْعَجْزُ عَنْ إِبَاتِهَا بِحَقَائِقِ الْأَلْقَابِ ، حَارَ الْعَقْلُ الْإِنْسَانِي ، وَحَيَّرَ الْقَهْمُ الْحَسِّيَّ ، وَأَسْتَحَالَ لِزَاجِ الْبَشَرِيِّ وَتَهَافَّتَ التَّرَكِيبُ الطَّبِيعِيُّ ، وَقَدَّرَ النَّازِرُ فِي هَذَا الْفَنِّ ، وَالْبَاحِثُ عَنْ هَذَا الْمُسْتَكْنِ ، أَنَّهُ حَالِمٌ ، وَأَنَّ الْحُلْمَ لَا ثَمَرَةَ لَهُ ، وَلَا جَدْوَى مِنْهُ .

وهذا كله هكذا ما دَامَ مَقِيسًا إِلَى الْأُمُورِ الْقَائِمَةِ ^(١) بِشَهَادَةِ الْإِحْسَاسِ ؛ فَأَمَّا إِذَا صَفَا النَّازِرُ ، أَغْنَى نَازِرَ الْعَقْلِ مِنْ قَدَى الْحَسِّ ، فَإِنَّ الْمَطْلُوبَ يَكُونُ حَاضِرًا أَكْثَرَ مِمَّا يَكُونُ غَيْزُهُ ظَاهِرًا مُسْتَبَآنًا ؛ وَلَيْسَتْ شَهَادَةُ الْعَبْدِ كَشَهَادَةِ الْمَوْلَى ، وَلَا نُورُ الشَّهَى كَنُورِ الْقَمَرِ .

قال : أَنَشِدْنِي أَيْيَاتًا غَرِيبَةً جَزَلَةً ، فَأَنْشَدْتُ [لِهَذَبَةِ الْمُذَرِّي] :

سَاوَى إِلَى خَيْرٍ قَدْ فَاتَنِي الصَّبَا	وَصِيحَ بَرِيعَانِ الشَّبَابِ فَنُفِرَا
أُمُورٌ وَالْوَانُ وَحَالٌ تَقَلَّبَتْ	بَنَا وَزَمَانٌ عُرْفُهُ قَدْ تَنَكَّرَا
أَصِيبْنَا بِمَا لَوْ أَنْ سَلِمَى أَصَابُهُ	تَسَهَّلَ مِنْ أَرْكَانِهِ مَا تَوَعَّرَا
وَأِنْ نَنجُ مِنْ أَهْوَالٍ مَا خَافَ قَوْمُنَا	عَلَيْنَا فَإِنَّ اللَّهَ مَا شَاءَ يَسَّرَا
وَأِنْ غَالَنَا دَهْرٌ فَقَدْ غَالَ قَبْلُنَا	مُلُوكَ بَنِي نَضْرٍ وَكِسْرَى وَقَيْصَرَا
وَذِي نَيْزَبٍ ^(٢) قَدْ عَابَنِي لَيْثَانِي	فَأَعْيَا مَدَاهُ عَنْ مَدَايَ فَأَنْصَرَا

(١) فِي نَسْخَةِ « الْغَائِبَةِ » مَكَانَ « الْقَائِمَةِ » .

(٢) النَّيْزَبُ : الْحَقْدُ . وَالَّذِي فِي (١) : « نَيْزَب » . وَفِي (ب) : « سَرَب » ؛

وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا النُّسَخَتَيْنِ .

فَإِنْ يَكُ دَهْرٌ نَأْتِي فَأَصْـابُنِي بَرِيْبٌ فَمَا تُشَوِي^(١) الحوادثُ مَفْشَرًا
فَلَسْتُ إِذَا الضَّرَّاءُ نَأَبَتْ بِجُبْيَا^(٢) وَلَا جَزَعٍ إِنْ كَانَ دَهْرٌ تَغْيَرًا
فَقِيلَ : مَا الْجُبْيَا ؟ فَقَالَ : الْجَبَانُ .

قال أبو سَعِيدٍ : حَكَى الْعُلَمَاءُ أَنَّ فَلَانًا جُبْيَا ، إِذَا تَسَكَّلَ .

فَقَالَ : مَا أُمْتَنَ هَذَا الْكَلَامَ ، وَالطَّفَ هَذَا الْجَدَدُ ! وَمَا أَبْعَدُهُ مِنْ تَلْفِيْقِ
الضَّرْوَرَةِ ، وَهُجْنَةِ الْبُكْلَفِ ، لَوْلَا أَنَّ سَامِعَهُ رَبُّمَا تَطَيَّرَ بِهِ ، وَأُنْكَسَرَ عَلَيْهِ .

(٧) فَكَانَ الْجَوَابُ : فَذَمَّرَ فِي الْقَالَ وَالزَّجْرِ وَالطَّيْرَةِ وَالْأُخْتِيَا فَمَا إِذَا
تُحَقِّقُ لَمْ يُعْجَ عَلَى مِثْلِ هَذَا الْأَسْتِشْعَارِ ؛ وَلَعَمْرِي إِنْ الْمَذْكُورَ وَالْمَسْمُوعَ
إِذَا كَانَ حَسَنًا وَجَمِيلًا وَمَحْبُوبًا وَمُتَمَنِّي ، كَانَ أَخَفَّ عَلَى الْقَلْبِ ، وَأَخْلَطَ
بِالنَّفْسِ ، وَأَغْبَثَ بِالرُّوحِ ؛ وَكَذَلِكَ^(٣) إِذَا كَانَ ذَلِكَ عَلَى الضَّدِّ ، فَإِنَّهُ يَكُونُ
أَزْوَى لِلْوَجْهِ ، وَأَكْرَبَ لِلنَّفْسِ ؛ وَلَكِنَّ الْأُمُورَ فِي الْخَيْرَاتِ وَالشُّرُورِ لَيْسَتْ
فَاشِيَةً مِنَ الطَّيْرَةِ وَالْعِيَاةِ ، وَلَا جَارِيَةً عَلَى هَذِهِ الْحُدُودِ الْمَعْرُوفَةِ ، وَهِيَ عَلَى
مَقَاصِدِهَا الَّتِي هِيَ غَايَتُهَا ، وَمُتَوَجِّهَاتُهَا الَّتِي هِيَ نِهَايَاتُهَا ؛ وَإِنَّمَا هَذِهِ الْأَخْلَاقُ
عَارِضَةٌ لِلنِّسَاءِ وَأَشْبَاهِ النِّسَاءِ ، وَمَنْ بَنِيَّتُهُ^(٤) ضَعِيفَةٌ ، وَمَادَّتُهُ مِنَ الْعَقْلِ
طَفِيفَةٌ ، وَعَادَتُهُ الْجَارِيَةُ سَخِيفَةٌ ؛ وَإِلَّا فَبِأَيِّ بُرْهَانٍ صَحَّ أَنَّ الْكَلَامَ الطَّيِّبَ
يَجْلِبُ الْمَحْبُوبَ وَيَكُونُ عِلَّةً لَهُ ؟ وَأَنَّ اللَّفْظَ الْخَبِيثَ يَجْلِبُ الْمَكْرُوهَ وَيَكُونُ

(١) تشوى : تخطىء .

(٢) فِي (١) : د عِيَا . . وَفِي (ب) : د عِيَا ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ
صَوَابُهُ مَا أُنْبِتْنَا كَمَا يَقْتَضِيهِ السِّيَاقُ .

(٣) كَانَ الْأَوَّلَى أَنْ يَقُولَ « وَلَا كَذَلِكَ » أَوْ « وَلَيْسَ كَذَلِكَ » أَوْ « وَعَكْسُ ذَلِكَ »
فَإِنْ الْآتِي بَعْدَ لَيْسَ كَالَّذِي ذَكَرَهُ قَبْلُ .

(٤) كَذَا فِي (ب) . وَالَّذِي فِي (١) : د نَفْسُهُ .

عِلَّةٌ لَهُ ؟ ! هَذَا خَوَرٌ فِي طَبَاعِ قَائِلِهِ ، وَتَأَنُّثٌ ^(١) فِي غُنْصُرِ مُسْتَشْعِرِهِ ؛ وَلَوْ سَلَكَ الْعُلَمَاءُ وَالْبُصَرَاءُ هَذَا الطَّرِيقَ فِي كُلِّ حَالٍ وَفِي كُلِّ أَمْرٍ لَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى فُسَادٍ عَامٍ ؛ وَآثَرٌ ^(٢) مَا فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِنِ اعْجَبَهُ شَيْءٌ مِنْ هَذَا لَا يُعَوِّلُ عَلَيْهِ ، وَإِنْ سَاءَ مِنْهُ شَيْءٌ لَا يَحْطُ إِلَيْهِ ، بَلْ يَكُونُ تَوَكُّلُهُ عَلَى رَبِّهِ فِي مَسَرَّتِهِ وَمَسَاءَتِهِ ، أَكْثَرَ مِنْ تَفَرُّدِهِ بِجَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ ، فِي اخْتِيَارِهِ وَتَسْكُرَتِهِ ، وَهَذَا يَحْتَاجُ إِلَى عَقْلِ رَصِينٍ ، وَهَمَّةٍ ^(٣) صَاعِدَةٍ ، وَشَكِيمَةٍ شَدِيدَةٍ ، وَلَيْسَ يَوْجَدُ هَذَا عِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ ، وَلَا يُصَابُ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ .

فَقَالَ الْوَزِيرُ : قَدْ أَخَذْتَ الْمَسْئَلَةَ بِحَقِّهَا ، وَالْمُسْتَزِيدُ مِنْهَا ظَالِمٌ ، وَالزَّائِدُ عَلَيْهَا مُتَكَلِّفٌ .

وَقَالَ أَيْضًا : أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ ابْنِ فَارِسٍ أَبِي الْفَتْحِ — فَقَدْ كُنْتُ ^(٨) عِنْدَهُ بِقَرْمِيسِينَ ^(٤) أَيَّامًا — وَمَا وَضَحَ لَكَ مِنْ تَقْدُّمِهِ وَتَأَخُّرِهِ فِي صِنَاعَتِهِ وَبِضَاعَتِهِ ؟

فَكَانَ مِنَ الْجَوَابِ : إِنَّهُ شَيْخٌ فِيهِ مَحَاسِنُ وَمَسَاوِي ، إِلَّا أَنَّ الرَّجُلَ حَانَ لِمَا يُدْزَمُ بِهِ لَا لِمَا يُحَمَدُ عَلَيْهِ ، فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ لَهُ خَبِيرَةً بِالتَّصْرِيفِ ، وَهُنَاكَ ^(٥) أَيْضًا قِسْطٌ مِنَ الْعِلْمِ بِأَوَائِلِ الْمُهَنْدِسَةِ ، وَتَشَبُّهُ ^(٦) بِأَحْبَابِ الْبَلَاغَةِ ، وَمُذَاكَرَةٌ

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « وَتَأَنُّتٌ » ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « وَآكُثَرٌ » ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا كَمَا يَقْتَضِيهِ السِّيَاقُ .

(٣) عِبَارَةُ (١) : « وَهَمَّةٌ مُتَبَاعِدَةٌ » مَكَانَ قَوْلِهِ : « وَهَمَّةٌ صَاعِدَةٌ » ؟ وَمَعْنَاهَا

لَا يَنْأَسِبُ سِيَاقَ الْكَلَامِ هُنَا .

(٤) قَرْمِيسِينَ بَلَدٌ قَرِيبُ الدِّينُورِ بَيْنَ هَمْدَانَ وَحُلُوانَ .

(٥) فِي (١) : « وَهَذَا » مَكَانَ « وَهُنَاكَ » ؟ وَهُوَ خَطَأٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٦) فِي (١) : « وَنِسْبَةٌ » ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

فِي الْمَحَافِلِ صَالِحَةٍ ؛ إِلَّا أَنَّ هَذَا كُلَّهُ مَرْدُودٌ بِالرَّعُونَةِ وَالْمَكْرِ^(١) وَالْإِيْهَامِ وَالْخِصَّةِ
وَالْكَذْبِ وَالْغَيْبَةِ ؛ وَقَدْ كَانَ قَرَيْنُهُ بَقَرَمِيسِينَ يَظُنُّ بِهِ خَبْرًا ، وَيَلْحَظُهُ بِعَيْنٍ مَا ؛
فَلَمَّا سَبَرَهُ ذَمُّهُ وَكَرِهَ أَنْ يُعَاجِلَهُ بِالصَّرْفِ لثَلَا يُخْصِمَ عَلَى اخْتِيَارِهِ بِالْخَطَا ،
وَعَلَى تَصَرُّفِهِ بِالْهَوَى . وَلِلْكَبَرَاءِ وَذَوِي الْقُدْرَةِ زَلَاتٌ فَاحِشَةٌ ، وَقَمَلَاتٌ
مُوحِشَةٌ ، وَلَكِنْ أَيْسَ لَهُمْ [عَلَيْهَا] مَعْيَرٌ لِلْخَوْفِ مِنْهُمْ ؛ فَلَمَّا تَمَادَى قَلِيلًا
وَجَّهَ ابْنُ وَصِيفٍ حَتَّى صَرَفَهُ^(٢) وَقَيْدَهُ [بَعْدَ مَا وَبَّخَهُ وَفَنَدَهُ] وَهَاهُو ذَا الْغِي
هْمُنَا لَا يُقْبَلُ بِقَبْضَةٍ^(٣) ، وَلَا يُكْتَفَى إِلَيْهِ بِلَحْظَةٍ ، وَمَعَ ذَلِكَ يَظُنُّ أَنَّ قَفَرَ
الدَّوْلَةَ إِلَى نَظَرِهِ كَقَفَرِ الْمُدَنْفِ إِلَى عَافِيَتِهِ .

وله مع طاهر بن محمد بن إبراهيم شِرَارٌ^(٤) وَقَبْبَةٌ^(٥) ، وَتَنْذِيدٌ وَشُنْعَةٌ .
وَحَدَّثَنِي ابْنُ أَحْمَدَ أَمْسٍ أَنَّ ابْنَ فَارِسٍ شَارِعٌ فِي أُمُورِ خَيْبَةِ ، وَعَازِمٌ
عَلَى أَشْيَاءَ قَبِيحَةٍ ، وَمُضَرَّبٌ بَيْنَ أَقْوَامٍ ضَمَّتْهُمُ الْأَلْفَةُ ، وَاسْتَحْكَمَتْ بَيْنَهُمُ
الثَّقَّةُ ، وَخَلَصُوا^(٦) حَفَظَةَ الدَّوْلَةِ ، وَحَرَسًا لِلنُّعْمَةِ ، وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ
مَا يَقُومُ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بَأَنفُسِهِمْ ، وَمَا أَخُوْفَنِي عَلَى إِخْوَانِنَا الَّذِينَ بِهِمْ عَذُبٌ

(١) فِي كِلْتَا النُّسَخَتَيْنِ : « وَالْفَكْر » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) كَذَا فِي (ب) . وَالَّذِي فِي (أ) : « ضَرِبَةٌ » .

(٣) فِي كِلْتَا النُّسَخَتَيْنِ : « لَا يَقْبَلُ بِقَبْضَةٍ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا الْكَلِمَتَيْنِ .

وَالْقَبْضَةُ : مَا أَخَذَ بِأَطْرَافِ الْأَصَابِعِ ، كَمَا سَبَقَ ذَلِكَ فِي تَفْسِيرِ الْمَوْثَلِ لِهَذَا الْفَرْقِ قَلِيلًا عَنْ
بَعْضِ الْقَوَائِمِ فِي الْجُزْءِ السَّابِقِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ . وَيريد بهذه العبارة أنه رخيص .

(٤) شَرَارٌ ، أَيْ مَشَارَةً بِتَقْدِيدِ الرَّاءِ . وَفِي نَسْخَةِ : « سَرَار » بِالسَّيْنِ الْمُهْمَلَةِ .

(٥) مِنْ مَعَانِي الْقَبْضَةِ : الْمُدِيرُ ، وَصَوْتُ أُنْيَابِ الْفَعْلِ ، وَالْحَقُّ ؛ فَلَمَّا يَرِيدُ مَا تَقْدِيدُهُ
هَذِهِ الْمَعَانِي مِنْ أَنَّ بَيْنَهُمَا مَفَاضَةً وَمَلَا حَاجَةً وَخُصُومَةً . وَفِي (أ) : « وَفَتْة » مَكَانَ « وَقَبْضَةٍ » .

« وَتَبْدِيلُ » مَكَانَ « وَتَنْذِيدُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلَا الْفَرْقَيْنِ .

(٦) فِي كِلْتَا النُّسَخَتَيْنِ : « وَحَصَلُوا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا كَمَا يَقْتَضِيهِ السِّيَاقُ .

شُرَبْنَا ، وَأَمِنْ سِرْبُنَا ، كَفَانَا اللَّهُ فِيهِمْ وَكَفَاهُمْ فِينَا كُلَّ مَكْرُوهِ .
 فقال : هو أَضْيَقُ مَبْعَرًا ، وَأَقْمَأُ مَنْظَرًا ، وَأَذَلُّ نَاصِرًا مِنْ ذَاكَ ؛ وَاللَّهُ لَوْ
 نَفَخْتُ عَلَيْهِ لَطَارَ ، وَلَوْ هَمَمْتُ بِهِ لَبَارَ .

وَأَمَّا مَا قُلْتُ لِي أَيُّهَا الشَّيْخُ^(١) إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ تَكْتُبَ رَسَائِلَكَ إِلَى الْوَزِيرِ ،
 حَتَّى أَقِفَ عَلَى مَقَاصِدِكَ فِيهَا ، وَأُسْتَبِينَ بِرَاعَتِكَ وَتَرْتِيبِكَ^(٢) بِهَا ؛ فَأَنَا أَقْبَلُ
 ذَلِكَ فِي هَذِهِ الْوَرَقَاتِ ، وَلَمْ أَكْتُبْ فِي طَوْلِ هَذِهِ الْمُدَّةِ مَعَ هَذِهِ الْأَحْوَالِ
 الْعَجَبِيَّةِ إِلَّا رُفْعَتَيْنِ وَرِسَالَتَيْنِ ؛ فَأَمَّا الرُّفْعَةُ الْوَاحِدَةُ فَإِنَّهَا تَضَمَّنَتْ حَدِيثَ
 الْخَادِمِ وَمَا عَزَمَ عَلَيْهِ ، وَقَدْ شَافَهْتُكَ بِهِ ؛ وَأَمَّا الْأُخْرَى فَحَوَتْ حَدِيثَ
 ابْنِ طَاهِرٍ وَصَاحِبِ الرُّصَافَةِ ، وَقَدْ سَمِعْتَهُ مِنِّي .

رسالتان كتب بهما المؤلف إلى الوزير

أما الرسالة الأولى :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : اللَّهُمَّ حَلَّنِي بِالتَّوْفِيقِ ، وَأَيِّدْنِي بِالنُّصْرَةِ ، وَأَقْرِنْ
 مَنْطِقِي بِالسَّدَادِ ، وَاجْعَلْ لِي مِنَ الْوَزِيرِ وَزِيرَ الْمَمَالِكِ عُقْبَى فَارِجَةً^(٣) مِنَ
 الْغَمِّ ، وَخَاتِمَةً مُوصُولَةً بِالنَّجَاحِ ، فَإِنَّكَ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرٌ ، وَبِالْإِجَابَةِ جَدِيرٌ .
 كُنْتُ وَصَلْتُ إِلَى مَجْلِسِ الْوَزِيرِ ، وَفُزْتُ بِالشَّرَفِ مِنْهُ ، وَخَدَمْتُ دَوْلَتَهُ ،
 وَعَلَاهُ مِنْ صَدْرِي بِخَيْبَتِهِ ، وَمِنْ فَوَادِي بِمَحِيضَتِهِ ، وَتَعَرَّفْتُ مِنَ الْحَدِيثِ

(١) يريد بالشيخ أبا الوفاء المهندس .

(٢) في كلتا النسختين : « برأيك » مكان « براعتك » . وفي (١) : « وقرنتك »
 مكان « وترتيبك » .

(٣) في (١) : « نازحة » ؛ وهو تحريف .

بإذنه في شجونِه وفنونه ، كلُّ ذلك آملاً في جدوى أخذها ، وحُظوةٍ أخطى بها ، وزُلْفَى أُمَيْسُ معها ، ومثالةٍ أُحْسَدُ عليها ؛ فتقبل ذلك كله ، ووعدَ عليه خيراً ولم يزلْ أهله ، وانقلبتْ إلى أهلى مَسْرُوراً بوجهِ مُسْفِرٍ ، ومُحْيَاً طَلَقَ ، وطَرْفٍ عازم^(١) ، وأملٍ قد سدَّ ما بين أفقِ العراق إلى صنعاء اليمَن ، حتَّى إذا قلتُ للنفس : هذا معانُ الوزير ومَعمره ، وجَنابُه ومَحْضَرُه ، [فانشرحي مستفتحة ، وتيمنى مقترحة ، وأطمئني راضيةً مرضيةً ، لا كدرة الشرب ، ولا مدهورة الشرب] ، حصَلْتُ من ذلك الوعد والفيان ، على بعض فَعَلات الزمان ؛ ولا عَجَب في ذلك من الزمان فهو بمنزلة مليء ، وله فَعُول . وبقيتُ محمولاً بيني وبين إذكاريه — قَرَنَ الله ساعاته بساعاته ، ووَصَلَ عِزَّ^(٢) يومه بسعادةِ غَدِهِ ؛ وغَدَه بامتدادِ يَدِهِ — حيران لا أريش ولا أبرى ، ثم رفعتُ ناظري ، وسدَدْتُ خاطري ، وفصلتُ الحسابَ لي وعلى ؛ فوضَّحَ العذرُ المبينُ ، المانعُ من استزادة المستزيدين ، وذلك أني رأيتُ أعباء الوزارة تؤودُ^(٣) سرَّه ، وتُتَمِّبُ^(٤) بالله ، والمملكة تَفْزَعُ ولَهَى عليه ، وتُتاقى بِجِرائِها^(٥) له بين يديه ، والدولة تَسْتَمِدُّه التدييرَ الثاقب ، والرأى الصائب ، سوى أمورٍ في خلاف ذلك لا يحررها رسمُ راسم ، ولا يقررها قسمُ قائم ، ولا يحويها وهمُ وإهم ، ولا يَفُوزُ بها سَهْمُ مُسَاهِم ، وهو يخطر في حواشي هذه الأحوال ،

(١) كذا وردت هذه الكلمة في الأصول ولعلها تحريف إذ لم نتبين معنى وصف الطرف بهذا الوصف .

(٢) في (ب) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام : « عن » مكان « عز » ؛ وهو تحريف .

(٣) في (ب) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام : « تود » ؛ وهو تحريف .

(٤) في (ب) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام : « وتستعين » مكان « وتنب » ؛ وهو تحريف .

(٥) في (ب) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام : « بجرائها » ؛ وهو تصحيف .

متأبطًا بواهب الأتقال ، مفتتحًا عَوِيصَ الأقفال^(١) ، سايحَ الطرف ، فسيحَ الصدر ، بسائمًا على العِلَّات ، غيرَ مُكثَرٍ بهَاك وهاتِ ، يتلقى ما أَعْيَا مِنْ ذلك بالي^(٢) ، وما أَشْكَلَ بالإيضاح ، وما عَسَرَ بالتدبير ، وما فَسَدَ بالإصلاح ، وما أُرِقَّ بالعِثْق ، وما خُرِقَ بالرِّثْق ، وما خَفِيَ بالكشف ، وما بَدَأَ بالتصريف ، وما أَوَدَّ بالتعنيف ، وما لَبَسَ بالتمريف ، حتى أَجْمَعَ على هَوَاهُ قاصيها ودانيها ، وجَرَى عَلَى مُرَادِهِ خافِئها وبَادِيها ، واستجابَ لِأَمْرِهِ أَيْبُها ومُنْقَادُها ، وَأَنْلَفَ بِلَفْظِهِ نَادِرُها ومُعْتَادُها ؛ فَلَمَّا تَيَقَّنْتُ^(٣) ذلك كُلَّهُ وَقَتَلْتُهُ خُبْرًا ، أَمْسَكَتْ عَنْ إِذْكَارِهِ — نَفْسَ اللَّهِ مُدَّتَهُ — سَالِفَ عَهْدِهِ ، وَمَتَقَدَّمَ وَعْدِهِ ، عَلِمًا أَنَّ أَسْرَهَا^(٤) مَرَعَى عِنْدَهُ فِي صَدْرِ الْكَرَمِ ، وَمَكْتُوبٌ لَدَيْهِ فِي صَحِيفَةِ الْمَجْدِ ، وَثَابِتٌ قَبْلَهُ فِي دِيْوَانِ الْحُسْنَى .

ولكن كان ذلك الأمتنان^(٥) عَلَى رَغْمِ مَنِي^(٦) ، لِأَنِّي قَتَلْتُ فِي أَثْنَائِهِ بَيْنَ جَنْبَيَّ قَلْبًا مَغْرُورَ الرِّجَاءِ ، وَمَنْزُورَ الْعَزَاءِ ، عَلَى عَوَارِضَ لَمْ تَسْنَحْ فِي خَلْدِي ، وَلَمْ أَعْقِدْ عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا يَدِي .

فالحمدُ لِلَّهِ الَّذِي جَمَلَ مَعَاذِي إِلَى الْوَزِيرِ الْكَرِيمِ ، الْبَرِّ الرَّحِيمِ ، وَالْمَنَّةِ لِلَّهِ الَّذِي جَمَلَنِي مِنْ عَفَاةِ جُودِهِ ، وَنَاشِئَةِ عُرْفِهِ ، وَوَارِدِ عِدَّةٍ ، وَقَادِحِي زَنْدِهِ ،

(١) في الأصول « الأفعال » ؛ وهو تصعيف .

(٢) في كلتا النسختين : « بالسي » بالكاف ؛ وهو تحريف لا معنى له هنا . ولعل صوابه ما أثبتنا .

(٣) في الأصل « نفتت » ؛ وهو تحريف .

(٤) في كلتا النسختين : « ايسرها » ؛ والياء زيادة من الناسخ .

(٥) كذا وردت هذه الكلمة في الأصول ؛ ولا معنى للأمتنان هنا ، ولعل صوابه « الكتان أو الإمساك » أو ما يفيد ذلك أخذًا من قوله قبل : فأمسكت عن إذكاره .

(٦) في (١) على زعم من أبى قلبت إلى أنيابه . مكان قوله على رغم مني لأنني قتلت في أثنائه .

وَمُقْتَبِسَى نُورِهِ ، وَمُضْطَلِّي نَارِهِ ، وَحَامِلِي نِعْمَتِهِ ، وَطَالِبِي خِدْمَتِهِ ، وَجَعَلَ خَاصَّتِي وَخَالِصَتِي مِنْ بَيْنِهِمْ رَوَايَةَ مَنَاقِبِهِ بِاللَّسَانِ الْإِبْنِ ، وَنَشَرَ فَضَائِلِهِ بِالنَّهْأِ الْأَحْسَنِ ، وَذَكَرَ آلَاثَهُ بِاللَّفْظِ الْأَفْصَحِ ، وَالْأَحْتِجَاجَ لِسَدَادِ آرَائِهِ بِالْمَعْنَى الْأَوْضَحِ ؛ فَلَا زَالَ الْوَزِيرُ — وَزِيرُ الْمَالِكِ — تَمْدُوحًا فِي أُلُوتَارِ الْأَرْضِ عَلَى أَلْسِنَةِ الْأَدْبَاءِ وَالْحُكَمَاءِ ، وَفِي نَوَادِي الرُّؤَسَاءِ وَالْعُظَمَاءِ ، مَا أَبَ آتُبُ^(١) ، وَغَابَ غَائِبٌ ، بِمَنَّةٍ وَلُطْفِهِ .

قَدْ نَادَيْتُ الْوَزِيرَ حَكِيمًا سَامِعًا ، وَخَيْرًا جَامِعًا ، وَهَزَزْتُ مِنْهُ صَارِمًا قَاطِعًا ، وَشِهَابًا سَاطِعًا ، وَاسْتَسْقَيْتُ مِنْ كَرَمِهِ سَحَابًا هَاطِلًا ، وَنَفَاخًا^(٢) سَائِلًا ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُجَنِّبَنِي مَرَارَةَ الْخَيْبَةِ ، وَحَسْرَةَ الْإِخْفَاقِ ، وَعَذَابَ التَّسْوِيفِ ، فَقَدْ تَلَطَّفْتُ بِالسَّخْرِ الْحَلَالِ ، وَالْعَذْبِ الزُّلَالِ ، جُهْدَ الْمِقْلِ الْمُحْتَالِ ، وَهُوَ أَوْلَى بِمَجْدِهِ ، فِي تَذْيِيرِ عَبْدِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

هَذَا آخِرُ الرِّسَالَةِ الْأُولَى .

وَحَضَرَ وَصُولَهَا إِلَيْهِ بِهَرَامٍ — لَعْنَهُ اللَّهُ — وَتَكَلَّمَ بِمَا يَشَبْهُ نَذَالَتَهُ وَخِسَّتَهُ وَتَنَنَ نِيَّتِهِ ، فَا كُنْتُ أَمَنَّهُ^(٣) ؛ وَمَا أَشَدَّ إِشْفَاقِي عَلَى هَذَا الْوَزِيرِ الْخَطِيرِ مِنْ شَوْمِ نَاصِيَةِ بِهَرَامٍ ، وَغِلِّ صَدْرِهِ ، وَقَلَّةِ نَصِيحَتِهِ ، وَلَوْمْ طَبِعَهُ ، وَخُبْثِ أَصْلِهِ ، وَسُقُوطِ فَرْعِهِ ، وَدِمَامَةِ مَنْظَرِهِ ، وَلَآمَةِ نَجْبِهِ ؛ حَرَمَ اللَّهُ الْعِبَادَ مِنْ شَرِّهِ ، وَطَهَرَ الْبِلَادَ مِنْ عُرِّهِ وَضُرِّهِ .

وَأَمَّا الرِّسَالَةُ الثَّانِيَةُ فَهِيَ الَّتِي كَانَتْ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ بَعْدَ اسْتِثْنَائِي إِيَّاهُ

(١) فِي كِلْتَا النُّسَخَتَيْنِ : « وَغَلَبَ غَالِبٌ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا الْكَلِمَتَيْنِ .

(٢) وَرَدَ هَذَا اللَّفْظُ بِأَلْيَاءِ وَالْفَاءِ ؛ وَلَعَلَّ صَوَابَهُ مَا أَتَيْنَاهُ .

(٣) فِي كِلْتَا النُّسَخَتَيْنِ : « أَمَلَهُ » بِاللَّامِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِي مَا أَتَيْنَاهُ

في الخطابية بالكاف ، حتى يجزى الكلام على سنن الأستزسال ، ولا يُمتَرَّ في طريق الكتابة بما يُزاحم عليه من اللفظ واللفظ ، وهي :

بسم الله الرحمن الرحيم . أيها الوزير ، جعل الله أقدارَ دهرِكَ جاريةً على تحكّمِ آمالك ، ووصلَ توفيقه بما بلغ مرادِكَ في أقوالِكَ وأفعالِكَ ، ومكّنكَ من نواصي أعدائك ، وثبتَ أواخِي دَوْلَتِكَ على ما في نفوسِ أوليائك .

يَجِبُ على كلِّ مَنْ آتاه الله رأياً نافياً ، ونصحاً حاضراً ، وتنبهاً نافعاً ، أن يخدمَكَ مُبَحَرِّباً لِرُسُوحِ دَعَائِمِ الْمَمْلَكَةِ بِسِيَاسَتِكَ وَرِيَادَتِكَ^(١) ، قاضياً بذلك حقَّ الله عليه في تقوِيَتِكَ وَحَيَاطَتِكَ . وإنى أرى على بابِكَ جماعةً ليست بالكثيرة — ولعلها دون العشرة — يؤثرون لقاءك والوصول إليك لما تُجِنُّ صدورهم من النصائح النافعة ، والبلاغات الجديّة ، والدلالات المفيدة ، ويرون أنهم إذا أهّلوا لذلك فقد قضوا حقّك ، وأدّوا ما وجبَ عليهم من حُرْمَتِكَ ، وبلغوا بذلك مرادهم من تفضّلِكَ وأصطناعِكَ ، وتقديمِكَ وتكريمِكَ ؛ والحجابُ قد حالَ بينهم وبينك ، ولكلِّ منهم وسيلةٌ شافئةٌ ، وخِدْمَةٌ للخِيَرَاتِ جامعةٌ ؛ منهم — وهو أهل الوفاء — ذوو كفايةٍ وأمانةٍ ، ونباهةٍ ولبابةٍ ؛ ومنهم مَنْ يَصْلُحُ لِلْعَمَلِ الْجَلِيلِ ، وإِرتَقَى الْفَتْحِ الْعَظِيمِ ؛ ومنهم مَنْ يُبْتَعُ إذا نادى ، وَيَشْكُرُ إذا أصطنع ، وَيَبْذُلُ المجهودَ إذا رُفِعَ ؛ ومنهم مَنْ يَنْظِمُ الدُّرَّ إذا مدح ، وَيَضْحِكُ الثَّغَرَ إذا مزح ؛ ومنهم مَنْ قَعَدَ به الدهرُ لِسِنِّه العالية ، وَجَلَّابِيهِ البالية ، فهو مَوْضِعُ الْأَجْرِ الْمَذْخُورِ ، وَنَاطِقُ الشُّكْرِ الْمَنْظُومِ وَالْمَنْشُورِ ؛ ومنهم طائفةٌ أخرى قد عَكَفُوا في بُيُوتِهِمْ

(١) في سكتا النسخين : « وزادك » بالزاي المعجمة ؛ وهو تصريف .

حَلَّى مَا يَفْنِيهِمْ مِنْ أَحْوَالِ أَنْفُسِهِمْ ، فِي تَرْجِيَةِ عَيْشِهِمْ ، وَعِمَارَةِ آخِرَتِهِمْ ،
وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ مِنْ وَرَاءِ خَصَاصَةِ مُرَّةٍ ، وَمُؤْنِ غَلِيظَةٍ ، وَحَاجَاتٍ مَتَوَالِيَةٍ ؛
وَلَهُمُ الْعِلْمُ وَالْحِكْمَةُ وَالْبَيَانُ وَالتَّجَرُّبَةُ ، وَلَوْ وَثِقُوا بِأَنَّهُمْ إِذَا عَرَضُوا أَنْفُسَهُمْ
عَلَيْكَ ، وَجَهَّزُوا مَا مَعَهُمْ مِنَ الْأَدَبِ وَالْفَضْلِ إِلَيْكَ حَظَلُوا مِنْكَ ، وَأَعْتَزُّوا
بِكَ ، لَخَضَرُوا بِأَبْكَ ، وَجَسِمُوا الْمَشَقَّةَ إِلَيْكَ ؛ لَكِنَّ الْيَأْسَ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِمْ ،
وَضَعُفَتْ مُنْتَهُمُ ، وَعُكِّسَ أَمَلُهُمْ ، وَرَأَوْا أَنَّ سَفَا التَّرَابِ ، أَخَفُّ مِنَ الْوُقُوفِ
عَلَى الْأَبْوَابِ ، إِذَا دَنَوْا مِنْهَا دُفِعُوا عَنْهَا ؛ فَلَوْ لَحَظْتَ هَؤُلَاءِ كُلَّهُمْ بِفَضْلِكَ ،
وَأَذْنَيْتَهُمْ بِسَعَةِ ذَرْعِكَ وَكَرَمِ خَيْمِكَ ، وَأَصْفَيْتَ إِلَى مَقَالَتِهِمْ بِسَمْعِكَ ،
وَقَابَلْتَهُمْ بِمِلْءِ عَيْنِكَ ، كَانَ فِي ذَلِكَ بَقَاءٌ لِلنِّعْمَةِ عَلَيْهِمْ ، وَصِيْتُ فَاشٍ بِذِكْرِكَ ،
وَنَوَابٌ مُؤَجَّلَةٌ^(١) فِي صَحِيفَتِكَ ، وَثَنَاءٌ مُعْجَلٌ عِنْدَ قَرِيْبِكَ وَبَعِيدِكَ ؛ وَالْأَيَّامُ
مَعْرُوفَةٌ بِالْقَلْبِ ، وَاللَّيَالِي مَا خِصَّةٌ بِمَا يَتَمَجَّبُ مِنْهُ ذُو اللَّبِّ ، وَالْمَجْدُودُ
مَنْ جُدَّ فِي جَدِّهِ ، أَعْنَى مَنْ كَانَ جَدُّهُ فِي الدُّنْيَا مَوْصُولًا بِحُظَّهِ مِنْ
الْآخِرَةِ ، وَلَآنَ يُوَكَّلُ الْعَاقِلُ بِالْأَعْتِبَارِ بِغَيْرِهِ ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ يُوَكَّلَ غَيْرُهُ
بِالْأَعْتِبَارِ بِهِ .

أَيُّهَا الْوَزِيرُ ، اصْطِنَاعُ الرِّجَالِ صِنَاعَةٌ قَائِمَةٌ بِرَأْسِهَا ، قَلَّ مَنْ يَفْنَى بِرَبِّهَا^(٢) ،
أَوْ يَتَأَتَّى لَهَا ، أَوْ يَعْرِفُ حَلَاوَتَهَا ، وَهِيَ غَيْرُ الْكِتَابَةِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِالْبَلَاغَةِ
وَالْحِسَابِ .

وَسَمِعْتُ ابْنَ سُورِينَ يَقُولُ : آخِرُ مَنْ شَاهَدْنَا مِمَّنْ عَرَفَ الْأَصْطِنَاعَ ،

(١) فِي الْأَصُولِ « بَوَجْد » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ مَا أَثْبَقْنَا كَمَا يَقْتَضِيهِ قَوْلُهُ بَعْدَ « مُعْجَل » .

(٢) فِي (١) : « يَفْنَى بِرَبِّهَا » مَكَانَ « يَفْنَى بِرَبِّهَا » . وَفِي (ب) : « بِرَبِّهَا » بِالْيَاءِ .

الْمُتَنَاءُ ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ . يُقَالُ : رَبُّ الصَّنِيعَةِ يَرْبُهَا — بِضَمِّ الرَّاءِ — إِذَا
عَمَّاها وَتَعَهَّدَهَا .

وَأَسْتَحْلَى الصَّنَائِعَ ، وَارْتَأَحَ لِلذِّكْرِ الطَّيِّبِ ، وَاهْتَزَّ لِلْمَدْحِ ، وَطَرَبَ عَلَى نَفْعَةِ السَّائِلِ ، وَأَغْتَنَمَ خَلَّةَ الْمُحْتَاجِ ، وَأَتَهَبَ الْكَرَّمَ اتِّهَابًا ، وَأَتَهَبَ فِي عِشْقِ الثَّنَاءِ اتِّهَابًا ، أَبُو مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيُّ ، فَإِنَّهُ قَدَّمَ قَوْمًا وَنَوَّهَ بِهِمْ ، وَنَبَّهَ عَلَى فَضْلِهِمْ وَأَخَوَجَ النَّافِظِينَ فِي أَمْرِ الْمُلْكِ إِلَيْهِمْ ، وَإِلَى كِفَايَتِهِمْ ، مِنْهُمْ أَبُو الْفَضْلِ الْعَبَّاسُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، وَمِنْهُمْ ابْنُ مَعْرُوفٍ الْقَاضِي ، [وَمِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْيَفْرِئِيُّ] ، وَمِنْهُمْ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِيُّ ، وَأَبُو الْخَطَّابِ الصَّابِيُّ ، [وَمِنْهُمْ أَحْمَدُ الطَّوِيلُ ، وَمِنْهُمْ أَبُو الْعَلَاءِ صَاعِدُ ، وَمِنْهُمْ أَبُو أَحْمَدَ ابْنُ الْهَيْثَمِ ، وَابْنُ حَفْصِ صَاحِبُ الدِّيَّانِ] ، وَفُلَانُ وَفُلَانُ ، هَؤُلَاءِ إِلَى غَيْرِ هَؤُلَاءِ ^(١) ، [كَأَبِي تَمَّامِ الزَّيْنَبِيِّ ، وَأَبِي بَكْرٍ الزَّهْرِيِّ] ، وَابْنُ قَرِيْعَةَ ، وَأَبِي حَامِدِ الْمَرْوُوزِيِّ ، [وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبَصْرِيِّ] ، وَأَبِي سَعِيدِ السَّيْرَافِيِّ ، [وَأَبِي مُحَمَّدٍ الْفَارِسِيِّ] ، وَابْنُ دُرُسْتُوَيْهِ ، [وَابْنُ الْبِقَالِ] ، وَالسَّرِيِّ ، وَمَنْ لَا يُخْصَى كَثْرَةُ مِنَ التَّجَارِ وَالْمُدُولِ .

وَقَالَ لِي [ابْنُ سُورِينَ] : كَانَ أَبُو مُحَمَّدٍ يَطْرَبُ عَلَى أَصْطِنَاعِ الرِّجَالِ كَمَا يَطْرَبُ سَامِيعُ الْفِنَاءِ عَلَى الشَّبَابِيرِ ^(٢) ، وَيَرْتَأَحُ كَمَا يَرْتَأَحُ مُدِيرُ السَّكَّاسِ عَلَى الْعِشَائِرِ . وَقَالَ عَنْهُ : [إِنَّهُ] قَالَ : وَاللَّهِ لَا كَوْنَنَ فِي دَوْلَةِ الدَّيْلَمِ ، أَوَّلَ مَنْ يُذْكَرُ ، إِنْ فَاتِهِ أَنْ كُنْتُ فِي دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ آخِرَ مَنْ يُذْكَرُ .

فَلَوْلَا أَنْكَ — أَدَامَ اللَّهُ دَوْلَتَكَ — أَذِنْتَ لِي أَنْ أَكْتُبَ إِلَيْكَ كُلَّ مَا هَجَسَ فِي النَّفْسِ ، وَطَلَعَ بِهِ الرَّأْيُ مِمَّا فِيهِ مَرَدٌّ عَلَى مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ هَذَا

(١) فِي (ب) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهُمَا هَذَا الْكَلَامُ . « هَذَا إِلَى غَيْرِ هَذَا » .

(٢) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « السَّابِرِ » ؟ وَهُوَ تَحْرِيفُ صَوَابِهِ مَا أَتَيْنَا كَمَا يَقْتَضِيهِ سِيَاقُ الْكَلَامِ . وَالشَّبَابِيرُ : جَمْعُ شَبُورٍ ، وَهُوَ مِنْ آلَاتِ الْمَوْسِقَى .

الثَّقَلِ الْبَاطِلِ ، وَتَنْبِيهِ عَلَى مَا تُبَاشِرُهُ بِكَاهِلِكَ الضَّخْمِ ، لَمْ يَكُنْ خَطَرِي
يَبْلُغُ مُوَاجَهَتِكَ بِلَفْظٍ يَنْقُلُ ، وَإِشَارَةٍ تَغْلُظُ ، وَكِنَايَةٍ تَخْدِشُ ^(١) ، لَكِنَّكَ
وَاللَّهُ يَأْخُذُ بِيَدِكَ ، وَيَقْرِنُ الصَّنْعَ الْجَمِيلَ بِظَاهِرِكَ وَبَاطِنِكَ -- قَدْ رَخَّصْتَ
لِي فِي ذَلِكَ ، وَخَصَصْتَنِي بِهِ مِنْ بَيْنِ غَاشِيَةِ بَابِكَ ، وَخَدَمَ دَوْلَتِكَ ، فَلِذَلِكَ
أَقُولُ مَا أَقُولُ مُعْتَمِداً عَلَى حُسْنِ تَقَبُّلِكَ ^(٢) ، وَجَمِيلِ تَسْكُنِكَ ^(٣) ، وَمُنْتَهَظٍ
تَفَضُّلِكَ ؛ وَلَيْسَ فِي أَبْوَابِ السِّيَاسَةِ شَيْءٌ أَجْدَى وَأَنْفَعُ ، وَأَنْفَى لِلْفَسَادِ وَأَقْمَعُ ،
مِنَ الْأَعْتَابِ الْمَوْقُظِ لِلنَّفْسِ ، الْبَاعِثِ عَلَى اخْتِذِ الْحَزْمِ ، وَتَجْرِيدِ الْعَزْمِ ؛ فَإِنَّ
الْوَكَالَ ^(٤) وَالْمُؤَيَّنَا قَلِمَا يُفَضِّيَانِ بِصَاحِبِهِمَا إِلَى دَرَكٍ مَأْمُولٍ ، وَنَيْلٍ مُرَادٍ ،
وَإِصَابَةٍ مُتَمَنَّى . وَقَدْ قَالَ رَجُلٌ كَبِيرُ الْحِكْمَةِ ، مَعْرُوفُ الْحُنُكَةِ : الْمُعْتَبَرُ
كَثِيرٌ ، وَالْمُعْتَبَرُ قَلِيلٌ . وَصَدَقَ هَذَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ ، وَهُوَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ :

لَوْ أُعْتَبِرَ مِنْ تَأَخَّرَ بَيْنَ تَقَدَّمَ ، لَمْ يَكُنْ مِنْ يَتَحَسَّرُ فِي النَّاسِ ^(٥) وَيَنْدَمُ ،
وَلَكِنَّ اللَّهَ بَنَى هَذِهِ الدَّارَ عَلَى أَنْ يَكُونَ أَهْلُهَا بَيْنَ يَقْظَةٍ وَنَوْمٍ ، وَبَيْنَ فَرَحٍ
وَتَرَحٍ ، وَبَيْنَ حَيْطَةٍ ^(٦) وَوَرْطَةٍ ، وَبَيْنَ حَزْمٍ وَغَفْلَةٍ ، وَبَيْنَ نِزَاجٍ وَسَلَوَةٍ ،
لَكِنَّ الْأَخِذَ بِالْحَزْمِ -- وَإِنْ جَرَى عَلَيْهِ مَكْرُوهٌ -- أَعْذَرُ عِنْدَ نَفْسِهِ وَعِنْدَ

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « تَخْرُسَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفُ صَوَابِهِ مَا أَثْبَنَّا كَمَا يَقْتَضِيهِ
سِيَاقُ مَا قَبْلَهُ .

(٢) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « تَقْلِبُكَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي (ب) : « تَكَلَّفُكَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) فِي (أ) : « الْوَكَاةُ » بِالضَّادِ . وَفِي (ب) : « الْوَكَاةُ » بِالكَافِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ
فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ .

(٥) فِي (ب) : « فِي الدُّنْيَا »

(٦) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « غِبْطَةٌ » ؛ وَلَمَّا تَحْرِيفٌ ، لِإِذِ الْغِبْطَةُ لَا تَقَابِلُ الْوَرْطَةَ ،
وَالَّتِي يَقَابِلُهَا الْحَيْطَةُ كَمَا أَثْبَنَّا .

كلٌّ من كان في مَسْكِهِ ، مِنْ الْمُلقَى بِيَدِهِ ، وَالْمُتَدَلَّى بِفُرُورِهِ ، وَالسَّاعِي فِي ثُبُورِهِ ؛ وَمَا وَهَبَ اللَّهُ الْعَقْلَ لِأَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ عَرَّضَهُ لِلنَّجَاةِ ، وَلَا حَلَّاهُ بِالْعِلْمِ إِلَّا وَقَدْ دَعَاهُ إِلَى الْعَمَلِ بِشَرَائِطِهِ ، وَلَا هَدَاهُ الطَّرِيقَيْنِ (أَغْنَى الْغَنَى وَالرُّشْدَ) إِلَّا لِيَزْحَفَ إِلَى أَحَدِهِمَا بِمُحْسِنِ الْأَخْتِيَارِ .

هذا بِالْأَمْسِ أَبُو الْفَضْلِ الْعَبَّاسُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْوَزِيرُ — وَهُوَ فِي وَزَارَتِهِ وَبَسْطَةِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ — قِيلَ لَهُ ذَاتَ يَوْمٍ : هَذَا التُّرْكِيُّ سَاسَنَكَ ^(١) تَقِيًّا بِظَلِّهِ ، وَاعْتَصِمْ بِمَحَبْلِهِ ، وَاسْتَسْقِ بِسَجْلِهِ ، وَارْتَوِ مِنْ سُورِهِ ، وَلَا يَبْلُغْهُ عَنْكَ ، مَا يُوَحِّشُهُ مِنْكَ ، وَيُجَفِّيه ^(٢) عَلَيْكَ . وَقَدْ قِيلَ :

* أَسْجُدْ لِقَرْدِ السُّوءِ فِي زَمَانِهِ *

وَإِذَا لَمْ تَقْدِرْ عَلَى قَطْعِ يَدِ جَائِرَةٍ ، فَاقْبَلْهَا مُثَمِّمَةً ^(٣) مُنْجِدَةً غَائِرَةً . فَلَمْ يَقْعَلْ ، حَتَّى وَجَدَ أَعْدَاؤُهُ طَرِيقًا إِلَيْهِ ، فَسَلَسَكُوهُ وَأَوْفَعُوهُ .

نَمَّ قِيلَ لَهُ فِي الْوِزَارَةِ الثَّانِيَةِ : قَدْ ذُقْتَ مَرَارَةَ النَّكْبَةِ ، وَتَحَرَّقَتْ بِنَارِ الشَّمَاتَةِ ، وَتَأَرَّقَتْ عَلَى فِرَاطَاتِ ^(٤) الْعَجْزِ وَالْفَسَادَةِ ، وَقَدْ كَانَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ مَا كَانَ ، وَدَارَ لَكَ بِمَا تَمَنَّيْتَ ^(٥) الزَّمَانُ ؛ فَأَنْظِرْ أَيْنَ تَضَعُ الْآنَ قَدَمَكَ ، وَبَأَى شَيْءٌ تُدِيرُ لِسَانَكَ وَقَلَمَكَ ، فَإِنْ نُحْلَصَكَ مِنْ وَرَطَطِكَ بِالْمِرْصَادِ ، وَقَدْ

(١) لَمْ نَجِدْ هَذَا الْأِسْمَ فِيمَا رَاجِعْنَاهُ مِنْ مَجْمَعَاتِ الْأَعْلَامِ التُّرْكِيَّةِ ؛ وَالَّذِي وَجَدْنَاهُ « سَنَجَر » بِالسِّينِ وَالْجِيمِ وَبِلَا سِينٍ وَأَلْفٍ فِي أَوَّلِهِ .

(٢) فِي (١) : « وَيُخَفِّفُهُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « بِهِمَّة » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « فِطْرَات » ؛ وَالظَّاهِرُ أَنَّ فِي حُرُوفِهِ قَلْبًا وَقَعَ مِنَ النَّاسِخِ . كَمَا أَنَّ فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « وَارَقَتْ » مَكَانَ « وَتَأَرَّقَتْ » ؛ وَمَا أَتَيْتَاهُ أَوَّلَى لِلْعِلَامَةِ بِهِنِ وَبَيْنَ قَوْلِهِ قَبْلَ : « وَتَحَرَّقَتْ » .

(٥) فِي (ب) : « ظَنَنْتُ » ؛ وَالْمَعْنَى بِسْتَقِيمٍ عَلَيْهِ أَيْضًا .

وَعَدْتَ مِنْ نَفْسِكَ إِنْ أَعَادَ اللَّهُ يَدَكَ^(١) إِلَى الْبَسْطَةِ ، وَرَدَّ حَالَكَ إِلَى السَّرُورِ
وَالْفِئْبَةِ ، أَنْتَ تَجْمِلُ الْمَعَامِلَةَ ، وَتَنْسَى^(٢) الْمَقَابِلَةَ ، وَتَلْقَى وَلِيَّكَ وَعَدُوَّكَ
بِالْإِحْسَانِ إِلَى هَذَا ، وَالْكَفَّ عَنْ هَذَا ، حَتَّى يَتَسَاوَا بِنَظَرِكَ ، وَيَتَعَبَّدَا
لَكَ بِتَفَضُّلِكَ .

فكان من جوابه ما دَلَّ على عتوه وثباته^(٣) ، لَأَنَّهُ قَالَ : أَمَا سَمِعْتُمْ اللَّهَ
تَعَالَى حَيْثُ يَقُولُ : ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴾ [وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ] ؟
وَقَالَ لِي الْقَوْمُسِيُّ^(٤) — وَلَمْ يَعْلَمْ مَا فِي فَخْوَى هَذَا الْكَلَامِ — : مَا ذَاكَ ؟
قُلْتُ : لِحَوَاهُ وَلَوْ عَادُوا إِلَى مَا نُهُوا عَنْهُ لَعُدْنَا [إِلَى مُقَابِلَتِهِمْ بِمَا اسْتَحَقُّوا عَلَيْهِ .
وَصَدَقَ مَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، مَا لَبِثَ ذَلِكَ الْإِنْسَانُ بَعْدَ هَذَا الْكَلَامِ
إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى أَوْرَدَهُ^(٥) وَلَمْ يُصْذِرْهُ ، وَأَعْتَرَهُ وَلَمْ يُنْعِشْهُ ، وَسَلَّمْهُ إِلَى عَدُوِّهِ حَتَّى
أَسْتَلَّ رُوحَهُ مِنْ بَيْنِ جَنْبَيْهِ ، شَافِيًا بِهِ وَمُسْتَفِيًا مِنْهُ ، وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ
خُسْرًا ، وَلَوْ اتَّقَى اللَّهُ لَكَانَ آخِرُ أَمْرِهِ يُسْرًا . وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .

وهذا بَمَدِّهِ مُحَمَّدُ بْنُ بَقِيَّةٍ طَلَعَى وَبَغَى ، وَاقْتَحَمَ ظُلُمَاتِ الظُّلْمِ وَالْمَسْفِ ،
وَطَارَ بِجَنَاحِ اللَّهِ وَالْمَرْفِ ، وَالشُّرْبِ وَالْقَصْفِ ، وَمَلَّ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَضَلَّ
بَيْنَ إِمْنَالِ اللَّهِ وَإِمْلَانِهِ ، فَنَاقَ بِهِ مَا ذَهَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ وَمَالُهُ ، وَخَرُبَ بَيْتُهُ ،
وافتضحَ أَهْلُهُ ، وَكَيْفَ كَانَ يَسْلَمَ ؟ أَمْ كَيْفَ كَانَ يَنْجُو وَقَدْ قَتَلَ ابْنَ السَّرَّاجِ

(١) فِي (ب) : « أَعَادَ اللَّهُ بِكَ أَمَّاكَ الْبَسِطَةَ » ؛ وَفِي بَعْضِ كَلِمَاتِهَا تَحْرِيفٌ لَا يَخْفَى .

(٢) كَذَا فِي (أ) . وَالَّذِي فِي (ب) : « وَتَنْسَى » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَتَنْسَى الْمَقَابِلَةَ ،

أَيُّ لَا تَقَابِلُ الذَّنْبَ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ مِنْ عِقَابِهِ بَلْ تَعْفُو .

(٣) وَثَبَاتِهِ ، أَيُّ ثَبَاتِهِ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ سُوءِ السِّيَاسَةِ .

(٤) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « الْمُسَى » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ كَمَا تَرَى ، صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا .

(٥) أَوْرَدَهُ وَلَمْ يَصْدِرْهُ فَاعِلُ الْقَمَلَيْنِ ضَمِيرٌ يَمُودُ عَلَى الْكَلَامِ السَّابِقِ ذَكَرَهُ . أَيُّ

أَوْرَدَهُ كَلَامُهُ الْخ .

بلا ذنب ، والجَرْجَرَاءُ^(١) بلا حجة ، وضرب ابن معروف بالسَّيْطَا
وأبا القاسم — أخا لأبي محمد القاضى — وشَهْرَهُ على جَمَلٍ فى الجَانِبِ الشرقى ؟
والتَّشْقَى حُلُوُ العِلَالِيَّةِ ، واسكنهُ مُرُءُ العاقبة ، وكانَ الحَفِيفَةُ إِنَّمَا خُلِقَتْ
لِتُقْتَقَدَ^(٢) ، والحمدَ إِنَّمَا وُجِدَ لِيُبْلَغَ به ما يَسُرُّ الشيطان .

وكانَ العفو حرام ، والكظم^(٣) محذور ، والمكافأة مأمورٌ بها .
وهذا بالأمسِ على بن محمد ذو الكفایتین ، اغترَّ بشبابه ، ولها عن
الحزْمِ والأخذِ به فيما كان أولى به ، وظَنَّ أَنَّ كِفَايَتَهُ تَخَفُّظُهُ ، ونَسَبَهُ مِنْ
أبيه يَكْنُفُهُ ، وبراءته تَحْتَجُّ لهُ ، وذنوبه الصغيرة تُغْفَرُ ؛ لِبلائه المذكور ،
وغناؤه المشهور ؛ ومَشَى قَعْرَهُ ، ورأب^(٤) فُخْرَهُ ، والأوَّلُ يقول :

مَنْ سَابَقَ الدَّهْرَ كَبَا كَبَوَةٌ لَمْ يَسْتَثْقِلْهَا آخِرَ الدَّهْرِ
فَأَخْطُ مَعَ الدَّهْرِ إِذَا مَا خَطَا وَأَجْرٍ مَعَ الدَّهْرِ كَمَا يَجْرَى

وقال لى الخليل — وكان لطيفَ المَحَلِّ عنده ، لما كان يَرَى من
أختصاصِ أبيه له ، ولما يَظْهَرُ مِنْ فَضْلِهِ عنده — : قلتُ له يوماً : يا هذا ،
فى أىِّ شىء أنت ؟ وبأى شىء تَمَلُّ ؟ وقد شَحِذَتِ المَوَاسِى ، وحُدِّدَتِ
الأنياب ، وفُتِلَتِ المرائر^(٥) ، ونُصِبَتِ الفِخاخ ، والعيونُ مُحَدَّقَةٌ نحوَ القَطِيعَةِ ،

(١) فى (١) : « الجرجاني » .

(٢) فى (١) : « لتتقد » . وفى (ب) : « لتنفذ » ؛ وهو تحريف فى كلتا الكلمتين .

(٣) فى كلتا النسختين : « والاعظم » ؛ وهو تحريف .

(٤) فى (١) : « وداب غسر » . وفى (ب) : « وداب غتر » ؛ ولعل الصواب ما أثبتنا .

(٥) فى (١) : « وقبلت » . وفى (ب) : « وقتلت » ؛ وهو تصحيف فى كلتا

النسختين . وفى (١) : « الدابر » مكان « المرائر » ؛ وهو تحريف أيضاً . والمرائر :
الحبال ، جمع مريرة .

والأعناقُ صور^(١) إلى الفطيمة ، وأنتَ لاهِ ساءِ عما يُرادُ بكَ بَعْدُ ؛
يَسْبِيكَ^(٢) هذا المزرفن^(٣) وهذا الرُخِي^(٤) وهذا المُرْعَضُ^(٥) ، وهذا الخَلِيقُ ،
وهذا النَّتِيفُ ، وهذا المَعْرَبُ الصَّدْعُ ، وهذا المَصْفُوفُ الطَّرَّةُ ، وبالسَّكاس^(٦)
والطَّاسِ ، والغِنَاءُ والقَصْفُ ، والنَّايَ والعُودُ ، والصَّبُوحُ والغَبُوقُ ، والشرابُ
المُرَوَّقُ العَتِيقُ ؛ واللهِ ما أَذْرِي ما أَصْنَعُ ، إنْ سَكَتُ عَنْكَ كِمِدْتُ ، وإنْ
نَصَحْتُكَ خِفْتُ مِنْكَ ؛ ونَعُوذُ باللهِ مِنْ أَشَدِّهِ الرَأْيِ ، واشتَبَكِ الأَمْرَ ، وَقِلَّةِ
الأَحْتِرَاسِ ، والإِعْرَاضِ عَمَّا يَجْرِي مِنْ أَفْوَاهِ النَّاسِ .

يا هذا ، سُوهِ الأَسْمَسَاكِ خَيْرٌ مِنْ حُسْنِ الصَّرْعَةِ ، وتَلَقَّى الأَمْرَ بِالْحَزْمِ
والشَّهَامَةِ أَوْلَى مِنْ اسْتِدْبَارِهِ بِالْحُسْرَةِ والنَّدَامَةِ ، وَمَنْ لَا تَجْرِبَةَ لَهُ يَقْتَبِسُ
مِنْهُ لَهْ تَجْرِبَةٍ ، فَإِذَا نَقَبَ أَخْفُ دَمِي الْأَظْلَ . فقال : قد فَرَّغَ اللهُ عِمَّا هُوَ
كَائِنْ ، وَإِذَا جَاءَ أَجَاهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ .

قال : قلتُ له : ما أَطْلَعَكَ اللهُ عَلَى كائِنَاتِ الأُمُورِ ، وَلَا أَغْلَبَكَ بِعَوَاقِبِ
الأَحْوالِ ، وَإِنَّمَا عَرَّفَكَ حَظَّكَ بَعْدَ أَنْ^(٧) وَفَّرَ عَقْلَكَ ، وَأَخْضَرَكَ اسْتَطَاعَتَكَ ،
وَأَوْضَحَ لِقَلْبِكَ ما عَلَيْكَ وَلَكَ ، حَتَّى يَسْتَشِفَّ وَيَسْتَكْشِفَ ، وَمَلَكَكَ

(١) صور ، أى مائتة . إلى الفطيمة ، أى إلى النكبة الفطيمة . وفي كلتا النسختين :
« العظيمة » . وما أثبتناه هو ما يستقيم به السجع الذى ألزمه المؤلف فى بعض فقراته .
(٢) فى (١) : « بعد تشبثك » . وفى (ب) : « يسد سبيك » ؛ وهو تحريف
فى كلتا النسختين .

(٣) المزرفن الذى يجعل صدغيه كالزرفين ، وهى الحلقة .
(٤) كذا فى (ب) والذى فى (١) « المزرجن » ، ولا معنى له هنا .
(٥) المرعّض بتشديد الراء الذى نبت شعر عارضيه . كما يقال عذّر الغلام بتشديد النال
إذا نبت شعر عذاره .

(٦) وبالسكاس متعلق بقوله قبل : « لاه » .
(٧) كذا فى (ب) . والذى فى (١) : « مقدار » مكان « بعد أن » ؛ وهو تحريف .

النَّوَاصِي حَتَّى تَمُنَّ^(١) وَتُرْسِلَ ، وَمَا طَالَبَكَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ أَزَاحَ عِلَّتَكَ ، وَلَا عَاقِبَكَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ أُنْذَرَكَ وَأُنْظَرَكَ ، وَبِمِثْلِ هَذَا تُطَالِبُ أَنْتَ مَنْ هُوَ دُونَكَ مِنْ خَدَمِكَ وَحَشَمِكَ ، وَأَوْلِيَانِكَ وَأَعْدَائِكَ ، وَهَذَا الَّذِي أَعْذَلَكَ عَلَيْهِ هُوَ الَّذِي بِهِ تَعْذُلُ غَيْرَكَ وَتَرَاهُ ضَالًّا فِي مَسَلِكِهِ ، مُتَعَرِّضًا لِمَهْلِكِهِ .

فَقَالَ : أَيُظْلِمُنِي وَلِيٌّ نِعْمَتِي صُرَاحًا بِلَا ذَنْبٍ ، وَيَجْتَاحُنِي^(٢) بِلَا جَرِيْمَةٍ ؛ وَيَسْلِمُ دَوْلَتَهُ بِلَا حُجَّةٍ ؟

قُلْتُ : اللَّهُ يَقِيْمُكَ وَيَكْفِيكَ ، نَزَاكَ بِلَا ذَنْبٍ ، وَتَجِدُكَ بَرِيْثًا مِنْ كُلِّ غَيْبٍ ، وَغَيْرُكَ لَا يَرَاكَ بِهَذِهِ الْعَيْنِ ، وَلَا يَحْكُمُ لَكَ بِهَذَا الْحُكْمِ ؛ فَإِنْ كُنْتَ تَرَى فُرْصَةً فَانْتَهِزْهَا ، وَإِنْ كُنْتَ تَخْلُمُ بِنُصْبَةٍ^(٣) فَاحْتَرِزْ مِنْهَا ؛ فَأَبْوَابُ النِّجَاةِ مُفْتَتِحَةٌ ، وَطُرُقُ الْأَمَانِ مُتَوَجِّهَةٌ ، وَالْأَخْذُ بِالْأَحْتِيَاظِ وَاجِبٌ ، قَدْ قَرُبَ الشَّائِخُ مِنْ هَذَا الْمَكَانِ ، وَالْقِيَامَةُ قَدْ قَامَتْ بِالْإِرْجَافِ ، وَالطَّيْرَةُ قَشْعِرِيْرَةُ النَّفْسِ ، كَمَا أَنَّ الْقَشْعِرِيْرَةَ طَيْرَةُ الْبَدَنِ ، وَالْأُسْتِرْسَالُ كَلَالُ الْحَسَنِ ، وَالْقَالُ لِسَانُ الزَّمَانِ ، وَعُتُوَانُ الْحِدَثَانِ ، وَلَا يَقَعُ فِي الْأَفْوَاهِ إِلَّا مَا يُوجِبُ الْحَذَرَ ، وَيَبْعَثُ عَلَى الرَّأْيِ وَالنَّظَرِ ، وَاسْتِقْرَاءِ الْأَثَرِ وَالْخَبَرِ .

قَالَ : أَمَّا أَنَا بَعْدَ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ فَقَدْ اسْتَظْهَرْتُ بِمُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ صَاحِبِ نَيْسَابُورَ ، وَبَقُفْرِ الدَّوْلَةِ وَهُوَ بِهِمَا ذَانٌ عَلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، وَبِعِزِّ الدَّوْلَةِ

(١) فِي (١) : « تَمَلُّ وَتُرْسِدُ » . وَفِي (ب) : « تَمُدُّ مَكَانَ « تَمَلُّ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا النُّسَخَتَيْنِ صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا . وَتَمُنُّ وَتُرْسِلُ . أَيْ تَمُنُّ بِالْفِعْلِ عَنْ أَسَاءٍ ، وَتُرْسِلُ مِنْ أَمْسِكَتِهِ ، أَيْ تَطْلُقُهُ .

(٢) كَذَا فِي (ب) . وَالَّذِي فِي (١) : « يَجْنِينَا » .

(٣) فِي (١) : « بَعْضُ » بِالْعَيْنِ وَالضَّادِ . وَفِي (ب) : « بَقِصَةٌ » بِالْفَافِ وَالضَّادِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا .

وهو بمدينة السَّلام ؛ ومَتَى حَرَبَ حَارِب ، وَرَابَ رَائِب ، أَوَيْتُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ .

قال : قلتُ : ها هنا ما هو أَسْهَلُ مِنْ هَذَا وَإِنْ كَانَ أَهْوَل ، وَأَنْجَى وَإِنْ كَانَ أَشَجَى ، وَأَقْرَبَ وَإِنْ كَانَ أَغْزَب .
قال : ما هو ؟ فَرَّجَ عَنِّي وَأَهْدَى .

قلتُ : لَمَّا يَدْخُلُ هَذَا الْوَارِدُ [الدَّار] ، وَيَدْنُو مِنْ طَرَفِ الْبِساط ، تُنْذِرُ رَأْسَهُ عَنْ كَاهِلِهِ ، وَتُلْقِي شِلْوَهُ فِي مِرْبَلَةٍ ، فَإِنَّ الْمُهَيَّيَّةَ تَقَعُ ، وَالنَّائِرَةُ تَخْبُو ، وَالْعَجَبُ يَغْمُرُ ، وَالظُّلَّةُ تَزُولُ ، وَالصَّدْرُ يَشْتَفِي ، وَالْأَعْتِدَارُ يَنْتَفِي ؛ وَيُكْتَبَ إِلَى مُوفِدِهِ بِأَنَّ الرَّأْيَ أَوْجَبَ هَذَا الْفِعْلَ ، لِأَنَّهُ غَلَبَ عَلَى الظَّنِّ أَنَّهُ وَافِيَ لِكَيْدِ يُوَصِّلُهُ إِلَيَّ ، وَبَلَاءُ يُفْرِغُهُ عَلَيَّ ، فَأَزَلْتُ هَذَا الظَّنَّ بِالْيَقِينِ ، وَدَفَعْتُ الشُّبْهَةَ بِالْجَلَاءِ ، وَاسْتَخْلَصْتُ النُّورَ مِنَ الظُّلَامِ ؛ وَلِأَنِّ تَبْعِدَ سَاقِطًا مِنْ خَدَمِكَ ، يَسُوهُ ظَنِّي بِهِ مِنْ جِهَتِكَ ، وَيَقْدَحُ فِي طَاعَتِي لَكَ ، [وَيُضْرِمُ فِي نَارِ التُّهْمَةِ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ؛ خَيْرٌ لِي فِي نَصِيحَتِي لِدَوْلَتِكَ ، وَخَيْرٌ لَكَ] فِي بَقَائِي ^(١) عَلَى أَمْرِكَ وَنَهْيِكَ ، مِنْ أَنْ يَلْتَأَثَّ ضَمِيرِي فِي سِيَاسَةِ دَوْلَتِكَ ، وَتَحُولَ نِيَّتِي ^(٢) عَمَّا عَاهَدْتُ مِنَ الْقِيَامِ بِحَقِّ جُنْدِكَ وَرَعِيَّتِكَ ، وَحِفْظِ قَاصِدَتِكَ وَدَانِيَتِكَ .

فقال : هَذَا أَعْظَمُ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .

وَلَيْتَنِي أَصَبْتُ بِهَذَا الرَّأْيِ ^(٣) أَمْرًا عَلَا عَقْلُهُ ، فَيَقْبَلَهُ بَيَّانٌ ، أَوْ يَرُدَّهُ

(١) كَذَا فِي (ب) . وَالَّذِي فِي (أ) : « ثَنَانِي » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « بَيْنِي » ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٣) وَرَدَّتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ هَكَذَا « وَلَيْتَنِي أَصَبْتُ مِنْ أَمْرِ هَذَا الرَّأْيِ عَلَى

عَقْلِهِ » ؛ وَفِيهَا تَهْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ وَتَحْرِيفٌ إِذْ لَا مَعْنَى لَهَا عَلَى هَذَا الْوَجْهِ ؛ وَلِلَّهِ الصَّوَابُ مَا أُمْتَنَّا .

بُرهان ، فكان يَقْوَى أو يَضْعُف ، ويُقَدِّمُ عليه أو يُخَجِّمُ عنه ، فَإِنَّ الْمُبْرَمَ أَقْوَى مِنَ السَّحِيلِ ، وَالسِّمِينَ أَسْخَدُ مِنَ النَّحِيلِ ؛ ثُمَّ كَانَ مَا كَانَ .
وكان مَشَايخُ الْعِرَاقِ وَالْجَبَلِ يَرَوْنَ مَا حَدَّثَ بِذَلِكَ الْفَتَى أَمْرًا فَرِيًّا ،
وظُلْمًا غَبَقَرِيًّا .

وَحَدَّثَنِي الْقَوْمَسِيُّ أَنَّهُ لَمْ يَقْدَمْ بِذَلِكَ أَمْرٌ ، وَلَا سَبَقَ بِهِ إِذْنٌ ، وَلَكِنْ
لَمَّا حَدَّثَ مَا حَدَّثَ ، وَقَعَ عَنْهُ إِمْسَاكٌ ، وَسُتِرَتِ الْكِرَاهِيَةُ وَالْإِنْكَارُ .

وَالْأُمُورُ أَيُّهَا الْوَزِيرُ ظُهُورٌ وَبُطُونٌ ، وَهَوَادٍ وَأَعْجَازٌ ، وَأَوَائِلُ وَأَوَاخِرُ ؛
وَلَيْسَ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يُدْرِكَ النِّجَاحَ فِي الْعَوَاقِبِ ، وَإِنَّمَا عَلَيْهِ أَنْ يَتَحَرَّرَ
فِي الْمَبَادِي ؛ وَلِهَذَا قَالَ الْقَائِلُ :

لَأَمْرِ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ صُدُورُهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهُ
وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَوْ غَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ بَنِيهِ : مَا لُمْتُ نَفْسِي عَلَى
قَوْتِ أَمْرِ بِدَأْتُهُ بِحَزْمٍ ، وَلَا حَدَّثْتُهَا عَلَى دَرَكِ أَمْرِ بِدَأْتُهُ بِعَجْزٍ .

هَاهُنَا نَاسٌ إِذَا تَلَاقَوْا يَنْفُثُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ بِمَا هُوَ صَرِيحٌ وَكِتَابِيَّةٌ ،
وَيَحْتَاجُ الْأَمْرُ إِلَى ابْنِ يَوْسُفَ ، وَيَسْتَعْلِي ^(١) الْحَبِيثُ مِنَ الْجَالِسِ فَوْقَ مَشْرَعَةِ
مَكَانِ الرِّوَايَا .

^(٢) وَلَيْسَ يَصِحُّ كُلُّ مَا يَقَالُ فَيُرَوَّى عَلَى وَجْهِهِ ، وَلَيْسَ يَخْفَى أَيْضًا كُلُّ
مَا يَجْزِي فَيُمْسَكُ عَنْهُ ؛ وَالْأُمُورُ مَرَجَّةٌ ، وَالصُّدُورُ حَرَجَةٌ ، وَالْأَحْتِرَاسُ

(١) عبارة (١) : « وسلم الحبيث من الخالين فوق مشرعة » ؛ وفيها تحريف ظاهر
وفي (ب) : « الحبيب » مكان « الحبيث » ؛ وهو تصحيف أيضا . ويريد بالحبيث ابن يوسف .
(٢) ورد في (١) قبل قوله : « وليس يصح » قوله : « فصل » .

واجب ، والنصح مقبول ، والرأى مشترك ، والنقطة بالله من اللوازم على مَنْ عَرَفَهُ وآمَنَ بِهِ ، وليس مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بُدٌّ عَلَى كُلِّ حَالٍ .

واللَّهُ أَسْأَلُ الدِّفَاعَ عَنْكَ ، والوقاية لك ، فى مُضَيِّحِكَ وَمُتَمَّاكَ ، وفى مَبِيَّتِكَ وَمَقِيلِكَ ، وشهادَتِكَ وَعَيْبَتِكَ ، ولذوى مليحاً^(١) فى هذا الباب نَفَخٌ وإيقاد ، وتناقلٌ وأثمار^(٢) ، ومسئلةٌ وجواب .

وعند الشيخ أبى الوفاء مِنْ هَذَا الحديث ومن غيره مما يَتَّصِلُ بِهِ مِنْ ناحية ابنِ الزيدى ما يَجِبُ أَنْ يُصَاحَ لَهُ بِالْأُذُنِ الواعية ، وَيُقَابَلُ بِالنَّفْسِ الراعية ، وَيُدَاوَى بِالْذِّوَاءِ الناجع ، وَتُخَسَمَ مَادَّتُهُ مِنَ الْأَصْلِ ، فَإِنَّ الْفَسَادَ إِذَا زَالَ حَصَلَ مَكَانَهُ الصَّلاح . وليس بَعْدَ الْمَرَضِ إِلَّا الْإِفْرَاقُ ، ولا بَعْدَ النَّزْعِ إِلَّا الْإِغْرَاقُ .

إلى هاهنا انْتَهَى نَفْسِي بِالنَّصْحِ وَإِنْ كَانَتْ شَفَقَتِي^(٣) تَتَجَاوَزُهُ ، وَحِرْصِي يَسْتَعْلِي عَلَيْهِ ، لَكِنِّى خَادِمٌ ، وكما يَجِبُ عَلَى أَنْ أُخْدَمَ بِبَيِّنَاتٍ^(٤) الصِّدْرُ ، فينبغى أَنْ أُلْزَمَ الْحَدِّ بِمُحْسِنِ الْأَدَبِ .

واللَّهُ إِنِّى لَوَادٌّ مُخْلِصٌ ، وَعَبْدٌ طَائِعٌ ، وَرَجَائِى الْيَوْمَ أَقْوَى مِنْ رَجَائِى أَمْسٍ ، وَأُمْلِى غَدًا أَبْسَطُ^(٥) مِنْ أُمْلِى الْيَوْمِ ؛ أَشْكُو إِلَيْكَ الْأَرْقَ بِاللَّيْلِ فِكْرًا فيما يُقال ، وَتَحَقُّظًا^(٦) مِمَّا يُنَالُ ، وَتَوَهُمًا لِمَا لَا يَكُونُ [إِنْ كَانَ] ، وَشَرًّا الْعِدَا ، الَّذِينَ يَتَمَنَّوْنَ لِأَوْلَى نِعْمَتِهِمُ الرَّدَى ، وَيَبْهَتُونَ النَّسْكَاثَ^(٧) ،

(١) كذا وردت هذه العبارة فى (ب) ولم تتبين من هم ذوو مليحاً .

(٢) فى كلتا النسختين : « وتناقل وأثمار » ؛ وهو تصحيف .

(٣) فى كلتا النسختين : « شفتى » ؛ وهو تحريف .

(٤) فى (١) : « بَيِّنات » . وفى (ب) : « بَيِّنات » ، وهو تصحيف .

(٥) فى (ب) : « أَنْسَط » . (٦) فى (ب) : « وَغِيظًا » .

(٧) فى (ب) : « الْبَيَّات » ، وهو تحريف .

وَيَكْسِرُونَ الْأَجْفَانِ^(١) ، وَيَتَخَازِرُونَ بِالْأَعْيُنِ ، وَيَتَجَاهَرُونَ بِالْأَذْيِ إِذَا تَلَقَّوْا ، وَيَتَهَامَسُونَ بِالْأَلْسُنِ إِذَا تَدَانَوْا ، وَاللَّهُ يَضْرَعُ جُدُودَهُمْ ، وَيُضْرِعُ خُدُودَهُمْ بَيْنَ يَدَيْكَ ؛ وَهَذِهِ الرَّقَّةُ مَتَى وَالْحَقَاوَةُ ، وَهَذِهِ الرُّعْشَةُ وَالْقَلَقُ ، وَهَذَا التَّقَبُّعُ وَالْفَرَزُّعُ كُلُّهُ ، لِأَنِّي مَا رَأَيْتُ مِثْلَكَ ، وَلَا شَاهَدْتُ شَيْئَكَ ، كَرَّمَ خَيْمَ ، وَلَيْنَ عَرِيكَةَ ، وَجُودَ بَنَانِ ، وَحُضُورَ بَشَرِ ، وَتَهْلَلَ وَجْهَ ، وَحُسْنَ وَغَدَ ، وَقَرَبَ لِنَجَازِ ، وَبَذَلَ مَالِ ، وَحُبَّ حِكْمَةٍ^(٢) .

قَدْ شَاهَدْتُ نَاسًا فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ ، صِغَارًا وَكِبَارًا وَأَوْسَاطًا ، فَمَا شَاهَدْتُ مَنْ يَدِينُ بِالْمَجْدِ ، وَيَتَحَلَّى^(٣) بِالْجُودِ ، وَيَرْتَدِي بِالْعُقُوفِ ، وَيَتَأَزَّرُ^(٤) بِالْحِلْمِ ، وَيُعْطَى بِالْجَزَافِ ، وَيَفْرَحُ بِالْأَضْيَافِ ، وَيَصِلُ الْإِسْعَافَ بِالْإِسْعَافِ ، وَالْإِتْحَافَ بِالْإِتْحَافِ ، غَيْرَكَ .

وَاللَّهُ إِنَّكَ لَتَهَبُ الدَّرْهَمَ وَالدينَارَ وَكَأَنَّكَ غَضَبَانُ عَلَيْهِمَا ، وَتُطْعِمُ الصَّادِرَ وَالْوَارِدَ كَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَسْتَخْلَفَكَ عَلَى رِزْقِهِمَا ؛ ثُمَّ تَتَجَاوَزُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ إِلَى الثِّيَابِ الْعَزِيزَةِ ، وَالْخِلْعِ النَفِيسَةِ ، وَالْخَيْلِ الْعِتَاقِ ، وَالْمَرَاكِبِ الثَّقَالِ ، وَالنِّلْمَانِ وَالْجَوَارِي ، حَتَّى السُّكُتِ وَالْدِفَاقِ وَمَا يَضُنُّ بِهِ كُلُّ جَوَادٍ ؛ وَمَا هَذَا مِنْ سَجَايَا الْبَشَرِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ فَاعِلٌ هَذَا نَبِيًّا صَادِقًا ، وَوَلِيًّا لِلَّهِ مُجْتَبَى ، [فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَمَّنَ هَذَا الصَّنْفَ مِنَ الْفَقْرِ ، وَرَفَعَ مِنْ قُلُوبِهِمْ عِزَّ الْمَالِ] ، وَهُوَ نَ عَلَيْهِمُ

(١) فِي (١) : « الْأَطْفَار » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) كَذَا فِي (ب) وَالَّذِي فِي (١) : « وَبَذَلَ مَا أَوْجَبَ حِكْمَةً » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ كَمَا لَا يَخْفَى .

(٣) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « وَيَتَحَلَّى » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا ، لِأَنَّهُ لَيْسَ اتِّحَالُ الْجُودِ مِمَّا يَمْدَحُ بِهِ .

(٤) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « وَيَبَارِزُ » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

الإفراج عن كلِّ مُنْفِسٍ^(١) ، ياقوتاً كان أو دُرّاً ، ذهباً كان أو فضّةً ؛ كفاكَ اللهُ عَيْنَ الحاسِدين ، ووَكَكَ كَيْدَ المُفْسِدين ، الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِم بِالْأَمْسِ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهاد ، وَكَانُوا كَحَصَى فِجْلَتِهِمْ كَالْأَطْوَاد ؛ وَهُمْ يَكْفُرُونَ أَيْدِيكَ ، وَيَوَالُونَ أَعَادِيكَ ، وَيَتَمَنَّوْنَ لَكَ مَا أَرْجُو أَنَّ اللَّهَ يَغْضِبُهُ بِرُءُوسِهِمْ ، وَيُنْزِلُهُ عَلَى أَرْوَاحِهِمْ ، وَيُذِيقُهُمْ وَبَالَ أَسْرِمِهِمْ ، وَيَجْعَلُهُمْ عِبْرَةً لِّكُلِّ مَنْ يَرَاهُمْ وَيَسْمَعُ بِهِمْ ، كَانَ اللَّهُ لَكَ وَمَعَكَ ، وَحَافِظَكَ وَنَاصِرَكَ .

أُطْلِتُ الْحَدِيثَ تِلْذَا بِمُوجَهَّتِكَ ، وَوَصَلْتُهُ خِدْمَةً لِدَوْلَتِكَ ، وَكَرَّرْتُهُ تَوْقَعًا لِحُسْنِ مَوْقِعِهِ عِنْدَكَ ، وَأَعَدْتُهُ وَأَبْدَيْتُهُ طَلَبًا لِلْمَكَانَةِ فِي نَفْسِكَ .

وَأَرْجُو إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَلَّا أُحْرِمَ هَبَّةً مِنْ رِيحِكَ ، وَنَسِيمًا مِنْ سَحَرِكَ ، وَخَيْرَةً بِنَظَرِكَ . لَمْ أَوْفُقْ فِي هَذِهِ الْكَلِمَةِ الْأَخِيرَةِ ، وَاللَّهُ مَا يَمُرُّ بِى يَأْسٌ مِنْ إِنْعَامِكَ فَأَقْوِيهِ بِالرَّجَاءِ ، وَلَا يَغْتَرِبْنِي وَنَهْمٌ فِي الْخَبِيَّةِ لَدَيْكَ فَأَتَلَفَاهُ بِالْأَمَلِ . إِنَّمَا قُصَّارَى أُمْنِيَّتِي إِذَا حُكِّمْتُ أَنْ أُعْطَى فِيكَ سُؤْلِي بِالْبَقَاءِ الْمَدِيدِ ، وَالْأَمْرِ الرَّشِيدِ ، وَالْعَدْوِّ الصَّرِيعِ ، وَالْوَلِيِّ الرَّفِيعِ ، وَالِدَوْلَةِ الْمُسْتَنْتَبَةِ ، وَالْأَحْوَالِ الْمُسْتَحْبَةِ ، وَالْأَمَالِ الْمَبْلُوغَةِ ، وَالْأَمَانِ الْمُدْرَكَةِ ، مَعَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ النَّافِذِينَ ، بَيْنَ أَهْلِ الْخِلَافَتَيْنِ ؛ وَاللَّهُ يُبْلِغُنِي ذَلِكَ بِطَوْلِهِ وَمَنْنِهِ .

وَأَخِرُ مَا أَقُولُ ، أَيُّهَا الْوَزِيرُ : مَرُّ بِالصَّدَقَاتِ ، فَإِنَّهَا بَجَلْبَةُ السَّلَامَاتِ وَالْكَرَامَاتِ ، مَذْفَعَةٌ لِّلْمَكَارِهِ وَالْآفَاتِ ؛ وَاهْتِجُرِ الشَّرَابَ ، وَأَدِمِ النَّظَرَ فِي الْمُصْحَفِ ، وَافْرِغْ إِلَى اللَّهِ فِي الْأَسْتِخَارَةِ ، وَإِلَى الثُّغَاتِ بِالْأَسْتِشَارَةِ ؛ وَلَا تَبْخَلْ عَلَى نَفْسِكَ بِرَأْيٍ غَيْرِكَ ، وَإِنْ كَانَ خَامِلًا فِي نَفْسِكَ ، قَلِيلًا فِي عَيْنِكَ ،

(١) كَذَا فِي (١) . وَالَّذِي فِي (ب) : « مَعْسَر » ، وَلَا يَسْتَقِيمُ مَعَهُ الْكَلَامُ إِلَّا بِمَعْدٍ .

فَإِنَّ الرَّأْيَ كَالدُّرَّةِ الَّتِي رُبَّمَا ^(١) وَجِدْتَ فِي الطَّرِيقِ فِي الْمَرْبَلَةِ ، وَقَلَّ مَنْ
فَرَعَ إِلَى اللَّهِ بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ ، وَإِلَى الصَّدِيقِ بِالْإِسْعَادِ ^(٢) مِنْهُ ، إِلَّا أَرَاهُ اللَّهُ
النَّجَاحَ فِي مَسْئَلَتِهِ ، وَالْقَضَاءَ لِحَاجَتِهِ ؛ وَالسَّلَامَ .

فَقَالَ لِي الْوَزِيرُ بَعْدَ مَا قَرَأَ الرِّسَالَةَ : يَا أَبَا مَزِيدَ ^(٣) ، بَيَّضْتُهَا ، وَعَجِبْتُ
مَنْ تَشْفِيْقُ الْقَوْلِ فِيهَا ، وَمِنْ لُطْفِ ^(٤) إِرَادِكَ لَهَا ، وَمِنْ بِلَّةِ رِيْقِكَ بِهَا .
وَاللَّهُ يُحَقِّقُ مَا نَأْمُلُهُ لَهُ ، وَنَرْجُوهُ لَأَنْفُسِنَا ، وَيَنْحَسِرُ عَنْنَا هَذَا الضَّبَابُ
الَّذِي رَكَدَ عَلَيْنَا ، وَيَزُولُ الْغَيْمُ الَّذِي اسْتَعْرَضَ فِي أَمْرِنَا ، وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ،
(وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) .

رسالة في شكوى البؤس ورجاء المعونة وجه بها المؤلف إلى
الشيخ أبي الوفاء المهندس الذي كتب له المؤلف هذا الكتاب .
وختم كتابه بها :

أَيُّهَا الشَّيْخُ ، سَلَّمَكَ اللَّهُ بِالصَّنْعِ الْجَمِيلِ ، وَحَقَّقَ لَكَ وَفِيكَ وَبِكَ
غَايَةَ الْمَأْمُولِ .

هَذَا آخِرُ الْحَدِيثِ ، وَخَتَمْتُهُ بِالرِّسَالَتَيْنِ ، وَيَتَمَرَّرُ جَمِيعُ مَا جَرَى
وَدَارَ ^(٥) عَلَى وَجْهِهِ ، إِلَّا مَا لَمَمْتُ بِهِ شَعْنًا ، وَزَيَّنْتُ ^(٦) بِهِ لَفْظًا ، وَزَيَّدْتُ

(١) في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام : «لأنما» ، وهو تحريف . والسياق
يقضي ما أثبتنا .

(٢) في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام : « بالإشهاد » ؛ وهو تحريف .
وسياق الكلام يقضي ما أثبتنا .

(٣) في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام : « يا أبا فريد » .

(٤) في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام : « لطف » ؛ وهو تحريف .

(٥) في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام : « ودان » ؛ وهو تحريف .

(٦) في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام : « ورتبت » ؛ وهو تحريف .

مَنْقُوصًا ، ولم أَظْلِمْ مَعْنَى بِالْتَّحْرِيفِ ، وَلَا مِلْتُ فِيهِ إِلَى التَّخْوِيرِ ^(١) ؛ وَأَرْجُو
 أَنْ يَبَيِّنَ وَجْهِي عِنْدَكَ بِالرُّضَا عَنِّي ، فَقَدْ كَادَ وَعْدُكَ فِي عَنَابَتِكَ ^(٢) يَأْنِي
 عَلَيَّ ، وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَحْفَظَ عَنَابَتَكَ عَلَيَّ ، كَسَابِقِ أَهْتَامِكَ بِأَمْرِي ، ^(٣) حَتَّى
 أُمْلِكَ بِهِمَا ^(٤) ، مَا وَعَدْتَنِيهِ مِنْ تَكْرِمَةٍ هَذَا الْوَزِيرَ الَّذِي قَدْ أَشْبَعَ كُلَّ جَائِعٍ ،
 وَكَسَا كُلَّ عَارٍ ، وَتَأَلَّفَ كُلَّ شَارِدٍ ، وَأَحْسَنَ إِلَى كُلِّ مُسِيءٍ ^(٥) ، وَنَوَّهَ بِكُلِّ
 خَائِلٍ ، وَنَفَّقَ ^(٦) كُلَّ هَزِيلٍ ، وَأَعَزَّ كُلَّ ذَائِلٍ ؛ وَلَمْ يَبْقَ فِي هَذِهِ الْجَمَاعَةِ
 عَلَى قَعْرِهِ وَبُؤْسِهِ ، وَرُءُوسِهِ وَيَأْمِيهِ ، غَيْرِي ؛ مَعَ خِدْمَتِي السَّالِفَةِ وَالْآتِيَةِ ،
 وَبَذَلِي كُلِّ تَجَاهُدٍ ، وَنَسْنَخِي كُلِّ عَرِيصٍ ، وَقِيَامِي بِكُلِّ صَنْبٍ ؛ وَالْأَسْرُ
 مَقْدَرَةٌ ، وَالْحُظُوظُ أَقْسَامُ ، وَالْكَذْحُ لَا يَأْنِي بغيرِ مَا فِي اللَّوْحِ .

فصل

خَلَصْنِي أَيُّهَا الرَّجُلُ ^(٧) مِنَ التَّكَتُفِ ، أَنْقِذْنِي مِنْ لُئْسِ الْفَقْرِ ، أَطْلِقْنِي
 مِنْ قَيْدِ الضَّرِّ ، اشْتَرِنِي بِالْإِحْسَانِ ، اعْتَبِدْنِي بِالشُّكْرِ ، اسْتَعْمِلْ لِسَانِي
 بِفُنُونِ الْمَدْحِ ، إِكْفِنِي مُؤُونَةَ الْغَدَاءِ وَالْعِشَاءِ .

(١) في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام : « التجويز » — بالجيم والزاي ؛ وهو تحريف .

(٢) في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام : « غنائك » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه سياق الكلام .

(٣) وردت هذه العبارة في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام هكذا « بأمر يرجى » ولا معنى لها على هذا الوجه ؛ والصواب ما أثبتنا ، كما يقتضيه السياق .

(٤) بهما ، أى بالناية والاهتمام .

(٥) في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام : « شيء » ؛ وهو تحريف .

(٦) في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام : « وفتق » ؛ وهو تحريف .

(٧) يريد بالرجل أبا الوفاء وهو الذي قربته إلى الوزير .

إلى مَتَى الكُسْيرَةُ اليابسة ، والبَقِيْلَةُ الذَّائِبَةُ ، والقَمِيصُ المَرْقَعُ ، وباَقِي
دَرْبِ الحَاجِبِ ، وسَدَابُ دَرْبِ الرِّوَاكِينِ ؟

إلى مَتَى العَادُمُ بالخُبْزِ والزَّيْتُونِ ؟ قد واللهِ بَحَّ الخُلُقُ ، وتَعَيَّرَ الخُلُقُ ؛
اللهُ اللهُ في أَمْرِي ؛ اجْهَزْنِي فَإِنِّي مَكْسُورٌ ، اسْقِنِي فَإِنِّي صَدِيدٌ ، أَغْنِنِي فَإِنِّي
مَلْهُوفٌ ، شَهِّرْنِي فَإِنِّي غُفْلٌ ، خَلِّنِي فَإِنِّي عَاطِلٌ .

قد أَذَلَّنِي السَّفَرُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ ، وَخَذَلَنِي الوُقُوفُ عَلَى بَابٍ بِابٍ ،
وَنَكِرَنِي العَارِفُ بِي ، وَتَبَاعَدَ عَنِّي القَرِيبُ مَتَى .

أَغْرَاكَ مِسْكُونُهُ حِينَ قَالَ لَكَ : قد لَتَيْتُ أَبَا حَيَّانَ ، وقد أَخْرَجْتُهُ مَعَ
صَاحِبِ البَرِيدِ إِلَى قَرْمِيسِينَ ؟ !

واللهِ نِمَ وَحَيَاتِكَ الَّتِي هِيَ حَيَاتِي ، مَا انْقَلَبْتُ مِنْ ذَلِكَ بِنَفَقَةٍ شَهْرٍ ، وَاللهِ
نَظَرْتُ لِي بِالْعَوْدِ ، فَإِنَّ الْأَرَاجِيْفَ انْصَلَّتْ ، وَالْأَرْضَ اقْشَعَرَّتْ ، وَالنَّفُوسَ
اسْتَوْحَشَتْ ، وَتَشَبَّهَ كُلُّ نَعْلَبٍ بِأَسَدٍ ، وَفَتَلَ كُلُّ إِنْسَانٍ لَعْدُوهُ حَبْلًا
مِنْ مَسَدٍ .

أَيُّهَا الْكَرِيمُ ، ارْحَمْ ؛ وَاللهِ مَا يَكْفِينِي مَا يَصِلُ إِلَيَّ فِي كُلِّ شَهْرٍ مِنْ
هَذَا الرِّزْقِ الْمُقْتَرِّ الَّذِي يَرْجِعُ بَعْدَ التَّقْتِيرِ وَالتَّيْسِيرِ إِلَى أَرْبَعِينَ دِرْهَمًا مَعَ هَذِهِ
الْمَثُونَةِ الْغَالِيظَةِ ، وَالسَّفَرِ الشَّاقِّ^(١) ، وَالْأَبْوَابِ الْحُجَّابَةِ ، وَالْوُجُوهِ الْمَقْطُوعَةِ ،
وَالْأَيْدِي الْمُسَمَّرَةِ ، وَالنَّفُوسِ الضَّيِّقَةِ ، وَالْأَخْلَاقِ الدَّنِيئَةِ .

أَيُّهَا السَّيِّدُ ، أَقْصِرْ تَأْمِيْلِي ، ارْزَعْ ذِمَامَ الْمِلْحِ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، وَتَذَكَّرْ

(١) وَرَدَتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ هَكَذَا « وَالسَّعْرُ

الشَّارِي » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ مَا أَتَيْنَا أَخْفَا مِنْ سِيَاقِ الْكَلَامِ .

العهْدَ فِي صُحْبَتِي ، طَالِبَ نَفْسِكَ بِمَا يَقْطَعُ حُجَّتِي ، دَغَى مِنَ التَّعْلِيلِ الَّذِي لَا مَرَدَّ لَهُ ، وَالتَّسْوِيفِ الَّذِي لَا آخَرَ مَعَهُ .

ذَكَرَ الْوَزِيرَ أَمْرِي ، وَكَرَّزَ عَلَى أذُنِهِ ذِكْرِي ، وَأَمَلِ عَلَيْهِ سُورَةَ مِنْ شُكْرِي ، وَأَبْتَنَّهُ عَلَى الْإِحْسَانِ إِلَى .

اِفْتَحَ عَلَيْهِ بَابًا يُغْنِي^(١) الرَّاغِبَ فِي اصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ لَا يَسْتَعْنِي عَنِ الْمَرْغَبِ ، وَالْفَاعِلَ لِلْخَيْرِ لَا يَسْتَوْحِشُ مِنَ الْبَاعِثِ عَلَيْهِ .

أَنْفَقَ جَاهَكَ فَإِنَّهُ بِحَمْدِ اللَّهِ عَرِيضٌ ، وَإِذَا جُدْتَ بِالْمَالِ فَجُدْ أَيْضًا بِالْجَاهِ ، فَإِنَّهُمَا أَخَوَانُ .

سَرَّخَنِي رَسُولًا إِلَى صَاحِبِ الْبَطَاحِ أَوْ^(٢) إِلَى أَبِي السُّؤْلِ الْكَرْدِي^(٣) أَوْ إِلَى غَيْرِهِ مَنْ هُوَ فِي الْجَبَالِ ، هَذَا إِنْ لَمْ تُؤْهِلْنِي بِرِسَالَةٍ إِلَى سَعْدِ الْمَعَالِي بِأَطْرَافِ الشَّامِ ، وَإِلَى الْبَصْرَةِ ، فَإِنِّي أَبْلُغُ فِي تَحْمُلِ مَا أَهْجَلُ ، وَأَدَاءِ مَا أَوْدَى ؛ وَتَزْيِينِ مَا أَزَيْنُ ، حَدًّا^(٤) أُمْلِكُ بِهِ الْحَمْدَ ، وَأَعْرِفُ فِيهِ بِالنَّصِيحَةِ وَأُسْتَوْفِي فِيهِ عَلَى الْغَايَةِ دَعَا هَذَا ، وَدَعَا لِي أَلْفَ دَرَاهِمَ ، فَإِنِّي أَتَّخِذُ رَأْسَ مَالٍ ، وَأُشَارِكُ بِقَالَ الْمَحَلَّةِ فِي دَرْبِ الْحَاجِبِ ، وَلَا أَقَلَّ مِنْ ذَا ، تَقَدَّمَ إِلَيَّ كَسَج^(٥) الْبَقَالِ حَتَّى يَسْتَعِينَ بِي لِأَبِيعَ الدَّقَاتَرِ . قُلْتُ : الْوَزِيرُ

(١) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ : « يَنْفِي » بِالنُّونِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا

(٢) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ : « لَوَالِي » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) كَذَا وَرَدَ هَذَا الْاسْمُ فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ دُونَ (ب) وَلَمْ نَهْتَدِ إِلَى وَجْهِ الصَّوَابِ فِيهِ .

(٤) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ : « جَدَا » بِالْجِيمِ ؛ وَهُوَ تَصْغِيفٌ .

(٥) كَذَا وَرَدَ هَذَا الْاسْمُ بِالْكَافِ وَالسِّينِ وَالْجِيمِ فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ ؛ وَلَمْ نَقِفْ عَلَى وَجْهِ الصَّوَابِ فِيهِ .

مَشْغُول . فما أَصْنَعُ به إذا فَرَغَ ، فالشاعرُ يقول :

« تُنَاطُ بِكَ الْأَمَالُ مَا اتَّصَلَ الشُّغْلُ »

قد والله نَسِيتُ صَدَرَ هذا البيت ، وما بال ^(١) غيـرى يُنَوِّله وَيُسَوِّله مع شُغْلِهِ ^(٢) وأحرَمَ أنا ؟ ! أنا كما قال الشاعر :

وَبَرَّقَ أَضَاءُ الْأَرْضِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا وَمَوْضِعُ رِجْلِي مِنْهُ أَسْوَدُ مُظْلَمُ
والله إنَّ الوَزِيرَ مع أَشْغَالِهِ الْمُتَّصِلَةِ ، وَأَتْقَالِهِ الْبَاهِظَةِ ، وفكرِهِ الْمَفْضُوزِ ^(٣)
ورأيه الْمَشْتَرَكِ ، لِكَرِيمٍ مُجِيدٍ ، وَمُفْضِلٍ مُحْسِنٍ ، يَرَعَى الْقَلِيلَ مِنَ الْحُرْمَةِ ،
وَيُعْطِي الْجَزِيلَ مِنَ النِّعْمَةِ ، وَيُحَافِظُ عَلَى الْيَسِيرِ مِنَ الدِّمَامِ ، وَيَتَقَبَّلُ مَذَاهِبَ
الْكَرَامِ ، وَيَتَلَذَّذُ بِالنَّشَاءِ إِذَا تَمَسَّحَ ، وَيَتَمَرَّضُ لِلشُّكْرِ مِنْ كُلِّ مُنْتَجِعٍ ،
وَيَزَرَعُ الْخَيْرَ ، وَيَخْصُدُ الْأَجْرَ ، وَيُؤَاطِبُ عَلَى كَسْبِ الْمَجْدِ ، وَيُنَابِرُ عَلَى
أَحْتِلَابِ الْحَمْدِ ، وَيَنْخَدِعُ لِلسَّائِلِ ، وَيَتَهَلَّلُ فِي وَجْهِ الْأَمِلِ ، وَلَا يَتَقَبَّوْا مِنْ
الْفَضَائِلِ إِلَّا فِي ذُرَاهَا ، رَحِيمٌ بِكُلِّ غَادٍ وَرَائِعٍ ، وَلِكُلِّ صَالِحٍ وَطَالِحٍ .

وأنا الجارُّ القديم ، والقَبْدُ الشَّاكِر ، والصاحبُ الْمَخْبُور ، ولكِنَّكَ مُقْبِلٌ
كَالْمُفْرِضِ ، ومُقَدَّمٌ كَالْمُؤَخَّرِ ^(٤) ، ومُوقِدٌ كَالْمُخْمِدِ ، تُدْنِينِي إِلَى حَظِّي
بِشِمَالِكَ ، وَتَجَذِّبُنِي عَنْ نَيْلِهِ بِبَيْمِينِكَ ، وَتُعْذِّبُنِي بِوَعْدِكَ كَالْعَسَلِ ، وَتُعْشِّبُنِي

(١) وردت هذه العبارة في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام هكذا « وما نال

غـيـرى سؤـل وتـحوـل مع شـغـله وآخـر من أنا » ؛ وفيها تحريف ظاهر لا يستقيم به المعنى .

(٢) ينوِّله ويعوِّله ، أى ينوله الوزير ويعوِّله . مع شغله ، أى مع شغل الوزير .

(٣) الفضوض ، أى المترفق غير المجتمع .

(٤) في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام : « ومؤخر كالقدم » ؛ وفي

كلتا الكلمتين تقديم وتأخير من النسخ ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا .

بِئْسَ كَالْحَنُظَل ، « وَمَنْ ^(١) » كَانَ عَتَبَهُ عَلَى مِظَنَّةٍ عَيْبِكَ ، فَلَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ تَقْصِيرُهُ عَلَى يَقْنَنَةٍ ^(٢) بِذِمِّكَ » .

نعم ؛ عَتَبْتُ فَأَوْجَعْتُ ، وَعَرَفْتُ الْبَرَاءَةَ فَهَلَّا نَفَعْتَ ؟ وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ ، إِنَّ شُكْرَكَ عَلَى ظَاهِرِكَ الصَّحِيحِ لَدَعْتُكَ لِبَاطِنِكَ السَّقِيمِ ، وَإِنْ حَدَّثْتُكَ عَلَى أَوْلَئِكَ الْجَلِيلِ ، أَفَسَدْتُ لَأَخْرُكَ الَّذِي لَيْسَ بِجَمِيلٍ .

قَدْ أَطَلْتُ ، وَلَكِنْ مَا شُفِيتُ ، وَنَهَلْتُ وَعَلَلْتُ ، وَلَكِنْ مَا رَوَيْتُ .
وَأَخِيرُ مَا أَقُولُ : اِفْعَلْ مَا تَرَى ، وَأَصْنَعْ مَا تَسْتَحْسِنُ ، وَأَبْلُغْ مَا تَهْوَى ، فَلَيْسَ وَاللَّهِ مِنْكَ بَدٌّ ، وَلَا عَنْكَ غِنَى .

وَالصَّبْرُ عَلَيْكَ أَهْرَنُ مِنَ الصَّبْرِ عَنْكَ ، لِأَنَّ الصَّبْرَ عَنْكَ مَقْرُونٌ بِالتَّيَّاسِ ، وَالصَّبْرَ عَلَيْكَ رُبَّمَا يُؤَدِّي إِلَى رَفْعِ هَذَا الْوَسْوَاسِ ، وَالسَّلَامُ لِلْأَهْلِ السَّلَامِ .

صورة ما كتبه الناسخ في آخر النسخة المرموز إليها بحرف (ا)

تم الجزء الثالث من كتاب « الإمتاع والمؤانسة » بحول الله وحسن توفيقه ، في شوال سنة خمس عشرة وثمانمائة ، على يد أضعف العباد شرف بن أميرة ، أصلح الله شأنه ، في مصر المحروسة ، حماها الله تعالى من الآفات والعايات ، ومن عوادي الزمان . آمين يارب العالمين .

تم الكتاب

(١) كذا ورد هذا الكلام في الأصل . وفيه تحريف ظاهر لم نهتد إلى وجه الصواب فيه .

(٢) على تيقنه ، أى مع تيقنه . « ويكون » هنا تامة .

فهرست الأعلام

الواردة في الجزء الثالث من كتاب الإمتاع والمؤانسة

لأبي حيان التوحيدى

(١)

- | | |
|---------------------------------|--------------------------------|
| ابن حجاج الشاعر — ١٥٣ ح | الأمدي — ٢٧ |
| ابن حذقيار — ١٤٨ ح | إبراهيم بن الجنيد — ٤ |
| ابن حرنبار = أبو محمد | إبراهيم (الحنبل) — ٨٧، ٣ |
| ابن حسان القاضي — ١٥٤، ١٥٧ | الأبرش الكلبي — ١٧٤، ١٧٣ |
| ابن حفص (صاحب الديوان) — ٢١٣ | ابن أبي البغل — ٤٧ |
| ابن درستويه — ٢١٣ | ابن أبي بكرة — ٥ |
| ابن الدقاق — ١٦١ | ابن أبي عمرة القزويني — ٧٦ ح |
| ابن دينار — ٤٧ | ابن الأثير — ٧٢ ح |
| ابن رباط الكوفي شيخ الكرخ ونائب | ابن أحمد — ٢٠٦ |
| الشيعه — ١٥٣، ١٩٧ | ابن الأخشاد — ١٩٦ |
| ابن الزبير — ١٨٢ | ابن آدم — ٢٨ |
| ابن زرة النصراني = أبو علي | ابن آدم التاجر — ١٥٣ |
| ابن زياد = عبيد الله | ابن أسادة — ٢٨ |
| ابن السراج — ٢١٦ | ابن الأعرابي — ١٤، ٢٦، ٣٠، ٤٨، |
| ابن سكرة — ٧٧ | ٨١، ٧٣، ٥٤ |
| ابن السكيت = يعقوب | ابن أيوب القطان — ١٥٣ |
| ابن سلام — ٢٩ | ابن يدر — ٤١ |
| ابن السكك — ١٥٨ | ابن برمويه — ١٩٨ |
| ابن سمعون — ١٤٧ | ابن البقال — ١٩٠، ١٩٥، ٢١٣ |
| ابن سورين — ٢١٢، ٢١٣ | ابن التلاج — ١٩٦ |
| ابن سيابة القاضي = أبو بكر | ابن جبلة — ١٩٨ |
| ابن سيرين — ٣ | ابن الجصاص الصوفي — ٧٧ |
| ابن شاهويه = أبو بكر | ابن حبيب — ٢٧، ٣٥، ٤١ |
| ابن صفي — ١٦٥ ح | |
| ابن ضبعون الصوفي — ٧٦ | |
| ابن الضحاك بن قيس الفهري — ١٦٥ | |

- ابن طاهر — ٢٠٧
 ابن الطحان الضرير البصري — ١٩٦
 ابن ظبيان التيمي = عبيد الله زياد بن ظبيان
 ابن حاصر — ٨٤
 ابن عباد (الصاحب) — ١٨٤ ، ٢
 ابن عباس — ٧٦ ، ٧٢
 ابن عبدل المنصوري — ١٠٠
 ابنا عبيد — ٥١
 ابن عبيد الكاتب — ٧٤
 ابن عطاه — ١٦٥ ح
 ابن علقمة — ٥٩ ح
 ابن عمر — ٥٩ ، ٥
 ابن عياش (اللتوف) — ١٧٦ ، ١٧٢
 ابن غسان البصري — ٧٨
 ابن غسان الفاضل — ١٥٣
 ابن فارس = أبو الفتح
 ابن قريظة — ٢١٣
 ابن قرارة المطار — ٧٥
 ابن القرية — ٤٨
 ابن كبرويه — ١٦٠
 ابن كيسان — ٦
 ابن المبارك — ٤
 ابن معروف الفاضل — ١٥٣ ، ١٠٠ ، ٢١٧ ، ٢١٣ ، ١٨٨
 ابن مقله = أبو علي
 ابن مكرم — ٦٩ ، ١٥٣
 ابن نويره — ٧٣
 ابن هبيرة = عمر
 ابن الهيثم — ١٩٥
 ابن وصيف — ٢٠٦
 ابن اليزيدي — ٢٢٢
 ابن يوسف = عبد العزيز
 أبو أحمد الجرجاني — ١٥٤
- أبو أحمد الموسوي — ١٦١
 أبو أحمد بن الهيثم — ٢١٣
 أبو الأرضة — ١٦٥
 أبو إسحاق الصائغ — ١٥٩ ، ٢١٣
 أبو الأسود الدؤلي — ٣٣ ، ١٧٦
 أبو أمية بن المغيرة — ٥٣
 أبو أيوب الأنصاري — ١٠
 أبو بردة بن أبي موسى الأشعري — ١٧٧
 أبو بكر بن شاهويه — ١٤٨ ، ١٤٩
 أبو بكر أحمد بن إبراهيم — ٧
 أبو بكر الرازي — ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٨
 أبو بكر الزهري — ٢١٣
 أبو بكر بن سيار الفاضل — ١٥٤
 أبو بكر الصديق — ١٠ ، ١٠٣ ، ١٦٦ ، ١٩٩
 أبو بكر = عبد الله بن الزبير
 أبو تمام الزينبي — ١٠٠ ، ١٥٣ ، ٢١٣
 أبو تمام (الشاعر) — ١٨٥ ، ١٨٦
 أبو الجراح (ابن عياش) — ٥٢ ، ٥٥ ، ١٧٦
 أبو جعفر المنصور (الخليفة) — ١٥٩ ح ، ١٨٠ ، ١٨١
 أبو الجوزاء — ٣١
 أبو حاتم — ٨١
 أبو الحارث حيد — ٣٩
 أبو الحارث = القيث بن سعد
 أبو حازم المدني — ٦
 أبو حامد المروزي الفاضل — ١٠٠ ، ٢١٣ ، ١٨٨
 أبو حمزة = جرير الشاعر
 أبو الحسن — ١٥٤
 أبو الحسن الضرير — ٩٤
 أبو الحسن الطوسي ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤
 أبو الحسن العاصمي — ٩٤

أبو الحسن = علي بن عيسى الرمانى
 أبو الحسن الهيثم — ١٨
 أبو الحسين البنى — ١٠٠
 أبو حنيفة (الإمام) — ١٨٠
 أبو حيان — ٢٢٧
 أبو خالد أريد — ١٦٦ ح
 أبو خالد الكاتب = أحمد
 أبو خالد مروان بن الحكم — (كذا)
 ١٨٠ ، ١٦٥
 أبو الخطاب الصابى — ٢١٣
 أبو خليفة للفضل بن الحباب — ٧
 أبو الحنفى — ١٨٣
 أبو الخير — ١٠٦
 أبو دلامة الأسدى — ٢٤
 أبو الدود — ١٦٠
 أبو الذباب — ١٦٠
 أبو زكرياء الزاهد — ٩٢
 أبو زيد (النحوى) ، ٣٧ ، ١٨٥
 أبو زين = بكر بن نطاح
 أبو سعيد الحضرمى — ١٩٢
 أبو سعيد الحدرى — ٥
 أبو سعيد الخراز — ٩٧
 أبو سعيد السيرافى — ١٥٤ ، ١٢٩ ، ٨٣ ،
 ٢١٣ ، ٢٠٤ ، ١٩٩ ، ١٧٨ ، ١٥٨
 أبو سعيد بن العاص — ١٦٦
 أبو السفر — ١٦٦
 أبو سفيان (والد معاوية) — ١٧٨
 أبو سليمان المنطقى — ٩٩ ، ٩٧ ، ٨٦ ،
 ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٢٤ ،
 ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ،
 ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ،
 ١٣٧ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٨٧ ،
 ١٨٨ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ،
 ١٩٧
 أبو السؤل الكردى — ٢٢٨
 أبو شاكر بن همام بن عبد الملك — ١٧٢
 أبو صالح — ٧٦
 أبو الصلت — ٦١
 أبو طفيلة الحرمازى — ٨١
 أبو الطمغان القينى — ٧٣
 أبو العباس (صاحب جيش آل سامان) — ٩١
 أبو العباس البرد — ٥٤ ، ١٧٣ ، ح ، ١٨٦
 أبو عبد الله البصرى — ٢١٣
 أبو عبد الله (همام) — ١٢
 أبو عبد الله اليزيدى — ٧٥
 أبو عبد الله اليفرقى — ٢١٣
 أبو عبيدة — ١٣ ، ٣٨ ، ٤٨
 أبو عثمان الأدمى — ١٩٦
 أبو العلاء ساعد — ٢١٣
 أبو علقمة — ١٨٥
 أبو على — ١٢٩
 أبو على الحسن بن على القاضى التنوخى —
 ١٤٨
 أبو على = عيسى بن زرعة
 أبو على = عامر بن الطفيل
 أبو على القالى (صاحب الأمالى) — ٣٦ ح
 أبو على بن مقلة — ٧٥
 أبو عمر النشارى — ٧٦
 أبو عمرو — ٣٣ ، ٥٩
 أبو عمرو بن أمية — ٥٣
 أبو عيسى الوراق — ١٩٢
 أبو العيلاء — ٦٩
 أبو الفتح بن فارس — ٢٠٦ ، ٢٠٥
 أبو فراس (الفرزدق) — ١٦٨ ، ١٨٥
 أبو فرعون الشاشى — ٣٤ ، ٧٠
 أبو فرعون الصدوى — ٧
 أبو الفضل العباس بن الحسين الوزير =
 العباس بن الحسين الوزير

أبو القاسم الحارثي — ١٨٨
 أبو القاسم أخو محمد القاضي — ٢١٢
 أبو القاسم = عبد العزيز بن يوسف
 أبو خفانة — ١٦٦
 أبو القمقام — ٦٩
 أبو الكرشاء — ٣٤
 أبو كعب الأنماري — ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٩٦
 أبو لهب — ١٨٠
 أبو محمد = الحجاج بن يوسف الثقفي
 أبو محمد بن حرنبار (كذا) — ١٤٨
 أبو محمد الثالثي — ١٥٣
 أبو محمد العروضي — ١٨٦
 أبو محمد الفارسي — ٢١٣
 أبو محمد القاضي — ٢١٧
 أبو محمد = مسعر بن مكرم
 أبو محمد المهلب — ٢١٣
 أبو مزروق — ٢٦
 أبو مزيد — ٢٢٥
 أبو مطر = عبيد الله بن زياد بن ظبيان
 التيمي — ١٨٣
 أبو منصور القطان — ٤٥
 أبو موسى الأشعري — ١٧٧
 أبو النجم — ٢٦ ، ٢٥ ح
 أبو النفيس — ١٣٨
 أبو النوايح — ١٦٠
 أبو عريرة — ٤٦
 أبو حماد — ١٩٨
 أبو الوفاء المهندس — ١٥٤ ، ١٥٩
 ٢٠٧ ح ، ٢٢٢ ، ٢٢٥
 أبو يزيد البسطامي — ٩٧
 أبو يوسف (حاجب عبد الملك بن مروان)
 — ١٦٨
 أحمد بن إبراهيم = أبو بكر
 أحمد بن أبي خالد الكاتب — ٨٠
 أحمد بن روح الأهوازي — ٧٧
 أحمد الطويل — ٢١٣
 أحمد بن يوسف الكاتب — ٨٠
 الأخنف بن قيس — ٥٩ ، ١٧٣
 الأحموس الشاعر — ١٨٤
 الأخطل الشاعر — ١٨٣
 أودشير — ٤٠
 أرسطوطاليس — ١٠٠
 استابنجاس — ٧٠ ح ، ٧٤ ح ، ٧٥ ح ،
 ١٧٥ ح
 إسحاق (النبي) — ٧٨
 إسحاق الموصلي — ٧٩ ، ٨٠
 أسد بن عبد الغزي — ٥٣
 أسد المحاسبي — ٩٧
 أسعد بن زرارة — ١٠
 الإسكندر — ٩٨
 أسماء بن خارجة — ٢
 أسماء بنت عميس — ٧٢ ،
 ١٨٢
 أسود الزبد — ١٦٠
 الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد الغزي
 ٥٣
 أسيد = أبو خالد
 الأصمعي — ٦ ، ١٣ ، ١٦ ، ١٨ ح ،
 ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٢ ، ٥٨ ، ٨١
 الأعشى — ١١ ، ٤٨ ، ١٧٤
 الأعمش — ٣
 أم أيوب — ٩
 أم البنين — ٦
 أم الجلال — ١٧٤
 أم الخندف — ١٨٣
 أم سلفة — ٧٢ ح

أبو القاسم الحارثي — ١٨٨
 أبو القاسم أخو محمد القاضي — ٢١٢
 أبو القاسم = عبد العزيز بن يوسف
 أبو خفانة — ١٦٦
 أبو القمقام — ٦٩
 أبو الكرشاء — ٣٤
 أبو كعب الأنماري — ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٩٦
 أبو لهب — ١٨٠
 أبو محمد = الحجاج بن يوسف الثقفي
 أبو محمد بن حرنبار (كذا) — ١٤٨
 أبو محمد الثالثي — ١٥٣
 أبو محمد العروضي — ١٨٦
 أبو محمد الفارسي — ٢١٣
 أبو محمد القاضي — ٢١٧
 أبو محمد = مسعر بن مكرم
 أبو محمد المهلب — ٢١٣
 أبو مزروق — ٢٦
 أبو مزيد — ٢٢٥
 أبو مطر = عبيد الله بن زياد بن ظبيان
 التيمي — ١٨٣
 أبو منصور القطان — ٤٥
 أبو موسى الأشعري — ١٧٧
 أبو النجم — ٢٦ ، ٢٥ ح
 أبو النفيس — ١٣٨
 أبو النوايح — ١٦٠
 أبو عريرة — ٤٦
 أبو حماد — ١٩٨
 أبو الوفاء المهندس — ١٥٤ ، ١٥٩
 ٢٠٧ ح ، ٢٢٢ ، ٢٢٥
 أبو يزيد البسطامي — ٩٧
 أبو يوسف (حاجب عبد الملك بن مروان)
 — ١٦٨

التورى — ١٣ ، ٣٢

(ج)

جابر (ابن عبد الله) — ٤٠ ، ٦٠

جابر بن قبيصة — ٤٥

الجاحظ — ٢ ، ٣ ، ٢٥ ح

جالينوس — ١٢٩

الجرجاني — ٢١٧

الجرجاني — ٢١٧

جرير (الشاعر) — ٥٨٩ ح ، ١٦٧ ح ،

١٨٣ ح ، ١٨٤ ، ١٨٦

جبل — ١٥٤

جعفران الموسوس — ٨٣

جيز — ١٠٢

جيل — ١٦٨

الجنيد بن عبد الرحمن — ١٧٩

الجنيد بن محمد الصوفي البغدادي العالم — ٩٧

جهم — ١٩٦

الجواليقي — ١٨٩

(ح)

حاتم الأصم — ٣ ح ، ٤ ، ٨٥

حاتم الطائي — ٤٢

الحاتمي — ١٢٦ ، ١٢٧

الحارث بن أسد المحاسبي — ٩٧

حاطب بن أبي بلتمة — ١٧٩

حامد القفاف التزهدي (كذا) — ٣

الحجاج (ابن يوسف الثقفي) — ٨٠ ،

١٥٨ ، ١٦٨ ، ١٧٨ ، ١٨٢

الحجاجي — ٧١

حذيفة — ١٠٢

حسان (ابن ثابت) — ٣٨ ، ١٦٥ ، ١٧٨

أم عباد — ٥١

أم هشام السلوية — ١٨

أمية أخو خالد — ١٧١

أمية بن عبد الله بن خالد — ١٧٠

الأندلسي (أبو العباس) — ١٨ ، ١٢٦

الأنصاري بن كعب — ١٩٦

أيوب بن ظبيان — ١٦٧ ح

(ب)

بثينة جيل — ١٦٨

البحترى — ١٨٥ ، ١٨٦

بختيار (عز الدولة) — ٧٨ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ،

١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ٢١٩

بشار (ابن برد) — ٣١

بكر بن عبد الله المزني — ٣

بكر بن نطاح — ٥٠

بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري —

١٧٧ ، ١٨٥

بهرام — ٢١٠

بهرام جور — ١٧٥

بيان التبان بن سمان التميمي — ١٧٦ ح

(ت)

التوزي — ١٣ ح

(ث)

ثابت (ابن عبد الله بن الزبير) — ١٦٤ ،

١٦٦

الثعالبي — ١٦٧ ح

ثعلب — ٥٢ ح

ثعامة (ابن حوشب) — ١٧١ ، ١٧٢ ح

الخليل — ٢١٧

خيشمة — ٣

(د)

دفيف (كذا) — ٤٩ ، ٥٠

دوس — ٩

ديك الجن — ٣٤

(ذ)

ذو الرمة — ٦١ ح

ذؤب بن عمرو — ١٥

(ر)

الرضى — ١٥٠

رجاء بن سلعة — ١٥

رستم (صاحب الأعاجم) — ١٠٢ ، ١٠٤

رقية بن مصقلة — ٣٤

روم — ٩٧

(ز)

زامل بن عمرو — ١٧٩ ، ١٨٠

الزبرقان بن بدر — ١٦٣

الزبير — ١٧١

الزبير الأسدي — ١٠٤ ح

الزبيرى — ١٤ ، ١٥٣

زفر بن الحارث السكلاي — ١٧٠ ، ١٧١

الزخشمى — ٧٢ ح

زمنة بن الأسود — ٥٣ ح

الزهري — ١٠٠ ، ١٥٣ ح

زهير (ابن أبي سلمى) — ٤١ ، ١٨٦

الزهيرى — ١٩٦

الحسن — ٥

الحسن البصرى — ٣٥ ، ٣٧ ، ١٥٨ ،

١٦٠ ، ٢١٤

الحسن بن سهل — ٨٣

الحسن بن على بن أبي طالب — ٢ ، ١٨٠

الحسن بن على القاضى التنوخى = أبو على

الحكم بن أبي العاص — ١٦٤

حماد بن أبي سليمان — ٥

حماد بن أبي حنيفة — ١٨٠

حماد الراوية — ٦٧

حمالة الخطب من — ١٨٠

حمدان — ٧٧

حمران — ١٨٤

حمزة بن بيض الحنفى — ١٨٥

حمزة الصنف — ٨٣

حمزة ابن عاد (كذا) — ٤٩

حميد — ٨٣

الحنبولوى (كذا) — ٢٨

حوشب — ١٩ ، ١٧٢

(خ)

خالد بن أسيد — ١٦٦ ، ١٧٠ ، ١٧١

خالد البرمكى — ١٥٣ ح

خالد الحصى — ٢٠١

خالد بن صفوان بن الأهم — ٦٠ ، ١٦٨

خالد بن عبد الله — ١٧٦ ح

خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد — ١٧٠

خالد بن عبد الله (القسرى) — ١٧٧

خالد القرشى — ١٧٠

خالد بن الوليد — ١٦٥

خالد بن يزيد بن معاوية — ١٧٨

خدش بن زهير — ١٧٢ ح

الخطاب (والد عمر) — ١٠٣

خديجة (أم المؤمنين) — ١٨٢

زياد — ٤٣ ، ٤٥ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٨٢ ،
١٧٤

(س)

سابق الزبيرى — ٧٤
ساسنكر التركى (كذا) — ٢١٥
سالم — ١٥
سالم بن داره — ١٦٧
السرى — ٢١٣
سعد بن أبى وقاص — ١٠٢ ، ١٠٣
سعد بن عباد — ١٠ ، ١٦٩
سعد المعالى — ٢٢٨
سعيد بن سلمة — ٨٤
سعيد بن العاص — ١٧ ح ، ١٦٦
سعيد بن عبد الرحمن بن حسان — ١٦٨ ،
١٦٩

سعيد بن عثمان بن عفان — ١٦٤
سعيد بن أبى عروة — ٨٠
سعيد بن المديب — ٣١
السفاح بن بكر — ٨٢
سمويه القاص — ٢٢
سفيان الثورى — ٣٧
سفيان بن معاوية المهلبى — ١٨١
سلمان (أى سليمان) — ٨
سلمان القارسى — ٨٣
سلمة — ٦٩

سليمى — ٣٦
سليمان بن ثوبة — ٧

سليمان (ابن داود عليه السلام) — ٢٩ ،
١٠٣

سليمان بن عبد الملك — ١٦٨ ، ١٧١ ،
٢٢١

سماعة بن أشول — ٥١

سمعان التيمى — ١٧٦ ح
سنان بن أبى حارثة — ٨٢
سنان بن مكل — ١٦٧ ح
سنجر — ٢١٥ ح
السيرافى = أبو سعيد

(ش)

الشالوسى = أبو محمد
شرف بن ميرة — ٢٣٠
شريك بن محمد — ١٦٧ ح
الشعبى — ٣٢ ، ١٨٣
شقيق البلخى — ٨٥
شمر (ابن عاد) (كذا) — ٤٩
الشنوفى — ١٤

(ص)

الصابى* = أبو إسحاق
صمصمة — ١٧٨
صفية (أم المؤمنين) — ١٨٢
صهيب — ١٠

(ض)

الضعاك بن قيس الأنهرى — ١٦٥ ، ١٧١

(ط)

طاهر بن محمد بن إبراهيم — ٢٠٦
الطبرى — ١٦٧ ح ، ١٧٢ ح
طفيل (ابن عاد) (كذا) — ٤٩
طفيل العرائس — ٥٦
طلحة بن عبد الله — ١٧٩

عبيد الله بن سليمان — ٨٩
 عبيد الله بن عباس — ٤٢
 عتبة بن أبي سفيان — ١٧٨
 عثمان بن خالد — ١٩٥
 عثمان بن رواح — ٤٠
 عثمان بن عفان — ١٦٤، ١٦٥، ١٦٩،
 ١٨٣، ١٩٩
 عدة الدولة — ١٥٦
 عرام بن شتير — ١٦٧
 عروة بن الزبير — ١٨٢
 العريان بن الهيثم الهجيمي — ١٧٧
 عز الدولة = مختار — ١٥٤، ١٥٢، ٧٨،
 ١٥٧، ١٥٩، ٢١٩
 عضد الدولة — ١٤٨
 عطاء بن أبي صيني — ١٦٥
 عقبة — ٥٣
 عقيل (ابن أبي طالب) — ١٨٠، ١٨٤
 عقيل بن علفة — ٥٩
 عكرمة بن ربعي الشيباني — ١٩
 العلوي (صاحب الزنج) — ٤٣ ح
 عليم بن خالد الهجيمي — ١٧٣
 علي بن أبي طالب — ٧٠ ح، ١٨٣،
 ١٨٤، ١٩٧، ١٩٩
 علي بن عبد الله — ١٧٨
 علي بن عبد الله بن العباس — ٧٦
 علي بن عيسى — ١٦
 علي بن عيسى الرماني (أبو الحسن) — ١٣٠،
 ١٣٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٨
 علي بن محمد (رسول سجنستان) — ١٩٨
 علي بن محمد ذو الكفائتين — ٢١٧
 عمار — ١٩
 عمار (ابن عاد) (كذا) ص ٤٩
 العمانى الشاعر — ٥٦
 عمر (ابن الخطاب) — ١٠، ١٣، ٤٥،
 ٥٩، ٧٢، ٧٧، ٧٩، ٨٥، ١٠٢،

طلحة بن عبيد الله — ٤٥
 الطوسي — ١٣

(ع)

عادية بنت فرعة الزبيرية (كذا) — ٩
 عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب
 العامري — ٦٩
 عامر بن عبد القيس — ٨٤، ١٨٤
 عائشة (أم المؤمنين) — ٧، ٦٩، ١٨٢،
 ١٩٩
 عباد بن زياد — ١٦٨
 العباس بن الحسين الوزير — ٢١٣، ٢١٥
 الصبداني — ١٨٠
 عبد الأعلى القاسم — ١٥
 عبد الرحمن بن الحارث بن هشام — ١٨١
 عبد الرحمن بن حسان بن ثابت — ١٦٥،
 ١٦٨، ١٦٩
 عبد الرحمن بن حوشب — ١٦٣
 عبد الرحمن بن خالد بن الوليد — ١٦٥
 عبد الرحمن بن سعيد القرشي — ٢٠١
 عبد العزيز بن يسار — ١٨
 عبد العزيز بن يوسف — ١٤٧، ١٤٨،
 ١٤٩، ٢٢١
 عبد الله بن الزبير — ١٠٤ ح، ١٦٤،
 ١٨٢
 عبد الله بن صفوان بن أمية الجهمي — ١٨١
 عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس
 — ٧٦
 عبد الملك بن مروان — ٨٤، ١٦٤،
 ١٦٥، ١٦٨، ١٧٠، ١٧١،
 ١٧٨، ١٨٢، ٢٠١
 عبيد الله بن زياد — ١٧٦
 عبيد الله بن زياد بن طليان — ٤٨، ١٧٢،

الفضل بن العباس — ٧٩

(ق)

قنادة — ٦٧

قتيبة (ابن مسلم) — ٣٢ ، ١٧٢

قرزعة بن عاد (كذا) — ٤٩

القومسي — ٢١٦ ، ٢٢١

قيس بن سعد بن عبادة — ١٦٩ ، ١٧٠

قيصر — ٢٠٣

(ك)

الكروسي الشاعر — ٢٩

كسج البقال (كذا) — ٢٢٨

كسرى — ١٧٥ ، ٢٠٣

الكلابي — ١٤

كلثوم بن الهدم — ١٠

الكيت — ١١

الكندي — ١٣٣

كهمس (كذا) — ٧

(ل)

ليد ابن ربيعة — ٦٩ ح

لفهان (الحكيم) — ٨٥

لفهان بن عاد — ٤٩

لقيط بن زرارة — ٧٢ ، ٩٠١

لوسترانج — ١٦٠ ح

الليث بن سعد — ٤

(م)

مالك بن دينار — ٣

مالك (ابن عاد) — ٤٩

١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٧٨

عمر بن عبد العزيز — ٦ ، ١٨٣

عمر بن عمران — ٧

عمر بن هبيرة الفزاري — ٣٩ ، ١٦٧ ، ١٧٦

عمرو بن الأهمم التيمي — ١٦٣

عمرو بن العاص — ٤٥ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣

عمرو بن عثمان المكي — ٩٧

العواي — ٢٨ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٧

عيسى بن زرة — ٦٣ ، ٦٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٣٥

١٩٧

عيسى بن عمر — ١٦

عيسى بن مريم (عليه السلام) — ٣ ، ١٧٩

(غ)

غسان بن ذهل — ٩ ح

الغلابي — ١٧٤

غيلان بن خرشة — ٦٧

غيلان الواعظ — ١٨٢

(ف)

الفتح الموصل — ٩٧

فخر الدولة — ٢١٩

الفراء — ١٣

فرج الرخجي — ١٢

الفرزدق — ٣١ ، ٣٤ ، ٥٩ ، ١٦٨ ، ١٨٥ ، ١٨٦

١٨٥ ، ١٨٦

فريعة — ١٦٦

فضل (رئيس الفرقة التي تنسب إليه) — ١٨٨

مطرف بن عبد الله بن الشخير — ٤٦
 المطلب بن أسد بن عبد الغزى — ٥٣
 مطهر بن أحمد الكاتب — ٧٥
 المطيع لله (أمير المؤمنين) — ١٥٥
 معاوية (ابن أبي سفيان) — ٤٥ ، ٦٠ ،
 ١٦٥ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ،
 ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢
 معاوية بن صفعة — ١٦
 معاوية الهلبى — ١٨١
 المتصم الخليفة — ١٠٥
 المتصم (الخليفة) — ٨٨ ، ٨٩ ، ١٠٥
 المللى بن أيوب — ٢٠١
 معن بن أوس — ١٧
 معن بن زائدة — ١٨٠
 المنيرة بن شمعة — ٤٥
 المنجج — ٣٤
 المفضل الضبي — ١٨٣
 المفوقس (ملك الإسكندرية) — ١٧٩
 المنصور (أبو جعفر الخليفة) — ٧٦ ، ١٠٥ ،
 ١٥٩ ، ١٨١
 منظور بن أبان — ١٧٨
 المهلب (ابن أبي صفرة) — ٨٥
 مهمل (ابن ربيعة الشاعر) — ١٧
 موريس — ١٣٠
 الموصلى (أبو إسحاق) — ١٦١
 ميسرة الرداس — ٧٩
 ميمون بن مهران — ٣

(ن)

الناطقة الشاعر — ٧٣ ، ١٨٦
 نصر بن سيار — ١٠١
 نش (ابن عاد كذا) — ٤٩ ، ٥٠

نالك بن مسمع — ١٧٢ ، ١٧٣
 للأمون (الخليفة) — ١٠٤ ، ١٠٥ ، ٢٠١
 النبرد = (أبو العباس)
 النني الشاعر — ٦٦ ح
 مجاهد — ٤٢
 الهبى — ٦٠ ح
 المحسن الضبي — ٨١
 محمد بن إبراهيم — ٩١ ، ٢٠٦ ، ٢١٩
 محمد بن بشير — ٢٨
 محمد بن بقة — ٢١٦
 محمد بن خالد القرشى — ١٧٠
 محمد بن صالح بن شيان — ١٥٣
 محمد الصوفى البغدادي العالم — ٩٧
 محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم) —
 ١٠٣ ، ١٥٥
 محمد بن عمارة — ١٦٦
 محمد بن عمر (الشريف) — ١٠٠
 المدائنى — ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ،
 ١٧١ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ،
 ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ،
 ١٨٤
 مرئند (ابن حوشب) — ١٧١ ، ١٧٢ ح
 مرعوش (رئيس الطائفة المرعوشية) — ١٨٨
 المرقش الأكبر — ٤٣
 مهوان بن الحكم = أبو خالد
 مزيد — ٧١ ، ٧٨
 مسافر بن أبي عمرو بن أمية — ٥٣
 مسمر بن مكرم — ٣٤
 مسكويه — ٢٢٧
 مسكين الدارمى — ١٧٧
 مسلم بن قتيبة — ٣٣ ، ٢٠٠ ، ٢٠١
 سلمة بن عبد الملك — ١٦٣ ، ٢٠١
 المسيح (عليه السلام) — ١٩٧
 مصعب بن الزبير — ١٨ ح ، ١٧٠

وكيع بن الجراح — ١٧٨ ، ٧٦
الوليد — ١٢٢ ح
الوليد النبري — ١٦٧

(ي)

ياقوت ١٨ ح ، ١٦٠ ح
يحيى بن أكنم — ٧٦
يحيى بن الحكم (أخو مروان) — ١٨٠ ح
يحيى بن خالد البرمكي — ١٥٣ ح
يحيى بن زكريا — ١٧٩
يحيى بن معاذ — ٨٥
يزيد بن ربيع — ٧٥
يزيد بن مسلم — ١٦٨
يزيد بن معاوية — ١٧٨
اليزيدي = أبو عبد الله
يعقوب بن السكيت — ٢٤ ح ، ٣٠ ح ،
٣٩ ، ٨٤ ، ٢٠١
يونس — ٤٠ ، ٧٤

(هـ)

حدية النري — ٢٠٣
هرمز — ١٠٣
هشام — ١٢
هشام بن عبد الملك — ١٧٢ ، ١٦٥ ، ١٥ ،
١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٨٢ ، ٢٠١
هشام الثقفي — ١٨٩
هشيم — ٣٠
هلال بن مكل النبري — ١٦٧
الهلالي — ٤٦
هيان بن قحافة — ٣١
الميثم بن جراد — ٥٨

(و)

واصل بن عطاء — ١٥٨
الواقدي — ٩

فهرست أسماء الأماكن الواردة في الجزء الثالث من كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي

بولاق — ١٧٠ ح
البيت (بيت الله الحرام) — ٣٠
البيضاء — ١٥٠
بين السورين — ١٦١

(ت)

نبالة — ١٧٢
تسقى — ٦٨
تكرت — ١٨ ح
تهامة — ٣٠

(ج)

الجامع — ١٤٧
جامع البصرة — ١٠٠
الجبال — ٦٨ ح
جبال همام — ١٤٦
الجبيل — ١٥٠ ، ٢٢١
جرجان — ٧

(ح)

الحجاز — ١٠ ح ، ١٥٧
الحرم — ٣٠
حلوان — ٢٠٥ ح

(ا)

ابنا همام — ١٤٦ ح
أجباد — ١٦٥
أحد — ١٦٩
أذربيجان — ١٥٥
الأراك — ١٧٢ ح
أردبيل — ٤٥
الإسكندرية — ١٧٩
أصبهان — ٢٨ ، ٦٨ ، ٩١ ح
الأهواز — ٦٨ ، ٧٨
أوربا — ٤٩ ح ، ١٦٧ ح ، ١٧٢ ح ،
١٧٤ ح

(ب)

باب الطاق — ٨٨ ، ١٨٨
باجيري — ١٨
البصرة — ١٥ ح ، ٣٤ ، ١٤٨ ، ١٧١ ،
٢٢٨ ، ١٨٨
البطائح — ٢٢٨
بطن مر — ١٧٢ ح
بغداد (دار السلام) — ٦٩ ، ١٥٣ ح ،
١٦١ ح ، ١٨٨ ، ١٩٧
القيم — ١٣

الصيمرة — ٦٨ ح
الصين — ١٢٤

(ط)

الطائف — ١٨٢
طيس — ٩١ ح

(ع)

العراق — ٧ ح، ١٧٧، ١٧٨، ٢٠٨،
٢٢١
المقيق — ٧٠
عمان — ١٧٣

(غ)

الغضا — ٣٩

(ف)

فارس — ١٠٤، ٩٩، ٦٨

(ق)

قايين — ٩١ ح
قبا — ١٠
قزميسين — ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٢٧
قزوين — ٤٥
قنطرة البطريق — ١٦٠ ح
قنطرة الزبد — ١٦٠

(ك)

الكرخ — ١٥٣، ١٦٠

(خ)

خراسان — ٩١ ح، ١٠١، ١٥٧،
١٧١، ١٧٩، ٢٠٠
خوزستان — ٧ ح، ٦٨ ح

(د)

دار الكتب المصرية — ٢٤ ح
درب الحاجب — ٢٢٧، ٢٢٨
درب الرواسين — ٢٢٧
الدينور — ٢٠٥ ح

(ر)

رسم البطريق — ١٦٠
الرصافة — ١٥٣ ح، ٢٠١، ٢٠٧
الري — ١

(س)

سجستان — ١٧١، ١٩٣، ١٩٨
سلمى — ٢٠٣
سوق يحيى — ١٥٣

(ش)

الشام — ٥٩، ١٦١، ١٦٤، ١٧١، ٢٢٨

(ص)

الصراة — ١٦٠
صفين — ١٨٣
صنهاء — ٢٠٨

مكتب الرضى — ١٥٠
مكة — ٣٠، ٧٠، ٨٠، ١٠٣، ١٦٤،
١٦٦، ١٦٥
مهرجان قذق — ٦٨
الموصل — ١٨ ح، ٩٧، ١٠١، ١٥٥

(ن)

النباج — ٥٤
نجران — ١٤٦
نصيبين — ١٥١
النقيع — ١٣
نهر الصراة — ١٦٠
نيسابور — ٩١، ١٨٠، ٢١٩

(هـ)

همدان — ١٤٨، ٢٠٥ ح، ٢١٩

(ي)

اليمين — ١٥٧، ٢٠٨

الكعبة — ١٩٠
الكوفة — ٥٩، ٧٩، ١٠٣، ١٥٢،
١٥٤، ١٥٣

(ل)

ليزج — ١٧ ح

(م)

المجمع العلمي العربي — ٢٦ ح
المدينة — ١٣، ١٥، ٢٣، ٣٩، ١٦٤،
١٦٥، ١٦٦، ١٧١
مدينة السلام (بغداد) — ١٥١، ١٥٣،
٢٢٠

المرج — ١٧٢ ح
مرج راحط — ١٧١ ح
مسجد ابن رغبان — ١٦١
مفرعة الروايا — ٢٢١
مصر — ١٥٧، ١٨١، ٢٣٠
الطبعة العلمية — ٩ ح

تم فهرست الأماكن

فهرست الكتب

الواردة في الجزء الثالث من كتاب الإمتاع والمؤانسة

لأبي حيان التوحيدي

ديوان حسان — ٣٨ ح
ديوان الحماسة — ٢٨ ح
ديوان ذي الرمة — ٦١ ح
ديوان معن بن أوس — ١٧ ح

(ش)

شرح القاموس — ٥٣ ح
شعر أعمى همدان — ١٧٤ ح
شعر الأعشى — ٤٩ ح ، ١٧٤ ح

(ع)

المقد القريد — ١٠٢ ح ، ١٦٧ ح ،
١٧٠ ح
عيون الأخبار — ١٠٢ ح ، ١٧٦ ح

(ف)

الفرق بين الفرق — ١٧٦ ح

(ك)

الكامل لابن الأنبار — ١٧٦ ح
الكامل للمبرد — ١٧٣ ح

(١)

إصلاح المنطق لابن السكيت — ٢٤ ح ،
٣٠ ح ، ٣٢ ح
الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني — ١٧٢ ح ،
١٧٧ ح
الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي —
٢٣٠

(ب)

البيان والتبيين للجاحظ — ٢٩ ح

(ت)

التاجي لأبي إسحاق الصابي — ١٥٩
تاريخ الطبري — ١٦٧ ح ، ١٧٢ ح
التصنيف — ١٨٥

(ح)

الحیوان للجاحظ — ٢٥ ، ٣٧ ح

(د)

ديوان جرير — ٩ ح

— ع —

مجموعة المعاني — ٢٤ ح ، ٤٣ ح ، ٤٤ ح ،
١٠٤ ح

الحاسن والأضداد للجاحظ — ٢٤ ح

محاضرات الأدباء للراغب — ٣٨ ح

المخصص لابن سيده — ٣١ ح ، ٧١ ح ،
٨٤ ح

معجم البلدان لياقوت — ١٨ ح ، ١٦٠ ح
المعجم الفارسي الإنجليزى لأستابنجاس —
٧٠ ح ، ٧٤ ح ، ٧٥ ح ، ١٧٥ ح

(ن)

النقائض — ٥٨ ح

النهاية لابن الأثير — ٧٢ ح

نهاية الأرب للنويرى — ١٦٧ ح

(ي)

يتيمة الدهر للثعالبي — ٧٧ ح

كتاب بغداد للأستاذ لوستراخ — ١٦٠ ح
كتاب التنبيه على أغلاط أبي علي القالى —

٣٦ ح

الكناية والتعريض للثعالبي — ١٦٧ ح

(ل)

لسان العرب لابن منظور — ١١ ح ،

١٣ ح ، ٢٠ ح ، ٢٤ ح ، ٢٩ ح ،

٣٠ ح ، ٣٣ ح ، ٣٦ ح ، ٤٤ ح ،

٤٥ ح ، ٥٢ ح ، ٥٨ ح ، ٦٠ ح ،

٧٠ ح ، ٧١ ح

(م)

مايهول عليه في المضاف والمضاف إليه للمصنف

— ١٣ ح ، ٦٠ ح

مجلة المجمع العلمي العربي — ٢٦ ح

مجمع الأمثال للميداني — ٣٥ ح ، ٣٩ ح ،

١٧٠ ح

تم الفهرست

فهرست أسماء القبائل والأمم والفرق
الواردة في الجزء الثالث من كتاب الإمتاع والمؤانسة
لأبي حيان التوحيدي

(ت)	(ا)
الترك — ١٧٠، ١٢٩، ١٨	آل أبي طالب — ١٠٤
تيم — ١٧٣	آل أبي معيط — ١٧٦
	آل سامان — ٩٢، ٩١
(خ)	آل النبي محمد صلى الله عليه وسلم — ١٥٥
الخزرج — ١٧٨	الأعاجم — ١٧٥
خوزان — ٧	الأنصار — ١٦٩، ١٦٨، ١٦٤
(د)	(ب)
الديلم — ٢١٣	باهلة بن يعفر — ١٧٢
	بجيلة — ٩
(ذ)	بكر بن وائل — ١٧٣
ذوو مليح (كذا) — ٢٢٢	بنو أسد بن خزعة — ٢٤٤ ح ١٧٩
	بنو بدر — ٤٥
	بنو تيم الله — ١٩
(ر)	بنو الجلاح — ١٦
الروم — ٧٢ ح ١٢٩، ١٥١، ١٥٢	بنو دبير — ٥٠
	بنو عبادة — ١٤
	بنو العباس — ١٠٥، ٢١٣
(ز)	بنو فاضرة — ٥١
	بنو النجار — ١٦٤
	بنو نصر — ٢٠٣
الزنج — ٤٣ ح	بنو نعيم — ١٦٨، ١٦٧

١٧١، ١٧٢، ١٧٦، ١٨١، ١٨٢

١٨٢

قيس — ١٧١

(ك)

الكرد — ١٢٩

كعب — ١٦٧، ١٦٨

كلاب — ١٦٧، ١٦٨

كلب — ١٧٣

كليب — ٩ ح

كليب بن وائل — ٣٤

(م)

عجاشع — ٥٨

مزينة — ١٧٨

السلمون — ١٥١، ١٨٥، ١٨٩

(ن)

النبط — ٧

النصارى — ١٩٢

نمير = بنو نمير

(هـ)

همدان — ١٧٤

(ي)

اليهود — ١٧٩

يوفان — ١٠٠

(س)

سخينة (لعب للفرش) — ١٧٢

(ش)

هيان — ٤٧

(ص)

الصوفية — ٩١، ٩٢، ٩٧، ١٤٧

(ع)

عاد — ٤٩، ١٠٣

العجم — ١٧٦، ١٩٠

عدنان — ٨

العرب — ١٣، ١٤، ١٧ ح، ١٨ ح،

٢٩، ٣٩، ٤٨، ٥٥، ٥٦، ٦٠،

٦٧، ٦٩، ٨٥، ٩٠، ٩٨،

١٠٢، ١٠٣، ١٠٥، ١٢٩،

١٣٥، ١٦٧ ح، ١٧٦

(ف)

فزارة — ٢٤

(ق)

القططنة — ٨، ١٧٥

قريش — ٥٣، ١٦٥، ١٦٨، ١٦٩،

تم فهرست أسماء القبائل والأمم والفرق

ملاحظات للدكتور مصطفى جواد

الأستاذ بمدرسة المعلمين العليا ببغداد

على بعض ألفاظ وردت في الجزء الأول والثاني من كتاب الإمتاع والمؤانسة نفصرها فيما يلي مع جزيل الشكر لكاتبها الفاضل على حسن نيته وجبل تقديره لما بذلناه في تصحيح هذا الكتاب من جهد .

الجزء الأول

- ١ — ورد في الصفحة « م » من المقدمة في السطر « لأبى على الحسن التنوخى » والصواب « المحسن » .
- ٢ — ص ٦ س ٥ « فوارضها » . الصحيح « عوارضها » .
- ٣ — ص ١٣ س ٨ « ويكون سبباً قوياً على حسن الحال وطلب العيش » . الصواب « قوياً إلى حسن الحال وطيب العيش » .
- ٤ — ص ١٦ س ٦ « الدهر الحالى من الديانين » . الديان هو الله والأولى « الربانيين » و « الديانين » وهم المنسوبون إلى الديانة . وهذه الكلمة من كلمات القرن الرابع للهجرة تمجدونها في أول صفحة من مروج الذهب للسعودى .
- ٥ — ص ٢١ س ١ « ولا محابة ولا انمياش » والصواب « محاوتة » بالناء ، قال الزمخشري في أساس البلاغة « ومن المجاز : حاوتنى فلان عن كذا إذا خادعك عنه وراوئك ، وظل فلان يحاوتنى بخدعه ومعناه يداورنى فعل الحوت في الماء » .
- ٦ — وفي ص ٣٤ س ٩ « ولم يتفوح بردع الفلسفة » وفي الأصل « لم يتفرخ » والصواب « يتضرج » .
- ٧ — وفي ص ٤٠ س ٣ « والأمر الربوبى » بضم الراء . والذي أعلمه بفتح الراء .
- ٨ — ص ٤٤ س ٦ « تأجيل الهنأ » . والذي أراه لمراعاة الأصل « تعجيل الهنأ » أى المبادرة بإظهار الكراهية والبغضة .
- ٩ — ص ٤٥ س ٨ « كيف استكنفى هذه الجماعة حوله » وفي الأصل « استكنفت » . فالصواب « استكنفت هذه الجماعة حوله » . وفي أساس البلاغة : « واستكنف الناس حوالبه : أهدقوا به » .
- ١٠ — ص ٥٠ س ٧ « وبسرنى » . والأولى « وبسرنى » أى أتاح لى اليسر .
- ١١ — وجاء في ص ٥١ س ٧ ذكر « التاسومة » ولم تجدوها في كتاب لغة . والصحيح أنها

- وردت في غير مادتها فقد ذكرها المروى مؤلف الفريين في مادة
 « نعل » من غريب الحديث ، ونقلها عنه المبارك بن الأنير في « النهاية »
 ونقل عن أحدهما الفيو في « نعل » من المصباح المنير .
- ١٢ — من ٦٢ س ١١ « والتشيع الظاهر والدعوى العارية » الخ . ولا عمل للتشيع أبداً
 والصواب « التشيع » وهو تكلف الشيع ومنه الحديث النبوى
 الشريف « المتشيع بما ليس فيه كلباس ثوبى زور » .
- ١٣ — من ٦٨ س ١٢ « بدافع ما يعلمه » والصواب « بدفع ما يعلمه » أى بإنكاره ،
 وما بعده حكاية وردت فيها الأعلام مصحفة وكانت جرت في عهد
 بنى أمية نصيرها التصحيف مما جرى في عهد بنى العباس . وفي الحكاية
 ذكر أمير المؤمنين المهدي . فالظاهر أن لفظ « المهدي » تصحيف
 اسم أمير من أمراء بنى أمية كالمهلبى وغيره ، وأما « كرىز »
 الوارد في السطر ٧ فصوابه « كرىن » وهو من رجال الدولة
 الأموية كما في عيون الأخبار « ج ١ ص ١٧١ » وأما « دوست »
 الوارد في السطر ٩ فصوابه « درست » بالراء وهو من رجال
 العهد الأموى أيضاً كما في البيان والتبيين « ج ٢ ص ١٢٧ » .
- ١٤ — من ٧٢ س ١٦ « وهم يحاضون به » والصواب « يتحاضون » .
- ١٦ — وفي ٧٩ س ٢ « ويتعاونون » . والصواب « يتفاوون » أى يغير بعضهم
 على بعض .
- ١٧ — من ٨٧ س ١٠ « وقع باليسير ورخى العيش » . والصواب « باليسير من رخى
 العيش » .
- ١٨ — من ١٠٣ س ١١ « كان يخط في هواه » وفي الحاشية أنه « يخط » وأنه تصحيف
 استوجب التصحيح . قلت : وهذا غير صحيح ، فالأصل هو
 الفصيح ، قال الزمخشرى في أساس البلاغة « وخط في هواه وانخط
 فيه ، ويقال : أكل من حلوائهم فانخط في أهوائهم » .
- ١٩ — من ١٠٩ س ٢ « المصاع من صاع الشجاع أقرانه إذا حمل عليهم ففرق جمعهم ،
 والصواب « مصع يماصع » أى ضرب بالسيف خاصة .
- ٢٠ — من ١١٩ س ١٢ « أن يبر لهم ما صبح له بالاعتبار » . والصواب « أن يبرز
 لهم ما صبح » .
- ٢١ — من ١٣٩ س ٧ « ويثم فيهم » والصواب « يشتم » من الشتم .
- ٢٢ — من ١٤١ س ١٣ « إلا أنه يأتى لابن عباد في ستمه » . والصواب « تأتى » أى
 ترفق وتلطف .
- ٢٣ — من ١٤٢ س ١٤ « أو أقلع عن كبيرة رغبة » . والصواب « رهبة » .
- ٢٤ — من ١٤٤ س ١٣ « وسمن بهروا » والصحيح « سمن البعر » وهو مذكور في
 حياة الحيوان .

— ش —

- ٢٥ — ص ١٥٨ س ٧ « كل شيء يطله ويتوقاه » : الصواب « ويتوخاه » .
- ٢٦ — ص ١٦٢ س ٩ « المقاب يجلس » والصواب « تجلس » .
- ٢٧ — ص ١٦٨ س ٥ « إلى أن يترحل النهار » ترحل النهار يدل على عكس المراد بالحكاية . والصواب « يترجل » أى يعلو ويرتفع .
- ٢٨ — ص ١٧٠ س ٤ « ويستخفي في البحر » ، والصواب « في الشجر » .
- ٢٩ — ص ١٧٥ س ١١ « ثم انقعد في لبن » . الصواب « أنقعه » ومصدره الإقناع أى ربطه ورببه باللبن .
- ٣٠ — ص ١٧٦ س ٣ « حوت يقال له : موفى » . الصواب « مَوْتَى » منسوب إلى الموت ، لأنه يتماوت ويتهاك .
- ٣١ — ص ١٨٠ س ٤ « دابة يقال لها بالفارسية درباست » . والصواب « بادستر » وهو « الجند بادستر » .
- ٣٢ — ص ١٨٢ س ٨ « الجرذان » . والصواب « القردان » جمع القراد .
- ٣٣ — ص ١٩٠ س ٦ « لسرعة إحناء أجنحته » والصواب « لإعياء أجنحته » .
- ٣٤ — ص ١٩٧ س ١ « بما هاج الحبيب حبيب » صوابه « كما هاج الحبيب حبيب » .
- ٣٥ — ص ٢٠٠ س ١٤ « نحركة وتحسه » . الصواب « تحثته » .
- ٣٦ — ص ٢٢١ س ١٢ « من لقيه الحرسي إلى أى شيء ينسب » . والصواب اللازم صرابة الحرسي إلى أى شيء تنسب .

الجزء الثاني

- ٣٧ — ص ٥ س ١٠ « ولفنوها للناس » . والصواب « لفنوها الناس » فالفعل متعدي إلى المفعولين بنفسه .
- ٣٨ — ص ١١ س ٥ « لكن الحريري غلام ابن طرارة هيجه يوماً في الوراقين » . الصواب « الحريري » نسبة إلى مذهب محمد بن جرير الطبري المشهور والصواب ابن طرارة (بتخفيف الراء) لا تشديدها .
- ٣٩ — ص ١٣ س ١٣ « ومزقم بين مجتمعين » . والصواب « وفرقم بين مجتمعين » .
- ٤٠ — ص ٢١ س ٦ « وإن هذا النعت من قولي ... » . الصواب « وأين » .
- ٤١ — ص ٣١ س ١٨ « الأنفى تأخذ السم من الأسيلة » . صوابه « من الأسيلة » وهي نوع من الحيات .
- ٤٢ — ص ٥١ س ٥ « طالغات بالسلام » . صوابه « طالغات بالسنام » .
- ٤٣ — ص ٥٩ س ١٤ « شرحتم كلمة « الصراة » بأنه نهر بالعراق ، وكان الأول أن يقال « نهر كان ببغداد » .

- ٤٤ — س ٦٠ س ١ « ويا قصرأ بلا مسناه » . الصواب « السنة » ومى البنية التى تبقى بين القصور وماء النهر اتحفها من الماء .
- ٤٥ وجاء فى س ٧٩ س ١ « وقلت لابن الجلاء الزاهد بمكة سنة ثلاث وخسين وثلاثمائة ... »
والذى فى تاريخ بغداد « ج ٥ س ٢١٣ » للخطيب البغدادي وأنساب السمعاني بمادة « الجلاء » أن ابن الجلاء « وفى سنة ٣٠٦ هـ » .
- ٤٦ — س ٩٣ س ١٢ « من صبر باب » . والمحفوظ فى الحديث « صبر » .
- ٤٧ — س ١٣٦ س ٩ « ظاهر النفع فى معاينة الروح » . والصواب « معاينة الروح » .
- ٤٨ — س ١٤٣ س ١٠ « ومقاساة العُرقة » . والصحيح « الحرفة » أى الفقر والموز .
- ٤٩ — س ١٥٦ س ٥ « فلما أجمعنا على العجن والملك لم نجد الحراق » ، والصواب « الل » وهو الاختباز على « الملة » أى الجمر المختلط بالرماد .
- ٥٠ — س ١٥٧ س ٥ « الانخزال » . والصواب « الانخزال » .
- ٥١ — س ١٦٢ س ٧ « والزيادة والرفع » . والصواب « الريع » .
- ٥٢ — س ١٦٧ س ٦ « [القاطن] فى دار القطن عند جامع المدينة » صوابه القاطن فى دار القطن كما هو فى الأصل .
- ٥٣ — س ١٧٠ س ٥ « تسحب الحاطر » . الصواب هندى « تشعب الحاطر » .
- ٥٤ — س ١٧١ س ١٣ « ولا طرب ابن صُبْر القاضى » . قلت : الصواب « ابن صُبْر » بضم الصاد وفتح الباء .
- ٥٥ — س ١٧٤ س ٩٠ « وقد علق عازا فهذا هم كما كنّا » . والصواب « هم » بفتح الهاء وهو موضع النكته التى جاء الخبر من أجلها فإنه استعمل « هم » العامية المراقية بمعنى « أيضاً » ولا يزال المراقبون يستعملونها ، والكرد أيضاً ، قال الحريرى فى درة القواس « ويقولون للمخاطب هم فملت وهم خرجت » فيزيدون هم فى افتتاح الكلام وهو من أشنع الأغلاط ، وعن الأخفش أنه قال لتلامذته : جنبوز أن تقولوا هم : وأن تقولوا يس وأن تقولوا ليس لفلان بخت » . ولذلك قال أبوحيان : « وأصحابنا يستملحون قوله هم ها هنا » . زلا استملاح مع « هم » .
- ٥٦ — س ١٧٦ أيضا س ١٢ « إذا أخذت فى هزارها » . وفى الحاشية اعتذار من القموض . قلت : الهزار ها هنا من الفارسية بمعنى « الأنشودة » .
- ٥٧ — س ١٨٠ س ٣ « والهوراد والجوزيات » . قلت : أما الهوراد فقد ذكرها محمد بن الحسن بن السكرم البغدادي فى كتابه « الطبيخ » س ٥٦ فقال « الباب الخامس فى المطجنات والهوراد ... » وشرحها بلا داع طابع الكتاب فقال « مى القول المطبوخة الموضوعة فى الأشياء »

— ث —

الحامضة كالخل وماء الحصرم وماء التفاح (كذا) . . . » وأما
« الجوزيات » فالظاهر أنها تصعيف «جوزابات» جمع «جوزابة»
وهي معروفة بين ألوان الأطعمة والحلوى .

٥٨ — س ١٨٩ س ١٢ « ما يُكسبك الشكر » والصواب « يكسبك » بفتح الياء لأنه
متعد إلى مفعوليه بنفسه .

٥٩ — س ١٩٥ س ١١ « مستغر بذنبه » . والصواب « مستغر » من الاستغفار
وهو معروف .

٦٠ — س ٢٠٢ س ١١ « وللقديم قدم » . وعندى أن الأصل « وللمديم عدم » .
واقه يوفقنا وإياكم للصواب .

مصطفى مراد

ملاحظات للأستاذ كراوس

على الأجزاء الثلاثة من كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي

الجزء الأول

- س ٣٨ : ٤ : بُكْش ، والصواب : بَكْش (Bakksus) .
 ٥٨ : ١٠ : ابن نُوبخت — ابن نُوبخت .
 » تعليق ٢ : كان علي بن ربن الطبري نصرانياً لا يهودياً أسلم .
 ٧٩ : ٩ : يقفور ، صحه كرد على فقفور ، والصحيح : يقفور .
 ١٦٤ : ٣ : أديوس ، والصواب : أديسوس (Odysseus) .
 » ٧ : المنتصب ، والصواب المصمت كما في الديمري .
 ١٩٨ : ١٤ : و ٢٠٢ : ٢ : بحس من الإحساس ، والصواب : الأحساس جمع حس .

الجزء الثاني

- س ٧٧ : ٦ : وهذا أشجى ، والصواب : إسحاق ، والإسحاقية فرقة من غلاة الشيعة
 قريبة المنصب من النصيرية ، ذكرها الشهرستاني والجرجاني في التعريفات
 وغيرها ومؤسستها أبو يعقوب إسحاق بن محمد بن أبان النخعي الكوفي
 المتوفى سنة ٢٨٦ هـ .
 » : » : قطمى . والأصح : القِطْمَى .
 » ٧٨ : تعليق ١ : ليست الراوندية من أتباع ابن الراوندي اللحد بل هم فرقة من أتباع
 عبد الله الراوندي ، قالت بالوهية الخليفة منصور من آل بني عباس ، راجع
 مقالات الأشعري ص ٢١ وابن حزم ج ٤ ص ١٨٧ وابن الأنثري في وقائع
 سنة ١٤١ وما إليها من المصادر .
 » ٨٤ : ١٥ : و ٨٥ : ٢ : استنباتها ، وفي الأصل « أسباب إنباتها » أو « إنبات
 إنباتها » — أما الصواب بلا شك أنه « إنبات أُنْبِياتها » .
 س ٨٤ : ١٦ : إلى تحقيق إنباتها ، وفي الأصول : ما ينالها أو مسابقتها — والصواب :
 إلى تحقيق ماينتها ، والمائبة تقابل الإنية .
 ٨٧ : ٢ : العبارة « بمنزلة » صحيحة وهي ترد هكذا في كثير من الكتب المترجمة من
 اليونانية ومعناها « مثل » .
 ٨٧ : ٥ : والميركيان ، والصواب : والميركيان ! أعني المرة السوداء والمرة الصفراء .
 ٨٧ : ٦ : الأربع ، والأصح : الأربعة .

- ٩١ : ٢ : بالاستمرار : والصواب الاستمرار .
 » : ١٠ : ورضوا بالزهد ، وأظن الصواب : ووصوا كما في س ١٢ .
 ١٠٥ : ١٢ : لعل الصواب : أحذر [من الذئب (أو القراب) وألس] من العقق . راجع
 الأمثال للميداني .
 ١٠٧ : السطر الأخير : الطلق ، والصواب الطلق .
 ١٠٨ : ٥ : يرسخ ؟ لعله يرشح ؟
 ١٠٨ : ٧ : اللك ، والصواب اللك .
 ١١٣ : » : بالحد والاسم ، أليس الصواب : بالحد والرسم .
 » : ١٠ : و ١١ : ماله فيه (منه) ، والصواب عندي مائيته أو ماهيته .
 ١٥٣ الخ : ليس اسم الشاعر اليوناني كندس بل هو إيبكوس (Ibykos) كما في
 الأصول وقصته مع الكراكي مشهورة متداولة عند كتاب اليونان ، وقد
 اختارها Sohieecr موضوعاً لقصيدته له — أما اسم الملك فلا شك أنه
 محرف ، وكان المنتظر أن يكون Polykrakes الذي عاش لإيبكوس الشاعر
 في أيامه . ويلاحظ أن اسم إيبكوس مصحح في فهرس الأعلام لهذا الجزء .
 فراجعته .
 ١٥٧ الخ : ينهي صديق M. Stern على أن هذه القصة (قصة الجوسى واليهودى)
 وردت في رسائل لإخوان الصفاء في الرسالة التاسعة من الجزء الأول منها
 (ص ٤٦ من القسم الثانى من الجزء الأول من طبعة بمباى) .
 ١٥٧ : ١٥ : سفرة ، وفي الأصول : في سفره ، والصواب ، كما في رسائل إخوان
 الصفاء : بقة له عليها [كل ما يحتاج إليه المسافر] في سفره .

الجزء الثالث

- س ١٠٨ : ١٦ : النفس عدد محرك بذاته ، كذا في كلتا النسختين وهو صحيح لا يحتاج إلى
 تصحيح «عدد» بمرس — وهو حد مدرسة فوئاغورس للنفس ،
 راجع الترجمة العربية للآراء الطبيعية لفلوطن خوس التي نشرتها في ملحق
 بحثى عن جابر بن حيان (ص ٣٢٢ من الجزء الثانى) : «وأما فوئاغورس
 فبرى أن النفس عدد محرك ذاته ويعنى بقوله العدد العقل» — ولعل
 الأصح أن يقرأ في «الإمتاع» محرك ذاته أو متحرك بذاته .
 ١٣٠ : السطر الأخير : موريس ؟ لعله أمورس ؟
 ١٤٢ : ٢ ، ١٥ وكذلك ١٤٤ : ١٣ : الإحساس ، والصواب : الأحساس ، جمع
 الحس .
 ١٥٣ : ٧ : أظن أن قراءة نسخة ب (باب الشيعة) صحيحة ، فإن الشيعة تسمى رئيسها
 الذى يلى في الترتيب الإمام الغائب بابا .

تم طبع الجزء الثالث من كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان
التوحيدي بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر في ٢٩ صفر
سنة ١٣٧٣ الموافق ٧ نوفمبر سنة ١٩٥٣ م